

حدود الصراع تاريخية

وخفايا الصراع العربي واليهودي الصهيوني الإسرائيلي

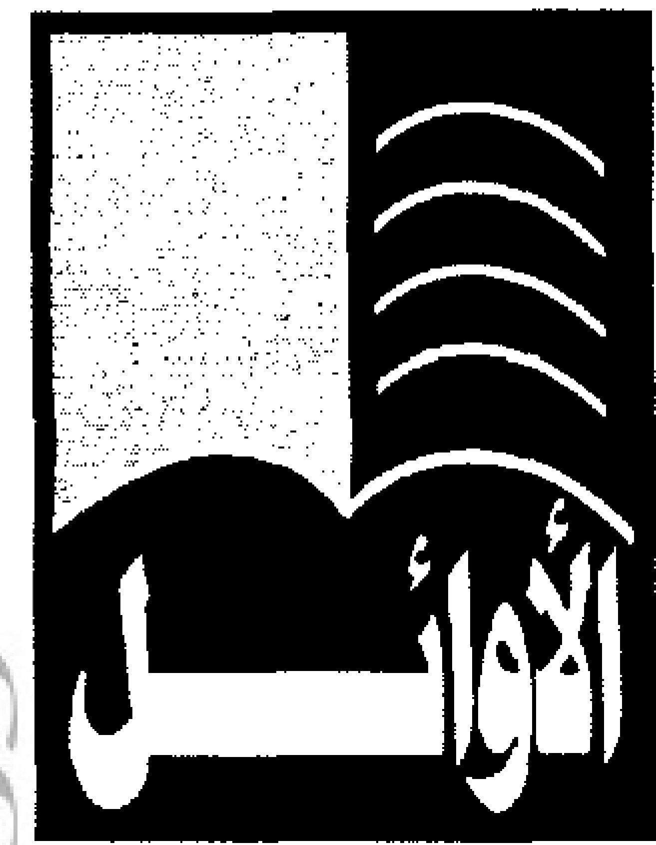
موفق صادق العطار

حُدُود الصِّراع

تاريخيَّة وخفايا الصِّراع العَرَبي واليهُودي الصَّهيوني الإسرائيلي

قرؤوا فوصلوا
لنقرأ حتّى نصل

الطبعة الأولى
أيّار 2005 م



تصميم الغلاف: هلا خلوصي
الإشراف الفنّي: يزن يعقوب
التّدقيق العامّ: إسماعيل الكردي

الكتاب: حدود الصّراع
تاريخيّة وخفايا الصّراع العربي
واليهودي الصّهيوني الإسرائيلي
تأليف: موفّق صادق العطّار

النّاشر: الأوائل للنّشر والتّوزيع
سوريّة . دمشق . الإدارة: ص . ب 3397

هاتف: 2233013 11 00963
فاكس: 2460063 11 00963
البريد الإلكتروني: alawael@scs-net.org

التّوزيع: دمشق ص . ب 10181
البريد الإلكتروني: alawael@daralawael.com

جوّال: 411550 93 00963
418181 93 00963

موقع الدّار على الإنترنت:
www.daralawael.com

مُوفَّق صادق العطَّار

حُدُود الصِّراع

تاريخيَّة وخفايا الصِّراع العَرَبي واليهُودي الصّهيوني الإسرائيلي

الأوائل
2005

قرؤوا فوصلوا ، لنقرأ حتّى نصل

تنويهٌ هامٌّ

من أجل تواصُل أكثر مع السّادة القُرّاء ، فقد خَصّصْنَا آخر (24) صفحة من هذا الكتاب لمنشورات الدّار ؛ حيثُ يجد السّادة القُرّاء قائمة بمنشورات الدّار ، ولمحة إلى كُلِّ كتاب أصدرتْهُ الدّار .

هذه القائمة تُعطي انطباعاً عامّاً عمّا تنشُرُهُ الدّار من آراء ، كما تُعطي لمحةً عامّةً إلى الخطِّ الذي تنتهجُه الدّار ، وهذا - بلا شَكٍّ - سيجعل التّواصُل أسرع وأقرب وأصدق.

فنرجُو من السّادة القُرّاء قراءة هذه الصّفحات بتأنٍّ وتدبُّر ، ونرجُو مُراسلتنا بمُلاحظاتكُم واستفساراتكُم عن الكُتُب التي تنشُرُها دارُ الأوائل .

الفهرس

الإهداء

إلى الدّاعين بقبول فكرة التّعايش السِّلْمي مع العدوّ الصّهيوني، والرّاغبين في تسويق هذه المقولة في الوَسَطَيْن العَرَبي والإسلامي.

إلى الحالمين بإمكانيَّة قبول الكيان الصّهيوني بالطُّرُوحات العَرَبيَّة السِّلْميَّة، والمُعتقدين باحتمال اكتفاء هذا الكيان بما اغتصبه من الحقّ العَرَبي.

إلى الغافلين عن صيانة الكرامة العَرَبيَّة وحمايتها من كُلّ غاصب.

إلى الرّاغبين في الاطّلاع على الحقيقة المُجرَّدة دُون أيّ تمويه.

إلى أحفادي الأعزَّاء، الذين آمل أنْ يروا طلائع الصَّحْوَة العَرَبيَّة المرجوَّة.

إلى الزَّوجة الوفيَّة، تقديراً لمُساهمتها في إعداد هذا الكتاب.

إلى هؤلاء جميعاً؛ أُقدِّم هذا الكتاب، آملاً أنْ تُوحي المعلومات - التي يتضمَّنها - إلقاء الأضواء الكاشفة، التي تُبيِّنها طبيعة وحُدُود الصّراع مع العدوّ الصّهيوني. والله وليُّ التَّوفيق.

دمشق ص. ب 5946

مُوفَّق صادق العطَّار

تمهيد

تتجاذب السّاحة العَرَبِيَّة آراء مُختلفة تصل - أحياناً - لحَدِّ التّناقض بينها حول موضُوع الصّراع العَرَبي - الإسرائيلي، وقد استطاعت الولايات المُتَّحدة أنْ تجذب إليها - إضافة إلى العديد من الأنظمة العَرَبِيَّة الحاكمة - عدداً كبيراً من الأقلام المُنادية بالانحياز المُطلَق إلى سياستها المُناهضة للحق العَرَبي، رغم اعتراف أصحاب هذه الأقلام بالانحياز الأميركي الفاضح لإسرائيل وسُلُوكها العدائي تجاه العالَمَيْن العَرَبي والإسلامي، وأصبحت الأفكار المُنادية بالانصياع للمارد الأميركي وسياسته الجائرة هي السّائدة في الوَسَط الإعلامي العَرَبي، وباتت الأفكار المُنادية برَفْض الخُنُوع للإدارة الأميركيَّة والدّاعية لاستنهاض كرامة الأُمَّة العَرَبِيَّة تَلْقَى كثيراً من الاعتراضات والانتقادات اللاَّذعة. والأفكار التي يطرحها هذا الكتاب تُعبِّر عن آراء الرّأي الثّاني، وتميل إلى تبنِّي وتوضيح اتِّجاهاته. وقد رأيتُ - قبل تقديمها للقارئ الكريم - أنْ أستطلع رأي عدد من المُفكِّرين الذين لم تجذبهم السِّياسة الأميركيَّة، رغم إغراءاتها المُتعدِّدة.

وكانت نتيجة هذا الاستطلاع - الذي انبنى على القراءة المُسبقة للكتاب - الوُصُول إلى نتيجة هامَّة مفادها أنَّ قطاعاً كبيراً من المُفكِّرين وأصحاب الرّأي الحُرّ مايزال إيمانهم شديداً بمُستقبل هذه الأُمَّة، رغم الغُيُوم الحالكة السَّواد التي تُخيِّم في سمائها. ولا يسعني إلاَّ أنْ أشكر هؤلاء الذين أثنوا وأيَّدوا ما ذهبتُ إليه في كتابي، راجياً من الله أنْ أكون قد قدَّمت مُساهمةً ما في خدمة هذه الأُمَّة، التي أتشرَّف في الانتماء إليها، والله وليُّ التَّوفيق.

2003/7/3

مُوفَّق صادق العطَّار

مُقدِّمة

تلعب العقيدة الدِّينيَّة اليهُوديَّة دوراً هامَّاً في تكوين السُّلُوك الدِّيني والنَّمَط العقائدي لدى أصحاب هذه الشّريعة. ومهما حاول بعض مُعتنقيها التَّنصُّل من التَّوجُّهات غير المقبولة فيها، في مُحاولاتهم للرَّدِّ على الانتقادات المُوجَّهة لها من قِبَل أصحاب الشّرائع الأُخرى؛ وخاصَّة شريعة مُحمَّد ﷺ، ومهما سعى هؤلاء إلى تلميع النَّصِّ التَّوراتي ومُحاولة إبعاده عن المفاهيم المُعيَّنة التي التصقت به كالبُعْد الأُسطُوري تارةً، والتَّوجُّه الوَثَني الذي لا يتَّفق مع الفطرة الدِّينيَّة السّليمة المُؤمنة بالعقيدة التَّوحيديَّة تارةً أُخرى، والميل إلى إضفاء التَّفرُّد بالاختيار الإلهي، والتّركيز على الانفراد بالمُباركة الإلهيَّة. كُلُّ هذه السّمات وغيرها جَعَلَتْ الصّبغة المُلتصقة بالنَّصِّ التَّوراتي ترتكز على حقائق يصعب الدّفاع عنها، أو إنكارها. فتحقير الشُّعُوب التي لا تدين باليهُوديَّة، والمُبالغة في تقييم الذّات، والإصرار على أنَّ الشّعب اليهُودي هُو الشّعب الوحيد الذي اختاره الله، وَمَنَحَهُ بَرَكَتَهُ، وَخَصَّهُ - وحده - بهذه المُباركة، دُون بقيَّة كُلِّ الشُّعُوب، وإعطاء الحقّ الدِّيني لليهُودي بأنْ يتعامل مع الغير (الغُوييم) بطريقة مُغايرة عمَّا يُفترَض أنْ يتعامل فيها مع بني دينه، إضافة إلى السّماح في أنْ تكون هذه المُعاملة خالية من كُلِّ مبدأ أخلاقي تُقرُّه الشّرائع السّماويَّة. كُلُّ هذه الحقائق التي نجدها في التَّوراة تعني - بكُلِّ وُضُوح - أنَّنا أمام مجموعة من النّاس تُحمِّل عقيدتها أكبر قَدْر من العُنصُريَّة، وتملك طاقة كبيرة من المشاعر المُعادية للشُّعُوب الأُخرى، التي لا تدين بديانتها، كما تسعى - من مُنطلق هذه الكَراهية - إلى سَحْق وتدمير هذه الشُّعُوب، بل إلى إبادتها، إذا أمكن!!

إنَّ التُّراث العقائدي اليهُودي الذي يعتمد على التَّوراة والتّلمود، والذي يُجمع أكثر الباحثين على أنَّ نُصُوص الكتاب الأوَّل (التَّوراة) قد كُتِبَت بعد السّبي البابلي؛ أيْ بعد نُزُول الأسفار الخمسة الأُولى (التّكوين، الخُرُوج، اللاَّويِّين "الأحبار"، العدد، التّثنية) بما يزيد عن سبعمئة (700) عام، وأنَّ تدوين نُصُوص هذه الأسفار قد كُتِبَت من قِبَل الأحبار الفرِّيسيِّين،

الذين تمكَّنوا من تثبيت النَّظرة الدِّينيَّة العنصُريَّة المُترسِّخة في السُّلُوك اليهُودي في النَّصِّ التَّوراتي، وإعطاء هذا النَّصّ قالباً ينسجم - بشكل كامل - مع الأهواء والمُيُول والنّزعات المُتأصِّلة في العقليَّة اليهُوديَّة.

إنَّ الدّفاع عن هذا السُّلُوك الذي تبنَّاه الأحبار عند كتابتهم التَّوراة؛ بالادِّعاء بأنَّ هذه الكتابات تأثَّرت بعدَّة عوامل؛ أهمّها اختلاط بني إسرائيل بشُعُوب المنطقة، كالكَنعانيِّين، والبابليِّين، وغيرهم، والذين كانت كُلُّ عقائدهم عقائد وَثَنيَّة، وأنَّ فترات الاضطهاد التي عايشها الشّعب اليهُودي، والتي كان آخرها السّبي البابلي، قد أثَّرت كثيراً على هؤلاء الأحبار عند تسطيرهم تلك الكتابات.

إنَّ هذا الدّفاع لا يتَّفق مُطلَقاً مع ما تضمَّنته التَّوراة من تحريفات تخرج عن المُحتوى الدِّيني للكتاب المُقدّس. إنَّ تعمُّقاً بسيطاً في نُصُوص التَّوراة يُبيِّن لنا أنَّ هُناك قناعة مُترسِّخة في العقليَّة اليهُوديَّة تُفيد بأنَّ العنصُريَّة اليهُوديَّة شيء أساسي في الشّريعة اليهُوديَّة، وأنَّ النّظرة إلى العقائد الأُخرى تنطلق عندهم من أنَّ كُلَّ هذه العقائد تُمثِّل خطراً دائماً على اليهُوديَّة؛ لذلك لابُدَّ من مُحاربتها، ولابُدَّ من تحطيمها. لقد أثَّرت هذه الأهواء النَّفْسيَّة والمُيُول العنصُريَّة على العقيدة الدِّينيَّة، فجاءت النُّصُوص التَّوراتيَّة لتسمح بالتّعامل بالرِّبا مع الغير، وتحريمه داخل المُجتمع اليهُودي، وأصبح الزّنا مسموحاً به في الشّريعة اليهُوديَّة طالما كان مع النّساء غير اليهُوديَّات، وغدا التّعامل مع الغُرباء (الغوييم) يختلف عمَّا يجب أنْ يكون سائداً بين اليهُود، وأنَّ كُلَّ البشر الذين لا ينتمون إلى نسل يعقوب ليسوا من شعب الله المُختار، بل هُم عبيد مُسخَّرون للشّعب اليهُودي أبناء يعقوب فقط.

إنَّ التّعبير الذّاتي عن طبيعة هذه العقيدة اليهُوديَّة، والذي يدعو إلى الانغلاق على الذّات وعدم التّرحيب بنَشْر العقيدة، والتّركيز على خُصُوصيَّة الشّخصيَّة اليهُوديَّة تجعل الدّيانة اليهُوديَّة ديانة مُتقوقعة، تُريد أنْ تُحافظ على تُراث ثقافي خاصٍّ ذي مفاهيم دينيَّة مُتطرِّفة. وبينما نرى أنَّ المسيحيَّة والإسلام يُرحِّبان بكُلِّ راغب في الانتماء إلى أيٍّ منهما، دُون النّظر إلى العرْق أو الجنس أو اللّون، نرى أنَّ اليهُوديَّة لا تفتح أبوابها لكُلِّ طارق للانتماء إليها، بل

تضع شُرُوطاً تعجيزيَّة ـ أحياناً ـ أمام كُلِّ طالب انتساب إليها، وذلك من مُنطلق النّظرة العُنصُريَّة التي تحملها العقليَّة اليهُوديَّة إزاء الآخرين أبناء الدّيانات الأُخرى. وتبقى الرّغبة الشّديدة في أنْ تكون اليهُوديَّة ـ من مُنطلق الحرص على عُنصُريَّتها ـ ديانة مُنغلقة على ذاتها، مُتقوقعة على نفسها، تعمل جاهدة على تكوين شخصيَّة يهُوديَّة مُتميِّزة مُمجَّدة من الرَّبِّ، ومحصُورة في مجموعة مُختارة منه؛ دعوها شعب الله المُختار، هي العلامة البارزة في هذه الشّريعة. ولعلَّ اليهُوديَّة هي الشّريعة الوحيدة التي حرصت على التّقوقع والانغلاق على نفسها. فحتّى لو قارنَّاها مع الدّيانات غير السّماويَّة الأُخرى كالبُوذيَّة أو الزّرادشتيَّة أو الكُونفُوشيَّة وجدنا أنَّ هذه الدّيانات قد انتشرت عقائدها في بقاع كثيرة من العالم، وزاد عدد مُعتنقيها عن مئات الملايين، ولاقت أفكارها ـ لما تحويه من مبادئ أخلاقيَّة رفيعة ـ قبولاً وقناعة لدى مجموعات بشريَّة مُتنوِّعة غير المجموعات التي انطلقت بدايتها منها. فالبُوذيَّة مثلاً التي انطلقت من الهند وانتشرت في أكثر بُلدان جنوب شرقي آسيا قد تجاوزت منشأها الأصلي، ووصلت حتّى إلى الولايات المُتَّحدة الأميركيَّة.

وهذه الدّيانات الثّلاث، مثلها مثل الشّريعتَيْن السّماويَّتَيْن المسيحيَّة والإسلام تفتح كُلٌّ منها ذراعَيْها لكُلِّ راغب في الانتساب إليها، بينما نرى اليهُوديَّة تنأى بنفسها عن هذا الانفتاح، بل، بالعكس، فإنَّها تترفَّع عن قبول الأجناس البشريَّة الأُخرى بالانتساب إليها، إلاَّ بشُرُوط خاصَّة موضُوعة من قبَلها. ولهذا السّبب؛ نجد أنَّ اليهُوديَّة ـ رغم أنَّها شريعة سماويَّة ـ بقيت أقلّ الشّرائع السّماويَّة عدداً بين الشّرائع السّماويَّة الثّلاث. ونُلاحظ أنَّ النَّصَّ التَّوراتي لم يُدرج الدّعوة إلى اليهُوديَّة ضمن مهمَّة التّبليغ المُكلَّف بها أنبياء بني إسرائيل، إلاَّ في حُدُود شعب إسرائيل، وافتقدت النُّصُوص التّوراتيَّة الإشارة إلى ضرورة تبليغ رسالة التَّوحيد التي تولاَّها أنبياؤهم إلى بقية البشر، وعلى الأقلِّ إلى الذين تعايش بنو إسرائيل معهم، وكأنَّ الرّغبة في الحرص على إبقاء التَّوراة حكْراً على مجموعة بشريَّة مُعيَّنة ضمن حُدُود الشّعب اليهُودي تبقى هي الهَدَف المنشود.

إنَّ النُّصُوص الواردة في التَّوراة، والتي سنُبيِّنها بالتّفصيل، والمُستخدمة لتبرير هذه الطّبيعة العُدوانيَّة والرّغبة الكامنة لدى الشّعب اليهُودي بالقَتْل والعُدوان والانفصال عن

الآخرين من مُنطلق عنصُري، باعتباره المزعوم بأنَّه شعب الله المُختار، قد أيَّدتها كتابات التّلمود، التي تُعَدُّ كتابات مُقدَّسة عند مُعظم الفرَق اليهُوديَّة. والتّلمود هُو - في الأساس - تفسير للتَّوراة، وتوضيح لها، إلاَّ أنَّه رسَّخ في كتاباته أبشع أنواع العُنصُريَّة، وأقصى سمات الاستعلاء، ورسَّخ في العقليَّة اليهُوديَّة كَراهية الغير. ولذلك؛ فقد لاقى التّلمود عداء شديداً من المسيحيَّة، التي اكتشفت فيه كُلَّ مظاهر التَّعصُّب والاستعلاء والعُنصُريَّة التي تحملها اليهُوديَّة ضدَّ الشُّعُوب الأُخرى، إضافة إلى ما احتواه التّلمود من افتراءات وعداء للمسيحيَّة بلغت حَدَّ اعتبار كُلِّ النّاس غير اليهُود عبارة عن حيوانات على هيئة بشر، أوجدهم الرَّبُّ لخدمة شعب الله المُختار، وأنَّ النَّفْس اليهُوديَّة مصدرها رُوح إلهيَّة قُدْسيَّة، أمَّا نُفُوس الشُّعُوب الأُخرى؛ فمصدرها نجس، وأنَّ الشّعب اليهُودي جدير بحياة الخُلُود، أمَّا الشُّعُوب الأُخرى؛ فغير جديرة بذلك.

إنَّ ما تضمَّنه التّلمود من كتابات عُنصُريَّة جَعَلَتْهُ كتاباً مرفوضاً من قبَل مُعظم الدُّول الأُورُوبيَّة، وَدَفَعَتْ مُلُوك وأُمراء هذه الدُّول إلى الأمر بإحراقه، وَمَنْعه من التّداول. وكانت أوَّل دولة أُورُوبيَّة تأمر بحَرْق التّلمود فرنسا عام 1244 م، وتبعتها بريطانيا عام 1290م، وإيطاليا عام 1322 م؛ إذْ أمر البابا يُوحنَّا الثّاني والعشرون بحَرْق التّلمود، وكرَّر هذا الأمر البابا جُوليُوس الثّالثُ عام 1353م. واستمرَّت مُحاربة التّلمود والأمر بحَرْقه حتَّى عام 1557 م، عندما أمرت الحُكُومة البُولنديَّة بحَرْق نُسخ التّلمود الموجودة في كُلِّ أنحاء البلاد، وكذلك فَعَلَتْ إيطاليا عام 1558 م. وأصدر البابا بيُوس الرّابع أمراً بتحريم التّلمود حتَّى من اسمه. وفي عام 1840م، عَدَّ مجلس المدينة في بُولندا أنَّ التّلمود مصدر احتقار اليهُوديَّة للدّيانة المسيحيَّة، وأمر بعدم تداوله.

ورغم كُلِّ هذه المُعارضة لكتاب التّلمود ونظرة الآخرين إليه فإنَّه يبقى - بالنّسبة لليهُود - كتاباً مُقدَّساً يحوي نظام المُعاملات والشّرائع اليهُوديَّة المَرْويَّة على الألسنة، والمُعتبرة مصدراً من مصادر التّشريع، ويُشكِّل - مع التَّوراة - جُزءاً لا يُجتزأ من الشّريعة اليهُوديَّة. وقد وَصَلَ التَّطرُّف العقائدي لدى الأحبار الذين وضعوا التّلمود ليكون سَنَدَهم الدِّيني في تثبيت دورهم في إصدار القوانين والتّشريعات الدِّينيَّة التي تخدم مصالحهم، وتُؤمِّن استمراريَّة سيطرتهم، أنْ

ادَّعوا أنَّ التّلمود هُو كلام الله الشّفهي لُموسى عليه السلام ، وتمكَّنوا من فرض الاعتقاد بأنَّ التّلمـود لا يقلُّ مرتبة عن التَّوراة، بل غالوا في ذلك، وادَّعوا أنَّ التّلمود أعلى مرتبة من التَّوراة، وأنَّ مـن لا يُؤمن به لن يفيده الإيمان بالتَّوراة.

ورغم أنَّه من المُتَّفق عليه ـ لـدى مُعظـم الفـرَق اليهُوديَّة ـ علـى أنَّ التَّـوراة والتّلمـود هُمـا المصدران الرّئيسيَّان للشّريعة اليهُوديَّة؛ فإنَّ بعض الفرَق اليهُوديَّة المُتشدِّدة كالسّامريِّين والقرَّائين لا يعترفون إلاَّ بالتَّوراة، ويرفضون الأدبيَّات اليهُوديَّة الأُخـرى كـالتّلمود، بـل ذهـب القـرَّاؤون إلى وَصْف فُقهاء اليهُود الذين ألَّفـوا التّلمـود والمشناة والجمـارة بأنَّـهم قـوم كذَّابـون علـى الله، وعلى مُوسى عليه السلام ، وأنَّ هؤلاء أصحاب حماقات وتأويلات وافتراءات على الله.

وفي استعراضنا هذا لكتاب التَّوراة نودُّ أنْ نُشير إلى أنَّ الأسـفار التـي سنستعرضها تباعـاً تكشف ـ لكُلِّ ذي بصيرة ـ مدى البُعْد العُنصُري والهَوَس الذّاتي فـي المُبالغـة فـي تقييـم الشّـعب اليهُودي، وتكرار وُعُود الرَّبِّ بإعطاء هذا الشّعب كُلَّ الأرض التي يرغبـها، ويطلـب السّيطرة عليها، ثُمَّ النّظرة الاستعلائيَّة تجاه الشُّعُوب الأُخرى، وبيان مدى الاحتقار الكامن إزاءها، ثُـمَّ الدّعوة في النَّصِّ التَّوراتي إلى سُلُوك مُعيَّن مُغاير للقيَم الأخلاقيَّة المُتعارف عليها مـع الشُّـعُوب الأُخرى غير اليهُوديَّة.

ويهمُّنا أنْ نُنوِّه هُنا إلى أنَّنا في عرضنا السّريع لأسفار التَّوراة (أو أسفار مُوسى "عليه السلام") أنْ نُبيِّن للقـارئ الكريـم مـن واقـع النَّـصِّ الحَرْفي للتَّـوراة اعتمـاداً علـى النُّسـخة العَرَبيَّـة الوحيـدة الموجودة في مكتبة هُوفر بجامعة ستانفورد ـ كاليفورنيا ـ طبعة 1970 م، الواقع الكتابيّ للنَّـصِّ، دُون أيِّ تعديل، وتركنا النَّصَّ الأصلي كما هُو وارد فـي نُسـخة التَّـوراة المُشـار إليـها، وَوَضَعْنَـا هذا النَّصَّ ضمن قوسَيْن للإشارة إلى النَّقْل الحَرْفي للنَّصِّ، وتركنا التّعليق على هذه النُّصُـوص حتَّى الانتهاء من عرض كامل أسفار العـهد القديـم؛ ليتمكَّـن القـارئ الكريـم مـن تجميـع كافَّـة الأدلة من خلال النَّصِّ التَّوراتي لتبيان صحَّة المآخذ والمثالب التي عرضناها فـي تحليلنـا للعقيـدة اليهُوديَّة، وما تذخر به من توجُّهات عُنصُريَّة وعُدوانيَّة.

كما تجدر الإشارة إلى أنَّ كثيراً من الأُمُور التي تتحدَّث عنها هذه الأسفار (أسفار مُوسى ﷺ الخمسة) التي حصرنا التَّحدُّث عنها في هذا الكتاب لا يُمكن أنْ تكون مقبولة من وُجهة النَّظَر الدِّينيَّة الصّحيحة، لأنَّها - أوَّلاً - تبتعد عن القُدْسيَّة الواجب أنْ تُحاط بها الذّات الإلهيَّة، ولأنَّها - ثانياً - تفتقر إلى أساسيَّات التَّوحيد، التي من أبرزها تنزيه الإله عن الصّفات البشريَّة، ولا تُقرُّ بوحدانيَّته وقُدرته وحكْمته. فالتَّوراة عندما تتحدَّث عن الإله الرَّبِّ تتحدَّث عنه وكأنَّه شخص يُماثل في صفاته جميع الصّفات البشريَّة الموجودة في النَّفْس الإنسانيَّة. فالإله مثله مثل أيِّ كائن بشري، يرتكب الخطأ، ويفعل الشَّرَّ، ويندم على عمله، ويتراجع عن قراراته، يغضب، ويثور، ويتَّخذ في ثورته قرارات خاطئة، ويندم على تهوُّره وتسرُّعه. وهُو كأيِّ إنسان يقبل الزَّجْرَ والتَّأنيب عندما يرتكب أيَّ خطأ في عمله أو سُلُوكه. فمُوسى ﷺ يُعاتب الإله عندما يغضب (هذا الإله) على شعبه الذي يتوعَّده بالهلاك، ولكنَّ الإله يندم ويتراجع عن ذلك، بعد أنْ يتلقَّى عتاب نبيِّه:

"ارجعْ عن حمو غضبكَ، واندمْ على الشَّرِّ لشعبكَ".

"واذكُر وُعُودكَ لعبيدكَ إبراهيم وإسحاق وإسرائيل، الذين أقسمتَ لهم بنفسكَ، وقُلتَ لهم أُكثِّر نسلكم كنُجُوم السّماء. فندم الرَّبُّ على الشَّرِّ الذي أنَّه يفعله بشعبه".
(الخُرُوج: الإصحاح 32/ 12).

وتُضيف التَّوراة إلى هذه الصّفات البشريَّة التي ألصقتها بالإله، فتُعزي إليه التَّعَبَ الذي انتابه بعد عمليَّة الخَلْق التي استمرَّت ستَّة أيَّام:

"وفي اليوم السّابع؛ أتمَّ الله عمله، الذي قام به، فاستراح فيه من جميع ما عمله".
(التّكوين: الإصحاح 2/ 2).

وتتجلَّى صُور الافتقار إلى الإيمان الصّادق بقُدرة الله وتنزُّهه عن الصّفات الحسيَّة البشريَّة في عدَّة صُور وأحداث تسردها التَّوراة في عدَّة مواقع تجعل من الإله العظيم القادر على كُلِّ شيء وكأنَّه واحد من البشر، تنقصه الدّراية، ويفتقر إلى المعرفة، فهُو يبحث عن آدم في الجنَّة، ويُناديه ليستعلمَ عن مكانه. وهُو بعد أنْ يخلق النُّور يجده حَسَناً:

"ورأى النُّور، فاستحسنه". (التّكوين: الإصحاح1/ 4).

والإله ينزل إلى الأرض ليرى ما يبني بنو آدم:

"فنزل الرَّبُّ لينظر المدينة والبُرج الذي كان بنو آدم يبنونهما".
(التّكوين: الإصحاح 11/ 5).

وتستطرد التَّوراة في إضفاء الصّفات الحسِّيَّة البشريَّة على الإله بعبارات صريحة وواضحة وبعيدة كُلّ البُعْد عن إضفاء القداسة على الذّات الإلهيَّة، ويفتقر مضمونها إلى إعطاء المفهوم التَّوحيدي الصّادق البعيد عن كُلِّ مظاهر الشِّرْك:

" وسمعا (آدم وحواء) صوتَ الرَّبِّ ماشياً في الجنَّة".
(التّكوين: الإصحاح 3/ 8)

"هيَّا؛ ننزل إليهم، نُبلبل لسانهم؛ حتَّى لا يفهم بعضهم كلام بعض".
(التّكوين: الإصحاح11/ 7)

"وعندما فرغ الرَّبُّ من مُحادثة إبراهيم، مضى، ورجع إبراهيم إلى مكانه".
(التّكوين: الإصحاح 18/ 33)

"سمعتُ صراخهم من جرَّاء عُتُوِّ مُسخِّريهم، وأدركتُ مُعاناتهم، فنزلتُ لأُنقذهم".
(الخُرُوج: الإصحاح3/ 7)

" ونزل الرَّبُّ على قمَّة جبل سيناء، ونادى مُوسى ليصعد إلى قمَّة الجبل".
(الخُرُوج: الإصحاح19/ 20)

" فكان الرَّبُّ يُكلِّم مُوسى وجهاً لوجه، كما يُكلِّم الرّجل صاحبه".
(الخُرُوج: الإصحاح33/ 11)

وتتَّجه النُّصُوص التَّوراتيَّة إلى ترسيخ الاعتقاد بأنَّ الله الذي وَرَدَ فيها تارةً باسم (الرَّبّ)، وتارةً باسم (إله العبرانيِّين)، وأُخرى باسم (يَهْوَه) أو (أدوناي) أو (إيلوهيم)، بأنَّ هذا الإله هُو الإله المُخصَّص لليهُود فقط، وعلى هذا الإله أنْ يستجيب لطلبات شعبه الذي

اختاره لنفسه، ويصفح عنه مهما كثرت أخطاؤه، وتعدَّدت مثالبه وآثامه، وأنَّ هذا الإله هُو الذي يختصُّ شعبه ـ فقط ـ برحمته، وينصاع لرغباته، ويتجاوز عن نزواته.

وإذا تحدَّثت الأسفار عن الأنبياء؛ فإنَّها تتحدَّث عنهم كبشر يرتكبون الأخطاء الشّنيعة، ولا يتمتَّعون بأيٍّ نوع من أنواع العصمة التي خصَّ الله بها أنبياءه:

فَنُوح مثلاً يشرب الخمر، ويتعرَّى أمام أولاده: "فشرب من الخمر، فسكر وتعرَّى داخل خبائه" (التّكوين: الإصحاح9/ 21).

وإبراهيم يكذب ويقول عن سارة إنَّها أُخته، ولا يُمانع أنْ يأخذها فرعون لينجو هُو بحياته: "وقال إبراهيم عن سارة امرأته هي أُختي" (التّكوين: الإصحاح20 / 2).

ولُوط يزني بابنتَيْه وهُو في حالة السُّكْر: "فحبلت ابنتا لُوط من أبيهما. فولدت الابنة البكر ابناً، ودعت اسمه مُوآب، والصّغيرة ولدت ابناً، ودعت اسمه بن عمي" (التّكوين: الإصحاح 19/ 30 ـ 38).

وإسحاق يكذب أيضاً، ويقول عن زوجته إنَّها أُخته: "فسأله أهل المكان عن امرأته، فقال: هي أُختي" (التّكوين: الإصحاح 26 / 7).

ويعقوب الذي ينتحل شخصيَّة أخيه عيسو ليحظى ببركة أبيه إسحاق، ويستأثر بها: "فدخل إلى أبيه، وقال: يا أبي؛ ها أنذا. مَنْ أنت يا ابني؟ فقال يعقوب لأبيه: أنا عيسو بكرك" (التّكوين: الإصحاح27/ 18 ـ 19)

وداود الذي يُعجَب بزوجة أحد قُوَّاده فيُرسل الزَّوج إلى الحرب، ويُعاشر الزَّوجة، وتحمل منه: " وكان في وقت المساء أنَّ داود قام عن سريره، وتمشَّى على سطح بيت الملك، فرأى من على السّطح امرأة تستحمُّ، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً، فأرسل داود رُسُلاً، وأخذها، فدخلت إليه، فاضطجع، وهي مُطهَّرة من طمثها، ثُمَّ حملها إلى بيتها، وحبلت المرأة". (صموئيل2: الإصحاح 8/ 2 ـ 4).

ثُمَّ يأمر داود بقَتْل (أوريًّا) زوج المرأة التي ضاجعها، وحبلت منه: "وفي الصّباح؛ كَتَبَ داود رسالة إلى يُوآب جاء فيها: اجعلوا أوريًّا في الخُطُوط الأُولى؛ حيثُ ينشب القتال الشّرس، ثُمَّ تراجعوا من ورائه ليلقى حتفه". (صموئيل 2: الإصحاح 11/ 15).

وسُليمان الذي يُخالف أمر الرَّبّ ويتزوَّج من البنات اللَّواتي أمر الله بني إسرائيل أنْ لا يتزوَّجوا منهنَّ: "وأحبَّ الملك سُليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون؛ مُوآبيَّات وعمونيَّات وصيدونيَّات وحثِّيَّات من الأُمم التي قال عنهم الرَّبُّ لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم، ولا يدخلون إليكم، لأنَّهم يُميلون قُلُوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سُليمان بهؤلاء بالمحبَّة، وكانت له سبع مائة من النّساء السَّيِّدات، وثلاث مائة من السّراري، فأمالت نساؤه قلبه" (المُلُوك الأوَّل: الإصحاح 11/ 1 ـ 4).

وهكذا نجد في النَّصِّ التَّوراتي افتراءات وقَصَص مُشوَّهة لحياة الأنبياء، تُبعد عنهم تلك العصمة التي خصَّهم الله بها. وبغضِّ النَّظر عن الانتقادات الكثيرة والكتابات العديدة التي عالجت وحلَّلت النَّصَّ التَّوراتي، وبيَّنت ـ بوُضُوح لا لبس فيه ـ عدم إمكانيَّة قبوله كنَص سماوي، خال من التّحريف والإضافات المَوْضُوعة لهدف دُنيوي ليس له علاقة بالرّسالة السّماويَّة، فإنَّنا نودُّ أنْ نُشير إلى أنَّ عرضنا لأسفار التَّوراة الخمسة الأُولى التي يُطلَق عليها عادة (أسفار مُوسى "عليه السلام") هُو السّعي للوُصُول إلى تصوُّر كامل لسُلُوك هذه المجموعة البشريَّة التي آمنت بالتَّوراة، وتطبَّعت بمُعتقَداتها ومفاهيمها ونُصُوصها الموضوعة، التي أصبحت جُزءاً لا يُجتزأ من شخصيَّتها المُعاصرة المُؤمنة إيماناً أعمى بكُلِّ ما أوحت إليها أساطيرها وشَطَحَاتها.

لقد أصبحت التَّوراة والتّحريفات التي أُدخلت عليها جُزءاً هاماً في حياة تلك المجموعة، وسيطرت على وعيها وسُلُوكها، وأصبحت منارة يهتدي بها الغالبيَّة العُظمى من أبناء الشّريعة اليهُوديَّة، التي تنفرد عن الشّريعتَيْن السّماويَّتَيْن "المسيحيَّة والإسلام" بالاعتقاد بأنَّها الشّريعة الوحيدة الحقَّة التي خصَّها الله لشعبه المُختار!!!

وعند استعراض نُصُوص أسفار التَّوراة الخمسة، رأينا أنَّ من المُفيد - قبل الدُّخُول في الحديث عن حُدُود الصِّراع - أنْ نُجري مُقارنة سريعة لنُصُوص هذه الأسفار مع نُصُوص القُرآن الكريم في الحُدُود التي عَرَضَتْهَا تلك الأسفار؛ لتبيان جلالة النَّصِّ القُرآني من جهة، وإبراز الوجه الصّحيح للإسلام في ردِّه السّماوي على دعوات التَّعصُّب والاستعلاء والرّغبة الكامنة في العُدوان.

ومن المُفيد - أيضاً - أنْ نُنوِّه إلى أنَّ التَّوراة التي تعني في المفهوم الحديث لها الشّريعة اليهُوديَّة أو شريعة مُوسى ﷺ التي بيَّنتها الأسفار الخمسة الأُولى من كتاب العهد القديم، الذي يُصرُّ اليهُود على إطلاق كلمة "تناخ"، أو "المقرا" عليه، بدلاً من كلمة العهد القديم، وذلك حرصاً منهم على عدم رَبْط كتابهم بمفهوم القدَم، بينما يُطلق العهد الجديد على كتاب الإنجيل، الذي يعُدُّه المسيحيُّون كتاباً يُكمل العهد القديم، لذلك؛ فإنَّهم يُصرُّون على استعمال كلمة تناخ (كلمة عبريَّة) على كتابهم المُقدَّس؛ لإبعاد أيِّ مفهوم قد يفيد أنَّ العهد الجديد قد أكمل كتابهم (العهد القديم)، وحلَّ محلَّه، ويعدُّون أنَّ كتابهم ليس له صلة بما يُسمَّى بالعهد الجديد، وليس فيه أيُّ تصريح أو اعتراف ضمني يفيد ذلك، ثُمَّ إنَّهم - بالإضافة إلى ذلك - لا يعترفون - أصلاً - بما يُسمَّى العهد الجديد. وبينما نرى أنَّ العهد القديم والتّلمود هُما مصدر الشّريعة اليهُوديَّة نجد أنَّ المسيحيَّة قد تبنَّت كتابَيْ العهد القديم والعهد الجديد (الإنجيل)، وضمَّتهُما في كتاب واحد تحت عُنوان الكتاب المُقدَّس.

ويعزو البعض أسباب هذا التَّبنِّي للتُّراث اليهُودي (العهد القديم) وضمّه للتُّراث المسيحي (العهد الجديد) في كتاب واحد إلى الإيمان المسيحي والاعتقاد السّائد لدى مُعظم الفرَق المسيحيَّة - وخاصَّة البرُوتستانت - بأنَّ المسيح اليهُودي جاء ليُكمل ما بدأه أنبياء التَّوراة، وأنَّ المسيحيَّة شديدة الارتباط باليهُوديَّة، إنْ لم تكن استمراراً لها، وأنَّ اليهُوديَّة أساس كُلِّ الدّيانات. وقد ذهبت بعض هذه الفرَق إلى تبنِّي التّقاليد اليهُوديَّة القديمة في تعميد أبنائها، وإطلاق أسماء عبرانيَّة على أبنائها وكَهَنتها (البيُوريتانيُّون والمعمدانيُّون والعصمويُّون). ويرى بعضهم الآخر أنَّ اليهُوديَّة قد لعبت دوراً هاماً في الأوساط البرُوتستانتيَّة لجَعْل التُّراث الدِّيني اليهُودي جُزءاً هاماً في العقيدة المسيحيَّة، ونَجَحَتْ في إلغاء كلمة الإنجيل من التُّراث

المسيحي؛ ليحلَّ محلَّها كلمة الكتاب المُقدَّس، الذي يضمُّ التُّراث اليهُودي بكامل تفاصيله وأساطيره. وهكذا أصبح التُّراث الدِّيني الذي تتحدَّث عنه أسفار العهد القديم والتي تدور جميعها عن بني إسرائيل جُزءاً لا يُجتزأ من العقيدة المسيحيَّة، يُؤمن بها المسيحي، ويتأثَّر بنُصُوصها، ويتقبَّلها كحقيقة إيمانيَّة يجب الأخذ بها. وأصبح العهد القديم الذي هُو جُزء من الكتاب المُقدَّس يتمتَّع بسُلطة طاغية في الوَسَط الكَنَسي، وخاصَّة البرُوتستانتي، وأصبح ذا سطوة ماحقة على عقُول مُعظم هؤلاء المسيحيِّين، الذين يُؤمنون به ويتقبَّلون ما جاء في أسفاره، ويتصرَّفون على أساسها، تماماً؛ مثلما نادى بها الحاخامات والكَهَنَة اليهُود. فقد نَجحَتْ اليهُوديَّة في فَرْض نفسها وتُراثها الدِّيني على المسيحيَّة التي تقبَّلت هذا التُّراث باعتباره تُراثاً مُقدَّساً، وأنَّ الإيمان به هُو جزء لا يُجتزأ من الإيمان المسيحي.

ولم تنجح اليهُوديَّة ـ فقط ـ في فَرْض تُراثها الدِّيني على المسيحيَّة، بل نَجحَتْ ـ أيضاً ـ في تبديل النَّظرة المسيحيَّة لليهُوديَّة. فبينما كان المسيحيُّون الأوائل ينظرون إلى اليهُود على أنَّهم قَتَلَةُ المسيح، وبينما كانت المُجتمعات المسيحيَّة ـ وخاصَّة في أُورُوبا ـ ترفض التَّواجد اليهُودي بينها تبدَّلت هذه النَّظرة، ليحلَّ محلَّها مبدأ التَّعاطف والتَّعاون وتبادل المصالح معها، بل ازداد النُّفُوذ اليهُودي في الوَسَط المسيحي، حتَّى وصل إلى حَدِّ تبرئة اليهُود من دم المسيح، والاعتذار منهم عن عدم تقديم المُساعدات في محنتهم مع النَّازيَّة. وتمكَّنت اليهُوديَّة ـ بفَضْل الجُهُود الجبَّارة التي بذلها أعضاؤها في كافَّة الميادين العلْميَّة والاقتصاديَّة والفنِّيَّة والأدبيَّة من جَذْب اهتمام المُجتمع الأميركي وإقناعه بأهمِّيَّة التَّعامل مع الوَسَط اليهُودي وفائدة التَّواصل معه لما يُحقِّقه هذا الارتباط من مصالح وفوائد كثيرة للوَسَط المسيحي. ثُمَّ بدأت اليهُوديَّة تستحوذ على اهتمام رُؤساء البيت الأبيض، واستطاعت من مُنطلق تبادل المصالح أنْ تدعم مركزها ونُفُوذها في قلب مركز صُنْع القرار السِّياسي الأميركي، بعد أنْ نَجحَتْ في اختراق القطاع الاقتصادي، وعزَّزت نُفُوذها فيه، وبَسَطَتْ وُجُودها على شريط واسع من أجهزة الإعلام بمُختلف أوجهه، وغدا نُفُوذ اللُّوبي اليهُودي جليّاً وواضحاً في أجواء البيت الأبيض، وأصبح مُعظم الرُّؤساء ينشدون رضا هذا اللُّوبي، ويخضعون في قراراتهم لرغباته؛ وخاصَّة ما يتعلَّق منها بإسرائيل.

لقد كان من الطّبيعي أنْ يُلازم نجاح اليهُوديَّة هُنا وُجُود قاعدة عريضة من المُؤيِّدين لها أُولئك الذين استطاعت الصّهيونيَّة العالميَّة أنْ تُجنِّدهم لخدمة أبرز أهدافها؛ وهي حماية إسرائيل، وتأييد سلامتها، وإبقاؤها قلعة متينة وثيقة الصّلة بالاستعمار الغربي عامَّة، والولايات المُتَّحدة خاصَّة. لقد ربطت الصّهيونيَّة العالميَّة نفسها - مُنذُ إنشائها - بالإمبرياليَّة، وكان مُؤسِّسوها الأوائل يُؤمنون بأنَّ مشروعهم الاستيطاني في فلسطين لن يحظى بتأييد من الغرب إلاَّ إذا ارتبط هذا المشروع بالمصالح الاستعماريَّة للدُّول الغربيَّة. لذلك؛ فإنَّ نظرة فيلسوف الفكر الصّهيوني فلاديمير جابُوتنسكي إلى هذا الأمر كانت تُؤمن بأنَّ وَضْعَ الدَّولة اليهُوديَّة في خدمة الإمبرياليَّة "سيجعل إمكانيَّة تفريغ فلسطين من شعبها العَرَبي مهمَّة مقبولة، وتتَّفق مع مصالح الطّرَفَيْن الاستعمار والصّهيونيَّة". لقد كان واعياً لأهمِّيَّة الالتصاق بالاستعمار العالمي عندما قال: "لا يُوجد ما يدعو إلى أنْ أتحدَّث بإسهاب عن هذه البديهة المعروفة، ألا وهي أهمِّيَّة فلسطين بالنّسبة للمصالح الإمبرياليَّة البريطانيَّة. وكُلُّ ما ينبغي أنْ أُضيفه هُو أنَّ هذه المصالح لن تكتسب أيَّة شَرْعيَّة إلاَّ بشرط واحد وهُو أنْ تتحوَّل فلسطين إلى دولة غير عَرَبيَّة".

إنَّ التّأييد الغربي الواسع للمشروع الاستعماري الصّهيوني في فلسطين، والتزام دُول الغرب بدَعْم هذا الكيان الاستيطاني الإحلالي مُنذُ تأسيسه وحتَّى الآن، والتّغاضي المفضوح عن مُمارساته اللاَّإنسانيَّة ضدَّ الشُّعُوب المُجاورة، والإصرار على إمداد هذا الكيان بكافَّة أنواع المُساعدات والدَّعْم المادِّي والمعنوي ليُصبح أقوى قُوَّة ضاربة في الشّرق الأوسط يُبيِّن - بوُضُوح - مدى ارتباط الصّهيونيَّة بالقوى الاستعماريَّة، والالتصاق بها، والاعتماد عليها. لقد تكفَّلت هذه القوى بجَعْل إسرائيل القلعة المتينة لصيانة المصالح الاستعماريَّة، وحمايتها من أيّ تهديد، وإيقاف النّهضة التي تحلم بها شُعُوب المنطقة، ولكنْ؛ على الرّغم من التّسليم بهذه الحقيقة، والاعتراف بأنَّ الاستعمار الصّهيوني المُتمثِّل في هذا الكيان الدّخيل "إسرائيل" شديد الارتباط بالاستعمار الغربي، بل هُو امتداد له في الوطن العَرَبي، فإنَّ الحقيقة التي يجب ألاَّ تغيب عن الفكر، هي أنَّ المشروع الصّهيوني يبقى مشروعاً عميلاً للقوى الإمبرياليَّة؛ سواء كانت مُمثَّلة في دُوله الأُورُوبيَّة، أو كما هُو الحال الآن في القوى الصّاعدة الجديدة المُتمثِّلة في الولايات

المُتَّحدة الأميركيَّة، يستمدُّ منها العون والقُوَّة، ويخضع لنُفُوذها. وكذلك يبقى مشروعاً تنقصه الحكْمة، ويفتقد إلى المنطق؛ لأنَّه يحلم بتفريغ الأرض من شعب عريق، تدعمه أُمَّة عريقة، ويرغب في التَّوسُّع في حُدُود تحدُّها قُوَّته العسكريَّة، وليس الشّرعيَّة الدّوليَّة.

إنَّ الصُّورة غير الحقيقيَّة للذّات، والإدراك غير الدّقيق للواقع، والتّقييم المُبالغ فيه للقُدرة الذّاتيَّة أفقدت المُجتمع الإسرائيلي صواب الرُّؤية ووُضُوح الصُّورة. لقد ركب الغُرُور رُؤُوس القادة الذين يُديرون دفَّة الحُكْم الآن، وغدت إمكانيَّة تحقيق الحُلم الأُسطُورة "أرضك يا إسرائيل من الفُرات إلى النِّيل" تقفز أمام مُخيِّلتهم، وران على سُلُوك هؤلاء نوع من الغُرُور وصل إلى حدِّ الحماقة بأنْ رَفَضُوا المُبادرة العَرَبيَّة المعروفة باسم "مُبادرة الأمير عبد الله" التي تقضي بالاعتراف بالدَّولة العبريَّة، وإقامة علاقات طبيعيَّة معها، إذا قبلت الانسحاب من الأراضي المُحتلَّة بعد عام 1967 م، وأقرَّت بحقِّ الشّعب الفلسطيني بإقامة دولته الوَطَنيَّة على أرضه التي حدَّدتها له الأُمم المُتَّحدة. لقد وصل الأمر بشريحة كبيرة من هذا المُجتمع الذي أعماه تقديس ذاته وتأليهها - في كثير من الأحيان - إلى الانسياق وراء أوهام أُسطُوريَّة وإيديُولُوجيَّات غير واقعيَّة.

إنَّ الاقتناع الواهم بأنَّ فلسطين أرض بلا شعب، وإنَّها لابُدَّ أنْ تكون أرضاً صالحة ومكاناً رَحْباً لاستيطان شعب بلا أرض ينقصه الرُّؤية السّليمة للتّاريخ والإدراك الصّحيح للواقع الجَغرافي الذي يُشير إلى أنَّ الفلسطينيِّيْن موجودون في فلسطين مُنذُ ما يزيد عن ألفَيْ (2000) سنة، وأنَّ السِّرّ وراء مقولة أرض فلسطين هي الأرض المُقدَّسة المُسجَّلة باسم الشّعب المُختار أمر يبقى بمثابة أساطير وَهْميَّة لا وُجُود لها إلاَّ في الكتابات الدِّينيَّة التي وَضَعَها الفرِّيسيُّون الذين أرادوا أنْ يكتبوا التّاريخ اليهُودي وفق نزعاتهم الدِّينيَّة الضّيِّقة.

ومهما حاولت الصّهيونيَّة الإيحاء بأنَّ الصِّراع العَرَبي - الإسرائيلي هُو صراع ديني بين اليهُوديَّة والإسلام فإنَّ هذه المقولة الباطلة لا يُمكن تسويقها إلاَّ في وسط مريض بالأوهام الدِّينيَّة الأُسطُوريَّة، تُغلِّف بصيرته غشاوة، وتعشق نفسه توثين الذّات وعبادة التّاريخ المليء بأحداث صورَّتْها أقلام أرادت أنْ تُبقي المُجتمع الإسرائيلي مُجتمعاً أسيراً لادِّعاءات باطلة

تبحث عن هدف واحد هُو إبقاء اليهُود أسرى ظاهرة مُجتمع "الجيتو" الانعزالي الرّاغب في الحفاظ على أُسطُورة العرْق اليهُودي (كالنّازيّة) واستمراريّة تُراثه الحضاري المزعوم، الذي يتّصف بخاصّة هامّة هي رَفْضُ التّعايش مع الغير (الغُوييم).

وتبقى حقيقة ثابتة يُدركها كُلُّ العُقلاء الذين تعرّضوا لتحليل الصّهيونيّة؛ وهي أنَّ الصّراع العَرَبي - الإسرائيلي هُو - في الحقيقة - صراع ضدَّ مُحتلٍّ غاصب يرغب في احتلال أرض، وتشريد شعب، وهذا الغاصب يستمدُّ قُوَّته وجبروته من قوى استعماريّة غاشمة، وَضَعَتْ كُلَّ إمكانيّاتها في خدمته ليكون حصان طروادة، الذي يُمكن أنْ يخدم المصالح الاستعماريّة للإمبرياليّة العالميّة، بعد أنْ قَبِل بهذه المهمَّة القذرة، وأوهم نفسه بإمكانيّة تحقيق حُلمه الأُسطُوري ذي التُّراث الدِّيني المملوء بالدّم والقتل وسفك الدّماء.

في خضمِّ هذا الصّراع العَرَبي - الإسرائيلي قد يكون التّغافل عن قراءة التّاريخ بتجرُّد، والتّعامي عن الإيمان بحتْميّة حَركَته هُو أبرز العوامل التي غابت عن الفكر الصّهيوني، وأبرز أسباب عدم تنبُّهه إلى حقيقة جليّة مفادها حَتْميّة استيقاظ الأُمّة العَرَبيّة من سُباتها الذي تعيش فيه الآن، مهما طال أمد هذا السّبات.

أخيراً؛ فإنّني آمل أنْ تكون مُعالجتي لمَوْضُوعات هذا الكتاب التي تتعلّق بحُدُود الصّراع مع العدوِّ الصّهيوني موضُوعيّة وأمينة. وقد حاولتُ أنْ ألتزم بهذه المَوْضُوعيّة خلال العَرْض، أو التّعليق، وأستميح القارئ عُذراً أنْ يغفر بعض صُور الانفعال الذي سبّبته الأحداث المؤلمة التي تجري أمام أعيننا، والتي يُغمض العالمُ عينَيْه عنها عامداً. والله وليُّ التّوفيق.

مُوفَّق صادق العطّار

الفصل الأوَّل:

كتاب العهد القديم (التّناخ أو المقرا)
The Old Testament (TANAKH)

اسم السِّفْر الرّمز Name of the book Abbr

أوَّلاً: أسفار مُوسى الخمسة Torah

وتُعرَف باسم التَّوراة؛ وهي:

1 ـ سفْر التّكوين: تك Genesis Ge

يشرح تكوين الخليقة، ووعد الرَّبّ لأبرام. ويتحدَّث عن زوجات إبراهيم وأولاده إسحاق ويعقوب ويُوسُف.

2 ـ سفْر الخُرُوج: خر Exodus Ex

يروي تاريخ العبرانيِّين في مصر، وكيفيَّة خُرُوجهم منها بقيادة مُوسى عليه السلام.

3 ـ سفْر اللأويين: لا Le Leviticus

يتحدَّث عن واجبات الكَهَنَة، ووَصْف المُمارسات والطُّقُوس الدِّينيَّة.

4 ـ سفْر العدد: عد Numbers Nu

يشرح قصَّة الإعداد لدُخُول الأرض المُقدَّسة، والتّيه في الصّحراء نتيجة عصيان الأمر الإلهي.

5 ـ سفْر التّثنية: تث Deuteronomy De (أو تثنية الاشتراع)

يتحدَّث عن تذكير مُوسى عليه السلام لبني إسرائيل عمّا فعله الله لهم، وضرورة إعادة تكريس حياتهم له.

ثانياً: أسفار الأنبياء: The Prophets

وتتحدَّث عن الأحداث التي تمّت بعد موت مُوسى عليه السلام، وحتّى خراب الهيكل وأورشليم، وتتضمَّن الأسفار التّالية: تسعة أسفار للأنبياء المُتقدِّمين، واثنَيْ عشر سفْراً للأنبياء المُتأخِّرين.

1 ـ سفْر يشوع: يش Joshua Jos

ويتحدَّث هذا السِّفْر عن استيلاء بني إسرائيل على أرض كنعان، وتقسيم الأرض بين الأسباط.

2 ـ سفْر القُضاة: قض Judges Jg

يُبيِّن أنَّ الخطيئة يغفرها الله للتّائبين، وأنَّه بعد أنْ أعان الله بني إسرائيل فقد تهاونوا في إيمانهم، وعصوا الله. ويتعرَّض لأسماء القُضاة، وتاريخ بني إسرائيل.

3 ـ سفْر صموئيل الأوَّل: 1 صم Samuel ـ 1 1 Sa

تسجيل لحياة صموئيل الأوَّل آخر القُضاة، وشاول أوَّل ملك في إسرائيل، ثُمَّ اختيار داود ملكاً بعد انهزام شاول ومصرعه.

4 ـ سفْر صموئيل الثّاني: 2 صم Samuel ـ 2 2 Sa

يروي هذا السِّفْر سيرة الملك داود، وتوحيده مملكتَيْ الشّمال والجنوب، وقصَّته مع بتشبع امرأة أوريّا الحثّيّ، وقصَّة ابنه أبشالوم الذي قتل أخاه غير الشّقيق أمنون لاغتصابه أُخته، ثُمَّ تمرُّد أبشالوم على أبيه داود، ومُحاولته استلاب الحُكْم منه.

5 ـ سفْر المُلوك الأوَّل: 1 مل 1 Ki ـ 1 Kings

عدَّة قَصَص يرويها هذا السِّفْر؛ أبرزها: وفاة داود، وتعيين ابنه سُليمان ملكاً، بعد أنْ علم بأنَّ ابنه الأكبر أدونيَّا (من زوجة ثانية) نصَّب نفسه ملكاً. سُليمان وحكْمته وإنجازاته. سُليمان يأمر بقَتْل أدونيَّا، الذي وسَّط والدة سُليمان لتزويجه من أبيشج آخر نساء داود. زواج سُليمان من ابنة فرعون. أوصاف الهيكل الذي بناه سُليمان. زيارة ملكة سبأ لسُليمان.

ولع سُليمان بالزَّواج من نساء غريبَّات، نهى الرَّبُّ من الزَّواج منهنَّ، وفاة سُليمان، وانقسام المملكة، أسماء المُلوك في إسرائيل ويهُوذا.

6 ـ سفْر المُلوك الثّاني: 2 مل 2 Ki ـ 2 Kings

يتحدَّث هذا السِّفْر عن مُلُوك إسرائيل ويهُوذا، وكيف كان كُلُّ مُلُوك مملكة الشّمال (إسرائيل) ومُعظم مُلُوك مملكة الجنوب (يهوذا) يميلون إلى اعتناق ديانات وَثَنيَّة غير اليهُوديَّة، وأنَّ تماديهم في معصية أوامر الرَّبّ وعبادتهم الأصنام أدَّت ـ في النّهاية ـ إلى انهزامهم أمام آشور وبابل وسبي سُكَّان المملكتَيْن.

ويحكي السِّفْر ـ بالتّفصيل ـ قَصَصَ أنبياء المملكَتَيْن، وأبرز الحوادث التي جرت أثناء حُكْم هؤلاء المُلوك.

7 ـ سفْر أشعيا: أش Isa Isaiah

يتحدَّث هذا السِّفْر عن النّبي أشعيا، الذي يُعَدُّ من أعظم أنبياء بني إسرائيل، ودعوته شعب يهُوذا بضرورة الرُّجُوع إلى الله، ونُبُوءته بالخلاص من الأسر، وتدمير مملكة آشور.

8 ـ سفْر إرميا: أر Jer Jeremiah

يتحدَّث هذا السِّفْر عن دعوة النّبي إرميا شعب يهُوذا إلى العودة إلى الله، وإدانته قادة يهُوذا على خطاياهم، وكيف تنبَّأ هذا النّبي بخراب مملكة يهُوذا، وسقُوط مملكة أُورشليم.

9 ـ سفْر حزقيال: حز Ezekiel Eze

يروي هذا السِّفْر تلقِّي رسالة النُّبُوَّة للنّبي حزقيـال، وذلـك أثنـاء سبي بني إسـرائيل فـي بابل، ودعوة حزقيال بني إسرائيل في بـابل إلـى التَّمسُّك بالشّريعة، والابتعـاد عـن المعصيـة، ويُبشِّر شعب بني إسرائيل بالحُرِّيَّة، وإعادة بناء الهيكل.

10 ـ سفْر هُوشع: هُو Hosea Ho

يتحدَّث هذا السِّفْر عن مملكة الشّمال، ومُعاصرة النّبـي هُوشـع للانحـلال الخُلُقي الـذي ران عليها، كمـا يتحـدَّث عـن الأمر الإلـهي لهُوشـع بـالزَّواج من جُومـر التـي يُعلمـه الله بأنَّـها ستزني، وتخونه، وتُنجب أولاداً من غيره.

11 ـ سفْر يُوئيل: يؤ Joel Joe

يتحدَّث هذا السِّفْر عن النّبي يُوئيل، وتحذيره الدّائم لشعب يـهُوذا مـن دينونـة الله بسـبب خطاياه، وحثّه على الرُّجُوع إلى الله.

12 ـ سفْر عاموس: عا Amos Am

يروي هذا السِّفْر مُعاناة النّبي عاموس فـي مملكـة إسـرائيل (المملكـة الشّماليَّة)، ومـا ران عليـها وعلـى قادتـها مـن إهمـال للعبـادات وظُلـم للفُقـراء، وتحدِّيـه للقـادة الدِّينيِّيـن المُزيَّفـين، وإنذاره شعب إسرائيل بأنَّ يوم الدّينونة آت لا ريب فيه.

13 ـ سفْر عُوبيديا: عو Obadiah Ob

يتحدَّث هذا السِّفْر عن العداء القديم بـين مملكـة أدوم ومملكـة إسـرائيل، وكيـف سـقطت مملكة أدوم بسبب غُرُورها وتباهيها بقُوَّتها. وأمَّا كلمة عُوبيديا؛ فتعني (عابد الرَّبّ).

14 ـ سفْر يُونان: يون Jonah Jon

يشرح لنا هذا السِّفْر نوعاً من الأنبياء (يُونان) الذين يهربون من التّكليف الإلهي طَمَعاً في إنزال العقاب على مَنْ يكرهونـه، إلاَّ أنَّـه يُـدرك أنَّ رحمـة الله أوسـع مـن أنْ يُدركـها الإنسـان، فيُذعن للأمر، ويُدرك حقيقة محبَّة الله، ورحمته.

15 ـ سفْر ميخا: مي Micah Mic

يتحدَّث هذا السِّفْر عن دعوة النّبي ميخا شعبَيْ مملكة الشّمال (إسرائيل) ومملكـة الجنـوب (يهُوذا) إلى ضرورة البُعْد عن الظُّلم والقهر وعبادة الأوثان؛ لأنَّ الرَّبَّ يكره هذه الأُمُور، وهُو مُستعدٌّ ليغفر خطايا كُلِّ مَنْ يتوب.

16 ـ سفْر ناحوم: نا Nahum Na

يتحدَّث هذا السِّفْر عن نُبُوءة النّبي ناحوم القائلة بـأنَّ الله سيُدمِّر نينـوى عاصمـة آشـور؛ لقسوة أهلها، وعبادتهم الأصنام.

17 ـ سفْر حبقوق: حب Habakkuk Hab

يروي هذا السِّفْر حَيْرَةَ النّبي حبقوق، وتساؤله كيف يُمكـن لإلـه عـادل أنْ يسـمح للشَّرِّ (بابل) بسَحْق يهُوذا، ويُبيِّن السِّفْر كيف أنَّ الرَّبَّ أجابه بأنَّه سيُعاقب بابل بعد أنْ يُتمَّم قَصْدَهُ.

18 ـ سفْر صفنيا: صف Zephaniah Zep

يـروي هـذا السِّفْر تحذيـر النّبـي صفنيـا لشـعب يـهُوذا بعقـاب مـن الله إذا رَفَضُـوا التَّوبـة، ويدعوهم إلى العودة إلى الله.

19 ـ سفْر حجي: حج Hag Haggi

حجي هُـو أوَّل نبـي بعـد السَّبي يدعـو إلـى إتمـام بنـاء الـهيكل بعـد عـودة المسـبيِّين إلـى أُورشليم، وإهمالهم إتمام بناء الهيكل.

20 ـ سفْر زكريًا: زك Zechariah Zec

يتحدَّث هذا السِّفْر ـ أيضاً ـ عن حثّ النّبي زكريًّا شعب إسرائيل على الاسـتمرار فـي بنـاء الهيكل، ودعوته إلى طرح خطايا هذا الشّعب، والاهتمام بالبناء لتنفيذ أوامر الرَّبّ، ونُبُـوءات النّبي زكريًّا عن المُستقبل ومجيء المُخلِّص.

21 ـ سفْر ملاخي: ملا Mal Malachi

يُبيِّن هذا السِّفْر مُواجهة النّبي ملاخي شعبه، وانتقاده الكَهَنَة بسبب الإهمال في عبادة الله، وعدم الانصياع لأوامره.

ثالثاً: كُتُب الحكْمة والأناشيد:

وهي مجموعة أسفار (13) ثلاثة عشر سفْراً، يغلب عليها الطّابع الأدبي، والحثّ على الالتزام بالشّريعة، والابتعاد عن المعصية.

1 ـ سفْر المزامير: مز PsPsalms

يُبيِّن هذا السِّفْر عدد المزامير، وكاتبيها، وأبرزهم النّبي داود. وهي عبارة عن تسابيح لله، والإقرار بعظمته.

2 ـ سفْر الأمثال: أم Proverbs Pr

يتحدَّث هذا السِّفْر عن الحكمة وتبيان ضرورة التَّحلِّي بها؛ وخاصَّة القادة والشّباب.

3 ـ سفْر أيُّوب: أي JobJob

يستعرض هذا السِّفْر قصَّة النّبي أيُّوب، وكيف أنَّ الرَّبّ امتحن عبده أيُّوب، وكيف نَجَحَ أيُّوب في هذا الامتحان.

4 ـ سفْر نشيد الإنشاد: نش Song of songs Ca (أو نشيد سُليمان)

يتحدَّث هذا السِّفْر عن تأكيد قُدسيَّة الزَّواج لُممارسة العلاقة بين المرأة والرّجل.

5 ـ سفْر راعوث: را Ruth Ru (أو روث)

يتحدَّث هذا السِّفْر عن قصَّة إيمان (راعوث) زوجة بوعز؛ لتُصبح جَدَّة داود، وتمسُّكها بالشّريعة رغم انحلال الُمجتمع حولها، وذلك خلال فترة مُظلمة من تاريخ إسرائيل.

6 ـ سفْر مراثي إرميا: مرا Lamentations La

يحتوي هذا السِّفْر على المراثـي التـي كـان النّبـي إرميـا يتوجّـه بـها إلـى الله لـيرحم شـعب يهُوذا، واستغاثاته برَفْع الذُّلّ والمهانة عن هذا الشّعب، والطّلب من الله أنْ لا ينساه.

7 ـ سفْر الجامعة: جا Ecclesiastes Ec

يُبيِّن لنـا هـذا السِّفْر بـأنَّ الحيـاة لا معنـى لـها للإنسـان إذا كـان بعيـداً عـن الله، وضـرورة الاستعداد عند المُثول أمام الله.

8 ـ سفْر أستير: أس Es Esther

يتحدَّث هذا السِّفْر عن الفتاة أستير اليهُوديَّة خليلة ملك الفُرْس (أحشـويروش)، وكيـف تمكَّنت من إنقاذ يهُود بابل من المُؤامرة التي حاكها هامان وزير الملك لقَتْلهم.

9 ـ سفْر دانيال: دان Da Daniel

يسرد هذا السِّفْر قصَّة حياة النّبي دانيال واليهُود الذين عاشوا في الأسر البابلي.

10 ـ سفْر عزرا: عز Ezra Ezr

يُبيِّن هذا السِّفْر قصَّة عودة شعب إسرائيل من بابل إلى أُورشليم، بعد الإفراج عنهم مـن قِبَل الملك الفارسـي قـورش، وإعـادة بنـاء الـهيكل الثّـاني. ويتحـدَّث ـ أيضاً ـ عـن قيـادة عـزرا للمجموعة الثّانية من المَسبيِّين إلى أُورشليم، ومُعارضة عزرا لزواج شعب إسرائيل مـن البنـات الغريبات عنه كالكَنعانيَّات والحثِّيَّات.. وغيرهم.

11 ـ سفْر نحميا: نح Nehemiah Ne

يتحدَّث هذا السِّفْر ـ أيضاً ـ عن عودة الدُّفعة الثّالثة من اليهُود المسـبيِّين مـن بـابل، ونجـاح نحميا في إتمام بناء سُور مدينة أُورشليم، الذي بقي مُهدَّماً لسنين طويلة.

12 ـ سفْر أخبار الأيَّام 1 أخ Chronicles ـ 1 1 Ch

الأوَّل:

يسرد هذا السِّفْر تاريخ بني إسرائيل والأسماء مُنذُ آدم، مُرُوراً بإبراهيم، وأولاده: إسحاق، وإسماعيل، وأبنائهما، وذُرِّيَّة إسرائيل، حتَّى داود، وأحفاده. وبعد سَرْد تفاصيل أنساب الإسرائيليِّين؛ يتعرَّض لأسماء الأُسر العائدة من الأَسْر البابلي، ثُمَّ ينتقل إلى الحديث عن حُكْم داود، واستيلائه على أُورشليم، وبناء الهيكل، وينتهي بوصيَّة داود لسُليمان، ووفاة داود.

13 ـ سفْر أخبار الأيَّام 2 أخ Chronicles ـ 2 2 Ch

الثَّاني:

يتحدَّث هذا السِّفْر عن حكْمة سُليمان، وإنجازاته، وإتمامه بناء الهيكل، وافتتاحه، ويسرد تفاصيل زيارة ملكة سبأ لسُليمان، ثُمَّ وفاة سُليمان، وتولِّي ابنه رحبعام الحُكْم، وقيام عصيان ضدَّه انتهى بانفصال الشّمال، وقيام مملكة مُستقلَّة فيه. وينتقل السِّفْر للحديث عن غزو ملك مصر شيشق لأُورشليم، ثُمَّ يستعرض ـ بعدئذ ـ أسماء المُلُوك الذين تولَّوا الحُكْم في مملكة يهُوذا الجنوبيَّة؛ لينتهي بسَرْد غزو الكلدانيِّين بقيادة نبوخذنصر لأُورشليم، والسَّبي البابلي.

الفصل الثّاني:

أسفار التَّوراة
أو
أسفار مُوسى الخمسة

سفْر التّكوين Book of Genesis (Ge):

يتحدَّث هذا السِّفْر الذي يقع في خمسين (50) إصحاحاً عن خَلْق الكون، وآدم، وحوَّاء، وإغراء الحيَّة لحوَّاء لتأكل من الشّجرة التي نهى الله عن الأكل منها، كما يتحدَّث عن نُوح، وأبنائه سام وحام ويافث، والطُّوفان، وإبراهيم، وسُلالته إسحاق ويعقوب ويُوسُف وإخوته، ثُمَّ التحاق يعقوب وأبنائه بابنه يُوسُف في مصر.

الإصحاحات (1 ـ 2 ـ 3):

يتحدَّث سفْر التّكوين في إصحاحاته الثّلاثة الأُولى عن خَلْق الكون "السّماوات والأرض، والظُّلمة والنُّور، وسائر المخلوقات، بما فيها آدم وحواء"، وكيف انتهى الرَّبُّ من عمليَّة الخَلْق في سبعة أيَّام، ثُمَّ استراح في اليوم السّابع، ومُباركته هذا اليوم: "وفرغ الله في اليوم السّابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السّابع من جميع عمله الذي عمل، وبارك الله اليومَ السّابع، وقدَّسه". وكيف خالف آدم وحوَّاء أوامر الرَّبِّ، بعد أنْ أغرت الحيَّة حوَّاء بالأكل من الشّجرة، واستجابت حوَّاء للغواية: "وأكلت، وأعطت رجلها ـ أيضاً ـ معها، فأكل التي نهى الله عن الأكل منها: "وكيف غضب الله على الحيَّة، وخصَّها من سائر البهائم بلعنته: "وقال الرَّبُّ الإله للحيَّة؛ لأنَّك فَعَلْت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وُحُوش البرِّيَّة". أمَّا آدم؛ فكان نصيبه من هذه المعصية أنْ أخرجه الله من جنَّة عَدَن؛ ليعمل في

الأرض: "وبالتّعب تأكل منها كُلَّ أيَّام حياتك". أمَّا حوَّاء؛ فقد أعلمها الله بأنَّ نتيجة قبولها إغراء الحيَّة لها سيجعل ولادتها تتمُّ بالوجع والألم: "تكثيراً أُكثِّر أتعاب حبلك، وبالوجع تلدين أولاداً، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهُو يسود عليك".

الإصحاحات (4 ـ 5 ـ 6):

يتحدَّث الإصحاح (4) الرّابع عن حبل حوَّاء زوجة آدم، وأنَّ ابنَيْهما هابيل وقابين اختلفا، وقدَّم كُلٌّ منهما قُرباناً لله، وأنَّ الله قبل قربان هابيل، ولم يتقبَّل قُربان قابين، وأنَّ قابين قَتَلَ أخاه هابيل، وترك بيت أبيه هارباً في الأرض. ويتحدَّث الإصحاح (5) الخامس عن عُمر آدم وأولاده، ثُمَّ ينتقل الإصحاح (6) السّادس إلى الحديث عن نُوح، وعن أسف الرَّبِّ لخَلْق الإنسان بعد أنْ كثر شرُّه في الأرض، وأنَّ الرَّبَّ أخطر نُوحاً بنهاية كُلِّ البشر والمخلوقات التي خَلَقَهَا؛ لأنَّه حزن من عملهم، وأنَّ الله طلب من نُوح أنْ يصنع الفُلْكَ الذي حدَّد له أوصافه ومقاييسه، وأنْ يحمل معه بنيه، وامرأته، ونساء بنيه، ومن كُلِّ حيٍّ من كُلِّ ذي جسد اثنَيْن: ذَكَراً وأُنثى، ومن الطُّيور، والبهائم، ودابَّات الأرض اثنَيْن من كُلِّ نوع.

الإصحاحات (7 ـ 8 ـ 9):

تتحدَّث هذه الإصحاحات الثّلاث عن الطُّوفان الذي أصاب الأرض، بعد هُطُول الأمطار لمُدَّة أربعين يوماً، وأربعين ليلة. وكان مع نُوح على السّفينة أولاده الثّلاثة: سام، وحام، ويافث، وزوجاتهم، وزوجة نُوح، وبقيَّة الوُحُوش، والبهائم، والطُّيور، من كُلِّ نوع اثنَيْن: ذَكَراً وأُنثى، وأنَّ الله كلَّم نُوحاً؛ طالباً منه الخُرُوج من الفُلْك، وأنَّ نُوحاً بنى مذبحاً للرَّبِّ، وأنَّ الرَّبَّ باركه وبنيه، وقال الله لنُوح وأولاده: "سافك دم الإنسان بالإنسان يسفك دمه؛ لأنَّ الله على صُورته عمل الإنسان". وفي نهاية الإصحاح التّاسع؛ نقرأ قصَّة عن نُوح عليه السّلام، ولماذا لعن ابنه حام أبا الكنعانيِّين. "وابتدأ نُوح يكون فلاَّحاً، وغرس كرماً، وشرب من الخمر، فسكر، وتعرَّى داخل خبائه، فأبصر حام (أبو كنعان) عورة أبيه، وأخبر أخوَيْه خارجاً. فأخذ سام ويافث الرّداء، وَوَضَعَاهُ على كتفَيْهما، ومشيا إلى الوراء، وسترا عورة أبيهما، ووجههما إلى الوراء، فلم يُبصرا عورة أبيهما. فلمَّا استيقظ نُوح من خمره،

علم ما فعل به ابنه الصّغير، فقال: ملعون كنعان؛ عبد العبيد يكون لإخوته، وقال: مُبارك الرَّبُّ إله سام، وليَكُنْ كنعان عبداً لهم. ليفتح الله ليافث، فيسكن في مساكن سام، وليَكُنْ كنعان عبداً لهم". وفي ختام هذا الإصحاح ذكْر لعُمْر نُوح عليه السلام، "وعاش نُوح بعد الطُّوفان ثلاثمائة وخمسين سنة (350)، فكانت كُلُّ أيَّام نُوح تسعمائة وخمسين (950) سنة".

الإصحاحان (10 ـ 11):

الإصحاح (10) العاشر يتحدَّث عن أولاد نُوح: سام وحام ويافث. أمَّا الإصحاح (11) الحادي عشر؛ فيتحدَّث عن نُزُول الرَّبِّ إلى الأرض، ومُشاهدته بني آدم يبنون بُرجاً رأسه بالسّماء، وكيف أنَّهم كانوا شعباً واحداً، ولساناً واحداً. ويذكر هذا الإصحاح كيف أنَّ الرَّبَّ أراد أنْ يُبلبل ألسنة هؤلاء النّاس، حتَّى لا يسمع بعضهم لسان بعض، وذلك بعد أنْ رآهم يبنون بُرجاً رأسه بالسّماء، وكيف بدَّدهم على وجه كُلِّ الأرض!! "فنزل الرَّبُّ لينظر المدينة والبُرج الذين كان بنو آدم يبنونهما. وقال الرَّبُّ: هُو ذا شعبٌ واحدٌ ولسانٌ واحدٌ لجميعهم، وهذا ابتداؤهم بالعمل. والآن؛ لا يمتنع عليهم كُلّ ما ينوون أنْ يعملوه. هَلُمَّ ننزل، ونُبلبل هُناك لسانهم، حتَّى لا يسمع بعضهم لسان بعض".

الإصحاح (12) الثّاني عشر:

يُحدِّثنا هذا الإصحاح عن طَلَب الرَّبِّ من أبرام الذّهاب إلى أرض كنعان: " و ظهر الرَّبُّ لأبرام، وقال: لنسلكَ أُعطي هذه الأرض". ثُمَّ حدث جُوع في الأرض، فانحدر أبرام إلى مصر؛ ليتغرَّب هُناك، وكيف أخبر المصريِّين بأنَّ زوجته ساراي هي أُخته؛ كي لا يقتلوه، ويستبقونها. ثُمَّ كيف عرف فرعون حقيقة الأمر بعد أنْ ضرب الرَّبُّ فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة أبرام!! وأعاد ساراي إلى أبرام، وأجزل له العطاء.

الإصحاحات (13 ـ 14 ـ 15):

يُحدِّثنا الإصحاحان (13) الثّالث عشر، و(14) الرّابع عشر عن خُرُوج أبرام من مصر ولُوط معه: "وكان أبرام غنياً جداً في المواشي والفضَّة والذّهب" ولُوط السّائر معه كان ـ أيضاً ـ غنم وبقر وخيام"، ثُمَّ افتراق الاثنَيْن عن بعضهما: " ولم تحتملهما الأرض أنْ يسكنا معاً؛ إذْ

كانت أملاكهما كثيرة"، وبعد اعتزال لُوط عن أبرام؛ قال الرَّبُّ لأبرام: "ارفعْ عينَيْكَ، وانظرْ من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، الآن؛ جميع الأرض التي أنتَ ترى لكَ أُعطيها، ولنسلكَ إلى الأبد، وأجعل نسلكَ كتُراب الأرض". ويُحدِّثنا الإصحاح (15) الخامس عشر عن الحرب التي نشأت بين مُلُوك تلك المنطقة، وكيف تمَّ أَسْرُ لُوط، وأخذ الغُزاة أملاكه؛ إذْ كان ساكناً في منطقة سدوم، التي خرج ملكها وملك عمورة لمُجابهة الغُزاة، إلاَّ أنَّهما فرَّا من المعركة، وانهزما أمام ملك شنعار وحُلفائه. وكيف تمكَّن أبرام من إنقاذ ابن أخيه لُوط، واسترجاع أملاكه ونسائه. ثُمَّ طلب أبرام من الرَّبِّ أنْ يُعطيه نسلاً يرثه، وكيف أنَّ الرَّبَّ أنبأه بأنَّ نسله سوف يرث هذه الأرض التي وَعَدَهُ الرَّبُّ بها. وفي الفقرة الأخيرة من الإصحاح الخامس عشر يُطالعنا ـ من جديد ـ وَعْدُ الله لأبرام: "في ذلك اليوم؛ قَطَعَ الرَّبُّ مع أبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلكَ أُعطي هذه الأرض؛ من نهر مصر، إلى النَّهر الكبير؛ نهر الفُرات".

الإصحاح (16) السّادس عشر:

ينقل لنا هذا الإصحاح قصَّة ساراي امرأة أبرام التي لم تلد له ولداً، وكيف أنَّها قدَّمت لزوجها أبرام جاريتها هاجر؛ ليتَّخذها زوجة له، وكيف أنَّ هاجر حملت من زوجها، وتغيَّر سُلُوكها إزاء سيِّدتها، التي بدأت تحسدها، وتُسيء لها. الأمر الذي دَفَعَ هاجر إلى الهُرُوب، وأنَّ ملكاً من ملائكة الرَّبِّ رآها على عين الماء، وبشَّرها بأنَّها ستلد ابناً اسمه إسماعيل، وَطَلَبَ منها العودة إلى مولاتها، والخُضُوع لها!!: "فقال لها ملاك الرَّبِّ: ارجعي إلى مولاتك، واخضعي تحت يدَيْها": "ها أنت حُبلى، فتلدين ابناً، وتدعين اسمه إسماعيل؛ لأنَّ الرَّبَّ قد سمع لمذلَّتك".

الإصحاح (17) السّابع عشر:

يروي لنا هذا الإصحاح (17) السّابع عشر كيف كلَّم الله أبرام، وطلب منه أنْ يكون اسمه ـ بعد الآن ـ إبراهيم بدلاً من أبرام، وأنْ يكون اسم امرأته سارة بدلاً من ساراي، وأنَّ الله يُبشِّره بأنَّ "سارة امرأتكَ تلد لكَ ابناً، وتدعو اسمه إسحاق، وأُقيم عهدي معه عهداً أبديّاً، ولنسله من بعده"، وكيف أنَّ إبراهيم "سقط على وجهه، وضحك، وقال في قلبه: هل يُولد

لابن مائة سنة، وهل تلد سارة، وهي بنت تسعين سنة؟"!! وقال الله لإبراهيم: "هذا هُو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلكَ من بعدكَ. يُختَن منكم كُلُّ ذَكَر، فتختنون في لحم غرلتكم، فيكون علامة عهد بيني وبينكم": "فأخذ إبراهيمُ إسماعيلَ، وجميع ولدان بيته، وجميع المُبتاعين بفضَّته؛ كُلَّ ذَكَر من أهل بيت إبراهيم، وَخَتَنَ لحم غرلتهم في ذلك اليوم"، "وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن في لحم غرلته، وكان ابنه إسماعيل ابن ثلاثة عشر سنة حين ختن في لحم غرلته".

الإصحاحات (18 ـ 19 ـ 20):

وتروي هذه الإصحاحات الثّلاث قصَّة الملائكة الذين زاروا إبراهيم، وبشَّروه بأنَّ سارة ستلد له ولداً، وكيف أنَّ سارة ضحكت من هذا القول لأنَّها كانت في التّسعين من عُمرها، وكيف عاتبها الرَّبُّ على هذا الموقف. وذهاب الملائكة إلى سدوم وعمورة لتدميرها، بعد أنْ زادت، وعظمت خطايا أهلها. وكيف كان خطاب إبراهيم مع الرَّبِّ بخُصُوص إهلاك سُكَّان سدوم، واعتراض إبراهيم وسؤاله الرَّبَّ: " أ فتهلك البارَّ مع الأثيم؟!" وجواب الرَّبّ لإبراهيم بأنّه لا يهلك الجميع إذا كان بينهم عشرة بَرَرَة صالحون. وكيف دخل المَلَكَان إلى سدوم، واستقبال لُوط لهما في بيته، ومجيء رجال المدينة إلى بيت لُوط يطلبون المَلَكَيْن، وكيف أنَّ لُوطاً عرض بناته على الرّجال عوضاً عنهما، ثُمَّ خُرُوج لُوط مع ابنتَيْه وزوجته من بيته، بناءً على طَلَب المَلَكَيْن. "وعند الصّباح؛ أمطر الرَّبُّ على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً، ونظرت امرأة لُوط وراءها، فصارت عمود ملح". أمَّا لُوط؛ فقد سَكَنَ في الجبل وابنتاه معه، "فقالت البكر للصّغيرة: أبونا شاخ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة أهل الأرض. هَلُمَّ نسقي أبانا خمراً، ونضطجع معه، فنُحيي من أبينا نسلاً. فَسَقَتَا أباهما خمراً في تلك اللّيلة، ودخلت البكر، واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها، ولا بقيامها. وَحَدَثَ في الغد أنَّ البكر قالت للصّغيرة: إنِّي قد اضطجعتُ البارحة مع أبي، نسقيه خمراً اللّيلة أيضاً، فادخلي، واضطجعي معه، فنُحيي من أبينا نسلاً. فَسَقَتَا أباهما خمراً في تلك اللّيلة أيضاً، وقامت الصّغيرة، واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها، ولا بقيامها. فحبلت ابنتا لُوط من أبيهما، فولدت البكر ابناً، دعته مُوآب، والصّغيرة ولدت ابناً، دعته بن عمي".

الإصحاح (20) العشرون:

يسرد لنا هذا الإصحاح ما جرى بين إبراهيم وأبيمالك ملك جرار، التي تغرَّب إليها إبراهيم: "وقال إبراهيم عن سارة امرأته: هي أُختي خوفاً من أنْ يقتلوه، ويستبقوها للملك".
وكيف أنَّ الله تراءى لأبيمالك في المنام، وأنذره بالموت من أجل المرأة التي أخذها من إبراهيم، وأعلمه "أنَّ الله أغلق كُلَّ رحم لبيت أبيمالك بسبب سارة". ثُمَّ ينقل لنا الإصحاح "عتاب أبيمالك لإبراهيم بسبب هذه الكذبة، ويُغدق عليه العطاء، ويردُّ له زوجته سارة، وعندها يُصلِّي إبراهيم لربِّه؛ طالباً منه المغفرة، فيشفي الله أبيمالك وامرأته وجواريه".

الإصحاحات (21 ـ 22 ـ 23):

يُحدِّثنا الإصحاحان (21 ـ 22) الواحد والعشرون والثّاني والعشرون عن ولادة سارة لإسحاق، وكيف طَلَبَتْ من زوجها إبراهيم طَرْدَ هاجر من بيتها، وإصرارها على عدم توريث ابن هاجر، فقبح الكلام في عينَيْ إبراهيم: " فقال الله لإبراهيم: لا يقبح في عينَيْك من أجل الغُلام، ومن أجل جاريتكَ. في كُلِّ ما تقول سارة اسمعْ لقولها"!!. وبعد أنْ خرجت هاجر مع ابنها، ونفد الماء منها، رَفَعَتْ صوتها للسّماء، وبَكَتْ، فاستجاب الله لها، وأرشدها إلى بئر الماء. ثُمَّ يمتحن الله إبراهيم بأنْ يطلب منه ذبح وحرق ولده إسحاق، فيستجيب إبراهيم وإسحاق، ولكنْ؛ قبل الذّبح يُناديه ملك من السّماء بأنْ لا يُقدم على هذا العمل، وأنْ يفتدي ابنه بكبش ذي قرنَيْن، ويتلقّى إبراهيم مُباركة جديدة من ربِّه: "إنِّي من أجل أنَّكَ فَعَلْتَ هذا الأمر، ولم تمسك ابنكَ وحيدكَ أُباركك مُباركةً، وأُكثِّر نسلكَ تكثيراً كَنُجُوم السّماء، وكالرّمل الذي على شاطئ البحر". ثُمَّ في الإصحاح (23) الثّالث والعشرين نقرأ وفاة سارة، وقد بلغت من العُمر 127 سنة، وكيف أنَّ إبراهيم دَفَنَهَا في أرض كنعان.

الإصحاحات (24 ـ 25 ـ 26):

يتحدَّث أوَّلها الإصحاح (24) الرّابع والعشرون عن طَلَب إبراهيم من عبده كبير بيته أنْ يستحلفه أنْ لا يأخذ زوجةً لابنه إسحاق من بنات الكنعانيِّين، الذين يسكن إبراهيم بينهم، بل أنْ تكون زوجة ابنه من عشيرته من ناحور، وكيف أنَّ العبد ذهب إلى ناحور، وَوَجَدَ عند بئر

الماء الذي يستقي منه أهل المدينة فتاةً حسناء "رفقة" تبيَّن أنَّها ابنة أخ سيِّده إبراهيم، وعندما أعلم أهلها بوصيَّة سيِّده، وتبيَّن لهم مُوافقة الفتاة على هذا الزَّواج، باركوا لها، وأصبحت "رفقة" زوجة إسحاق. ويُحدِّثنا ثانيها الإصحاح (25) الخامس والعشرون عن زواج إبراهيم من "قطورة" بعد وفاة زوجته سارة، وعن أسماء أولاده منها، وكيف خصَّ إسحاق بكُلِّ ما يملك قبل وفاته، وكذلك يتحدَّث الإصحاح عن أولاد إسماعيل، ثُمَّ ينتقل إلى الحديث عن أولاد إسحاق، بعد أنْ استجاب الرَّبُّ لدُعاء إسحاق بأنْ تلد امرأته "رفقة" التي كانت عاقراً، فولدت لإسحاق توأمَيْن "عيسو ويعقوب". أمَّا الإصحاح (26) السَّادس والعشرون؛ فإنَّه يتحدَّث عن ذهاب إسحاق إلى أبيمالك ملك الفلسطينيِّين في جرار، عندما حَدَثَ جُوع في الأرض "غير الجُوع الذي كان أيَّام إبراهيم"، وكيف أنَّ الرَّبَّ أنبأه بأنْ لا ينزل إلى مصر، ويبقى في جرار: "لا تنزلْ إلى مصر. اسكُنْ في الأرض التي أقول لكَ. تغرَّبْ في هذه الأرض، فأكون معكَ، وأُباركك، لأنِّي لكَ ولنسلكَ أُعطي هذه البلاد، وتتبارك في نسلكَ جميع أُمم الأرض". فأقام إسحاق في جرار: "وسأله أهل المكان عن امرأته، فقال: هي أُختي؛ لأنَّه خاف أنْ يقول امرأتي لعلَّ أهل المكان يقتلونني من أجل "رفقة"؛ لأنَّها كانت حَسَنَةَ المنظر". وأنَّ أبيمالك أطلَّ ذات يوم، ورأى إسحاق يُداعب زوجته، فاستدعاه، وسأله: كيف قُلتَ إنَّها أُختكَ، فقال إسحاق: إنَّني خفتُ أنْ أموت بسببها، فقال أبيمالك: "لولا قليل لاضطجع أحد الشّعب مع امرأتكَ، فجلبتَ علينا ذنبنا". فأوصى أبيمالك جميع الشّعب قائلاً: "الذي يمسُّ هذا الرّجل وامرأته يموت موتاً"، وَطَلَبَ أبيمالك من إسحاق الخُرُوج من مدينتهم؛ لأنَّه أصبح أقوى وأعظم ثراء. ويروي الإصحاح ـ بعد ذلك ـ كيف عمل إسحاق في الأرض، وتعاظم دَخْلُهُ، وازدادت ثروته، وارتفع شأنه، وأنَّ أبيمالك طَلَبَ منه إقامة حلْف معه.

الإصحاحات (27 ـ 28 ـ 29 ـ 30):

أمَّا الإصحاح (27) السّابع والعشرون؛ فإنَّه يروي لنا قصَّة ابنَيْ إسحاق عيسو ويعقوب، وكيف انتحل يعقوب شخصيَّة أخيه عيسو بالإيعاز من أُمِّه "رفقة". وقراءة النَّصِّ تُعطي صُورة واضحة لهذا الحَدَث؛ لتُبيِّن وقائع الأحداث، ونَفْسيَّة أشخاصها، ويبدأ الحديث بما يلي:

"وَحَدَثَ لَمَّا شاخ إسحاق، وكَلَّتْ عيناه عن النَّظَر، أنَّه دعا عيسو ابنه الأكبر، وقال له: يا ابني. فقال له: ها أنا ذا. فقال إنَّني شختُ، ولستُ أعرفُ يوم وفاتي، فالآن؛ خُذْ عُدَّتكَ، جعبتكَ، وقوسكَ، واخرجْ إلى البرِّيَّة، وتصيد لي صيداً. واصنعْ لي أطعمة كما أُحبُّ. وآتني بها لآكلَ، حتَّى تُباركك نفسي قبل أنْ أموت. وكانت "رفقة" سامعة إذْ تكلَّم إسحاق مع عيسو ابنه. فذهب عيسو إلى البرِّيَّة كي يصطاد صيداً ليأت به. أمَّا "رفقة" فكلَّمت يعقوب ابنها قائلة: إنِّي قد سمعتُ أباكَ يُكلِّم عيسو أخاك قائلاً: ائتني بصيد، واصنعْ لي أطعمة لآكل وأُباركك أمام الرَّبِّ قبل وفاتي. فالآن؛ يا ابني، اسمع لقولي في ما أنا آمركَ به. اذهبْ إلى الغنم، وخُذْ لي من هُناك جديَيْن جيِّدَيْن من المعزى. فأصنعهما أطعمةً لأبيكَ كما يُحبُّ. فتُحضرها إلى أبيك، ليأكل حتَّى يُباركك قبل وفاته. فقال يعقوب لرفقة أُمِّه: هُو ذا عيسو أخي رجل أشعر، وأنا رجل أملس. ربَّما يجسُّني أبي فأكون في عينَيْه كمُتهاون، وأجلب على نفسي لعنة، لا بركة. فقالت له أُمُّه: لعنتكَ عليَّ، يا ابني. اسمعْ لقولي فقط، واذهبْ خُذْ لي. فذهب، وأخذ، وأحضر لأُمِّه. فَصَنَعَتْ أُمُّه أطعمةً، كما كان أبوه يُحبُّ. وأخذت "رفقة" ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التي كانت عندها في البيت، وألبست يعقوب ابنها الأصغر. وألبست يدَيْه وملاسة عُنقه جلُود جديَيْ المعزى. وأعطتْ الأطعمة والخُبز التي صَنَعَتْ في يد يعقوب ابنها. فدخل إلى أبيه، وقال: يا أبي، ها أنا ذا. مَنْ أنتَ يا ابني؟ فقال يعقوب لأبيه: أنا عيسو بكركَ. قد فَعَلْتُ كما كلَّمتَني. قُمْ، اجلسْ، وكُلْ من صيدي؛ لكي تُباركني نفسكَ. فقال إسحاق لابنه: ما هذا الذي أسرعتَ لتجد، يا ابني. فقال: إنَّ الرَّبَّ إلهكَ قد يسَّر لي. فقال إسحاق ليعقوب: تقدَّم؛ لأجسَّكَ، يا ابني. أ أنتَ ابني عيسو، أم لا. فتقدَّم يعقوب إلى إسحاق أبيه، فجسَّه، وقال: الصَّوت صوت يعقوب، ولكنَّ اليدَيْن يدا عيسو، ولم يعرفه؛ لأنَّ يدَيْه كانتا مُشعرتَيْن كَيَدَيْ عيسو أخيه، وباركه. وقال: هل أنت هُو ابني عيسو؟ فقال: أنا هُو. فقال: قدِّم لي لآكل من صيد ابني، حتَّى تُباركك نفسي. فقدَّم له، فأكل، وأحضر له خمراً، فشرب، فقال له إسحاق أبوه: تقدَّمْ، وقبِّلني، يا ابني. فتقدَّم، وقبَّله، فَشَمَّ رائحة ثيابه، وباركه".

ثُمَّ يستطرد السَّرْد بحُضُور عيسو من الصَّيد، وإحضاره الطَّعام لأبيه كي يُباركه، وتساؤل إسحاق عن هُويَّة القادم عليه، فيُجيبه ابنه أنَّه ولده عيسو. ويعلم عيسو الأمر،

وكيف مكر أخوه يعقوب، وأخذ بركة أبيه. وعندما يسأل الابن أباه بأنْ يُباركه، يُجيبه الأب بأنَّ البركة قد منحها ليعقوب: "وأنّني جعلتُهُ سيِّداً لكَ". ويحقد عيسو على أخيه، ويُقرِّر قَتْلَهُ، فتُخبر أُمُّه "رفقة" ابنها يعقوب بقرار أخيه، وتطلب منه الرّحيل إلى أخيها "لابان" في حاران. ويُتمِّم الإصحاح (28) الثّامن والعشرون قصَّة زواج يعقوب، وكيف أنَّ إسحاق طَلَبَ منه ألاَّ تكون زوجته من بنات كنعان: "فدعا إسحاق يعقوب، وباركه، وأوصاه، وقال له: لا تأخذْ زوجة من بنات كنعان"، بل من بنات خاله "لابان"، وكيف باركه الرَّبُّ، وأعطاه ولنسله الأرض التي اضطجع عليها. والإصحاح (29) التّاسع والعشرون يروي لنا قصَّة وُرُود يعقوب على بئر للمياه، ورُؤيته "راحيل" ابنه خاله، وكيف ساعدها على سقاية غنم خاله، وزواج يعقوب من "راحيل" لقاء خدمة والدها سبع سنوات، ولكنْ؛ بعد فترة الخدمة، طَلَبَ يعقوب من "لابان" زوجته، ليدخل عليها، فأحضر "لابان" ابنته الأُخرى "ليئة"، وأتى بها إليه، فدخل يعقوب عليها، دُون أنْ يدري أنَّها ليئة إلاَّ في الصّباح. ولمَّا عاتب خاله على خدعته، أجابه بأنَّه لا تُعطى الصّغيرة قبل البكْ؛ أيْ أنَّ راحيل كانت أصغر من أُختها، وسأله أنْ يخدم عنده سبع سنين أُخرى، ليدخل على راحيل، التي أحبَّها أكثر من أُختها. وأراد الله أنْ يُكرم ليئة، فَفَتَحَ رحمها، وأنجبت عدَّة أبناء ليعقوب " راؤبين - شمعون - لاوي - يهُوذا "، بينما لم تُنجب "راحيل" أيَّ ولد له. ويُحدِّثنا الإصحاح (30) الثّلاثون عن شكوى "راحيل" من عدم الإنجاب، وكيف أعطتْ يعقوب جاريتها "بلهة" ليتَّخذها زوجة، فأنجبت منه ابناً سمَّته "دانا"، وآخر دَعَتْهُ "نفتالي"، وأمَّا "ليئة"؛ فعندما توقَّفت عن الولادة، أعطت جاريتها "زلفة" ليعقوب؛ ليتَّخذها زوجة، فولدت "زلفة" ولداً سمَّته "جاداً"، وآخر سمّتْهُ "آشير". ثُمَّ ضاجع يعقوب زوجته "ليئة"، فولدت له ابناً خامساً أسمتْهُ "يساكر" ثُمَّ ولداً سادساً أسمَتْهُ "زوبولون"، ثُمَّ ابنة دَعَتْهَا "دينة". وأمَّا "راحيل"؛ فقد ولدت ليعقوب ابناً سمَّتْهُ "يُوسُف".

الإصحاحان (31 - 32):

يتحدَّث الإصحاح (31) الواحد والثّلاثون عن تصميم يعقوب تَرْكَ لابان، والذّهاب مع زوجتَيْه وأولاده إلى أرض أبيه إسحاق. وقبل أنْ يُغادر الجميع أرض لابان، دُون إخطاره بذلك، قامت "راحيل" بسرقة أصنام أبيها، وعلم لابان بهُرُوب يعقوب بعد ثلاثة أيَّام، فَجَمَعَ

إخوته، وسعى وراءه، وأدركه في جبل جلعاد. ولمّا قابله: "قال لابان ليعقوب: لماذا هربتَ خفية، وخدعتني، ولم تُخبرني، حتّى أُشيِّعك بالفرح والأغاني". لو أعْلَمْتَني، لكُنتُ قد ودَّعتُ بناتي. "وفي قُدرة يدي أنْ أصنع بكم شراً. ولكنَّ إله أبيكم كلَّمني البارحة قائلاً: احترزْ أنْ تُكلِّم يعقوب بخير أو شرٍّ"، "ولو أنَّ إلهكم لم يُكلِّمني بالأمس، ويطلب مني عدم التَّعرُّض لكم، لكُنتُ قد صنعتُ بكم شراً، ولكنْ؛ إذا كُنتَ قد اشتقتَ لبيت أبيكَ، لماذا سرقتَ أصنامي". ولم يكن يعقوب يعلم ما صَنَعَتْهُ راحيل، فأجاب قائلاً: "الذي تجد آلهتكَ معه، لا يعيش". وفتَّش لابان الخباء، ولم يجد شيئاً؛ لأنَّ راحيل وَضَعَتْ الأصنام تحتها، وادَّعت أمام أبيها بأنَّها على عادة النّساء لا تستطيع القيام. ثُمَّ يروي الإصحاحُ العهدَ الذي توصَّل إليه لابان ويعقوب، والذي ينصُّ على أنْ لا يقوم يعقوب بإهانة بنات لابان، أو أنْ يتَّخذ عليهنَّ نساء، وأنْ لا يتجاوز كُلٌّ طرف الحَدَّ الذي وضعاه في المكان الذي سمَّاه يعقوب جلعيد. ويروي الإصحاح (32) الثّاني والثّلاثون رغبة يعقوب بلقاء أخيه عيسو، وتحضيره الهدايا التي يرغب بتقديمها إليه، ومقدار خشيته من هذا اللّقاء، وخوف يعقوب من أخيه عيسو، ودعوته الرَّبَّ أنْ يُنجِّيه من يد أخيه، " وأخذ ممَّا أتى بيده هديَّة لعيسو أخيه مائتَيْ عنزة، وعشرين تيساً، وعشرين كبشاً، وثلاثين ناقة مُرضعة وأولادها، وأربعين بقرة، وعشرة ثيران، وعشرين أتاناً، وعشرة حمير". وكيف أنَّ يعقوب بعد أنْ أبْعَدَ أهله، وبقي وحده: "وصارعه إنسان حتَّى طلُوع الفجر، ولمّا رأى أنَّه لا يقدر عليه، ضرب حُقَّ فخذه. فانخلع حُقُّ فخذ يعقوبَ في مُصارعته معه. وقال: أطْلقني؛ لأنَّه قد طَلَعَ الفجر. فقال: لا أُطلقكَ، إنْ لم تُباركني، فقال له: ما اسمكَ؟ فقال: يعقوب فقال: لا يُدعى اسمكَ - فيما بعد - يعقوب، بل إسرائيل. لأنَّكَ جاهدتَ مع الله والنّاس، وقدرتَ. وسأل يعقوب وقال: أخبرني باسمكَ، فقال: لماذا تسأل عن اسمي؟ وباركه هُناك".

الإصحاحات (33 - 34 - 35):

يُحدِّثنا الإصحاح (33) الثّالثَ والثّلاثون عن اللّقاء الوُدِّي، الذي تمَّ بين الأخوَيْن يعقوب وعيسو: "فقال عيسو: لي كثير يا أخي، ليكن لكَ الذي لكَ. وألحَّ عليه، فأخذ الهديَّة". وأمَّا الإصحاح (34) الرّابع والثّلاثون؛ فيسرد لنا قصَّة مُضاجعة شكيم بن حمور

الحوي صاحب الأرض الذي نزل بها يعقوب لدينة ابنة يعقوب، وكيف أنَّ حمور والد شكيم حَضَرَ إلى يعقوب ليطلب يد ابنته لابنه، وأنَّ بني يعقوب رَفَضُوا تزويج أُختهم لرجل أغلف؛ لأنَّه عار عليهم، وأصرُّوا على خَتْن كُلِّ ذَكَر من قوم حمور لقبول تزويج أُختهم لشكيم. وقبل الأب وابنه، وقاما بخَتْن كُلِّ ذَكَر، ولكنَّ "ابنَيْ يعقوب شمعون ولاوي أخويْ دينة أخذا كُلٌّ واحد سيفه، وأتيا على المدينة بأمن، وقتلا كُلَّ ذَكَر، وقتلا حمور وشكيم وابنه بحَدِّ السّيف، وأخذا دينة من بيت شكيم، وخرجا"، "ثُمَّ أتى بنو يعقوب على القَتْلَى، ونهبوا المدينة". وعاتب يعقوب ولدَيْه: "فقال يعقوب لشمعون ولاوي: كدَّرتُماني بتكريهكما إيَّاي عند سكَّان الأرض الكنعانيِّين والفرزيِّين، وأنا نفر قليل". ثُمَّ يُحدِّثنا الإصحاح (35) الخامس والثّلاثون كيف أمر يعقوب أهله بالذّهاب إلى بيت إيل؛ حيثُ أقام مذبحاً لله حين هرب من أخيه عيسو، وهُناك - أيضاً - بنى يعقوب مذبحاً آخر سمَّاه بيت إيل، ثُمَّ وفاة راحيل أثناء ولادتها بن اوني الذي دعاه والده بنيامين. وفي نهاية الإصحاح ترد قصَّة مُضاجعة راؤبين "ابن ليئة" لبلهة سريَّة أبيه، وعلْم إسرائيل "يعقوب"، ثُمَّ يذكر وفاة إسحاق، ودفنه من قبَل وَلَدَيْه عيسو ويعقوب.

ويُعيد الإصحاح ذكْر أسماء أولاد يعقوب الإثنَيْ عشر "راؤبين، شمعون، لاوي، يهُوذا، يسّاكر وزوبولون من ليئة"، و"يُوسُف وبنيامين من راحيل"، و"دان ونفتالي من بلهة جاريَّة راحيل"، و"جاد وآشير من زلفة جارية ليئة".

الإصحاح (36) السّادس والثّلاثون:

ويُبيِّن هذا الإصحاح أسماء زوجات وأبناء عيسو.

الإصحاح (37) السّابع والثّلاثون:

ويُحدِّثنا هذا الإصحاح عن يعقوب وأولاده، وقصَّة يُوسُف ابن السّبعة عشر عاماً، وتفضيل يعقوب يُوسُف على سائر إخوته، وغَيْرَة إخوته منه، وعن حُلم يُوسُف، والذي شاهد أنَّ الشّمس والقمر وأحد عشر كوكباً رآهم ساجدين له، وكيف أنَّ أباه اغتاظ من هذا الحُلم، وقال له: هل نأتي أنا وأُمُّكَ وإخوتكَ لنسجدَ لكَ؟ وأنَّ إخوته تآمروا عليه لقتله،

ولكنَّ أخاه راؤبين أنقذه، وقال لإخوته: لا نقتله، بل نُلقيه في البئر، وعندما طرحوه في البئر لمحوا قافلة مُقبلة، فقال يهوذا لإخوته: تعالوا، نبيعه للإسماعيليّين، ولا تكنْ أيدينا عليه؛ لأنّه أخونا ولحمنا، ولكنَّ تُجّاراً مديانيّين عثروا على يُوسُف في البئر، فسحبوه، وباعوه للإسماعيليّين، الذين أخذوه معهم إلى مصر، ورجع أُخوة يُوسُف إلى أبيهم، بعد أنْ وضعوا دماً على قميص أخيهم يُوسُف، وأعلموا أباهم أنَّ وحشاً أكل أخيهم، فحزن يعقوب على ابنه، ومزّق ثيابه.

الإصحاح (38) الثّامن والثّلاثون:

يروي هذا الإصحاح قصّة زواج يهُوذا من ابنة رجل كنعاني اسمه شوع، وعدد الأولاد الذين ولدتهم له "عيرا - أونان - شيلة"، وأسماء زوجات أولاده، وكيف طَلَبَ يهُوذا من ابنه أونان أنْ يتزوّج زوجة ابنه عيرا الذي تُوفّي؛ ليُقيم نسلاً لأخيه: "فقال يهُوذا لأونان: ادخل على امرأة أخيكَ، وتزوّج بها، وأَقمْ نسلاً لأخيكَ"، وأنَّ الرَّبَّ لم يرضَ بهذا، فأمات أونان. ثُمَّ كيف طَلَبَ يهُوذا من كُنّته تمارا أنْ تذهب إلى بيت أبيها حتّى يكبر شيلة خوفاً من أنْ يموت كما مات أخواه، ثُمَّ موت زوجة يهُوذا ابنة شوع. ولمّا علمتْ تمارا بأنَّ يهُوذا سيذهب "ليجزَّ غنمه، خَلَعَتْ ثياب ترمُّلها، وتغطّتْ ببُرقع، "وجلست في طريق حميها" لأنّها رأت أنَّ شيلة قد كبر، وهي لم تُعطَ له زوجة". فلمّا رآها يهُوذا حسبها زانية، ولم يدر أنّها كُنّته، فَطَلَبَ أنْ يدخل عليها، فاشترطت إعطاءها: "فقال: إنّي أرسل لكَ جدي معزى من الغنم، فقالت: هل تُعطيني رهناً حتّى تُرسله". قال: أجل، ها هُو خاتمي وعصاي التي في يدي، ولمّا دخل عليها حبلتْ منه، ولمّا أراد يهُوذا أنْ يستردَّ الرّهن الذي وَضَعَهُ في يد المرأة، وأرسل صاحبه ليستردَّه، أعلمه صاحبه أنّه لم يتمكّن من العثُور على المرأة، وأنَّ الذين سألهم عنها أجابوه بأنّه لا يُوجد هُنا زانية. ولكنْ؛ بعد ثلاثة أشهر علم يهوذا بالأمر، وأخبروه بأنَّ كُنّته قد زَنَتْ، "فقال: هي أبرُّ منّي؛ لأنّي لم أُعطها لشيلة ابني"!!.

الإصحاحات (39 - 40 - 41 - 42):

تتحدَّث هذه الإصحاحات عن سيرة يُوسُف عليه السّلام، بدءاً من الرّجل المصري الذي اشتراه، وكيف أنَّ الرَّبَّ بارك للمصري في رزقه بسبب يُوسُف، وكيف أنَّ امرأة سيّده دَعَتْهُ

إلى مُضاجعتها، وَرَفَضَ هذا الشَّرَّ العظيم، ثُمَّ لَمَّا أصرَّت، وأمسكت به من ثوبه، ترك ثوبه، وهرب. فنادت أهل بيتها لتُشهدهم أنَّ ذلك العبراني يُحاول أنْ يُداعبها. ولَمَّا جاء سيِّدها كلَّمَتْهُ بأنَّ العبراني الذي جئتَ به يُريد أنْ يُداعبني، فأخذ زوجها يُوسُف إلى السّجن، "ولكنَّ الرَّبَّ كان مع يُوسُف، فبسط إليه لُطفاً، وَجَعَلَ نعمة له في عينَيْ رئيس بيت السّجن". وكيف أنَّ فرعون غضب على رئيس السُّقاة ورئيس الخبَّازين عنده، فأودعهما السّجن الذي كان يُوسُف فيه، وأنَّ الاثنَيْن حلما حُلماً قصَّاه على يُوسُف. فرئيس السُّقاة رأى أنَّه يعصر خمراً ليُعطيه لفرعون، وفسَّره يُوسُف له بأنَّ فرعون سيردُّه إلى منصبه، أمَّا رئيس الخبَّازين؛ فقد رأى أنَّه يحمل ثلاث سلال على رأسه، وفي السَّلِّ الأعلى جميع طعام فرعون الذي يصنعه له، وأنَّ الطُّيور تأكل من السَّلِّ، فأخبره يُوسُف أنَّ السّلال الثّلاثة هي ثلاثة أيَّام، وأنَّ فرعون سيرفع رأسكَ عنكَ، ويُعلِّقكَ على خشبه لتأكل الطّير من لحمكَ. وفي نهاية اليوم الثّالث صادف عيد ميلاد فرعون، فعمل وليمة لجميع عبيده، واستدعى رئيس السُّقاة ورئيس الخبَّازين: "أمَّا رئيس الخبَّازين؛ فعلَّقه كما عبَّر لهما يُوسُف" "وردَّ رئيس السُّقاة إلى سُقْيه"، "ولكنْ؛ لم يذكر رئيس السُّقاة يُوسُف، بل نسيه". وتمرُّ الأيَّام (سنتان) ويرى فرعون حُلماً" وإذا هُو واقف عند النّهر وهُو ذا سبع بقرات طالعة من النّهر، حَسَنَة المنظر، وسمينة اللّحم، فَأرْتَعَتْ في روضه، ثُمَّ هُو ذا سبع بقرات أُخرى طالعة وراءها من النّهر، قبيحة المنظر، ورقيقة اللّحم"، "فأكلت البقرات القبيحة المنظر والرّقيقة اللّحم البقرات السّبع الحَسَنة المنظر والسّمينة"، ثُمَّ يحلم فرعون حُلماً آخر هُو أنَّ "سبع سنابل طالعة في ساق واحدة سمينة وحسنة"، "ثُمَّ هُو ذا سبع سنابل رقيقة وملفوحة بالرِّيح الشّرقيَّة، نابية وراءها، فابتلعت السّنابل الرّقيقة السّبع سنابل السّمينة المُمتلئة". وانزعج فرعون، وَطَلَبَ السَّحَرَةَ؛ ليُفسِّروا له حُلمه. ويتذكَّر رئيس السُّقاة حُلمه الذي قصَّه على يُوسُف، ويُخبر فرعون بذلك، فيطلب فرعون يُوسُف من السّجن. ولَمَّا دخل على فرعون، وأخبره بحُلمه، أجابه يُوسُف بأنَّ للحُلمَيْن تفسيراً واحداً، وهُو أنَّ الأمر مُقرَّر من عند الله، وهُو أنَّ السّبع بقرات الحسان والسّبع سنابل المُمتلئة فإنَّها تعني سبع سنين من الخير تحمل شَبَعاً عظيماً لمصر. أمَّا السّبع بقرات الرّقيقة والقبيحة والسّبع سنابل الفارغة الملفوحة؛ فإنَّها تعني أنَّ سبع سنين من الجُوع ستعمُّ أرض مصر. وزاد يُوسُف إلى تفسيره

نصيحة إلى فرعون أنْ يجعل على أرض مصر رجلاً بصيراً وحكيماً، فيأخذ خُمس غلّة الأرض في سبع سني الشّبع؛ ليكون الطّعام ذخيرة لسبع سني الجُوع.

ويَحْسُنُ كلام يُوسُف في عينَيْ فرعون، ويُعيِّنه والياً على أرض مصر، وأثمرت الأرض في سبع سنين الخير، وخزَّن يُوسُفُ الطّعامَ، ولمّا أتت سني الجُوع، فَتَحَ يُوسُف خزائن القمح، ولم يشعر المصريُّون بشدَّة الجُوع الذي شاع في الأرض.

ولمّا رأى يعقوب أنَّ في مصر قَمْحاً، أرسل بنيه إلى مصر ليشتروا قمحاً، ولم يُرسل معهم ابنه بنيامين كي لا يُصيبه أذى من أخوته كما أصاب يُوسُف. وجاء الأُخوة العشرة إلى يُوسُف، وعرفهم، ولم يعرفوه، "وَعَرَفَ يُوسُف أُخوته، وأمّا هُم؛ فلم يعرفوه"، وعاملهم يُوسُف بجفاء، واتَّهمهم بأنَّهم جواسيس جاءوا للتَّجسُّس. ولمّا نفوا ذلك، وبيَّنوا له أنَّهم من أرض كنعان، وأنَّ أباهم احتجز أخاهم الصّغير عنده، وأنَّ أخاً لهم قد افتقدوه، طَلَبَ منهم يُوسُف أنْ يُحضروا له أخاهم لكي يتحقَّق من صدْقهم، وأرسلهم إلى السّجن لمُدَّة ثلاثة أيّام، ثُمَّ أخبرهم بأنْ يُبقوا واحداً منهم لديه، ويذهبوا إلى أبيهم، ويأخذوا قمحاً لسَدِّ مجاعة بيُوتهم. ولمّا دخلوا على أبيهم أخبروه بما حَصَلَ معهم، وأنَّهم وجدوا في عدل كُلٍّ منهم صرَّة الفضَّة التي دَفَعَهَا ثمن القمح. فخاف الجميع من هذا الأمر، ورَفَضَ يعقوب إرسال ابنه مع أُخوته.

ويُتمِّم الإصحاح (43) الثّالث والأربعون القصَّة بأنَّه لمّا نفد القمح الذي جاء به أبناء يعقوب، قال لهم أباهم: ارجعوا، اشتروا لنا قليلاً منه. فأعلمه ابنه يهُوذا أنَّ الرّجل الذي أطلقنا وباعنا القمح طَلَبَ منّا أنْ نُحضر أخانا معنا، وإنْ أرسلتَ أخينا معنا "أنا أضمنه، ومن يدي تطلبه". فوافق يعقوب على ذلك، وَطَلَبَ من أبنائه أنْ يُعيدوا الفضَّة التي وَجَدُوها في عُدُولهم، وَطَلَبَ منهم" أنْ أنزلوا للرّجل هديَّة "حتَّى يُطلق أسر أخيكم. ولمّا قابل الأُخوة يُوسُف دعاهم لبيته، فظنَّ الأُخوة أنَّه يُريد بهم سُوءاً، فأعلموا الرّجل المسؤول عن بيت يُوسُف قصَّة الفضَّة التي وجدها كُلٌّ في عدله، وأنَّهم يُريدون إعادتها، فطمأنهم الرّجل. ولمّا دخل يُوسُف عليهم قدَّموا له الهديَّة التي أحضروها له، وسجدوا له، فسألهم يُوسُف: "أ سالم أبوكم الشّيخ؟" فقالوا: نعم، فَنَظَرَ يُوسُف إلى أخيه بنيامين "وقال هذا أخوكم الصّغير الذي

قُلتُم لي عنه، قالوا: نعم، ثُمَّ قال: الله يُنعم عليكَ، يا ابني". ، ثُمَّ دخل غُرفته ليبكي، وعاد لتناول الطّعام مع ضُيُوفه، ثُمَّ أمر الذي على بيته بملء عدال الرّجال طعاماً، وَطَلَبَ منه وَضْع وعاء يُوسُف الخاصّ في عدل أخيه الصّغير. ولّما انصرف الرّجال صباحاً طَلَبَ يُوسُف من الذي على بيته أنْ يلحق بهم، ويستوقفهم. فلمّا أدركهم الرّجل خاطبهم قائلاً: "لماذا جازيتُم شرّاً عوضاً عن خير. أ ليس هذا هُو الذي يشرب سيِّدي به، وهُو يتفاءل به، أسأتُم في ما صنعتُمْ". فاستنكر الأُخوة قول الرّجل، وأجابوه بأنَّ مَنْ يسرق منهم يموت. وأنزل كُلٌّ واحد عدله، وَفَتَحَهُ أمام الرّجل، "فوجد (الطّاس) في عدل بنيامين"، وعاد الجميع إلى المدينة، ولّما دخلوا على يُوسُف، "قال لهم يُوسُف: ما هذا الفعل الذي فَعَلْتُم؟". "فقال يهُوذا: ها نحنُ عبيد لسيِّدي، نحنُ والذي وَجَدَ الطّاس في يده جميعاً". فقال يُوسُف: "حاش لي أنْ أفعل هذا. الرّجل الذي وُجد الطّاس في يده هُو يكون لي عبداً"، وأمّا أنتم؛ فاصعدوا بسلام إلى أبيكم. ثُمَّ تقدَّم إليه يهُوذا وأخبره بما جرى بينه وبين أبيه، وَشَرَحَ له صعُوبة العودة إلى أبيهم وبنيامين ليس معهم؛ لأنَّ ذلك سيقضي على الأب الذي يُحبُّ بنيامين كثيراً، ورجاه أنْ يرحم شيبة الأب، ولأنَّه - أيْ يهُوذا - ضمن عودة الابن، وعرض على يُوسُف أنْ يبقى هُو عبداً له، ويصعد الجميع إلى أبيهم. وينطلق يُوسُف صارخاً بأُخوته "أنا يُوسُف الذي بعتُمُوه إلى مصر" وأنا يُوسُف الذي أرسلني الله لهذه الأرض. لأستبقي لكم النّجاة. اذهبوا وقُولُوا لأبيكم إنَّ الله جَعَلَ يُوسُف سيِّداً لكُلِّ مصر. ويَستحسن فرعون موقف يُوسُف، فيقول ليُوسُف: قُلْ لأُخوتك أنْ يحضروا إلى مصر، ليأكلوا من خيراتها. ولّما دخل الأبناء على أبيهم، وكلّموه بما حَصَلَ معهم، وأنَّ يُوسُف زوَّدهم بالزّاد الذي يطلبونه وبهدايا كثيرة، وأنَّه يدعوهم جميعاً للحُضُور إلى مصر. ، فَسُرَّ يعقوب، وعزم على الرّحيل إلى مصر مع أهله وبنيه.

الإصحاحات (46 - 47 - 48 - 49 - 50):

تتحدَّث هذه الإصحاحات عن لقاء يعقوب "إسرائيل" بابنه يُوسُف، فتبدأ بالرُّؤيا التي رآها يعقوب، والتي فيها يُكلِّمه الله قائلاً: لا تَخَفْ من النُّزُول إلى مصر؛ لأنّي أجعلكَ أُمَّة عظيمة هُناك. ثُمَّ بأسماء بني إسرائيل الذين جاءوا إلى مصر ولقاء يُوسُف بأبيه وأُخوته في جاسان، وإخطار يُوسُف فرعون بحُضُور عائلته التي مهنتها رعاية الغنم، وكيف عرض

فرعون على يُوسُف أرض جاسان؛ ليسكنوا فيها. وينقل لنا الإصحاح (48) الثّامن والأربعون صُورة لقاء أولاد يُوسُف مع جدّهم إسرائيل الذي كان شيخاً كبيراً لا يقدر أنْ يُبصر، وكيف اختصَّ إسرائيل ولدَيْ يُوسُف أفرايم ومنسّى، وباركهما، ووضع يده اليمنى على رأس أفرايم، واليُسرى على رأس منسّى، وساء ذلك يُوسُف، فأراد أنْ تكون يد والده اليُمنى على رأس ابنه البكْر منسّى، ولكنَّ أباه أصرَّ، وقدّم أفرايم على منسّى في المُباركة، ثُمَّ دعا يعقوب أبناءه، وخصَّ كُلَّ واحد بدعواته، وَوَصَفَ كُلَّ واحد بصفات مُخصّصة، وبارك كُلَّ واحد منهم حسب مكانته، ثُمَّ أسلم رُوحه، وانضمَّ إلى قومه. فبكى يُوسُف، وَوَقَعَ على وجه أبيه يُقبِّله، وأمر عبيده بتحنيطه، وَطَلَبَ يُوسُف من فرعون أنْ يأذن له بنَقْل جُثّة أبيه إلى أرض كنعان ليدفنه فيها كما أوصاه قبل وفاته. وبعد أنْ دفن يُوسُف أباه عاد وأُخوته إلى مصر، وظنَّ أُخوة يُوسُف أنَّه يُريد بهم شراً بعد وفاة والدهم لقاء ما صنعوا به، فخاطبهم يُوسُف قائلاً: لا تخافوا. "أنتم قصدتُم لي شراً، والله قصد به خيراً" فأنا أعولكم وأولادكم. وتُوفِّي يُوسُف عن 120 مئة وعشرين سنة.

سفْر الخُرُوج Book of Exodus (EX):

ويقع هذا السِّفْر في (40) أربعين إصحاحاً، تتحدَّث عن اضطهاد فرعون لبني إسرائيل، وولادة مُوسى، وكيف تبنّته ابنة فرعون، والأمر الإلهي الذي طَلَبَ منه الذّهاب إلى فرعون ليسمح لليهُود أنْ يخرجوا من مصر، ورحلة مُوسى بشعبه وخُرُوجه من مصر بعد أنَّ انشقَّ البحر، وغرق فرعون وجنُوده، ثُمَّ كيف انقلب بنو إسرائيل على مُوسى، وعبدوا العجل أثناء غيابه.

الإصحاحات (1 ـ 2 ـ 3 ـ 4):

يتحدَّث الإصحاح (1) الأوَّل عن أسماء بني إسرائيل الذين حَضَرُوا إلى مصر، وأنَّ ملكاً جديداً جاء وأثار حفيظة المصريّين على بني إسرائيل. فبدأ المصريُّون يُذلُّونهم، ويُعاملونهم بعنُف، ويستخدمونهم في الحُقُول، وأنَّ الملك طَلَبَ من القابلتَيْن اللّتَيْن تُولِّدان العبرانيَّات أنْ تقتلا كُلَّ ولد، وتستبقيا كُلَّ بنت. ولم تنصع القابلتان لأوامر الملك. ولمَّا

استدعاهما ليستفسر منهما سبب ذلك أجابتا "بأنَّ العبرانيَّات لسنَ كالمصريَّات، فإنَّهن قويَّات يلدنَ قبل أنْ تأتيهنَّ القابلة". فأمر الملك جميع شعبه أنْ يطرحوا في النّهر كُلَّ ولد، ويُبقوا على حياة كُلِّ بنت. أمَّا الإصحاح (2) الثّاني؛ فيتحدَّث عن أنَّ "ابنة لاوي ولدت ابناً، ولمَّا رأته أنَّه حَسَن، خبَّأته ثلاثة أشهر، ولمَّا لم يُمكنها أنْ تُخبِّئه بعدُ، أخذَتهُ، وذهبتْ به إلى النّهر، وَوَضَعَتْهُ في سفط من البردي، وَدَعَتْ أُخته تُراقبه من بعيد؛ لتعرف ماذا يُفعَل به". وَصَدَفَ أنْ نزلت ابنة فرعون إلى النّهر لتغتسل، فَوَجَدَت السّفط، "ولمَّا فتحتْهُ وَجَدَتْ فيه صبيَّاً يبكي، فرقَّتْ له، وقالت: هذا من أولاد العبرانيِّين، فقالت أُخته لها: هل أدعو لك امرأة مُرضعة من العبرانيَّات لتُرضع لك الولد، فقالت لها ابنة فرعون: اذهبي، فذهبت الفتاة، وَدَعَتْ أُمَّ الولد". "فقالت ابنة فرعون: اذهبي بهذا الولد، وأرضعيه لي". "ولمَّا كبر الولد، جاءت به إلى ابنة فرعون، فصار لها ابناً، وأطلقت اسم مُوسى عليه". ثُمَّ يكبر مُوسى، ويخرج يوماً إلى السُّوق "فرأى رجلاً مصريَّاً يضرب رجلاً عبرانيَّاً من أُخوته" "فقتل المصريَّ، وَطَمَرَهُ في الرّمل". وفي اليوم الثّاني يرى "رجلان عبرانيَّان يتخاصمان" فيطلب من المُذنب الكفَّ عن ضرب صاحبه، فيُجيبه قائلاً: "مَنْ جعلكَ رئيساً وقاضياً علينا. أ تُفكِّر بقَتْلي كما قتلتَ المصريّ". فسمع فرعون هذا الأمر، فيطلب أنْ يُقتَل مُوسى، فيفرّ مُوسى إلى مديان، وهُناك أمام البئر تأتي نسوة تسقي الغنم، فيطردهنَّ الرُّعاة، فينهض مُوسى، ويُنجدهنَّ، ويسقي غنمهنَّ. وعندما يعلم والدهنَّ بذلك، يطلب منهنَّ أنْ يدعونه ليأكل عنده، ويرتضي مُوسى أنْ يسكن مع الرّجل، ويتزوَّج ابنته صفورة، التي تلد له ولداً سمَّاه جرشوم. ويموت ملك مصر، ويتنهَّد بنو إسرائيل، ويعلو صُراخهم إلى الله من الذُّلِّ والعُبُوديَّة "فسمع الله أنينهم، وتذكَّر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب"!!، ثُمَّ يأتي الإصحاح (3) الثّالث ليُحدِّثنا عن مُخاطبة الله لمُوسى عندما رأى مُوسى لهيب النّار في السّماء، واقتراب مُوسى للنَّظَر إلى هذا المنظر العظيم، فيقول له الرَّبُّ: "لا تقتربْ إلى ها هُنا، اخلعْ حذاءك من رجلَيْكَ؛ لأنَّ الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مُقدَّسة". "فقال الرَّبُّ: إنِّي قد رأيتُ مذلَّة شعبي الذي في مصر، وسمعتُ صُراخهم من أجل مُسخِّريهم. إنِّي علمتُ أوجاعهم، فنزلتُ لأُنقذهم من أيدي المصريِّين، وأُصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيِّدة وواسعة، إلى أرض تفيض لبناً

وعسلاً، إلى مكان الكنعانيّين والحثّيّين والآموريّين والفرزيّين والحويّين واليبوسيّين. والآن؛ هُو ذا صُراخ بني إسرائيل قد أتى إليَّ، ورأيتُ - أيضاً - الضّيقة التي يُضايقهم بها المصريُّون، فالآن؛ هَلُمَّ، فأُرسلكَ إلى فرعون، وتُخرج شعبي بني إسرائيل من مصر". فقال مُوسى لله: مَنْ أنا حتَّى أذهب إلى فرعون، وأُخرج بني إسرائيل من مصر" فقال: أنا أكون معكَ، وهذه تكون لك العلامة أنّي أرسلتكَ". "وقال الله - أيضاً - لمُوسى: هكذا تقول لبني إسرائيل؛ يَهْوَه إله آبائكم، إله إبراهيم، وإله إسحاق، وإله يعقوب، أرسلني إليكم، هذا اسمي إلى الأبد، وهذا ذكري، إلى دور فدور، وقُلْ لهم: الرَّبُّ إله آبائكم ظَهَرَ لي قائلاً: إنِّي افتقدتكم، وما صُنع بكم في مصر، فقُلتُ أُصعدكم من مذلَّة مصر إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً، فإذا سمعوا قولكَ، تذهب وشُيُوخ بني إسرائيل إلى ملك مصر، وتقول له إنَّ الرَّبَّ إله العبرانيّين التقانا، فالآن؛ نمضي سفر ثلاثة أيَّام في البرِّيَّة، ونذبح للرَّبِّ إلهنا". ويُتمِّم الإصحاح (4) الرّابع حوار مُوسى مع الإله" فيقول مُوسى للإله إنَّ القوم لا يُصدِّقونني، ولا يسمعون لقولي، بل يقولون لم يظهر لك الرَّبُّ. فيُجيبه الله: ما هذه في يدكَ؟ وقال: عصا، قال: اطرحها إلى الأرض، فطرحها إلى الأرض، فإذا هي حيَّة، فهرب مُوسى، فقال له الرَّبُّ: مُدَّ يدكَ، وأمسكْ بذنبها، فمدَّ يده، وأمسك به، فصارت عصا في يده. ثُمَّ قال له الرَّبُّ أيضاً: أَدْخلْ يدكَ في عبِّكَ، فأدخلَ يده في عبِّه، ثُمَّ أَخْرَجَهَا، فإذا يده برصاء مثل الثّلج. ثُمَّ قال له: رُدَّ يدكَ إلى عبِّك، فردَّ يده إلى عبِّه، ثُمَّ أَخْرَجَهَا من عبِّه، وإذا هي قد عادت مثل جسده". وإذا لم يُصدِّقوك بهاتَيْن الآيَتَيْن ولم يسمعوا لقولكَ "فإنَّكَ تأخذ من ماء النّهر، وتسكب على اليابسة، فيصير الماء الذي تأخذه من النّهر دماً على اليابسة".

"فقال مُوسى للرَّبِّ: استمعْ أيُّها السَّيِّد، لستُ أنا صاحب كلام مُنذُ أمس، ولا أوَّل أمس، ولا من حين كلَّمتُ عبدكَ، بل أنا ثقيل الفم واللّسان "فيُجيبه الرَّبُّ قائلاً: "فالآن؛ اذهبْ، وأنا أكون مع فمكَ، وأُعلِّمكَ ما تتكلَّم به". "فقال مُوسى: استمعْ أيُّها السَّيِّد، أرسل بيد مَنْ تُرسل". "فحمي غضب الرَّبِّ على مُوسى: وقال: أ ليس هارون اللاَّوي أخاك". "أنا أعلم أنَّه هُو يتكلَّم، وها هُو خارج لاستقبالك" "فتُكلِّمه وتضع الكلمات في فمه" "وأنا أكون مع فمكَ ومع فمه" وأُعلِّمكما ماذا تصنعان، وهُو يُكلِّم الشّعب عنكَ" وهُو يكون لكَ فَماً،

وأنت تكون له إلهاً". وقال الرَّبُّ لِمُوسى: اصنعْ أمام فرعون كُلَّ العجائب، وأخبر مُوسى أخيه هارون بحديث الرَّبِّ، وما كلَّفه به، فجمع مُوسى وهارون جميع شُيُوخ بني إسرائيل، وتكلَّم هارون، وآمن الشّعب عندما سمعوا أنَّ الرَّبَّ افتقد بني إسرائيل.

الإصحاحات (5 ـ 6 ـ 7):

ويأتي الإصحاح الخامس (5) ليُحدِّثنا عن مُقابلة مُوسى وهارون لفرعون، ورَفْض فرعون دعوة مُوسى لإطلاق بني إسرائيل، وكيف أمر مُسخِّري الشّعب ومُدبِّريه أنْ يمتنعوا عن إعطاء التّبن لصُنْع اللِّبْن، وإجبار الشّعب بجَمْع التّبن بأنفسهم لتقديم اللِّبْن، الذي يتوجَّب عليهم تقديمه. وينوء الشّعب بهذا العبء، ويُلقون اللَّوم على مُوسى وهارون: "فرجع مُوسى إلى الرَّبِّ، وقال: يا سيِّد؛ لماذا أسأتَ إلى هذا الشّعب؟ لماذا أرسلتني؟ فإنَّه مُنذُ أنْ دخلتُ إلى فرعون لأتكلَّم باسمكَ أساء إلى هذا الشّعب، وأنت لم تُخلِّص شعبكَ". فيُجيبه الرَّبُّ في الإصحاح (6) السّادس: "الآن؛ تنظر ما أنا فاعلٌ بفرعون". "أنا الرَّبُّ، وأنا ظهرتُ لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأنِّي الإله القادر على كُلِّ شيء. وأمَّا باسمي يَهْوَه؛ فلم أُعرَف عندهم، وأيضاً؛ أقمتُ معهم عهدي أنْ أُعطيهم أرض كنعان، أرض غُربتهم التي تغرَّبوا فيها"، ثُمَّ يطلب الرَّبُّ من مُوسى أنْ يدخل على فرعون، ويطلب منه أنْ يُطلق بني إسرائيل من أرضه، ويُجيبه مُوسى: "قائلاً هُو ذا بنو إسرائيل لم يسمعوا قولي، فكيف يسمعني فرعون، وأنا أغلف الشّفتَيْن؟".

ويُفصِّل لنا الإصحاح (7) السّابع كيف أنَّ الأمر الإلهي كان أنَّ هارون هُو الذي كلَّم فرعون ليُطلق بني إسرائيل من أرضه، وكيف أنَّ فرعون سأل مُوسى وهارون أنْ يأتياه بأعجُوبة، فَطَرَحَ هارون عصاه أمام فرعون وعبيده، فصارت ثُعباناً، فدعا فرعون الحُكَمَاء والسَّحَرَةَ، فَفَعَلُوا بسحْرهم كذلك، إلاَّ أنَّ عصا هارون ابتلعت عصيهم. واشتدَّ قلب فرعون غُلظة، فقال الرَّبُّ لِمُوسى: إنَّ قلب فرعون غليظ، وقد أبى أنْ يُطْلق الشّعب، فاذهبْ إليه في الصّباح، وأَنْذِرْهُ، بأنَّ الرَّبَّ سيضرب العصا التي بيدي على الماء الذي في النّهر فيتحوَّل دماً، ويموت السّمك الذي في النّهر، فيعاف المصريُّون أنْ يشربوا من ماء النّهر. وَفَعَلَ مُوسى ذلك،

وَطَلَبَ من أخيه هارون كما أمره الرَّبُّ أنْ يضرب الماء الذي في النّهر أمام عينَيْ فرعون وعبيده، فتحوّل الماء دماً، ومات كُلُّ السّمك الذي في النّهر، ولكنَّ فرعون لم يُطْلق - أيضاً - شعب بني إسرائيل، ولم يَلِنْ قلبه.

الإصحاحات (8 - 9 - 10):

ولمَّا كملت سبعة أيَّام بعدما ضرب الرَّبُّ النّهر "قال الرَّبُّ لموسى: ادخلْ إلى فرعون، وقُل له: هكذا يقول الرَّبُّ أَطْلق شعبي ليعبدوني، وإنْ كُنتَ تأبى أنْ تُطْلقهم فها أنا أضرب جميع تُخُومك بالضّفادع". "ثُمَّ قال الرَّبُّ لموسى: قُلْ لهارون مُدَّ يدكَ بعصاكَ على الأنهار والسَّواقي والآجام، وأُصعِد الضّفادع على أرض مصر". "فدعا فرعون مُوسى وهارون، وقال: صلِّيا للرَّبِّ ليرفع الضّفادع عنِّي، وعن شعبي، فأطْلق الشّعب ليذبح للرَّبِّ". "وصرخ مُوسى إلى الرَّبِّ من أجل الضّفادع التي جَعَلَهَا على فرعون، فَفَعَلَ الرَّبُّ كَقول مُوسى". وَحَصَلَ فرعون على ما يُريد، وغلظ قلبه، ولم يُنفِّذ ما وَعَدَ به، "ثُمَّ قال الرَّبُّ لموسى: قُلْ لهارون مُدَّ عصاكَ، واضربْ تُراب الأرض ليصير بعوضاً في جميع أرض مصر". وَفَعَلَ هارون، وتحوَّل التُّراب إلى بعوض، ولم يستطع سَحَرَةُ فرعون من التَّخلُّص من البعوض، وقالوا لفرعون: هذا إصبع الله، ولكنَّ فرعون اشتدَّ قلبه غُلظة. وكلَّم الرَّبُّ مُوسى، وَطَلَبَ منه أنْ يذهب صباحاً إلى فرعون، ويطلب منه أنْ يُطْلق شعب بني إسرائيل، وإنْ لم يُطْلقه فسيرسل الله عليه وعلى عبيده وشعبه (الذّبّان). ولمَّا امتلأت أرض مصر من (الذّبّان)"دعا فرعون مُوسى وهارون، وقال لهما: اذهبوا واذبحوا لإلهكم في هذه الأرض". "وصلَّى مُوسى للرَّبِّ، فاستجاب له، وارتفع (الذّبّان) عن فرعون وعبيده وشعبه، ولكنْ؛ أغلظ فرعون قلبه هذه المرَّة أيضاً، ولم يُطْلق الشّعب".

وتكرَّر المُحاولة مع فرعون في الإصحاح (9) التّاسع "ثُمَّ قال الرَّبُّ لموسى: ادخلْ إلى فرعون هكذا يقول الرَّبُّ إله العبرانيِّين: أَطْلق شعبي ليعبدوني؛ فإنَّه إنْ كُنتَ تأبى أنْ تُطْلقهم وكُنتَ تُمسكهم، فها يد الرَّبِّ تكون على مواشيكَ التي في الحقل، على الخيل والحمير والجمال والبقر والغنم وباءً ثقيلاً جداً" "وعيَّن الرَّبُّ وقتاً قائلاً: غداً يفعل الرَّبُّ هذا الأمر في

الأرض". "فَفَعَلَ الرَّبُّ هذا الأمر في الغد، فماتت جميع مواشي المصريِّين، أمَّا مواشي بني إسرائيل؛ فلم يمت منهم ولا واحد". وأيضاً؛ غلظ قلب فرعون، فلم يُطْلق الشّعب.

"ثُمَّ قال الرَّبُّ لُموسى وهارون: خُذا ملء أيديكما من رماد الأتون، وليذره مُوسى نحو السّماء أمام عينَيْ فرعون ليصير غُباراً على كُلِّ أرض مصر، فيصير على النّاس وعلى البهائم دمامل ببثور في كُلِّ أرض مصر". وَفَعَلَ مُوسى ما أمره الرَّبُّ، ولكنْ؛ شدَّد الرَّبُّ قلب فرعون، فلم يسمع لهما. ثُمَّ قال الرَّبُّ لُموسى بأنْ يذهب إلى فرعون، ويقول له: "يقول الرَّبُّ إله العبرانيِّين: أَطْلق شعبي ليعبدوني؛ لأنِّي هذه المرَّة أُرسل جميع ضرباتي إلى قلبكَ، وعلى عبيدكَ وشعبكَ، لكي تعرف أنْ ليس مثلي في كُلِّ الأرض". "ها أنا غداً - مثل الآن - أُمطر بَرَدَاً عظيماً جداً لم يكن مثله في مصر مُنْذُ يوم تأسيسها إلى الآن". "ثُمَّ قال الرَّبُّ لُموسى: مُدَّ يدكَ نحو السّماء ليكون بَرَدٌ في كُلِّ أرض مصر". "فَمَدَّ مُوسى عصاه نحو السّماء، فأعطى الرَّبُّ رُعُوداً وبَرَدَاً، وَجَرَتْ نارٌ على الأرض إلاَّ أرض جاسان؛ حيثُ كان بنو إسرائيل، فلم يكن فيها بَرَد".

"فأرسل فرعون، ودعا مُوسى وهارون، وقال لهما: أخطأتُ هذه المرَّة". "صلِّيا إلى الرَّبِّ، وكفى حُدُوث رُعُود الله، فأُطْلقكم". فدعا مُوسى ربَّه، فانقطعت الرُّعُود والبَرَد والمطر، ولكنَّ فرعون لمَّا رأى ذلك، عاد، واشتدَّ قلبه، فلم يُطْلق بني إسرائيل. ويُحدِّثنا الإصحاح (10) العاشر عن المُحاولة التّاسعة التي يُجريها الرَّبُّ مع فرعون لإقناعه بقُدرته ورغبته في إطلاق بني إسرائيل. فبعد أنْ أراه بواسطة نبيِّه مُوسى مُعجزاته الثّمانية: العصا التي تنقلب إلى ثُعبان، وتحويل مياه النّهر إلى دم، وإطلاق الضّفادع على سُكَّان الأرض، ثُمَّ إطلاق البعوض، ثُمَّ الذُّبَّان، ثُمَّ الوباء الذي يُصيب المواشي، ثُمَّ رماد الأتون الذي ينقلب إلى دمامل تُصيب البشر والحيوان، ثُمَّ إرسال البَرَد والمطر. وتأتي المُحاولة التّاسعة، وفيها يُهدِّد مُوسى فرعونَ بإرسال الجراد على أرض مصر إنْ رَفَضَ أنْ يُطْلق بني إسرائيل. ويرفض فرعونُ التّهديدَ، ويمدُّ مُوسى عصاه، فيصعد الجراد على أرض مصر، ويأكل جميع عشب الأرض، ويُسارع فرعونُ - مرَّة أُخرى - إلى مُوسى وهارون ليطلب منهما أنْ يُصلِّيا إلى إلههما

كي يرفع عن شعبه هذا الموت. ويُصلِّي مُوسى وهارون للرَّبِّ، ويستجيب الرَّبُّ لصلاتهما، ويُبعد الجرادَ عن مصر، ولكنَّ فرعون يتشدَّد قلبه، ولا يُطْلق بني إسرائيل.

ويدعو الرَّبُّ مُوسى أنْ يمدَّ يده للسّماء لتُصبح أرض مصر مُظلمة لمُدَّة ثلاثة أيَّام ما عدا بني إسرائيل، فقد كان لهم نُور في مساكنهم. ويطلب فرعون من مُوسى أنْ يذهب ويعبد ربَّه ويُهدِّد فرعون مُوسى قائلاً له: "إنَّكَ يوم ترى وجهي تموت". وأصرَّ على عدم إطلاق شعب بني إسرائيل.

الإصحاحان (11 ـ 12):

ويأتي الإصحاح (11) الحادي عشر ليُحدِّثنا عن وعد الله لمُوسى بأنَّ فرعون سوف يُطْلق بني إسرائيل، ويطلب منه أنْ يسأل كُلَّ رجل من صاحبه، وكُلَّ امرأة من صاحبتها أمتعة فضَّة وأمتعة ذهب، وقال مُوسى: هكذا يقول الرَّبُّ أنِّي لم يكن مثله، ولا يكون مثله أيضاً. " نحو نصف اللّيل اخرجْ في وسط مصر، فيموت كُلُّ بكْر في أرض مصر من بكْر فرعون الجالس على كُرسيِّه إلى بكْر الجارية التي خلف الرّحى، وكُلُّ بكْر بهيمة، ويكون صراخ عظيم في كُلِّ أرض مصر". ثُمَّ يُحدِّد الإصحاح (12) الثّاني عشر موعد الفصح والإجراءات الواجب اتِّخاذها في هذا العيد، وَطَلَبَ الرَّبُّ من شعب بني إسرائيل أنْ يضعوا دماً علامة على بيُوتهم، لكي لا ينالهم أيُّ هلاك عندما يضرب الرَّبُّ أرض مصر في نصف اللّيل كما وَعَدَ في الإصحاح السّابق، وكان صراخ في كُلِّ بيت؛ لأنَّه لم يكن بيت ليس فيه ميِّت. ويدعو فرعون مُوسى وهارون، ويطلب منهما أنْ يخرجا مع شعبهم ومواشيهم، ويذهبوا إلى الرَّبِّ ليعبدوه، فيخرج بنو إسرائيل من أرض مصر بعد أنْ مكثوا فيها أربعمئة وثلاثين (430) سنة.

الإصحاحات (13 ـ 14 ـ 15):

يتحدَّث الإصحاح (13) الثّالث عشر عن طَلَب الرَّبِّ من مُوسى أنْ يُعلِّم بني إسرائيل ضرورة تقديس هذا اليوم الذي خرج الشّعب فيه من مصر من بيت العُبُوديَّة، وكيف أنَّ يد الله القويَّة هي التي أخرجتْهُم بعد أنْ قَتَلَ الله كُلَّ بكْر في أرض مصر؛ من بكْر النّاس إلى بكْر البهائم: "فإنَّه بيد قويَّة أخرجكم الرَّبُّ من هُنا". ويتحدَّث الإصحاح ـ أيضاً ـ عن تنفيذ وصيَّة

يُوسُف عليه السلام بأنْ يأخذ بنو إسرائيل عظامه عندما ينتقلون لأرض الكنعانيِّين. "وكان الرَّبُّ يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب، ليهديهم في الطّريق، وليلاً في عمود نار ليُضيء لهم". أمَّا الإصحاح (14) الرّابع عشر؛ فيُحدِّثنا عن أنَّ الرَّبَّ كلَّم مُوسى طالباً منه أنْ يأمر شعب إسرائيل بأنْ ينزلوا في مكان مُعيَّن" أمام فم الحيروت بين مجدل والبحر، أمام بعل صفون، "ليُوحي إلى فرعون" أنَّ بني إسرائيل مُرتبكون في الأرض" "فيشدِّد قلب فرعون كي يسعى وراءهم فأتمجَّد بفرعون، وبجميع جيشه، ويعرف المصريُّون أنِّي أنا الرَّبُّ".

وعندما علم فرعون أنَّ بني إسرائيل قد هربوا تغيَّر قلبه، وندم على إطلاقهم، وعزم على إدراكهم، وشدَّد الرَّبُّ قلب فرعون حتَّى أدركهم عند شاطئ البحر، وعندما شعر بنو إسرائيل بقُدُوم المصريِّين فزعوا: " وقالوا لمُوسى: هل لأنَّه ليست قُبُور في مصر أخذتَنَا لنموت في البريَّة. ماذا صنعتَ بنا حتَّى أخرجتَنَا من مصر؟. أ ليس هُو الكلام الذي كلَّمناكَ به في مصر قائلين كُفَّ عنَّا فنخدم المصريِّين، لأنَّه خير لنا أنْ نخدم المصريِّين من أنْ نموت في البريَّة". وقال مُوسى للشّعب: "لا تخافوا. الرَّبُّ يُقاتل عنكم، وأنتم تصمتون". وكلَّم الرَّبُّ مُوسى "ارفعْ عصاكَ، ومُدَّ يدكَ على البحر، وشُقَّه، فيدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة، وها أنا أُشدِّد قُلُوب المصريِّين حتَّى يدخلوا وراءهم، فأتمجَّد بفرعون وكُلّ جيشه بمركباته وفُرسانه، فيعرف المصريُّون أنِّي أنا الرَّبُّ". وَفَعَلَ مُوسى ما أمره الرَّبُّ، وانشقَّ ماء البحر، وَجَعَلَ الرَّبُّ البحرَ يابسة، ودخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم، وتبعهم المصريُّون، ودخلوا وراءهم. "وقال الرَّبُّ لمُوسى: مُدَّ يدكَ على البحر ليرجع الماء على المصريِّين على مركباتهم وفُرسانهم، فَمَدَّ مُوسى يدَهُ، ورجع البحر إلى حاله الدّائمة" " فرجع الماء، وغطَّى مركبات وفُرسان جميع جيش فرعون". وأمَّا بنو إسرائيل؛ فخلَّصهم الرَّبُّ في ذلك اليوم من يد المصريِّين. ويبدأ الإصحاح (15) الخامس عشر بالتّرنيمة التي رنَّمها بنو إسرائيل شُكراً للرَّبِّ. وتُطالعنا عبارات تُثير الانتباه في هذه التّرنيمة منها: الرَّبُّ رجل الحرب، مَنْ مثلكَ بين الآلهة، يا ربُّ؟، تُرشد برأفتكَ الشّعبَ الذي فديتهُ، تهديه بقُوَّتكَ إلى مسكن قُدسكَ، يسمع الشُّعُوب فيرتعدون، تأخذ الرّعدة سُكَّان فلسطين، حينئذ يندهش أُمراء أدُوم، أقوياء مُوآب، تأخذهم الرّجفة، يذوب جميع سُكَّان كنعان، تقع

عليهم الهيبة والرُّعب، بعَظَمَة ذراعكَ يصمتون كالحجر، حتَّى يعبر شعبكَ، يا ربُّ، حتَّى يعبر الشّعب الذي اقتنيتَهُ. ثُمَّ ارتحل مُوسى بني إسرائيل من بحر سوف، وخرجوا إلى بريّة شور، وساروا ثلاثة أيَّام في البريَّة، ولم يجدوا ماءً، فتذمَّر الشّعب على مُوسى، فأراه الله شجرةً، فطَرَحَهَا في الماء المُرِّ، فصارت عذبة.

الإصحاحات (16 ـ 17 ـ 18):

يتحدَّث الإصحاح (16) السّادس عشر عن تذمُّر بني إسرائيل بعد شهرَيْن من خُرُوجهم من أرض مصر بسبب قلَّة الطّعام والجُوع. فقال الرَّبُّ لمُوسى: "أنا أُمطر عليهم خُبزاً من السّماء، فيخرج الشّعب، ويلتقطون حاجة اليوم بيومها، لكي أمتحنهم: أ يسلكون في ناموسي أم لا؟". وأعلَمَ مُوسى قومَهُ بأنَّ الله سيُعطيهم خُبزاً صباحاً، ولحماً مساءً؛ لأنَّ الرَّبَّ سمع تذمُّرهم. وَطَلَبَ مُوسى أنْ لا يُبق أحد من الطّعام إلى الصّباح، ولكنَّ البعض لم يسمع لكلام مُوسى، فأنتن الطّعام، فغضب مُوسى. وفي اليوم السّادس أخذ كُلُّ واحد أكثر من حاجته اليوميَّة، خلافاً لما أوصاهم به مُوسى. ولكنَّ مُوسى أخبرهم بأنَّ الرَّبَّ قال ذلك لأنَّ غداً عُطلة سبت مُقدَّس للرَّبِّ، وأطلَقُوا على هذا الطّعام اسم (المنّ). ويُتمِّم الإصحاح (17) السّابع عشر "ثُمَّ ارتحل الشّعب إلى رفيديم، ولكنْ؛ لم يجدوا هُناك ماء" فخاصم الشّعب مُوسى، وقالوا له: لماذا أصْعَدْتَنَا من مصر؟ لتُميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش. فصرخ مُوسى إلى الرَّبِّ قائلاً: ماذا أفعل بهذا الشّعب. بعد قليل يرجمونني. فقال الرَّبُّ لمُوسى: مُرَّ قُدَّام الشّعب، وخُذْ من شُيُوخ إسرائيل وعصاكَ الذي ضربتَ بها النّهر، خُذها في يدكَ، واذهبْ، ها أنا واقف أمامكَ على الصّخرة في حوريب، فتضرب الصّخرة، فيخرج منها ماء، ليشرب الشّعب".

ويأتي عماليق ويُحارب إسرائيل في رفيديم، ويأمر مُوسى يشوع بمُحاربة عماليق، ويهزم يشوع عماليق وقومه. وأمَّا الإصحاح (18) الثّامن عشر؛ فإنَّه ينقل لنا أحداث انتصار مُوسى، وكيف أنَّ يثرون كاهن مديان حمو مُوسى قد أحضر لمُوسى امرأته صفورة وابنَيْه جرشوم وأليعازر، وكيف قصَّ مُوسى على حميه ما صَنَعَ الرَّبُّ بفرعون والمصريِّين من أجل إسرائيل، والمشقَّة التي أصابتهم في الطّريق، وكيف خلَّصهم الرَّبُّ منها. "وَحَدَثَ في الغد أنَّ

مُوسى جلس ليقضي للشّعب، فوقف الشّعب عند مُوسى من الصّباح إلى المساء، فلمَّا رأى حمو مُوسى كُلّ ما هُو صانع للشّعب قال: ما هذا الأمر الذي أنتَ صانع للشّعب؟ ما بالكَ جالساً وحدكَ وجميع الشّعب واقف عندكَ من الصّباح إلى المساء؟ ". إنّه" ليس جيِّداً الأمر الذي أنت صانع، إنَّك تكلُّ أنتَ وهذا الشّعب الذي معكَ جميعاً؛ لأنَّ الأمر أعظم منكَ. لا تستطيع أنْ تصنعه وحدكَ". خَفِّفْ عن نفسكَ، وقَدِّمْ أُمناء تُقيمهم عليهم رُؤساء، ويكون لكَ الدّعاوي الكبيرة يجيئون بها إليكَ، وكُلُّ الدّعاوي الصّغيرة يقضون هُم فيها. فسمع مُوسى لصوت حميه، وَفَعَلَ كُلَّ ما قال.

الإصحاح (19) التّاسع عشر:

يُحدِّثنا هذا الإصحاح عن حديث الرَّبِّ مع مُوسى بعد رحيل بني إسرائيل من رفيديم ونُزُولهم في سيناء. " أمَّا مُوسى؛ فصعد إلى الله، فناداه الرَّبُّ من الجبل قائلاً: هكذا تقول لبيت يعقوب، وتُخبر بني إسرائيل. أنتم رأيتُم ما صنعتُ بالمصريِّين، وأنا حملتُكُم على أجنحة النُّسُور، وجئتُ بكم إليَّ. فالآن؛ إنْ سمعتُمْ لصوتي وحفظتُمْ عهدي تكونون لي خاصَّة من بين جميع الشُّعُوب، فإنَّ لي كُلّ الأرض. وأنتم تكونون لي مملكة كَهَنَة وأُمَّة مُقدَّسة. هذه هي الكلمات التي تُكلِّم بها بني إسرائيل". كما يُحدِّثنا الإصحاح عن كيفيَّة نُزُول الرَّبِّ إلى رأس الجبل في سيناء، ومُقابلته لكُلٍّ من مُوسى وهارون، والطَّلَب من مُوسى أنْ يُحذِّر الشّعب من الصُّعُود إلى الجبل لئلاً يبطش الرَّبُّ بهم.

الإصحاحات (20 ـ 21 ـ 22 ـ 23):

تتحدَّث هذه الإصحاحات عن الوصايا التي أوصى الرَّبُّ بها مُوسى، وكُلُّها وصايا تدعو إلى العمل الصّالح: "أكْرِمْ أباك وأُمَّك لكي تطول أيَّامك على الأرض"، "لا تقتلْ. لا تزن. لا تسرق. لا تشهد على قريبكَ شهادة زُور. لا تَشْتَه بيتَ قريبكَ. لا تَشْتَه امرأة قريبكَ، ولا عبدهُ، ولا أَمَتَهُ، ولا ثوره، ولا حماره، ولا شيئاً ممَّا لقريبكَ"، " لا تقبلْ خبراً كاذباً، ولا تضعْ يدكَ مع المُنافقين لتكون شاهد ظُلم. لا تتبع الكثيرين إلى فعل الشَّرِّ. لا تأخذ رشوة؛ لأنَّ الرّشوة تُعمي المُبصرين، وتُعوِّج كلام الأبرار". وتتنوَّع هذه الوصايا لتُصبح أحكاماً دينيَّة تنظم

الإطار العامَّ للحياة الاجتماعيَّة في المُجتمع اليهُودي، وتُبيِّن ـ بتفصيل دقيق ـ السُّلُوكيَّة الواجب اتِّخاذها إزاء كُلِّ مُخالفة شَرْعيَّة.

الإصحاحات (24 ـ 25 ـ 26 ـ 27):

يُحدِّثنا الإصحاح (24) الرَّابع والعشرون عن رُؤية بني إسرائيل للرَّبِّ، فيقول: ثُمَّ إنَّ الرَّبَّ طَلَبَ من مُوسى أنْ يصعد إليه في الجبل ليُعطيه الوحي والحجارة والشَّريعة والوصيَّة التي كَتَبَهَا، وذلك بعد أنْ رأى شُيُوخ بني إسرائيل إلههم "ثُمَّ صعد مُوسى وهارون ونـاداب وأبيهو وسبعون من شُيُوخ بني إسرائيل، ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشَّفَّاف وكذات السَّماء في النَّقاوة، ولكنْ؛ لم يمدَّ يده إلى أشراف بني إسرائيل، فرأوا الله، وأكلوا، وشربوا". أمَّا الإصحاح (25) الخامس والعشرون؛ فيتحدَّث عن صُنع التَّابوت الذي طَلَبَ الله من بني إسرائيل صُنعه ليضع فيه الشَّهادة التي سيُعطيها لمُوسى. ويأتي الإصحاح (26) السَّادس والعشرون ليُبيِّن تفاصيل صناعة غطاء التَّابوت، وخيمة الاجتماع، والألواح المطلوب إعدادها، ونوعيَّة خَشَبها. ثُمَّ يتحدَّث الإصحاح (27) السَّابع والعشرون عن خَشَب المَذْبح، وعن السِّراج الواجب إنارته كَفريضة دَهْريَّة مُتوجِّبة على بني إسرائيل.

الإصحاح (28) الثَّامن والعشرون:

يتحدَّث هذا الإصحاح عن طَلَب الرَّبِّ من مُوسى أنْ يصنع ثياباً مُقدَّسة لأخيه هارون، ويُبيِّن الإصحاح نوعيَّة هذه الثِّياب بالتَّفصيل.

الإصحاحان (29 ـ 30):

يُبيِّن لنا هذان الإصحاحان الذَّبيحة الواجب تقديمها للرَّبِّ لتقديس هارون وبنيه ليكهنوا للرَّبِّ، وطريقة التَّقديم، ونوع الذَّبيحة، وعددها، وكيف يتمُّ الذَّبح، ومكان الذَّبح.

الإصحاحان (31 ـ 32):

في الإصحاح (31) الواحد والثَّلاثين يطلب الرَّبُّ من مُوسى "وأنت تُكلِّم بني إسرائيل قائلاً سُبُوتي تحفظونها؛ لأنَّه علامة بيني وبينكم في أجيالكم، لتعلموا أنِّي أنا الرَّبُّ الذي

يُقدِّسكم، فتحفظون السَّبت؛ لأنَّه مُقدَّس لكم من دنسه يُقتل قتلاً". وفي الإصحاح (32) الثّاني والثّلاثين نُطالع تذمُّر بني إسرائيل من بُطء عودة مُوسى عليه السلام من جبل سيناء حين ذهب للقاء الرَّبِّ، كما أعلمهم سابقاً. وقالوا لهارون: "قُمْ اصنعْ لنا آلهة تسير أمامنا. لأنَّ هذا مُوسى الرّجل الذي أصْعَدَنَا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذّهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم، واءتوني بها. فنزع كُلُّ الشّعب أقراط الذّهب التي في آذانهم، وأتوا بها إلى هارون. فأخذ ذلك من أيديهم، وصوَّره بالإزميل، وَصَنَعَهُ عجلاً مسبوكاً. فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر". ويسرد لنا الإصحاح - أيضاً - كيف غضب الرَّبُّ على شعب بني إسرائيل بسبب عبادتهم للعجل المسبوك من الذّهب، وأراد الرَّبُّ أنْ يبطش بهم، إلاَّ أنَّ مُوسى عليه السلام يتضرَّع إلى الرَّبِّ، ويُهدِّئ من غضبه "فندم الرَّبُّ على الشَّرِّ الذي قال إنَّه يفعله بشعبه". ويعود مُوسى إلى شعبه حاملاً اللَّوحَيْن المكتوبَيْن بيد الرَّبِّ" واللَّوحان هُما صنعة الله، والكتابة كتابة الله منقوشة على اللَّوحَيْن".

ويُعاتب مُوسى هارون لصُنعه العجل، ويُنادي في النّاس "مَنْ للرَّبِّ فإليَّ؟ فاجتمع إليه جميع بني لاوي". ويطلب مُوسى منهم "ضعوا كُلّ واحد سيفه على فخذه، ومرُّوا، وارجعوا من باب إلى باب في المحلَّة، واقتلوا كُلُّ واحد أخاه، وكُلُّ واحد صاحبه، وكُلُّ واحد قريبه" "فوقع من الشّعب في ذلك اليوم ثلاثة آلاف رجل". ثُمَّ يذهب مُوسى إلى الرَّبِّ يسأله المغفرة لشعبه.

الإصحاحات (33 - 34 - 35):

يتحدَّث الإصحاح (33) الثّالث والثّلاثون عن خيمة الاجتماع التي نصبها مُوسى، والتي كان الرَّبُّ يُكلِّم فيها مُوسى" ويُكلِّم الرَّبُّ مُوسى وجهاً لوجه كما يُكلِّم الرّجل صاحبه" ولكنْ؛ في نهاية الإصحاح؛ يُوضِّح لنا أنَّ الرَّبَّ يُخاطب مُوسى قائلاً: "وقال: لا تقدرُ أنْ ترى وجهي لأنَّ الإنسان لا يراني ويعيش". ويتحدَّث الإصحاح (34) الرّابع والثّلاثون عن استرحام مُوسى للرَّبِّ عن أخطاء شعبه، ووعد الرَّبّ لمُوسى عليه السلام بطرد الآموريِّين والكنعانيِّين والحثِّيِّين والفرزيِّين والحويِّين واليبوسيِّين، وطلبه منه" احترزْ أنْ تقطع عهداً مع سُكَّان الأرض التي أنت آت إليها لئلاً يصيروا فخّاً في وسطكَ. بل تهدمون مذابحهم، وتكسرون أنصابهم، وتقطعون سواريهم" "لا تصنعْ لنفسكَ آلهة مسبوكة". أمَّا الإصحاح (35) الخامس والثّلاثون؛ فيذكر لنا

كيف أنَّ مُوسى جَمَعَ بني إسرائيل، وأخبرهم بالكلمات التي أمره الله بها، والتّقدمة التي يجب أنْ يُقدِّمها كُلٌّ منهم للرَّبِّ.

الإصحاحات (36 ـ 37 ـ 38 ـ 39 ـ 40):

يصف الإصحاح (36) السّادس والثّلاثون كيف سارع كُلُّ رجل حكيم القلب من بني إسرائيل تنفيذ ما طَلَبَهُ مُوسى. أمَّا باقي الإصحاحات؛ فتتحدَّث كيف صَنَعَ بصلئيل بن اوري بن حور (من سبط يهُوذا) التّابوت، ومذبح المحرقة، ومُواصفات أستار التّابوت، ونوع خَشَبه، والثِّياب المنسوجة والمُقدَّسة لهارون، وخيمة الاجتماع، والسُّرُوج الواجب إقامتها حول التّابوت، وغير ذلك من التّفاصيل الدّقيقة لهذه الأعمال.

سفْر اللاَّويين 'الأحبار': Book of Levitieus (LE):

يتحدَّث هذا السِّفْر الذي يقع في (27) سبع وعشرين إصحاحاً عن التّعاليم الخاصَّة بالحياة الدِّينيَّة والطُّقُوس الكَهَنُوتيَّة، ويروي كيف أنَّ مهمَّة الكَهَانَة قد أُوكلت إلى سبْط لاوي ابن يعقوب، وهي القبيلة التي ينتمي إليها مُوسى وهارون.

الإصحاحات (1 ـ 2 ـ 3 ـ 4 ـ 5):

تُحدِّثنا هذه الإصحاحات الخمسة عن كيفيَّة تقديم القرابين للرَّبِّ، ونوعيَّة القرابين المقبولة، والإجراءات الواجب اتِّباعها، وذلك حسب نوعيَّة القُربان. وعن الأخطاء التي قد ترتكبها النَّفْس سهواً، وكيف يتمُّ الاستغفار عن مُرتكبيها.

الإصحاحات (6 ـ 7 ـ 8 ـ 9 ـ 10):

يتوالى في هذه الإصحاحات الحديث عن أخطاء الإنسان بحقِّ الرَّبِّ، أو بحقِّ الآخرين، والقرابين والذّبائح المطلوب تقديمها، وطريقة التّقديم، وما هُو المنهي عنه، والمطلوب تجنُّبه لسلامة الذّبيحة من كُلِّ عيب. وتُفصِّل الإصحاحات الأُمُور الواجب تجنُّبها عند تقديم الذّبيحة. وفي الإصحاح (10) العاشر تُطالعنا قصَّة ابنَيْ هارون ناداب وأبيهو كيف "قرَّبا أمام الرَّبِّ ناراً غريبة لم يأمرهما بها، فخرجت نار من عند الرَّبِّ، وأكلتهما، فماتا أمام الرَّبِّ".

الإصحاحات (11 ـ 12 ـ 13 ـ 14 ـ 15):

تتحدَّث هذه الإصحاحات ـ أوَّلاً ـ عن الحيوانات التي أحلَّ الرَّبُّ لبني إسرائيل أكْلَهَا: "هذه الحيوانات التي تأكلونها من جميع البهائم التي على الأرض. كُلُّ ما شقَّ ظلفا، وقسمه ظلفَيْن، ويجترُّ من البهائم فإيَّاه تأكلون"، "كُلُّ ما له زعانف وحرشف في المياه في البحار وفي الأنهار فإيَّاه تأكلون". ويُورد الإصحاح (11) الحادي عشر كُلَّ أنواع الحيوانات والطّير التي يُسمَح لبني إسرائيل أكلها، وكذلك التي لا يجوز لهم أكْلها. ويتحدَّث الإصحاح (12) الثّاني عشر عن حَبَل المرأة، واعتبارها نجسة لا يجوز الاقتراب منها لُمدَّة سبعة أيَّام إذا ولدت ذَكَراً، وأُسبُوعَيْن إذا ولدت بنتاً، والواجب المفروض عليها لتطهيرها، وهُو تقديم خروف حولي وفرخ حمامة ذبيحة للرَّبِّ ليُكفِّر عنها. "وإنْ لم تنلْ يدها كفاية لشاة تأخذ يمامتَيْن". أمَّا الإصحاح (13) الثّالث عشر؛ فإنَّه يُبيِّن كيف يُعالج الكاهن الإنسان المُصاب بضربة برص بجسده، ويسترسل في تفاصيل المُعالجة حسب الإصابة ومكانها. ويتحدَّث الإصحاح (14) الرّابع عشر باستفاضة ـ أيضاً ـ عن الإجراءات الواجب على الكاهن اتِّخاذها إزاء المُصاب بالبرص، وعند براءة المريض منه. كما يُبيِّن لنا الإجراء الذي يجب اتِّخاذه في حالة المريض بالقرع، وكيف يتمُّ التَّطهُّر من هذَيْن المَرَضَيْن. أمَّا الإصحاح (15) الخامس عشر؛ فإنَّه يبحث في أحكام مرض السّيل: "كُلُّ رجل يكون له سيل من لحمه فَسيله نجس"، "وإذا كانت امرأة ولها سيل، وكان سيلها دماً في لحمها فسبعة أيَّام تكون في طمثها، وكُلُّ مَنْ مسَّها يكون نجساً إلى المساء" (اللاَّويين: 15 / 19). ويُفصِّل هذا الإصحاح حالات هذا المرض، وكيفيَّة التَّطهُّر منه.

الإصحاحات (16 ـ 17 ـ 18):

يتحدَّث الإصحاحان (16) السّادس عشر و (17) السّابع عشر عن طَلَب الرَّبِّ من مُوسى أنْ يُكلِّم أخاه هارون عن ضرورة تقديم ذبيحة للرَّبِّ "ويُكفِّر عن نفسه وعن بيته" وذبيحة للتّكفير عن بني إسرائيل "عن القُدْس من نجاسات بني إسرائيل ومن سيِّئاتهم مع كُلِّ خطاياهم". أمَّا الإصحاح (18) الثّامن عشر؛ فإنَّه يتحدَّث عن الأوامر والنَّواهي التي أمر الرَّبُّ بني إسرائيل بها، وهي ـ في الواقع ـ وصايا يطلب الرَّبُّ اتِّباعها لتطهير الذّات وإبعاد النَّفْس

البشريَّة عن كُلِّ الخطايا والذُّنُوب والانحرافات" لا تجعلْ مع امرأة صاحبكَ مضجعكَ لزرع، فتتنجَّس بها، ولا تُعط من زرعكَ للإجازة لمولكَ لئلاَّ تُدنِّس اسم إلهكَ أنا الرَّبُّ. ولا تُضاجعْ ذَكَراً مُضاجعة امرأة؛ إنَّه رجس".

الإصحاحات (19 ـ 20 ـ 21 ـ 22 ـ 23 ـ 24 ـ 25):

فالإصحاح (19) التَّاسع عشر يتحدَّث عن أوامر الرَّبِّ فيما يتعلَّق بحصيلة الحصاد، وحصَّة المسكين والغريب منه، والنَّهي عن السَّرقة، والكذب، والغدر، واليمين الكاذبة، والوشاية، والبُغض، والانتقام، والزِّنا، وتعريض البنات لارتكاب الرَّذيلة، وكذلك ارتكاب الجور في القضاء، أو في الوزن، أو في الكيل، وغير ذلك من الفرائض، ثُمَّ النَّهي عن الالتفات إلى الجان، وعن شتم الوالدَيْن. ويُبيِّن الإصحاح (20) العشرون الأحكام الشَّرْعيَّة في حال الزِّنا مع الأقارب (امرأة الأب ـ الكنَّة ـ المرأة وأُمّها. .). وكذلك الأحكام في حال الزِّنا مع ذَكَر مثله، أو بهيمة، وغير ذلك من الأُمُور المُحرَّمة المُتعلِّقة بمُوضُوع الزِّنا والعلاقات الجنسيَّة المُحرَّمة. ويتعرَّض الإصحاح (21) الحادي والعشرون إلى الكاهن الأعظم، ومَنْ من الزَّوجات يجب أنْ يتزوَّج " هذا يأخذ امرأة عذراء. أمَّا الأرملة والمُطلَّقة والمُدنَّسة والزَّانية؛ فمن هؤلاء لا يأخذ، بل يتَّخذ عذراء من قومه امرأة". أمَّا الإصحاح (22) الثَّاني والعشرون؛ فهُو عبارة عن أمر إلهي لبني إسرائيل أنْ يتحرّوا الطَّهارة عند الاقتراب من أقداس الرَّبِّ" وكلَّم الرَّبُّ مُوسى قائلاً: كلِّمْ هارون وبنيه أنْ يتَوَقوا أقداس بني إسرائيل التي يُقدِّسونها، ولا يُدنِّسوا اسمي القدّوس، أنا الرَّبُّ". وكذلك أنْ يتحرَّوا عدم وُجُود أيّ عيب في الذّبيحة التي يُقدِّمونها للرَّبِّ. ويُذكِّر الإصحاح (23) الثَّالث والعشرون بني إسرائيل بعدم العمل في اليوم السَّابع " وأمَّا اليوم السَّابع؛ ففيه سبت عُطلة محفل مُقدَّس. عملاً ما لا تعملوا، إنَّه سبت للرَّبِّ في جميع مساكنكم". ثُمَّ يُذكِّر كيف طَلَبَ الرَّبُّ من مُوسى أنْ يُبيِّن لهم مراسم المحافل المُقدَّسة التي يجب تقديسها والاحتفال بها. وطلب الرَّبّ من مُوسى في الإصحاح (24) الرَّابع والعشرين أنْ يُوصي بني إسرائيل زيت زيتون نقي لإيقاد السَّرج بشكل دائم " خارج حجاب الشَّهادة في خيمة الاجتماع". ويعود الإصحاح (25) الخامس والعشرون ليطلب الرَّبُّ من مُوسى أنْ يقول لبني إسرائيل أنَّ الله يأمركم بأنْ تزرعوا أرضكم ستَّة سنين مُتوالية " وأمَّا السَّنة

السّابعة؛ ففيها يكون للأرض سبت عُطلة سبت للرَّبِّ، لا تزرعْ حقلكَ، ولا تقضب كرمكَ، "والأرض لا تُباع بتَّة؛ لأنَّ لي الأرض، وأنتم غُرباء ونُزلاء عندي". ثُمَّ يُحدِّثنا الإصحاح المذكور عن الواجب الذي فَرَضَهُ الله على بني إسرائيل "وإذا افتقر أخوكَ، وقصرتْ يده عندكَ، فأعضده غريباً أو مُستوطناً فيعيش معكَ، لا تأخذْ منه ربحاً، ولا مُرابحة".

الإصحاحان (26 ـ 27):

يتضمَّن الإصحاح (26) السّادس والعشرون بعض الوصايا، ويتحدَّث عن النّتائج المرجوَّة من اتِّباعها "لا تصنعوا لكم أوثاناً. ولا تُقيموا لكم تمثالاً منحوتاً، أو نصباً، ولا تجعلوا في أرضكم حجراً مُصوَّراً لتسجدوا له؛ لأنِّي أنا الرَّبُّ إلهكم" "إذا سلكتُم في فرائضي، وحفظتُم وصاياي، وعملتُم بها، أُعطي مطركم في حينه، وتُعطي الأرض غلَّتها، وتُعطي أشجار الحقل أثمارها". وفيه كذلك النّتائج المُتوقَّعة من عدم الالتزام بهذه الوصايا. أمَّا الإصحاح (27) السّابع والعشرون؛ فإنَّه يتحدَّث عن تقييم القرابين المُقدَّمة للرَّبِّ، وأحكام التّقييم لكُلِّ نوع من أنواع القرابين.

سفْر العدد Book of Numbers (Nu):

ويقع هذا السِّفْر في (36) ستَّة وثلاثين إصحاحاً، ويرد فيه إحصاء عدد بني إسرائيل الذين كانوا مع مُوسى في الصّحراء، كما يتحدَّث عن عدد القرابين والذّبائح المطلوب تقديمها للرَّبِّ، وفيه ـ أيضاً ـ قصَّة الانحراف الذي واجهه مُوسى في شعبه.

الإصحاحات (1 ـ 2 ـ 3 ـ 4):

يتحدَّث الإصحاح (1) الأوَّل عن طلب الرَّبّ من مُوسى إحصاء بني إسرائيل، وتكليف كُلّ واحد منهم يبلغ العشرين سنة وما فوق أنْ يخرج للحرب، وتسمية رجل لكُلّ سبْط منهم. وحدَّد الإصحاح عدد كُلّ رهط الذين تزيد أعمارهم عن العشرين سنة على الشّكل التّالي:

1 ـ بنو رأوبين	46500.
2 ـ بنو شمعون	59300.

3 ـ بنو جاد	45650 .
4 ـ بنو يهُوذا	74600 .
5 ـ بنو يسّاكر	54400 .
6 ـ بنو زويولون	57400 .
7 ـ بنو يُوسُف بنو أفراييم	40500 .
8 ـ بنو منسّى	32200 .
9 ـ بنو بنيامين	35400 .
10 ـ بنو دان	62700 .
11 ـ بنو آشير	41500 .
12 ـ بنو نفتالي	53400 .

" وكان جميع المعدودين ستّ مائة ألف وثلاثة آلاف وخمس مائة وخمسين " . أمّا الإصحاح (2) الثّاني ؛ فيُحدِّثنا عن الأماكن التي حدَّدها الرَّبُّ لهؤلاء الأسباط . وأمّا الإصحاح (3) الثّالث ؛ فيُعدِّد لنا أسماء بني هارون وبني لاوي وعددهم . والإصحاح (4) الرّابع يُتمِّم التّعداد ، ويُبيِّن مهمَّة كُلّ فرع في خدمة خيمة الاجتماع .

الإصحاحات (5 ـ 6 ـ 7 ـ 8):

يتحدَّث الإصحاح (5) الخامس عن أنَّ الرَّبَّ طَلَبَ من مُوسى أنْ يطلب من بني إسرائيل " أنْ ينفوا من المحلَّة كُلَّ أبرص وكُلَّ ذي سيل وكُلَّ مُتنجِّس لميِّت الذَّكَر والأُنثى تنفون إلى خارج المحلَّة . تنفونهم لكيلا يُنجِّسوا محلاَّتهم ؛ حيثُ أنا ساكن في وسطهم " . ويسترسل الإصحاح في سرد الأوامر التي كلَّف الرَّبُّ بني إسرائيل بها ، والتي تدور حول الخيانة في المُعاملات ، والخيانة الزَّوجيَّة ، والطُّقُوس الواجب اتِّباعها للتّطهير من هذه الخيانات . أمّا الإصحاح (6) السّادس ؛ فيُحدِّثنا عن النَّذْر الذي يُقدَّم للرَّبِّ ، ونوعيَّة النَّذْر المطلوب تقديمها ، وطُقُوس

التّقديم أمام خيمة الاجتماع. والإصحاح (7) السّابع يتحدَّث عن تقديم رُؤساء الأسباط القرابين للرَّبِّ، وأسماء الذين قدَّموا هذه القرابين، وما احتواه كُلُّ قُربان. وأمَّا الإصحاح (8) الثّامن؛ فيُبيِّن لنا كيف أخذ مُوسى اللاَّويِّين من بني إسرائيل، وطهَّرهم بناءً على طَلَب الرَّبِّ.

الإصحاحات (9 ـ 10 ـ 11 ـ 12):

الإصحاح التّاسع (9) يتحدَّث عن الفصح وموعده وضرورة الاحتفال به. أمَّا الإصحاح (10) العاشر؛ فيتكلَّم عن طَلَب الرَّبِّ من مُوسى صُنع بُوقَيْن من فضَّة، وذلك لدعوة النّاس، وبيَّن أنَّ النَّفْخ في البُوقَيْن إشارة لدعوة الجماعة، والنَّفْخَ في البُوق الواحد لدعوة الرُّؤساء. أمَّا الإصحاح (11) الحادي عشر؛ فيتحدَّث عن مَلَل بني إسرائيل من أَكْل المنّ: "وكان طعمه كَطَعم قطائف بزيت" وأنَّهم يرغبون بأَكْل اللّحم "والآن قد يبست أنفسنا ليس شيء غير أنَّ أعيننا إلى هذا المنّ" وكيف أنَّ مُوسى خاطب الرَّبَّ بذلك "من أين لي لحم حتَّى أُعطي جميع هذا الشّعب. لأنَّهم يبكون عليَّ قائلين: أَعْطِنَا لحماً لنأكلَ"، ثُمَّ كيف أنَّ الرَّبَّ أرسل ريحاً ساقت سلوى من البحر، ثُمَّ كيف "غضب الرَّبُّ على الشّعب، وضرب الرَّبُّ الشّعبَ ضربة عظيمة". وينقل لنا الإصحاح (12) الثّاني عشر عتاب الرَّبِّ لكُلٍّ من هارون ومريم لتَكلُّمهما بسُوء على مُوسى، وكيف أنَّ الرَّبَّ غضب على مريم، وَجَعَلَهَا برصاء.

الإصحاحات (13 ـ 14 ـ 15 ـ 16):

في الإصحاح (13) الثّالث عشر نجد أنَّ الرَّبَّ طَلَبَ من مُوسى إرسال مَنْ يتجسَّس على أرض كنعان التي سوف يُعطيها لبني إسرائيل "رجلاً واحداً لكُلّ سبْط من آبائه تُرسلون"، وكيف عاد الرّجال إلى مُوسى، وأخبروه بما رأوا "الأرض التي أرسلتنا إليها، وحقّاً أنَّها تفيض لبناً وعسلاً" وقالوا إنَّ سُكَّان هذه الأرض أقوياء طوال القامة، ونحنُ أمامهم كالجراد.

ويصف الإصحاح (14) الرّابع عشر ذُعر بني إسرائيل وتذمُّرهم من مُوسى وهارون: "لماذا أتى بنا الرَّبُّ إلى هذه الأرض لنسقط بالسّيف؟"، "أليس خيراً لنا أنْ نرجع إلى مصر؟" ويغضب الرَّبُّ، وثُمَّ ظهر مجد الرَّبِّ في خيمة الاجتماع لكُلّ بني إسرائيل. وقال الرَّبُّ لمُوسى: حتَّى متى يُهينني هذا الشّعب؟. وحتَّى متى لا يُصدِّقونني بجميع الآيات التي عملتُ

في وسطهم؟" ويُهدِّئ مُوسى روع الرَّبِّ، ويقول له: إنَّكَ إذا قتلتَ هذا الشّعب تقول الشُّعُوب الأُخرى "لأنَّ الرَّبَّ لم يقدر أنْ يُدخل هذا الشّعب إلى الأرض التي حَلَفَ لهم قَتَلَهُم في القفر" اصفحْ عن هذا الشّعب "فقال الرَّبُّ: قد صفحتُ حسب قولكَ!!".

ويتحدَّث الإصحاح (15) الخامس عشر عن القُربان الواجب تقديمه للرَّبِّ عند دُخُول بني إسرائيل الأرضَ التي أعطاها الرَّبُّ لهم، والالتزام بوصايا الرَّبِّ التي كلَّم مُوسى بها.

أمَّا الإصحاح (16) السّادس عشر؛ فيتحدَّث عن احتجاج بني لاوي على مُوسى وهارون بحُجَّة أنَّ الرَّبَّ يختصُّهما بالحديث والبَرَكَة، وأنَّهم يطلبون من مُوسى أنْ يُعاملهم الرَّبُّ نفس المُعاملة. ويسمع الرَّبُّ ذلك، ويُريد أنْ يُهلك جميع بني لاوي، فيطلب مُوسى منه عدم فعل ذلك "هل يُخطئ رجل واحد فتسخط على كُلِّ الجماعة؟!" ويطلب الرَّبُّ من مُوسى أنْ يأتي هؤلاء الذين يعترضون، ويجمعهم، ويتكلَّم معهم. ثُمَّ يتحدَّث الإصحاح عن العُقُوبة التي أنزلها الله على هؤلاء، وكيف انشقَّت الأرض، وابتلعتهم.

الإصحاحات (17 ـ 18 ـ 19 ـ 20):

يتحدَّث الإصحاح (17) السّابع عشر عن العصا التي طَلَبَ الرَّبُّ من مُوسى أنْ يأخذها من كُلِّ بيت الإثنَيْ عشر رئيساً؛ ليضعها في خيمة الاجتماع "فالرّجل الذي اختاره تُفرِّخ عصاه" "وفي الغد؛ دَخَلَ مُوسى إلى خيمة الشّهادة، وإذا عصا هارون لبيت لاوي قد أفرخت" "فكلَّم بنو إسرائيل مُوسى قائلين: إنَّنا فنينا، وهلكنا". ويتحدَّث الإصحاح (18) الثّامن عشر عن مُباركة الرَّبِّ لهارون وبنيه، وتكليف هارون بحَمْل مهمَّة حراسة وخدمة خيمة الاجتماع وكُلِّ شُؤُون الكَهَانَة. أمَّا الإصحاح (19) التّاسع عشر؛ فيُحدِّثنا عن طَلَب الرَّبِّ من بني إسرائيل تقديم "بقرة حمراء صحيحة، لا عيب فيها، ولم يعمل عليها نير"، وكيفيَّة ذَبْح هذه البقرة. ثُمَّ يتحدَّث الإصحاح نفسه عن أحكام مسِّ الميِّت، ومسِّ عَظْم الإنسان في القبر، وعن التَّطهُّر من هذه النّجاسة. وينقل لنا الإصحاح (20) العشرون تذمُّر بني إسرائيل من مُوسى بسبب نَقْص المياه، وكيف أنَّ الرَّبَّ أرشد مُوسى إلى الصّخرة التي تُعطي الماء، ثُمَّ كيف رَفَضَ ملك أدوم مُرُور بني إسرائيل من أرضه، وموت هارون في جبل هور.

الإصحاحات (21 ـ 22 ـ 23 ـ 24 ـ 25):

في الإصحاح (21) الواحد والعشرين نقرأ كيف ارتحل بنو إسرائيل من جبل هور دُون أنْ يدخلوا أرض أدوم، وتذمُّرهم من مُوسى بسبب عدم تنوُّع غذائهم، وكيف أنَّ الرَّبَّ أرسل عليهم "الحيَّات المُحرقة، فَلَدَغَتْ الشّعب، فمات قوم كثيرون"، ثُمَّ اعتذار الشّعب من مُوسى، والطَّلَب منه ليُصلِّي للرَّبِّ؛ ليرفع عن الشّعب هذا الغضب. ثُمَّ يتحدَّث الإصحاح عن إقامة بني إسرائيل في أرض الآموريِّين بعد الانتصار عليهم، وكذلك استيلاؤهم على أرض ملك باشان، وقَتْلُهم الملك وبنيه وجميع قومه. وتتحدَّث الإصحاحات (22 ـ 23 ـ 24) الثّاني والعشرون والثّالث والعشرون والرّابع والعشرون عن مُحاولة بالاق بن صفور ملك مُوآب استدعاء بلعام بن بعور لِيَلْعَنَ بني إسرائيل "لأنَّه أعظم منِّي. لعلَّه يُمكننا أنْ نكسره، فأطرده من الأرض" وكيف أنَّ الرَّبَّ طلب من بلعام أنْ لا يذهب، ولا يلعن الشّعب؛ لأنَّه مُبارك. ولمَّا فعل بلعام ذلك غضب بالاق، وقال له: "لتشتمَ أعدائي دعوتكَ، وهُو ذا أنتَ قد باركتَهُم"، ويُجيب بلعام قائلاً: "ولو أعطاني بالاق ملء بيته فضَّة وذَهَباً لا أقدر أنْ أتجاوز قول الرَّبِّ؛ لأعمل خيراً أو شرّاً من نفسي". ويأتي الإصحاح (25) الخامس والعشرون ليروي لنا قصَّة الزّنا الذي استشرى بين بني إسرائيل وبنات مُوآب، ومَيْل الإسرائيليِّين إلى آلهة بنات مُوآب، والوباء الذي أصاب بني إسرائيل، وكيف قام الكَاهن فينحاس بن العازر بن هارون، وقَتَلَ رجلاً من بني إسرائيل والمرأة التي قدَّمها إلى أُخوته أمام مُوسى وهُو واقف أمام خيمة الاجتماع، وأنَّ الرَّبَّ قد ردَّ سُخطه على بني إسرائيل بسبب قَتْل هذا الرّجل والمرأة.

الإصحاحات (26 ـ 27 ـ 28 ـ 29 ـ 30):

يُخبرنا الإصحاحان (26) السّادس والعشرون و(27) السّابع والعشرون عن طَلَب الرَّبِّ من مُوسى أنْ يُقسِّم الأرض على الأسباط الإثنَيْ عشر، وذلك كُلٌّ حسب عدده. أمَّا الإصحاح (28) الثّامن والعشرون؛ فإنَّه وصيَّة الرَّبِّ إلى بني إسرائيل "قُرباني طعامي . . وقائدي رائحة سُرُوري تحرصون أنْ تُقرِّبوه لي في وقته"، ونوعيَّة الوُقُود "الذّبيحة "المطلوب تقديمها، ومواعيد تقديم هذه الذّبيحة. ويأتي الإصحاح (29) التّاسع والعشرون ليُفصِّل هذا الأمر بشكل أدقَّ. ثُمَّ يتكلَّم الإصحاح (30) الثّلاثون عن النُّذُر، وكيفيَّة الالتزام به، وكيفيَّة تنفيذه.

الإصحاحات (31 ـ 32 ـ 33 ـ 34 ـ 35 ـ 36):

يُحدِّثنا الإصحاح (31) الواحد والثّلاثون عن حرب الإسرائيليِّين مع المديانيِّين؛ حيثُ "سبى بنو إسرائيل نساءَ مدين، وأطفالهم، ونهبوا جميع بهائمهم، وجميع مواشيهم، وكُلَّ أملاكهم، وأحرقوا جميع مُدُنهم بمساكنهم، وجميع حُصُونهم بالنّار". وكيف أنَّ مُوسى سخط على وُكلاء الجيش، وقال لهم: "هل أبقيتُم كُلَّ أنثى حيَّة. إنَّ هؤلاء كُنَّ لبني إسرائيل حسب كلام بلعام سبب خيانة للرَّبِّ في أمر فغور، فكان الوباء في جماعة الرَّبِّ. فالآن؛ اقتلوا كُلَّ ذَكَر من الأطفال، وكُلَّ امرأة عَرَفَتْ رجلاً بمُضاجعة ذَكَر اقتلُوها"!. ثُمَّ يشرح الإصحاح كيف أنَّ الرَّبَّ بيَّن لمُوسى طريقة توزيع النَّهْب المَسْبي من النّاس والبهائم. أمَّا الإصحاح (32) الثّاني والثّلاثون؛ فيعرض لنا حوار بنو رأوبين وبنو جاد مع مُوسى والعازر الكاهن، حول رغبتهم في أرض يعزير وجلعاد، وكيف أنَّ مُوسى رَفَضَ ذلك، وعاتبهم لأنَّهم لم يشتركوا في القتال مع أُخوتهم، وذكَّرهم بما فَعَلَ آباؤهم عندما أرسلهم إلى أرض الكنعانيِّين، وصدُّوا قُلُوب بني إسرائيل عن دُخُول الأرض التي أعطاهم إيَّاها الرَّبُّ. ويتحدَّث الإصحاح (33) الثّالث والثّلاثون عن رحلات بني إسرائيل مُنذُ خُرُوجهم من مصر. ويُتمِّم الإصحاح (34) الرّابع والثّلاثون ذكْر هذه الرّحلات بعد دُخُول بني إسرائيل أرض الكنعانيِّين، وكيفيَّة تقسيم الأرض على العشائر. ثُمَّ يتحدَّث الإصحاح (35) الخامس والثّلاثون عن عُبُور نهر الأُردن، والمُدُن التي بنوها. وفي نهاية الإصحاح تُطالعنا أحكام القَتْل المُتعمَّد، والقَتْل غير المُتعمَّد، والفدية وأحكامها، والشّهادة، وكيف تتمُّ. وأمَّا الإصحاح (36) السّادس والثّلاثون؛ فإنَّه يتحدَّث عن مُطالبة رُؤساء عشيرة بني جلعاد بن ماكير بن منسي من عشائر بني يُوسُف مُوسى عليه السلام بأنْ يخصَّ بنات صلحفاد بنصيب من قسمة الأرض، وموافقة مُوسى على هذا الطَّلَب.

سفْر التّثنية Book of Deuteronomy (Dc):

ويُسمَّى ـ أيضاً ـ سفْر تثنية الاشتراع، ويقع في أربعة وثلاثين (34) إصحاحاً، وفيه يرد تذكير بني إسرائيل بالشّريعة التي بيَّنها لهم مُوسى عليه السّلام عند خُرُوجهم من سيناء، وكيف أنَّ نظام الحُكْم في إسرائيل هُو نظام حُكْم مَلَكي بحُكْم النَّصِّ التّوراتي.

الإصحاح (1) الأوَّل:

يتضمَّن الحديث عن تذكير مُوسى لبني إسرائيل بوعد الرَّبِّ، وكيف تحقَّق هذا الوعد "وهُو ذا أنتم اليوم كنُجُوم السّماء في الكثرة "وَكَفَتَ نَظَرَ القُضاة بالقضاء بالعدل "لا تنظروا إلى الوُجوه في القضاء، للصّغير كالكَبير تسمعون"، وكيف عصى بنو إسرائيل أمر الإله، وتقاعسوا عن قتال الأموريِّين، وكيف غضب الرَّبُّ عليهم، وَجَعَلَ النّصر للأموريِّين.

الإصحاح (2) الثّاني:

يستمرُّ حديث مُوسى في هذا الإصحاح عن سرد مسيرة بني إسرائيل مُنذُ بداية ارتحالهم من جبل سعير، واستمرار ترحالهم الذي امتدَّ أربعين سنة، ويُبيِّن تفاصيل هذا الارتحال.

الإصحاح (3) الثّالث:

ويستطرد هذا الإصحاح بعرض مسيرة بني إسرائيل، وينتهي بالأمر الإلهي "لكنْ؛ لا تعبُرْ هذا الأُردن".

الإصحاح (4) الرّابع:

يتحدَّث هذا الإصحاح عن أمر مُوسى بني إسرائيل بطاعة الرَّبِّ "فالآن؛ يا إسرائيل، اسمع الفرائض والأحكام التي أنا أُعلِّمكم لتعملوها لكي تحيوا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التي الرَّبُّ إله آبائكم يُعطيكم. لا تزيدوا على الكلام الذي أنا أُوصيكم به، ولا تُنقصوا منه". ويُسجِّل الإصحاح تفاصيل هذه الفرائض ضمن سرد للتّذكير بمواقف تاريخيَّة مُعيَّنة، الهَدَف منها إلقاء الخشية في قُلُوب بني إسرائيل من عقاب الرَّبِّ في حال المُخالفة لهذه الأحكام والوصايا.

الإصحاح (5) الخامس:

وهُو تكرار للتّذكير بوصايا الرَّبِّ، والفرائض والأحكام التي طَلَبَ من بني إسرائيل تنفيذها "فاحترزوا لتعملوا كما أمركم الرَّبُّ إلهكم. لا تزيغوا يميناً، ولا يساراً".

الإصحاحات (6 ـ 7 ـ 8):

يتحدَّث الإصحاح السّادس عن الوصايا التي أوصى بها الرَّبُّ، والتي بيَّنها لموسى عليه السلام كي يُعلِّمها لبني إسرائيل "الرَّبُّ إلهكَ تتَّقي، وإيَّاه تعبد، وباسمه تحلف" "لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأُمم التي حولكم، لأنَّ الرَّبَّ إلهكم إله غيور في وسطكم". ويتحدَّث الإصحاح (7) السّابع عن تحريم المُصاهرة بين بني إسرائيل والشُّعُوب التي طَرَدَهَا الإسرائيليُّون، واستولوا على أراضيها ومُمتلكاتها "الحثِّيون، والجرجاشيُّون، والأموريُّون، والكنعانيُّون، والفرزيُّون، والحويُّون، واليبوسيُّون" "سبع شُعُوب أكثر وأعظم منكَ، وَدَفَعَهُم الرَّبُّ إلهكَ أمامكَ، وضربتهم، فإنَّك تحرمهم. لا تقطعْ لهم عهداً، ولا تُشفقْ عليهم، ولا تُصاهرهم". ويُبرز لنا الإصحاح نفسه مكانة بني إسرائيل عند الرَّبِّ" إيَّاك قد اختار الرَّبُّ إلهكَ لتكون له شعباً أخصّ من جميع الشُّعُوب الذين على وجه الأرض. ليس من كونكم أكثر من سائر الشُّعُوب التصق الرَّبُّ بكم، واختاركم لأنَّكم أقلُّ من سائر الشُّعُوب، بل من محبَّة الرَّبِّ إيَّاكم، وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم". ويُحدِّثنا الإصحاح بوعد آخر يُقدِّمه الرَّبُّ لبني إسرائيل" مُباركاً تكون فوق جميع الشُّعُوب، لا يكون عقيم ولا عاقر فيكَ، ولا في بهائمكَ. ويردُّ الرَّبُّ عنكَ كُلَّ مرض، وكُلَّ أدواء مصر الرّديئة التي عرفتَهَا، لا يضعها عليكَ، بل يجعلها على كُلِّ مُنغِّصيكَ، وتأكل كُلُّ الشُّعُوب الذين الرَّبُّ إلهكَ يدفع إليكَ، لا تشفقْ عيناكَ عليهم". أمَّا الإصحاح (8) الثّامن؛ فإنَّه يحثُّ بني إسرائيل على العمل بوصايا الرَّبِّ، ويُذكِّرهم بأنَّ التّيه أربعين سنة في القفر هُو اختبار للطّاعة، أو رَفْض لها" إنَّه ليس بالخُبز وحده يحيا الإنسان، بل بكُلِّ ما يخرج من فم الرَّبِّ يحيا الإنسان" "احترزْ أنْ تنسى الرَّبَّ إلهكَ، ولا تحفظْ وصاياه وأحكامه وفرائضه".

الإصحاحان (9 ـ 10):

يتحدَّث الإصحاح (9) التّاسع عن تبشير بني إسرائيل بعُبُور نهر الأُردن، وتذكيرهم بأنَّ انتصارهم المُحتمل ليس بسبب برِّهم، بل من أجل إثم شُعُوب هذه الأرض التي وَعَدَ الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب بها. كما يُبيِّن الإصحاح ما فَعَلَهُ بنو إسرائيل بعد عُبُورهم البحر،

وذهاب مُوسى للقاء ربِّه، واتِّخاذهم العجل إلهاً جديداً لهم، وكيف غضب مُوسى، وألقى باللَّوحَيْن أمام النّاس، ثُمَّ استغفار مُوسى لشعبه. ويُتمِّم الإصحاح (10) العاشر سرد الأحداث التي مرَّ بها بنو إسرائيل، وصُنع التّابوت، وكتابة لوحَيْن جديدَيْن، ووضعهما في التّابوت، ثُمَّ ارتحال بنو إسرائيل، ثُمَّ موت هارون، وتكليف ابنه العازر بالكَهَانَة بدلاً عنه، ثُمَّ تكليف سبْط لاوي بحَمْل وخدمة التّابوت.

الإصحاحان (11 ـ 12):

يُركِّز الإصحاحان على الأمر الإلهي بحفْظ الفرائض والأحكام والوصايا التي أوصى بها الله، والثّمرات التي يجنيها العامل بها، والعواقب التي يتوقَّعها الذي يرفض العمل بها. "انظرْ؛ أنا واضع أمامكم اليوم بركة ولعنة؛ البركة إذا سمعتُم لوصايا الرَّبِّ إلهكم التي أنا أُوصيكم بها. واللّعنة إذا لم تسمعوا لوصايا الرَّبِّ إلهكم، وزغتُم عن الطّريق التي أنا أُوصيكم بها" "فاحفظوا جميع الفرائض والأحكام التي أنا واضع أمامكم اليوم لتعملوها" "كُلّ الكلام الذي أُوصيكم به احرصوا لتعملوه. لا تزدْ عليه، ولا تُنقص منه".

الإصحاح (13) الثّالث عشر:

يتضمَّن هذا الإصحاح وصايا بأنْ لا تسمع لكلام أيِّ مُدَّعٍ للنُّبُوة، حتَّى ولو جاءكَ بآية أو أُعجوبة، وَطَلَبَ منكَ أنْ تذهب وراء آلهة أُخرى لم تعرفها، ولا تستجبْ لدعوة أيِّ صديق أو قريب يطلب منكَ الذّهاب لعبادة إله آخر لا تعرفه أنتَ ولا آباؤك، إنَّ هؤلاء الدّاعين يستحقُّون القَتْلَ والرَّجْمَ.

الإصحاح (14) الرّابع عشر:

يبدأ هذا الإصحاح بالتّذكير "أنتم أولاد الرَّبِّ إلهكم" "لأنَّكَ شعب مُقدَّس للرَّبِّ إلهكَ قد اختاركَ الرَّبُّ لكي تكون له شعباً خاصّاً فوق جميع الشُّعُوب الذين على وجه الأرض"!. ثُمَّ يُحدِّد ما هُو المسموح بأكْله من البهائم، وما هُو غير المسموح به، ثُمَّ يُبيِّن فريضة العُشْر للمحاصيل الزّراعيَّة والنّاتج الحيواني الذي يجب تقديمه للآخرين "لكي يُباركك الرَّبُّ إلهكَ في كُلِّ عمل يدكَ الذي تعمل".

الإصحاحات (15 ـ 16 ـ 17):

تتحدَّث هذه الإصحاحات الثّلاث عن أحكام التّعامل، والحثّ على تنفيذ وصايا الرَّبّ في حُسْن المعاملة، وعدم تقديم ذبيحة للرَّبّ فيها عيب، والتّذكير بضرورة الذّبح في عيد الفصح، والحثّ على استشارة الكَهَنَة لفَهْم أُصُول الشّريعة. ويُحدِّد الإصحاح السّابع عشر في نهايته ما يجب اتِّباعه عند فَتْح أرض جديدة "فإنَّكَ تجعل عليكَ ملكاً الذي يختاره الرَّبُّ إلهكَ، من وسط أُخوتكَ تجعل عليكَ ملكاً".

الإصحاحات (18 ـ 19 ـ 20):

يتحدَّث الإصحاح (18) الثّامن عشر عن واجبات الكَهَنَة اللاَّويِّين، ثُمَّ ينتقل للحديث عن الالتزامات الواجب اتِّباعها عند دُخُول أرض جديدة "يُقيم لكَ الرَّبُّ إلهكَ نبيّاً من وسطكَ، مثلي له تسمعون". وكذلك يُبيِّن الإصحاح (19) التّاسع عشر ما يجب إجراؤه بعد دُخُول وامتلاك أراضي الأُمم الأُخرى، كما يُبيِّن أحكام الشّهادة في المُخاصمة. وينقل لنا الإصحاح (20) العشرون وصايا الرَّبّ عند الخُرُوج للحرب، ويُفصِّل لنا ما يجب اتِّباعه في المعركة، وأحكام الفتح "حين تقرب من مدينة لكي تُحاربها استدعها إلى الصُّلح، فإنْ أجابتكَ إلى الصُّلح، وَفَتَحَتْ لكَ، فكُلُّ الشّعب الموجود فيها يكون لكَ للتّسخير، ويُستعبَد لكَ. وإنْ لم تُسالمكَ، بل عملتْ معكَ حرباً، فحاصرْهَا. وإذا دَفَعَهَا الرَّبُّ إلهكَ إلى يدكَ فاضربْ جميع ذُكُورها بحدّ السّيف. أمَّا النّساء والأطفال والبهائم وكُلُّ ما في المدينة، كُلُّ غنيمتها فتغتنمها لنفسكَ، وتأكل غنيمة أعدائكَ التي أعطاكَ الرَّبُّ إلهكَ"!! "أمَّا مُدُن هؤلاء الشُّعُوب التي يُعطيكَ الرَّبُّ إلهكَ نصيباً؛ فلا تستبق منها نسمة ما"!!.

الإصحاحات (21 ـ 22 ـ 23):

يُوضِّح الإصحاح (21) الحادي والعشرون الطّريقة الواجب اتِّباعها في حالة وُجُود امرأة جميلة ضمن السّبايا، والرّغبة في اتِّخاذها زوجة، وأحكام التَّوريث للأولاد من زوجتَيْن الأُولى محبوبة، والثّانية مكروهة، وكذلك مُعاملة الأولاد العاقِّين. أمَّا الإصحاح (22) الثّاني والعشرون؛ فيُورد أحكام مُختلفة عن مواضيع مُتعدِّدة، مثل رُؤية بهيمة شاردة لأخ أو قريب،

وكَراهية الزَّوج لزوجته، ووَصْفه إيَّاها بأوصاف غير لائقة كَعَدم العُذريَّة، وأحكام الزّنا مع امرأة مُتزوِّجة أو عذراء. أمَّا الإصحاح (23) الثّالث والعشرون؛ فيتحدَّث كذلك عن عدَّة أحكام؛ منها عدم السّماح بدُخُول ابن الزّنا بخدمة الرَّبّ، وكذلك بني عمون وبني مُوآب حتَّى الجيل العاشر "لا يدخل عموني ولا مُوآبي في جماعة الرَّبّ" والتَّوصية بعدم القَرْض بربا لأخيكَ "لا تُقرِضْ أخاك بربا "وعدم تأخير وفاء النَّذْر" وإذا نذرتَ نذراً للرَّبّ إلهكَ، فلا تُؤخِّر وفاءه".

الإصحاحات (24 ـ 25 ـ 26):

يتحدَّث الإصحاح (24) الرَّابع والعشرون عن الطَّلاق، وما على الزَّوج أنْ يقوم به إزاء مُطلَّقته، وعن أُصُول القَرْض والرَّهْن، وعن القَتْل بجريرة الغَيْر "لا يُقتَلُ الآباء عن الأولاد، ولا يُقتَلُ الأولادُ عن الآباء. كُلُّ إنسان بخطيئته يُقتَل". ويُبيِّن الإصحاح (25) الخامس والعشرون أحكام المُخاصمة، وواجب القُضاة عند تنفيذ الأحكام، ثُمَّ يتحدَّث عن زواج الأخ بزوجة أخيه المُتوفَّى، وضرورة عدم الغشّ في الكَيْل. وينقل لنا الإصحاح (26) السّادس والعشرون ما يترتَّب إجراؤه عند نُضُوج ثمر الأرض، وما يجب قوله للكَاهن عند تقديمها له.

الإصحاحات (27 ـ 28 ـ 29):

يروي لنا الإصحاح (27) السّابع والعشرون كلام مُوسى لبني إسرائيل، ووصيَّته لهم قبل دُخُولهم الأُردن. وهذه الوصيَّة عبارة عن الأحكام والوصايا التي أوصى بها الرَّبُّ. ويستمرُّ الإصحاح (28) الثّامن والعشرون بسرد وتفصيل هذه الوصايا، ونتائج عدم تنفيذها، أو الالتزام بها. ويُبيِّن لنا الإصحاح (29) التّاسع والعشرون تذكير مُوسى لبني إسرائيل بما فَعَلَهُ الرَّبُّ بفرعون، وكيف تاه شعبه أربعين سنة بسبب مُخالفة أوامر الرَّبّ، وعهد الرَّبّ الذي قَطَعَهُ لهم، وغَضَبه عليهم عندما عبدوا إلهاً آخر غيره.

الإصحاحات (30 ـ 31 ـ 32):

في الإصحاح (30) الثّلاثين نُطالع التّذكير بضرورة الاستماع لصوت الرَّبّ، وتنفيذ وصاياه، تجنُّباً للهلاك واكتساب الرّضا والخير "إذْ تُحبُّ الرَّبَّ إلهكَ، وتلتصق به؛ لأنَّه هُو حياتكَ، والذي يُطيل أيَّامكَ؛ لكي تسكُن على الأرض التي حلف الرَّبُّ لآبائكَ إبراهيم

وإسحاق ويعقوب أنْ يُعطيهم إيَّاها" . وفي الإصحاح (31) الواحد والثّلاثين نقرأ حديث مُوسى مع بني إسرائيل، وحثّهم على عُبُور الأُردن، لأنَّ الله سيكون أمامهم " ودعا مُوسى ﷺ يشوع وقال له أمام أعين جميع إسرائيل : تشدَّدْ، وتشجَّعْ ؛ لأنَّكَ أنتَ تدخل مع هذا الشّعب الأرض التي أقسم الرَّبُّ لآبائهم أنْ يُعطيهم إيَّاها، وأنتَ تقسمها لهم، والرَّبُّ سائر أمامكَ" . وأنَّ مُوسى ﷺ بعد ذلك كَتَبَ التَّوراة، وسلَّمها للكَهَنَة " وكَتَبَ مُوسى هذه التَّوراة، وسلَّمها للكَهَنَة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرَّبِّ ولجميع شُيُوخ بني إسرائيل" وفيه نُطالع أنَّ الرَّبَّ قال لموسى : " أيَّامك قربتْ لكي تموت " وأنْ يدعو يشوع ليسمعا كلام الرَّبِّ في خيمة الاجتماع . وأمَّا الإصحاح (32) الثّاني والثّلاثون ؛ ففيه نصُّ النّشيد الذي أنشده مُوسى أمام يشوع بن نُون على مسامع بني إسرائيل .

الإصحاحان (33 ـ 34) :

يُحدِّثنا الإصحاح الثّالثّ والثّلاثون (33) عن تفاصيل المُباركات التي قدَّمها مُوسى ﷺ لبني أُسرته قبل موته "يهُوذا، لاوي، بنيامين، يُوسُف، زُوبُولُون، جاد، دان، آشير . . " . ويتحدَّث الإصحاح (34) الرّابع والثّلاثون عن وفاة مُوسى ﷺ في أرض مُوآب عن عُمر يبلغ مئة وعشرين (120) سنة، وهُو مايزال في نضارته وحيويَّته، وحُزن بني إسرائيل عليه .

الفصل الثّالث:

أضواء على النَّصِّ التَّوراتي

النَّصُّ والمُعتقَد الدِّيني:

بعد العرض السّريع لأسفار التَّوراة الخمسة الأُولى، والتي تبدو بصمات النّزعة اليهُوديَّة التّحريفيَّة واضحة فيها، نجد أنَّه ليس من الصُّعُوبة بمكان اكتشاف العقيدة الزّائغة في النُّصُوص التَّوراتيَّة المذكورة في الأسفار الخمسة الأُولى، والتي تُسمِّيها بعض الفرَق اليهُوديَّة أسفار مُوسى عليه السلام؛ إذْ إنَّ بقية الأسفار (34) الأربع والثّلاثين تحوي الكثير من تلك النُّصُوص التي يبرز فيها زيغ العقيدة، ولكنْ؛ يُمكن القول: إنَّ العلامة المُميَّزة في هذه النُّصُوص هي أنَّها تُمثِّل ميلاً غريزيّاً وجموحاً إلى إدخال نوع من الوثَنيَّة البعيدة كُلَّ البُعْد عن المُعتقَد التَّوحيدي لدى مُدوِّني هذه النُّصُوص. إنَّ الميل إلى تثبيت أُطرُوحة مُعيَّنة، وصُورة مُميَّزة للإله في النَّصِّ التَّوراتي تُخالف طبيعة الذّات الإلهيَّة التي يُفترض أنْ تكون لها خصائص تتفرَّد بها، هُو - في الحقيقة - تصوير يحمل مظاهر الشِّرْك أكثر ممَّا يعني الإيمان بوحدانيَّة الله. إنَّنا نستطيع أنْ نلمس هذا الانحراف في العقيدة عندما نقرأ على سبيل المثال لا الحصر:

- "فَخَلَقَ الله الإنسانَ. على صُورة الله خَلَقَهُ. ذَكَراً وأُنثى خَلَقَهُم" (التّكوين: الإصحاح 1/ 27).

- "وفرغ الله في اليوم السّابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السّابع من عمله الذي عمل". (التّكوين: الإصحاح 2 / 2).

- "وسمعا صوت الرَّبِّ الإله ماشياً في الجنَّة عند هُبُوب ريح النّهار. فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرَّبِّ الإله في وسط شجر الجنَّة. فنادى الرَّبُّ الإله، وقال له: أين أنتَ". (التّكوين: الإصحاح 3/ 8 - 9).

- " وقال الرَّبُّ الإله : هُوَ ذا الإنسان قد صار كواحد منَّا ، عارفاً بالخير والشَّرِّ " (التَّكوين : الإصحاح 3/ 22) .

- "ورأى الرَّبُّ أنَّ شرَّ الإنسان قد كثُر في الأرض ، وأنَّ كُلَّ تصوُّر أفكار قلبه إنَّما هُو شرِّير كُلَّ يوم ، فحزن الرَّبُّ أنَّه عمل الإنسان في الأرض ، وتأسَّف من قلبه . فقال الرَّبُّ : أمحو عن وجه الأرض الإنسانَ الذي خلقتُهُ ، الإنسان مع بهائم ودبَّابات وطُيُور السَّماء ؛ لأنَّي حزنتُ أنِّي عملتُهُم " . (التَّكوين : الإصحاح 6/ 5 ـ 7)

- "وقال الرَّبُّ في قلبه : لا أعود ألعن الأرض ؛ لأنْ تصوُّر قلب الإنسان شرِّير مُنْذُ حداثته" . (التَّكوين : الإصحاح 8/ 21) .

- "فنزل الرَّبُّ لينظر المدينة والبُرج اللَّذَيْن كان بنو آدم يبنونهما" . (التَّكوين : الإصحاح 11/ 5) .

- "فبقي يعقوب وحده ، وصارعه إنسان حتَّى طُلُوع الفجر . ولمَّا رأى أنَّه لا يقدر عليه ضرب حُقَّ فخذه . وقال : أطلقْني لأنَّه قد طَلَعَ الفجرُ . فقال : لا أُطلقكَ إنْ لم تُباركني " . (التَّكوين : الإصحاح 32/ 24 ـ 26) .

- " فسمع الله أنينهم ، فتذكَّر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب " . (الخُرُوج : الإصحاح 2/ 24) .

- "فقال الرَّبُّ : إنِّي رأيتُ مذلَّة شعبي الذي في مصر ، وسمعتُ صراخهم من أجل مُسخِّريهم ، إنِّي علمتُ أوجاعهم ، فنزلتُ لأُنقذهم من أيدي المصريِّين ، وأُصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيِّدة وواسعة ، إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً" . (الخُرُوج : الإصحاح 3/ 7 ـ 8) .

- "وكان الرَّبُّ يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ؛ ليهديهم في الطَّريق ، وليلاً في عمود نار ؛ ليُضيءَ لهم " . (الخُرُوج : الإصحاح 13/ 21) .

- " فأتمجَّد بفرعون وكُلِّ جيشه بمركباته وفُرسانه " . (الخُرُوج : الإصحاح 14/ 17) .

- " لأنِّي أنا الرَّبُّ إلهكَ إله غيور " . (الخُرُوج : الإصحاح 20/ 5) .

ـ "ثُمَّ صعد مُوسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيُّوخ إسرائيل. ورأوا إلـه إسـرائيل، وتحت رجلَيْه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشَّفَّاف وكذات السّماء فـي النّقـاوة. ولكنّه لـم يمـدَّ يده إلى أشراف بني إسرائيل، فرأوا الله، وأكلوا، وشربوا". (الخُرُوج: الإصحاح 24 / 9ـ10).

ـ "فندم الرَّبُّ على الشَّرِّ الذي قال إنَّه يفعله بشعبه". (الخُرُوج: الإصحاح 32/ 14).

ـ "ويُكلِّم الرَّبُّ مُوسى وجهاً لوجـه كمـا يُكلِّـم الرّجـل صاحبه". (الخُرُوج: الإصحاح 33/ 11).

ـ "احترزْ من أنْ تقطع عهداً مع سُكَّان الأرض التي أنتَ آت إليها، لئـلاَّ يصيروا فخّاً فـي وسطكَ، بل تهدمون مذابحهم، وتكسرون أنصابـهم، وتقطعـون سـواريهم، فـإنَّكَ لا تسـجد لإله آخر، لأنَّ الرَّبَّ اسمه غيور، إله غيور هُو". (الخُرُوج: الإصحاح 34/ 12 ـ14).

ـ "وقال الرَّبُّ لمُوسى: حتَّى متى يُهينني هذا الشّعب؟!". (العدد: الإصحاح 14/ 11).

ـ "فقال الرَّبُّ: قد صفحتُ حسب قولـكُ. . . . وجميـع الذيـن أهـانونني لا يرونـها". (العدد: الإصحاح 14/ 20 ـ 22).

وتحوي بقيَّة الأسـفار مثـل هـذا المنحـى فـي السّـرد عـن الـذّات الإلهيَّـة التـي تصطبـغ بطـابع إنساني، وليس بطابع إلهي خاصّ. ، بـل الإله فـي النّـصِّ التَّوراتـي مثلـه كمثـل أيّ بشـر، يتعـب ويستريح، ويندم ويغضب، ويمشي، ولا يعلم الغيب، ويجهل نوايا الإنسان، ويخشـى أنْ تبلـغ مدارك هذا الإنسان حُدُود المعرفـة التـي يملكـها هُـو، وإنَّـه إلـه غيـور، وينسـى ويتذكـر، ويُصـارع وينهزم. . ويبدو أنَّ عقيدة التَّوحيد كـانت ضعيفـة لـدى الذيـن دوّنـوا التَّـوراة، وأنَّ مفـهوم الإلـه عندهم كان ينحصر في الرّغبة فـي إبـرازه كإلـه خـاصٍّ بـهم، وأنّـه الإلـه الـذي اختـار شـعب بنـي إسرائيل، وخـصَّ هـذا الشّـعب بحبِّـه، واصطفـاه علـى جميـع شُـعُوب الأرض، ووعـده بملكيَّـة أرض فلسطين وما حولها، بغَضِّ النَّظَر فيما إذا كان هذا الوعد يُلحق الأذى والضّرر والإجحـاف والظُّلم بشُـعُوب تلـك الأرض الموعـودة، وأنَّـه إلـه مُحـبٌّ مطـواع، إرادتـه أنْ يجعـل شـعب بنـي إسرائيل فوق كُلِّ شُعُوب العالم، دُون أنْ يطلب من هذا الشّـعب أيَّ الـتزام بـأداء رسـاله أو تبليـغ

شريعة سماويَّة، فالالتزام هُنا التزام إلهي فقط. ويعزو بعض الدّارسين للتَّوراة أنَّ الأحبار والكَتَبَة لابُدَّ وأنَّهم عند تدوينهم التَّوراة قد تأثَّروا بالتُّراث البابلي والمُعتقَدات البابليَّة الوَثَنيَّة، لذلك؛ لم يشأ هؤلاء الكَتَبَة إبعاد صُورة الإله مردوخ، الإله البابلي، عن مُخيِّلتهم عند الحديث عن الإله يَهْوَه إلههم.

إله التَّوراة:

لذلك؛ فإنَّ التَّوراة تتكلَّم عن الإله بصيغة بعيدة عن التَّصوُّر العقائدي الصّحيح الذي يُفترض أنْ يُوجَد لدى أصحاب العقيدة التَّوحيديَّة. فبعد الاعتراف بأنَّ الإله خالق السّماوات والأرض والإنسان (التّكوين: الإصحاحات 1-2-3) يُصبح الإله في النَّصِّ التَّوراتي إله مُوسى، ويُصبح الإيمان نوعاً من الانبهار "ونَظَرَ إسرائيل المصريِّين أمواتاً على شاطئ البحر، ورأى إسرائيل الفعل العظيم الذي صنعه الرَّبُّ بالمصريِّين. فخاف الشّعبُ الرَّبَّ، وآمنوا بالرَّبِّ وبعبده مُوسى" (الخُرُوج: الإصحاح 14/ 30). فهُنا الإيمان خوف ورهبة لا إيمان عقيدة. ثُمَّ يتَّجه النَّصُّ إلى تثبيت أنَّ الإله هُو إله العبرانيِّين؛ ليُصبح -بعد ذلك- إله بني إسرائيل، ولكنْ؛ لَمَّا دخل بنو إسرائيل أرض سيناء، بعد خُرُوجهم من مصر وتحرُّرهم من فرعون واستعباده لهم، حتَّى عادوا إلى طبيعتهم الميالة إلى الشِّرْك والجُحُود. فعوضاً عن تقديم الشُّكْر لله الذي أنقذهم من الذُّلِّ والعُبُوديَّة وسخَّر لهم مُوسى وهارون لهدايتهم وخلاصهم من فرعون وظُلمه، نرى أنَّهم يتذمَّرون في أوَّل اختبار لهم "فتذمَّر كُلُّ جماعة بني إسرائيل على مُوسى وهارون في البرِّيَّة، وقال لهما بنو إسرائيل: ليتنا متنا بيد الرَّبِّ في أرض مصر؛ إذْ كُنَّا جالسين عند قُدُور اللّحم نأكل خُبزاً للشّبع. فإنَّكما أخرجتُمَانا إلى هذا القفر؛ لكي تُميتا كُلَّ هذا الجُمهُور بالجُوع" (الخُرُوج: الإصحاح 16 / 2-3). ويتكرَّر هذا التَّذمُّر حتَّى بلغ الضّيق بمُوسى حدَّاً أنْ نادى ربَّه: ماذا أفعل بهذا الشّعب؟! "فخاصمَ الشّعبُ مُوسى، وقالوا له: لماذا أصعدتَنَا من مصر لتُمتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش؟!. فصرخ مُوسى إلى الرَّبِّ قائلاً: ماذا أفعل بهذا الشّعب بعد قليل يرجمونني"؟! (الخُرُوج: الإصحاح 17 / 4). ثُمَّ يبرز الشَّكُّ بالإله الواحد لينقلب الإيمان إلى عبادة العجل، وذلك عندما يتأخَّر مُوسى في العودة إلى قومه من ميعاد لقاء ربِّه "ولَمَّا رأى الشّعب

أنَّ مُوسى أبطأ في النُّزُول من الجبل اجتمع الشّعب على هارون، وقالوا لـه: قُمْ، اصنعْ لنـا آلهـة تسير أمامنا، لأنَّ هذا مُوسى الرّجل الذي أصْعَدَنَا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه" (الخُـرُوج: الإصحاح 32 / 1 / 2).

وتثبيتاً لخُصُوصيَّة الإله الذي أصبح في النَّصِّ التَّوراتي إلهاً خاصّـاً ببنـي إسـرائيل، وإلـهاً مطواعاً، يُلبِّي دائماً رغبات شعبه المُختار، ويستجيب لطلباته، ويسمع تذمُّراته، ويسعى دائمـاً لإرضائه" فقال الرَّبُّ لموسى: ها أنا أُمطر لكـم خُبزاً مـن السّماء، فيخـرج الشّعب، يلتقطـون حاجة اليوم بيومها" (الخُرُوج: الإصحاح 16 / 4). ألم يعدهم الرَّبُّ بأرض تفيض لبناً وعسلاً "فقال الرَّبُّ: إنِّي رأيتُ مذلَّة شعبي الذي في مصر، وسمعتُ صُراخهم من أجـل مُسـخِّريهم، إنِّي علمتُ أوجاعهم، فنزلتُ لأُنقذهم من أيدي المصريِّين، وأُصعدهم مـن تلـك الأرض إلـى أرض جيِّدة وواسعة، إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً" (الخُرُوج: الإصحاح 3 / 7 ـ 8).

ثُمَّ تتصاعد خُصُوصيَّة الإله، باعتباره إلهاً خاصّاً ببني إسرائيل وحدهم، عندما نقرأ النَّـصَّ التَّوراتي: "لا يدخل عموني ولا مُوآبي في جماعة الرَّبِّ حتَّى الجيل العاشـر"(التّثنيـة: الإصحـاح 23 / 3). "ولا يدخل منهم أحداً في جماعة الرَّبِّ إلى الأبد" (التّثنية: الإصحاح 23 / 4).

وتنحـو النُّصُـوص التَّوراتيَّـة إلـى تصويـر الإلـه بأنَّـه حـرص علـى مصلحـة شـعب بنـي إسرائيل؛ بحيثُ يصل مُستوى هذا الحرص إلى الحثِّ على عدم الإشفاق علـى الأعـداء الذيـن شاءت الإرادة الإلهيَّة أنْ يُطرَدُوا من أراضيهم، والدّعوة على عدم إعطاء أيِّ عهد لهم:

ـ "متى أتى بكَ إلهكَ إلى الأرض التـي أنـتَ داخـل إليـها لتمتلكـها، وَطَـرَدَ شُعُوباً كثيرة من أمامكَ.. فإنَّكَ تحرمهم، لا تقطعْ لهم عهداً، ولا تُشفقْ عليهم"!. (التّثنية: الإصحاح7 / 1 ـ 2).

وفي هذا السِّفْر ـ أيضاً ـ نقرأ أنَّ الـرَّبَّ يدعـو بنـي إسـرائيل إلـى القَتْـل والنَّهْب واستعباد الشُّعُوب، بل إفنائها إذا أمكن:

"حين تقـترب مـن مدينـة لكـي تُحاربـها، اسـتدعها للصُّـلح، فـإنْ أجـابتكَ إلـى الصُّلـح وَفَتَحَتْ لكَ، فكُلُّ الشّعب الموجود فيها يكون لكَ للتّسخير، ويُستعبَد لـكَ... فـلا تسـتبق منها نسمة ما"!. (التّثنية: الإصحاح 20/ 10 ـ 14)

وتُطالعنا التَّوراة بأنَّ الإله فيها هُو الذي يُعيِّن وَرَثَةَ أنبيائه، ويُسمِّي مَنْ يرث منهم، ومَنْ لا يرث، ومَنْ يُختَصُّ بالبَركَة، ومَنْ يُحرَم منها. ثُمَّ هُو الذي يُبدِّل أسماء الأنبياء وزوجاتهم. "وتكلَّم الله معه قائلاً: أمَّا أنا؛ فهُو ذا عهدي معكَ، وتكون أباً لجُمهُور من الأُمم، فلا يُدعى اسمكَ ـ بعدُ ـ أبرام، بل يكون اسمكَ إبراهيم" (التّكوين: الإصحاح 17 / 3 ـ 5). "وقال الله لإبراهيم: ساراي امرأتكَ لا تدعو اسمها ساراي، بل اسمها سارة" (التّكوين: الإصحاح 17 / 15). "وتكلَّم الله: بل سارة امرأتكَ تلد لكَ ابناً، وتدعو اسمه إسحاق" (التّكوين: الإصحاح 17 / 19). "فقال له: ما اسمكَ؟ فقال: يعقوب، فقال: لا يُدعى اسمكَ ـ فيما بعد ـ يعقوب، بل إسرائيل" (التّكوين: الإصحاح 32 / 27). ونقرأ ـ أيضاً ـ كيف حدَّد الإله مُواصفات خيمة الاجتماع، والتّابوت الذي ستُوضَع فيه وصايا الرّبِّ المُدوَّنة في اللَّوحَيْن، ونوعيَّة الخشب الذي سيُصنَع منه التّابوت، وكيفيَّة ومقدار الذّهب الواجب تثبيته عليه، وغير ذلك من التّفاصيل. وهُو الذي يأمر قومه بخَتْن أهله وقومه" هذا هُو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلكَ من بعدكَ. يُختَن منكم كُلُّ ذكَر، فتختتنون في لحم غُرلتكم، فيكون علامة عهد بيني وبينكم" (التّكوين: الإصحاح 17/ 10 ـ 11). ويأمره كذلك بسماع قول زوجته" في كُلِّ ما تقول سارة اسمعْ لقولها" (التّكوين: الإصحاح 21 / 12). هكذا تُصوِّر لنا التَّوراة الذّات الإلهيَّة:

ـ إلهاً يهب الوعدَ لشعب يختاره دُون شُعُوب الأرض، ويصطفيه، ويُعطيه الحقَّ في اغتصاب الأرض وتشريد أهلها،

ـ إلهاً يحثُّ شعبه الذي اختاره على العُنف وسفك الدّماء، واستعباد الشُّعُوب،

ـ إلهاً خاصّاً ببني إسرائيل دُون شُعُوب الأرض اسمه "يَهْوَه"،

ـ إلهاً لم تشأ التَّوراة أنْ ترقَ به إلى المكان اللائق به كَخَالق الكون، بل أبْقَتْ صُورته في ذهن قارئها بأنَّه إله سُلُوكه كَسُلُوك البشر، فهُو يغضب ويثور، ينسى ويندم، ويظهر أمام شعبه كَعمود سحاب في النّهار، وعمود من نار في اللّيل،

ـ إلهاً يعفو ويغفر، ويتغاضى عن تقاعس وإهمال شعبه المُختار لأوامره،

ـ إلهاً تنحصر رسالته في وعد بملكيَّة أرض كنعان وماحولها، دُون أنْ يُرفَق بهذا الوعد أيُّ تكليف بتبليغ الرّسالة السّماويَّة التي تُنقذ البشريَّة جمعاء من ضلالاتها.

ولا يسعنا إلاَّ أنْ نتساءل: ما هي الخلفيَّة الدِّينيَّة لهذا التَّصوُّر؟

الفصل الرّابع:

تشويه العقيدة

الخلفيَّة الدِّينيَّة:

من المُتَّفق عليه لدى كافَّة الدّارسين للتَّوراة أنَّ تدوينها قد تمَّ - بشكل نهائي - بعد السّبي البابلي ؛ أيْ بعدما يزيد عن سبعمئة عام من نُزُول أوَّل أسفارها على مُوسى ﷺ. وتعزو أكثر الدّراسات إلى أنَّ الكتابة التي تمَّت بها الصِّيغة النّهائيَّة لهذا الكتاب المُقدَّس قد تأثَّرت - لحَدٍّ بعيد - بعدَّة عوامل، ليس - فقط - بسبب طُول الفترة الزّمنيَّة التي بُدئ بها كتابة التَّوراة، بل - أيضاً - إلى تأثُّر الكَهَنَة بالحضارة والتُّراث الوَثَني البابلي، ثُمَّ شُعُورهم أنَّ الشّعب اليهُودي قد تأثَّر - أيضاً، لحَدٍّ كبير - بالمُعتقَدات البابليَّة؛ بحيثُ مال الكثيرون إلى هذه المُعتقَدات. يُضاف إلى ذلك الرّغبة في إحياء وإيقاظ العقيدة اليهُوديَّة لدى هؤلاء المَسبيِّين، وتنشيط الرُّوح الوطنيَّة لديهم، وذلك بدافع حثِّهم على التّفكير بضرورة العودة إلى استعمار البلاد التي أُجبروا على التَّخلِّي عنها.

وإذا أضفنا إلى ذلك كُلِّه الميل المُتأصِّل لدى الكَتَبَة الأحبار إلى الحفاظ على مكانتهم الدِّينيَّة ودورهم القيادي في المُجتمع اليهُودي، والذي لابُدَّ من المُحافظة عليه، وتثبيته بنصٍّ ديني، كُلُّ ذلك يقودنا إلى الوُقُوف على الأُسُس التي انطلقت منها كتابات التَّوراة. فمن منطلق هذه الخلفيَّة الدِّينيَّة المُتأصِّلة في العقليَّة اليهُوديَّة والتَّوجُّهات البعيدة عن العقيدة التَّوحيديَّة الصّحيحة جاء النَّصُّ التَّوراتي ليُعبِّر عن عقيدة دينيَّة مُنغلقة، تعتمد على مُعتقَدات وَثَنيَّة وأُسطُوريَّة فاسدة، ونزعة عُنصُريَّة مقيتة.

إنَّ النَّصَّ التَّوراتي لا يمتلئ ـ فقط ـ بالتّشويه العقائدي للإيمان الصّحيح بالإله الواحد الأحد، الفرد الصّمد، عالم الغيب والشّهادة، القادر والمُقتدر، ولا ينظر إلى الذّات الإلهيَّة تلك النّظرة القُدْسيَّة، بل يتعامل مع الله وكأنَّ الإله كائن بشري يمشي، ويتعب ويستريح، ويغضب ويندم، ويتراجع، ويُصارع وينهزم، ويُحارب، ويقود شعبه الذي اصطفاه لنفسه دُون بقيَّة شعُوب العالم، ويخشى أنْ يضلَّ هذا الشّعب طريقه، فيسير أمامه في اللّيل والنّهار. وأنَّه يسكن في الضّباب، ولا يُوجد لديه مسكن يلجأ إليه "وهُو الذي يسكن في الضّباب، ويبني له سُليمان مسكناً "حينئذ تكلَّم سُليمان. قال الرَّبُّ: إنَّه يسكن في الضّباب. إنِّي قد بنيتُ لكَ سكني مكاناً لسُكناكَ إلى الأبد" (المُلُوك الأوَّل 8 / 12). وأنَّ هذا النَّصَّ لا يتبنَّى ـ فقط ـ حَصْرَ المحبَّة الإلهيَّة بالشّعب اليهُودي، بل يُضيف إلى هذه الخُصُوصيَّة دعوة أُسطُوريَّة سماويَّة بأنَّ على هذا الشّعب احتقار بقيَّة شعُوب العالم وكُلَّ أُمم الأرض "لأنَّكَ شعب مُقدَّس للرَّبِّ إلهكَ، وإيَّاكَ اصطفى الرَّبُّ إلهكَ أنْ تكون له أُمَّة خاصَّة من جميع الأُمم التي على وجه الأرض "(التّثنية: الإصحاح 7/ 6). إنَّ هذه المُنطلقات التي اعتمدتها التَّوراة لابُدَّ وأنْ تكون نتاجاً فاسداً لعقليَّة مُنغلقة، تُؤمن بمفاهيم مُغرقة بالحقد والعُنصُريَّة، وتدعو إلى التّمييز، وتجنح إلى الفوقيَّة، وتُؤمن بمبدأ الاصطفاء؛ لتَستعلي على الآخرين.

ديانة سماويَّة تُصوِّر لنا الإله بصُورة مُنحرفة بعيدة عن عقيدة التَّوحيد الصّحيحة، وتُصوِّر لنا أنبياءه الذين اصطفاهم لتبليغ رسالته بأنَّهم خُطاة آثمون بعيدون عن أيِّ نوع من أنواع العصْمَة التي خصَّهم الله بها، بل هُم ـ أحياناً ـ مُخالفون لأوامر الله.

إنَّ ما ذَهَبَ إليه الكَهَنَةُ عند كتابتهم التَّوراة لإضفاء هذا الطّابع المُتميِّز لليهُوديَّة ومُعتنقيها، والذي تناوله خُلفاؤهم كَتَبَةُ التّلمود الذين أطلقوا العنان للنّظرة الدِّينيَّة العُنصُريَّة المُتأصِّلة في الشّعب اليهُودي، وثبَّتوا هذه العُنصُريَّة في نُصُوص التّلمود؛ ليُعطوا أبناء الدّيانة اليهُوديَّة الحقَّ الدِّيني في مُمارسة هذه العُنصُريَّة مع الغَيْر(الغُوييم)، والحضّ على مُعاملتهم المُعاملة غير الأخلاقيَّة، واعتبارهم كَعَبيد وحيوانات، وغير جديرين بالحياة؛ لأنَّهم ليسوا من سُلالة يعقوب. ومن مُنطلق الإصرار على المُحافظة على العُنصُريَّة اليهُوديَّة ثبَّت الأحبار والكَهَنَةُ الأهميَّةَ المرجعيَّةَ للتّلمود في أذهان النّاس، بشكل أدَّى إلى رَفْع مُستوى هذه الكتابات

التّلموديَّة الموُضُوعة إلى مُستوى العقيدة الإلهيَّة التي تعلو على عقيدة مُوسى عليه السلام نفسه. وَوَصَلَ بهم الأمر إلى تثبيت الاعتقاد بقُدْسيَّة التّلمود، وتقديمه على التَّوراة، رغم ما تحتويه كتاباته من أباطيل وتهجُّم على المسيحيَّة، وما تتضمَّنه من طَرْح غير عقلاني، يخلط الواقع بالأُسطُورة، والخيال بالحقيقة.

لقد حاول السيِّد المسيح عليه السلام تصحيح مسيرة الضّلال اليهُودي، والرَّدَّ على تحريفات هذه العقيدة، والدّعوة إلى العودة إلى ما أمر الله به حقّاً، وليس إلى ما وَضَعَهُ الأحبار، وَدَخَلَ في صراع طويل لإعادة النّهج إلى طريقه القويم وفق الشّريعة الصّحيحة، ولكنَّ دعوته حُورِبَتْ، وَرُفِضَتْ، وقاومها الكَهَنَةُ، واضطهدوا المسيح وأنصاره، بل؛ وحاولوا قَتْلَهُ.

إنَّ الدَّور التّحريفي الذي مارسه الأحبار في تدوين التَّوراة جَعَلَ بعض الفرَق اليهُوديَّة كالقرَّائين يعتمدون التَّوراة التي تحوي ـ فقط ـ أسفار مُوسى الخمسة (التّكوين، الخُرُوج، اللاَّويِّيْن، العدد والتّثنية) ويرفضون الاعتراف ببقيَّة الأسفار الأربعة والثّلاثين، كما يرفضون الاعتراف بالتّلمود، بل يعدُّون هذه الكتابات عبارة عن أسفار كَتَبَها الأحبار لأغراض خاصَّة، ولأهداف مُعيَّنة لخدمة مصالحهم، وتثبيت مكانتهم، وإحكام سيطرتهم الدِّينيَّة. وهذا ما يُنادي به السّامريُّون، الذين ـ أيضاً ـ لا يعترفون إلاَّ بنُسخة التَّوراة السّامريَّة التي تحوي الأسفار الخمسة التي نزلت على مُوسى عليه السلام، ويرفضون اعتماد نُسخة التَّوراة العبرانيَّة التي تحوي على (39) التّسع والثّلاثين سفْراً. ولقد لاقت هاتان الفرقتان اضطهاداً في الوَسَط الدِّيني اليهُودي، وحُوربتا حرباً شعواء من السُّلطات الدِّينيَّة الأرثُوذُوكسيَّة صاحبة النُّفُوذ في المُجتمع اليهُودي، وبلغ الحقد والكَراهية لدى التّلموديِّيْن أنْ حرَّموا الزَّواج من أتباع هاتَيْن الفرقَتَيْن. وكما هُو مألوف في الوَسَط اليهُودي أنْ يلقى الدّاعون إلى صدق التَّوجه العقائدي، والذين يُنادون بتطبيق الشّريعة الصّحيحة التي أمر بها الله والتي نزلت حقّاً على مُوسى، لا بالالتزام بالكتابات الموُضُوعة، أنْ يُواجهوا حرباً شعواء، يشنُّها عليهم الكَهَنَةُ المُتزمِّتون الأُصُوليُّون، الذين يُؤمنون بالكتابات التّحريفيَّة، ويلتزمون بها، كما هُو الحال مع فرقة حُرَّاس المدينة (النّتوري كارتاه Neutri Carta) التي تلقى مُحاربة شديدة من قبَل السُّلطات الدِّينيَّة التي تتمتَّع بنُفُوذ قوي في الوَسَط الحُكُومي القائم، والذي على رأسه شارون وحزب اللِّيكود.

وممَّا سَبَقَ؛ يُمكن إيجاز المُنطلقات التي ربَطَ أحبار اليهُود الدّيانة اليهُوديَّة بها بما يلي:

1 ـ اليهُوديَّة ديانة خاصَّة لشعب خاصٍّ: "وأتَّخذكم لي شعباً، وأكون لكم إلهاً" (الخُرُوج: الإصحاح 6/ 7).

2 ـ اليهُوديَّة ديانة مُنغلقة لا تقبل دُخُول الغُرباء إليها: "إنَّكَ ـ يا إسرائيل ـ شعب مُقدَّس للرَّبِّ إلهكَ، إيَّاك اختار الرَّبُّ إلهكَ؛ لتكون شعباً أخصَّ من جميع الشُّعُوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشُّعُوب، بل من محبَّة الرَّبِّ إيَّاكم، وحفْظه القَسَم الذي أقسمه لآبائكم". (التّثنية: الإصحاح7 / 6 ـ 8).

3 ـ اليهُوديَّة ديانة عُنصُريَّة تحتقر كُلَّ الدّيانات الأُخرى، وتسعى لتدميرها. "وتأكل كُلَّ الشُّعُوب الذين الرَّبُّ إلهكَ يدفع إليكَ. لا تُشفقْ عيناك عليهم، ولا تعبد آلهتهم؛ لأنَّ ذلكَ شرْكٌ لكَ". (التّثنية: الإصحاح 7 / 16).

4 ـ اليهُوديَّة ديانة تُعبِّر عن النَّفْسيَّة الحاقدة التي يحملها حتَّى أبناء الأنبياء. "فقال يعقوب لشمعون ولاوي: كدَّرتُماني بتكريهكما إيَّاي عند سُكَّان الأرض الكنعانيِّين والفرزيِّين، وأنا نفرٌ قليل". (التّكوين: الإصحاح 34/ 30). "احترزْ أنْ تقطع عهداً مع سُكَّان الأرض التي أنت آت إليها؛ لئلاً يصيروا فخّاً في وسطكَ، بل تهدمون مذابحهم، وتكسرون أنصابهم، وتقطعون سواريهم". (الخُرُوج: الإصحاح 34/ 12 ـ 13). "وسبى بنو إسرائيل نساء مديَن وأطفالهم، ونهبوا جميع مواشيهم، وكُلَّ أملاكهم، وأحرقوا جميع مُدُنهم بمساكنهم، وجميع حُصُونهم بالنّار". (العدد: الإصحاح 31 / 9). "حين تقرب من مدينة لكي تُحاربها استدعها إلى الصُّلح. فإنْ أجابتكَ إلى الصُّلح وَفَتَحَتْ لكَ، فكُلُّ الشّعب الموجود فيها يكون لكَ للتّسخير، ويُستعبَد لكَ" "أمَّا مُدُن هؤلاء الشُّعُوب التي يُعطيك الرَّبُّ إلهكَ نصيباً، فلا تستبق منها نسمة ما" (التّثنية: الإصحاح20 / 10). "قُلْ لبني إسرائيل إنَّكم ستعبرون الأُردن إلى أرض كنعان. اطردوا كُلَّ سُكَّان الأرض من أمامكم. وتمحون جميع تصاويرهم، وتُبيدون كُلَّ أصنامهم المسبوكة، وتُخرِّبون جميع مُرتفعاتهم "(العدد: الإصحاح 33 / 52). "تملكون الأرض، وتسكنون فيها؛ لأنّي قد أعطيتُكُم الأرض لكي تملكوها". "وصعد الشّعب

كُلّ رجل مع وجهه، وأخذوا المدينة، وحرّموا كُلّ ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتَّى البقر والغنم والحمير بحَدِّ السّيف "(يشوع: الإصحاح 6/ 20). " وحلف يشوع في ذلك الوقت قائلاً: ملعون قُدّام الرَّبّ الرّجل الذي يقوم ويبني هذه المدينة أريحا " (يشوع: الإصحاح 6/ 26).

5 - اليهُوديَّة ديانة مُنغلقة لا تقبل دُخُول الغُرباء إليها، ويتمثَّل فيها فكرة الاستعلاء اليهُودي بأجلى معانيها، ولذلك بقيت أقلّ شريعة سماويَّة عدداً بين الشّرائع السّماويَّة الثّلاث. " فقام عزرا الكاهن، وقال لهم: إنَّكم قد خُنتُم، واتَّخذتُم نساء غريبة لتزيدوا على إثم إسرائيل، فاعترفوا - الآن - للرَّبِّ إله آبائكم، واعملوا مرضاته، وانفصلوا عن شُعُوب الأرض، وعن النّساء الغريبة ". (عزرا: الإصحاح 10/ 10 - 11).

إنَّ الدِّيانة اليهُوديَّة بأسفارها التّسع والثّلاثين، والتّلمود الذي يُعَدُّ جُزءاً أساسيَّاً في العقيدة اليهُوديَّة بمُنطلقاتها التي أشرنا إليها ليست - في الحقيقة - هي الدّيانة السّماويَّة الحقَّة التي دعا إليها مُوسى عليه السلام. فدعوة مُوسى لم تكن إلاَّ رسالة سماويَّة مُقدَّسة تدعو إلى الفضيلة، وتأمر بها، وتدعو إلى إصلاح النَّفْس، والالتزام بفعل الخير، والابتعاد عن الإثم والشَّرّ، والإيمان الصّادق بالله، والانصياع لأوامره لنيل ثوابه. تلك هي الوصايا والأوامر الإلهيَّة التي أمر الله بها مُوسى عليه السلام أنْ يطلب من شعبه الالتزام بها، والسّير عليها.

ولكنْ؛ للأسف، تحوَّلت هذه الوصايا والأوامر إلى مفاهيم مُغايرة وتحريفات عديدة قَلَبَتْ تلك المفاهيم رأساً على عقب.

إنَّ ما يجري الآن، وما نُشاهده من مُمارسات تُبيِّن - بشكل واضح - هذه التّحريفات الشّنيعة والمفاهيم المغلوطة التي تُبرز ليس - فقط - العُنصُريَّة اليهُوديَّة التي فاقت كُلّ أنواع العُنصُريَّة التي شاهدتْهَا البشريَّة في تاريخها المُعاصر، بل إنَّها - أيضاً - تُبرز تهوُّراً لا حُدُود له من قبَل رجال الدِّين اليهُود، الذين يُديرون الحُكْم في إسرائيل مُنذُ مُدَّة طويلة بالدّعوة العَلَنيَّة إلى إفناء الآخرين، وتشريدهم، وطردهم من أرضهم ومساكنهم، وحرمانهم من أيَّة فُرصة للحياة، والإصرار الإجرامي الرّهيب على الدّعوة إلى اغتصاب الأرض، وطرد سُكَّانها

العَرَب الأصليِّين، وعدم مُمانعة أكثر الحاخامات (مائير كاهانا ـ أوفيديا يُوسُف. .) من إبادتهم؛ لأنَّ ذلك أضمن لمستقبل أبناء شعبهم.

النَّصُّ التَّوراتي:

تدفعنا هذه النُّصُوص التي عرضناها آنفاً، والتي تُبيِّن ـ بوُضُوح ـ ما تختزنه العقيدة اليهُوديَّة من نوايا شرِّيرة وتوجُّهات عُنصُريَّة وميل للاستعلاء، وإيمان مُطلَق بالاصطفاء الإلهي إلى التَّساؤل: هل يجوز أنْ يقودنا ذلك إلى أنْ نصف هذا الشَّعب ـ بغَضِّ النَّظَر عن حُبِّنا أو كراهيَّتنا له ـ بأنَّه شعب يميل إلى الشَّرِّ، ويحتكر الرَّذيلة، وتتأصَّل في نفسه الكَراهية والعُدوان، ويُعشِّش في قلبه حقْد دفين ورغبة عارمة في استخدام أدنى الأساليب وأحقر الطُّرُق لتحقيق غاياته غير النَّبيلة لاغتصاب الأرض من أصحابها، وتشريد أهلها، وقتل أطفالها وشبابها، وتعطيل مسيرة العديد من الشُّعُوب المُجاورة، وتبديد رغبتها في التَّطوُّر والنُّمُوِّ؟ هل يجوز أنْ نصف كُلَّ اليهُود بهذه الأوصاف استناداً إلى النَّصِّ التَّوراتي فقط؟!

إنَّ العدل والإنصاف يقضي ألاَّ يتَّجه إيماننا وأنظارنا إلى هذا المنحى لو أنَّ الطَّريق الذي سَلَكَهُ زُعماء إسرائيل وحاخاماتها كان يتَّفق وينسجم مع الوصايا الحقَّة التي أمر الله بها، وذكرها في الشَّريعة السَّماويَّة الحقَّة التي أنزلها على مُوسى عليه السلام، وكذلك في الشَّريعتَيْن السَّماويَّتَيْن اللَّتَيْن أوحى الله بهما إلى عيسى ومُحمَّد عليهما الصَّلاة والسَّلام؛ إذْ لا يُعقَل أنْ تتضمَّن أيَّة شريعة سماويَّة ما تضمَّنته التَّوراة، وما احتواه التَّلمود من دعوة إلى القَتْل، والحَثّ على التَّدمير والإبادة، وإفشاء التَّمييز العُنصُري في النَّفْس البشريَّة. فحاشا لله أنْ تكون شريعته تحوي هذه التُّرَّهات وتلك التَّوجُّهات البعيدة كُلَّ البُعْد عن سُمُوِّ الرِّسالة السَّماويَّة.

ولكنْ؛ يبدو أنَّ الغالبيَّة العُظمى من اليهُود تميل إلى اعتماد النَّصِّ التَّوراتي الذي يحوي في طيَّاته كُلَّ السِّمات غير الإنسانيَّة التي ثبَّتها أحبارهم في التَّوراة والتَّلمود. لذلك نرى أنَّ الرَّغبة في إظهار أكبر قَدْر من العنجهيَّة والاستعلاء وإملاء الشُّرُوط غير المقبولة من الجانب العَرَبي هي السِّياسات المُعتمَدة لدى الطَّبقة الحاكمة في إسرائيل، إضافة إلى الإعلان السَّافر من قِبَل هؤلاء على رَفْض قرارات هيئة الأمم المُتَّحدة وتوصياتها. ويبلغ سُوء التَّقدير لدى السُّلطة

الحاكمة في إسرائيل أنْ رَفَضَتْ الاستجابة إلى آراء أصحاب الأفكار المُعتدلة، الذين يتمتَّعون بنظرة ثاقبة لمُستقبل إسرائيل، والذين يُريدون أنْ تخرج إسرائيل من أَسْر الفكر الصّهيوني المُتحجِّر، وتتخلَّص - في الوقت نفسه - من هيمنة الأكليروس اليهُودي، وتُقيم علاقات طبيعيَّة مع العَرَب من سكَّانها وسُكَّان الدُّول المُجاورة لها، وتتحوَّل إلى دولة ديمُقراطيَّة حقيقيَّة خالية من أيَّة قوانين عُنصُريَّة.

الإطار العامّ للنَّصّ:

لو أجرينا - تجاوزاً - مُقارنة بين النَّصّ التَّوراتي والنَّصّ القُرآني من جهة ثانية، لبرز أمامنا الحقائق التّالية:

1 - إنَّ كتابة النَّصّ المُقدَّس اليهُودي (التَّوراة والتّلمود) قد أخذ مُدَّة طويلة تُقارب الألف سنة. فقد استمرَّت عمليَّة التّدوين فترة مديدة، ومرَّت عبر مراحل كثيرة، بدأت بعدما يزيد عن (700) سنة من نُزُول التَّوراة بأسفارها الخمسة على مُوسى عليه السلام، ومن ثمَّ؛ ما ارتآه الأحبار من ضرورة كتابة التّعليمات الشّفهيَّة التي زعموا أنَّها نزلت على مُوسى عليه السلام، ودوَّنوها في كتاب أطلقوا عليه اسم (المشناة)، ثُمَّ اضطُرُّوا إلى تفسير المشناة في كتاب أطلقوا عليه اسم (الجمارا)؛ ليُشكِّل المشناة والجمارا (التّلمود) الذي يعدُّونه جُزءاً رئيسيّاً في العقيدة اليهُوديَّة، يكفِّرون مَنْ لا يُؤمن بها أو يرفضها.

2 - إنَّ هذه الفترة الطَّويلة التي استغرقتها عمليَّة تدوين الشّريعة الموسويَّة لم يتطلَّبها (العهد الجديد) النَّصّ المسيحي المُقدَّس؛ إذْ كما نعلم إنَّ فترة تدوين هذا النَّصّ لم تتطلَّب أكثر من مئتَيْ عام، تمَّ - في نهايتها - الاعتماد على نُصُوص مُقدَّسة مقبولة ومتَّفق على صحَّة روايتها كما وَرَدَتْ على لسان السيِّد المسيح. أمَّا إذا قارنَّا هذا مع ما تمَّ حُدُوثه بالنّسبة للنَّصّ القُرآني، وجدنا أنَّ هذا النَّصّ المُقدَّس (القُرآن الكريم) لم يُواجه تلك الإشكالات التي مرَّت بالنَّصَّين المُقدَّسَيْن اليهُودي والمسيحي. فقد كان الرّسول مُحمَّد ﷺ حريصاً على تدوين النَّصّ القُرآني فور نُزُوله، والإيعاز إلى كَتَبَة الوحي بكتابته تحت إشرافه مُباشرة. ولذلك؛ عندما جَمَعَهُ الخليفة الرّاشد عُثمان بن عفَّان، وكان من الحافظين له، لم يرد في النُّسخة التي اعتمدها أيُّ

تحريف أو تبديل على ما أُنزل فعلاً على الرّسول الكريم ﷺ، وصدق قول الله عزَّ وجلَّ في ذلك: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾. سورة الحجر الآية: 9.

إنَّ ما لحق بالنَّصِّ اليهُودي من توجُّهات تحريفيَّة، وميل نحو إضفاء صبغة عُنصُريَّة واضحة على النَّصِّ التَّوراتي قد يكون سببه التَّأثُّر بالظُّرُوف البيئيَّة التي عاشتها الجماعات اليهُوديَّة خلال فترة التّدوين، والتي رافقت فترة السّبي البابلي، ولكنْ؛ من الثّابت ـ لدى قراءة النَّصِّ التَّوراتي المُعتمَد ـ وُضُوح النّعرة العُنصُريَّة بأبشع قوالبها ـ في العقيدة اليهُوديَّة. فعلى سبيل المثال؛ يُعدُّ الزَّواج بين اليهُود وغيرهم من الأغراب (الغُوييم) سواء كان هؤلاء الأغراب (مسيحيّين أو مُسلمين أو زنادقة. .) زواجاً باطلاً، ونوعاً من الفُجُور والزّنا، ويعدُّون الأولاد الذين يُولدون ـ نتيجة هذه المُعاشرة الزَّوجيَّة إذا تمَّت ـ أولاد زنا. وتشترط بعض الفرَق اليهُوديَّة ليس ـ فقط ـ وحدة الدِّين بين الزَّوجَيْن، بل ـ أيضاً ـ وحدة المذهب. وتتجلَّى العُنصُريَّة العصبيَّة في الأُمُور المُتعلِّقة بالابن البكْر الذي تُوليه العقيدة اليهُوديَّة مكانة واهتماماً خاصّاً. فهُو خليفة أبيه في كُلِّ شيء، والمُتصرِّف الوحيد في ثروة أبيه (قصَّة تآمر يعقوب وأُمّه على أخيه عيسو) في الإصحاح (27) السّابع والعشرين من سفْر التّكوين. ولا يُعدُّ الابن المولود من أب غير يهُودي (غُوييم) ابناً بكْراً، وكذلك الذي يُولد من زوجة أجنبيَّة (غير يهُوديَّة) لا يُعدُّ بكْراً. فالبكْر من الأجنبيَّة لا يمنع البُكُورة من الإسرائيليَّة إذا جاء بعدها. ثُمَّ إنَّ التّعامل بين اليهُود والغَيْر يُبرز بشكل واضح هذا التّمييز العُنصُري، فالرّبا مُحرَّم بين اليهُود، وعقُوبة المُخالف التّكفير والخَلْع، بينما يُباح لليهُودي التّعامل بالرّبا مع غير اليهُودي. ثُمَّ النَّصُّ في التَّوراة على كَراهية الغير واحتقار الشُّعُوب واعتبار اليهُود أنفسهم أنّهم الشّعب المُصطفى من الرَّبِّ، وأنَّهم ـ هُم دُون غيرهم ـ أحقُّ بالسّيطرة والتَّفوُّق وحُكْم الآخرين وفق الإرادة الإلهيَّة التي قدَّمها الله لهم. كُلُّ هذه الأُمُور أَوْجَدَتْ مُسوِّغاً لدى الآخرين لوَصْم اليهُود بصفات ذميمة ترسَّخت عبر التّاريخ في أذهان النّاس على أنَّ تلك الجماعة هُم أعداء البشريَّة الحاقدون على الشُّعُوب والرّاغبون في تدميرها، الطّامعون في ثروة الآخرين، والمُتعطِّشون للسّيطرة على العالم أجمع.

ويُجمع الباحثون (أمثال أحمد سُوسة، أحمد حجازي السَّقَّا، حسن الباش، وجُرجي كنعان، وغيرهم) الذين تعرَّضوا للعقيدة اليهُوديَّة، وتناولوا أسفارها، التي تُعدُّ من أقدم الكتابات الدِّينيَّة بالتّحليل، وقارنوها بما جاء في القُرآن الكريم على استخلاص المُلاحظات التّالية:

1 ـ الإله والكون:

تُركّز التَّوراة على تصوير الإله تصويراً مُجسَّداً، وتُبيِّن في كثير من أسفارها طبيعة هذا التَّجسُّد، بينما نجد أنَّ هذا المفهوم يأخذ منحى مُغايراً في القُرآن الكريم. فالذّات الإلهيَّة في التّصوير القُرآني مُقدَّسة بعيدة عن التّصوير التّجسيدي، ومُنزَّهة عن الوَصْف، ولا حُدُود لقُدرتها العليَّة. فالإله يختلف كُلّيّاً عمَّا وَرَدَ في التَّوراة التي تصفه بأنَّه إله مطواع لشعبه، يُقابل أنبياءه، ويستمع لنصائحهم، ويُقاتل بدلاً عن شعبه الذي اصطفاه من دُون شُعُوب العالم، ويتحوَّل عن غضبه إذا شعر أنَّ شعبه المُختار قد تحوَّل عنه، أو أبدى امتعاضاً من سُلُوكه!!! والإله في التَّوراة كما استوعب مفهومه بنو إسرائيل إله خاصّ:

" أنا الرَّبُّ إلهكَ، الذي أخرجكَ من أرض مصر دار عُبُوديَّتكَ، لا يكنْ لكَ آلهة أُخرى سواي" الخُرُوج 20/ 2.

"ثُمَّ صعد مُوسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شُيُوخ بني إسرائيل، ورأوا إله إسرائيل، وتحت رجلَيْه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشَّفَّاف" الخُرُوج 24/ 9 ـ 10.

" لقد قال الرَّبُّ إلهنا لنا في جبل حوريب" التّثنية 1/ 6.

أمَّا في القُرآن الكريم؛ فقد وَرَدَتْ هذه الخُصُوصيَّة للإله التي اختصَّها بنو إسرائيل لأنفسهم في عدَّة آيات:

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ البقرة 61.

﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ﴾ البقرة 70.

﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾ المائدة 24.

ومُقابل هذه الخُصُوصيَّة التَّوراتيَّة للإله نجد القداسة للذّات الإلهيَّة في الأوصاف التّالية للإله في القُرآن الكريم:

الله ربّ العالمين - ربّ السّموات والأرض - ربّ المشرق والمغرب - ربّ النّاس.

2 - الرّسالة والدّعوة:

تسعى اليهُوديَّة إلى التّركيز على الرّغبة في حَصْر عقيدتها في بني إسرائيل، وتنأى بنفسها عن نَشْر هذه الدّعوة بين شُعُوب المنطقة التي تتعايش فيها. وهي في هذا السُّلُوك تبدو كَعقيدة قوميَّة عُنصُريَّة بعيدة عن طابع الدّيانة الإنسانيَّة العالميَّة. من هذا المضمون للعقيدة انطلقت مقولة شعب الله المُختار، وانطلقت معها مقولة الصّفوة المُختارة التي تأبى أنْ يُشاركها في هذا الاختيار الإلهي أيُّ فريق آخر، بل أنكرت هذه المجموعة على غيرها حقَّ شرف الانتساب إلى إبراهيم ﷺ، وحصرت هذا الشّرف بنسل يعقوب فقط. وفي اليهُوديَّة إصرار على عدم قبول أيَّة مجموعة بشريَّة في المجموعة التي خرجت من مصر بقيادة النّبي مُوسى ﷺ والتي يبدو أنّها كانت حاقدة على كُلِّ المجموعات الأُخرى التي كانت تتعايش في المنطقة التي ذهبت إليها لتستوطن في أراضيها، وتستبيحها، تحقيقاً لتفسير الوعد الإلهي المزعوم لها. وبينما تقوقعت اليهُوديَّة على نفسها انفتحت المسيحيَّة والإسلام على العالم، ورحَّبَتا بكُلِّ مَنْ يودُّ الانتساب إليهما. والقُرآن الكريم لم يَحْصُرْ فضلَ مكانة الإنسان عند الله بعرْق أو عُنصُر أو لون، بل ركَّز على العمل الصّالح للإنسان مهما كانت جُذُوره ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات 13) ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾ (الزّمر 61).

3 - النُّبُوَّة والعصمة:

من أركان الإيمان الصّحيح - حسب العقيدة الإسلاميَّة - الإيمان بالله، وملائكته، وكُتُبه، ورُسُله، واليوم الآخر، والقَدَر خيره وشرِّه. وقد جاءت الآية الكريمة 285 من سُورة البقرة تُبيِّن ذلك:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وفي النَّصِّ التَّوراتي نجد أنَّ مفهوم النُّبوَّة يختلف عن المفهوم الذي وَرَدَ في القُرآن الكريم، وخاصَّة فيما يتعلَّق بالاصطفاء الإلهي، واختيار البشر الذين يتمتَّعون بصفات مُعيَّنة لتبليغ رسالة السَّماء، وتبيان العلاقة الصَّحيحة الواجب توفُّرها بين الخالق والمخلوق. فالنُّبوَّة تكليف وتشريف إلهي لِمَنْ اصطفاه الله لهذه المهمَّة النَّبيلة، وتبليغ دعوة التَّوحيد التي عهدها الله إليهم. والقُرآن الكريم يُبيِّن - بوُضُوح - هذا الاختيار والاصطفاء:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٣ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ آل عُمران 33 - 34.

إلاَّ أنَّ التَّوراة، إضافة إلى عدم توضيح صفة النُّبوَّة على كثير من الأنبياء كآدم عليه السلام الذي نفت عنه أصلاً صفة النُّبوَّة، وتبليغ عقيدة التَّوحيد لأولاده وإدريس عليه السلام ونُوحاً ولُوطاً وداود وسُليمان عليهم السَّلام وغيرهم، فإنَّها أوردت قَصَص عدد كبير من الأنبياء بما يُفيد إمَّا ابتعادهم عن تنفيذ الأوامر الإلهيَّة المُكلَّفين بها، أو نفي صفة العصمة التي تتواكب مع الاصطفاء والاختيار الإلهي لهذا النَّوع من النَّاس. وبقدر ما أعطى القُرآن الكريم الصِّفات الحميدة لهؤلاء الأنبياء، سواء الذين وَرَدَتْ أسماؤهم في التَّوراة، أو الذين وَرَدَتْ أسماؤهم في القُرآن الكريم، ولم يردْ ذكْرهم في التَّوراة كالنَّبي صالح، والأنبياء يُونُس وهُود وعيسى ومُحمَّد عليه السَّلام، وبقدر ما نزَّه القُرآن الكريم سُلُوك هؤلاء الأنبياء من كُلِّ شائبة نجد أنَّ التَّوراة قد أوردت أحداثاً تُفيد بابتعاد أنبياء مثل إبراهيم ونُوح ولُوط وإسحق ويعقوب عن أيَّة عصمة خصَّهم الله بها:

- فإبراهيم يكذب على المصريِّين، ويقول عن سارة زوجته إنَّها أُخته خوفاً من أنْ يقتلوه، ويستبقوها. التَّكوين 12/ 12 - 13.

- ونُوح يشرب الخمر، ويسكر، ويتعرَّى أمام أولاده حام وسام ويافث، ويلعن ابنه حام أبا الكنعانيِّين؛ لأنَّه لم يستر عورة أبيه عندما تعرَّى داخل خيمته. التَّكوين 9/ 25 - 27.

- ولُوط الذي تآمر عليه ابنتاه، وتسقيانه الخمر، وتُضاجعانه؛ لتحملا منه، فتُنجب الأُولى مُوآب، والثَّانية بن عمي. التَّكوين 19/ 31 - 38.

ـ وإسحق يدَّعي أنَّ زوجته رفقة التي ولدت له عيسو ويعقوب هي أُخته، وينكشف أمره عندما يراه ملك جرار يُداعبها، ويطلب منه الرّحيل بسبب هذا الادِّعاء الكاذب، والذي عاتبه الملك بقوله: لولا قليل لاضطجع أحد الشّعب مع امرأتكَ فجلبتَ علينا ذنبنا. التّكوين 26/ 9 ـ 11.

ـ ويعقوب ينتحل شخصيَّة أخيه عيسو بالتّآمر مع والدته لينال بركة أبيه إسحاق، الذي كان يرغب في مُباركة ابنه عيسو. التّكوين 27/ 18 ـ 28 .

ـ ورأوبين ابن يعقوب البكْر من زوجته ليئة يُعاشر سريَّة أبيه بلهة جاريَّة زوجته راحيل، التي قدَّمتها لزوجها يعقوب؛ ليُنجب منها ولدَيْه دان ونفتالي. وقد عاقب يعقوب ابنه البكْر رأوبين على هذا الفعل الشّنيع بأنْ حرمه من نصيبه المُضاعف في الميراث، ذلك النّصيب الذي يناله ـ عادةً ـ الابن البكْر في ميراث أبيه. وتأخَّرت هذه العقُوبة لحين إشراف يعقوب على الموت، عندما جَمَعَ أولاده، وخاطب رأوبين قائلاً له: رأوبين؛ أنتَ بكْري، وقُوَّتي، وأوَّل مظهر رُجُولتي، فضل الرِّفعة وفضل العزِّ، لكنَّكَ فائر كالماء، لذلك لن تظلَّ مُتفوِّقاً؛ لأنَّكَ اضطجعتَ في فراش أبيكَ، صعدتَ على سريري، فدنَّستَهُ. التّكوين 49 / 3 ـ 4.

ـ وهارون الذي أغفلت التَّوراة صفة النُّبُوَّة عنه، رغم أنَّه رافق النّبي مُوسى عليه السلام في مُعظم حياته، وساهم معه في تبليغ رسالته، بل اتَّهمته بأنَّه وراء صنْع العجل الذّهبي الذي عبده بنو إسرائيل أثناء غياب مُوسى عليه السلام للقاء ربِّه وفق ما بيَّنه سفْر الخُرُوج في الإصحاح 32/ 21 ـ 26. ومُقابل هذا الإجحاف التَّوراتي بحقِّ هذا النّبي نجد أنَّ القُرآن الكريم قد بيَّن في كثير من الآيات نُبُوَّة هذا الرّسول ومكانته العالية في الرّسالة التي ساهم مع أخيه مُوسى عليه السلام في حَمْلها لبني إسرائيل:

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَـٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾ يونس 75.

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيًّا ﴾ مريم 53.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ الأنبياء 48.

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ المؤمنون 45.

ـ أمَّا داود الذي يبيِّن القُرآن الكريم بأنَّ الله ـ سُبحانه وتعالى ـ منحه النُّبوَّة والمُلْكَ معاً وأنزل عليه الزَّبور ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ (النِّساء 163) ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ ﴾ (سبأ 10) ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾ (ص 26)؛ فإنَّه رغم هذه المكانة الرَّفيعة لداود في القُرآن الكريم نجد أنَّ التَّوراة تتحدَّث عنه كَمَلك أكرمه ربَّه، وأيَّده بنصره، وساد على كُلِّ بني إسرائيل، ولكنْ؛ رغم كُلِّ هذه الإنجازات التي حقَّقها، فقد ذَكَرَت التَّوراة أنَّه انحرف في حياته الشَّخصيَّة، واشتهى "بتشبع" زوجة أحد قُوَّاده وهُو أُوريا الحثِّي، وبعث يستدعيها. وبعد أنْ ضاجعها، حملت منه، ورأى أنَّه لابُدَّ من التَّخلُّص من أُوريا، فأمر بإبعاده إلى جبهة القتال الأماميَّة ليُقتَل هُناك. وبعد أنْ قُتل أُوريا، تزوَّج داود "بتشبع" كما بيَّنتْه نُصُوص سفْر صموئيل الثَّاني الإصحاح 11 / 1 ـ 26.

ـ وأخيراً، وليس آخراً؛ فإنَّ التَّوراة تتحدَّث عن الملك سُليمان وإنجازاته وحكْمته، ولكنْ؛ تقرن هذه الإنجازات بأنَّ سُليمان قادتْهُ حياته إلى عبادة الأوثان؛ بسبب زواجه من عدد من النِّساء الوَثَنيَّات اللَّواتي أملنَ قلبهُ، وخالف أمر الرَّبِّ، الذي نهى عن الزَّواج من بنات الأُمم التي نهى الرَّبُّ بني إسرائيل من الزَّواج منهم، عندما قال لهم (لا تتزوَّجوا منهم، ولا هُم منكم؛ لأنَّهم يُغوون قُلُوبكم وراء آلهتهم) (المُلُوك الأوَّل 11 / 1 ـ 2). وتُشير التَّوراة إلى أنَّ سُليمان كانت له 700 زوجة و 300 محظيَّة، وقد استطعنَ في زمن شيخوخته أنْ يُغوين قلبه وراء آلهة أُخرى (فلم يكن قلبه مُستقيماً مع الرَّبِّ إلهه كَقلب داود أبيه (المُلُوك الأوَّل 11/ 3).

هذا ما تحدَّثت به التَّوراة عن سُليمان ﷺ، بينما نجد القُرآن الكريم يتحدَّث عن هذا النَّبي في عدد من الآيات منها:

﴿ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ النِّساء: 163.

﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ الأنبياء: 79.

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ الأنبياء: 81.

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ ﴾ النّمل: 17.

ويبدو من هذه المُقارنة المُوجزة بين النَّصِّ القُرآني والنَّصِّ التَّوراتي أنَّ كُتَّاب التَّوراة أرادوا أنْ يُثبتوا للعالم أنَّ كتاباتهم كانت تنطلق من دوافع سياسيَّة بحتة لتخدم أهدافاً اجتماعيَّة مُعيَّنة هي أقرب للقَصَص التّاريخيَّة منها للحقيقة الدِّينيَّة، والله أعلم بمراميهم، ولكنَّ الشّيء المُؤسف أنَّه حتَّى الآن مايزال التّاريخ التَّوراتي - تاريخ العهد القديم - الذي نقضتْهُ النَّظريَّات العلميَّة، وقلَّلتْ من قيمته الأبحاث الأكاديميَّة هُو التّاريخ السّائد المُتَّفق عليه دينيّاً نصّاً ورُوحاً.

4 - اليهُود والإسلام:

ولكنْ؛ رُبَّ مُعترض يقول إنَّ المسيحيَّة تقبَّلت العهد القديم، واعتمدتْهُ ككتاب مُقدَّس إلى جانب الإنجيل، وأصرَّ العديد من فرَقها على تبنِّي النَّصِّ التَّوراتي بحذافيره، دُون أيِّ تعديل. كما أنَّ القُرآن الكريم بيَّن في العديد من آياته مقام بني إسرائيل، وكيف أنَّ الله - عزَّ وجلَّ - كرَّم هؤلاء القوم، واختارهم لرسالته، وخصَّهم بمكانة مُميَّزة عن بقيَّة أُمم ذلك العهد:

﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ البقرة: 47.

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ﴾. المائدة: 12.

- ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾. الأعراف: 137.

- ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾. يُونُس: 93.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾. الإسراء: 101.

﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾. الإسراء: 104.

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴾. طه: 80.

﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾. الأنبياء: 73.

- ﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾. الشُّعراء: 59.

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾. السّجدة: 23.

﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾. السّجدة: 24.

- ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾. غافر: 53.

- ﴿ وَلَقَدۡ نَجَّيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴾. الدُّخان: 30.

- ﴿ وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾. الدُّخان: 32.

- ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾. الجاثية: 16.

وممَّا سَبَقَ؛ يتضح لنا أنَّ الإسلام لم يُنكر اليهُوديَّة كَشريعة سماويَّة، بل - كما رأينا - أورد القُرآن الكريم العديد من الآيات التي تُبيِّن مقام بني إسرائيل، ولكنَّ العداء بين اليهُوديَّة والإسلام برز عندما أنكرت اليهُوديَّة ليس - فقط - الإسلام، بل المسيحيَّة أيضاً، ووَصَفَتْ هاتَيْن الرّسالتَيْن السّماويتَيْن بأنَّهما رسالتان زائفتان، الأُولى صاحبها لقيط حملت به أُمُّه سفاحاً، والثّانية جاءت على لسان أعرابي لا يعقل شيئاً، وأنَّ أتباع هاتَيْن الرّسالتَيْن مخدوعون ومُضلّلون.

لقد لقي المسيح عليه السلام الكثير من غدر اليهُود، وعانى من مُعارضتهم لرسالته، ومُقابلتهم المحبَّة التي يدعو إليها بالعُنصُريَّة التي يدينون بها، فخاطبهم قائلاً: "يا قُساة القُلُوب، يا غير

المُطهَّرين بالقُلُوب والآذان، أنتم تُعادون الرُّوح في كُلِّ حين". ثُمَّ دعاهم مُذكِّراً: "يا أُورشليم (ويقصد اليهُود)، ياقاتلة الأنبياء وراجمة المُرسلين إليها، كم مرَّة أردتُ أنْ أجمع أولادك كما تجمع الدّجاجة فراخها تحت جناحها، ولم تُريدي".

أمَّا خاتم الأنبياء مُحمَّد ﷺ؛ فقد لقي مثل هذه المواقف الكثير، فمن نَقْض للعهد، إلى التآمر على القَتْل، إلى الانحياز الفاضح لعَبَدَة الأوثان مُشركي قُريش، إلى رغبة عارمة لتحطيم الإسلام وإطفاء صوته. لقد كَشَفَ الإسلام السُّلُوك اليهُودي المُحرِّف لرسالة مُوسى عليه السلام، وبيَّن أنَّ الشّريعة السّماويَّة لا يُمكن أنْ تُعطي للعُنصُريَّة دوراً، ولا للاستعلاء على النّاس مكانة، ولا للحقد المرير على البشريَّة اعتباراً، بل الرّسالة السّماويَّة هي رسالة المحبَّة والإخاء، تُوحِّد ولا تُفرِّق، تدعو إلى الخير والعمل الصّالح، وتنهى عن الإثم والعُدوان وفعل المُنكرات.

إنَّ من الصُّعُوبة بمكان قبول النّزعة العُنصُريَّة والطُّمُوح الشّديد إلى السّيطرة والمُغالاة الزّائدة في تقييم الذّات والتّهافت غير المقبول لتحقيق المكانة الاجتماعيَّة الأُسطُوريَّة التي يدَّعون بأنَّ الله خصَّهم بها كقولهم:

"لولا اليهُود لارتفعت البَرَكَةُ من الأرض".

"إنَّ اليهُود أبناء الله وأحبَّاؤه".

"اليهُود أحبُّ إلى الله من الملائكة".

لقد أورد التّلمود الكثير من هذه الأقوال المُتطرِّفة التي قد يكون مبعثها الحقد الدّفين على البشريَّة جمعاء، لفقدان مملكتهم، أو الاعتقاد بأنَّ هؤلاء القوم هُم شعب الله المُختار حقّاً، وأنّهم يتمتَّعون بهذه الصّفة رغم ما ارتكبوه من معاصي وجُحُود وإنكار لأوامر الله، ورَفْضهم الانصياع لرسالاته.

لقد قضت الحكمة الإلهيَّة أنْ تنزع المكانة الخاصَّة التي خصَّها الله لبني إسرائيل بعد أنْ بدأ القوم يتنكَّرون لميراثم الدِّيني، ويغترُّون بالنّعمة التي أنعمها الله عليهم، ويكفرون بها،

ويتجرَّؤون على العزَّة الإلهيَّة، فيخلطون التَّوحيد بالشِّرْك، ويرفضون دعوات أنبيائهم بالعودة عن المعاصي والضّلال الذي ينغمسون فيه، يُهملون أوامر الله القاضية بالأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر، يسيرون وراء غرائزهم وشهواتهم، يتناسون يوم الحساب، ويتغاضون عن الحقِّ، يرتكبون المُنكرات، ويُهملون الرّسالة التي اختيروا لأجلها، يُنكرون الأنبياء، ويسخرون من النّصيحة، ويرفضونها. وعندما جاءهم عيسى عليه السلام يُحذِّرهم من التّمادي في الخُرُوج عن أمر الله اتَّهموه بالكذب، ورموه وأُمّه بأقذع الاتِّهامات، بل حاولوا قَتْلَهُ أُسوة بمَنْ سَبَقَهُ من أنبيائهم.

إنَّ هذا الانتقال الحاسم في التّكليف الإلهي ورفع المكانة العالية التي خصَّ الله بها بني إسرائيل بعدما ارتكبوه من معاصي وآثام تُوضِّحه لنا الآيات القُرآنيَّة التّالية، التي تُصوِّر عثرات هؤلاء القوم، الذين كُلِّفوا بحَمْل الرّسالة، ولكنْ؛ غلبت عليهم شهواتهم وضلالاتهم وغُرُورهم:

﴿ سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ البقرة: 211.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ آل عُمران: 75.

﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ آل عُمران: 110.

﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ﴾ المائدة: 62.

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ المائدة: 70.

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾. الصَّفّ: 6.

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ الجُمعة : 5 .

لقد اختار الله العَرَبَ لحمل رسالته الجديدة إلى الإنسانيَّة جمعاء، ولكـنَّ اليـهُود رأوا في هذا التَّحوُّل عنهم امتهاناً لمكانتهم، فاستماتوا في تكذيب الرّسالة الجديدة وحاملها مُحمَّد ﷺ:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ آل عُمران : 110 .

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ التَّوبة : 32 .

﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ الحجّ : 75 .

5 ـ الإصرار على تحريف العقيدة:

لقد أصرَّ اليهُود على أنَّـهم شـعب الله المُختـار، وحـاملو رسـالته، رغـم التّحريـف الـذي أدخله أحبارهم على هذه الرّسالة، وتحمَّلوا في سبيل ذلك الاضطهاد والتّشريد بجلادة لا مثيل لها، وقد عانوا طوال مسيرتهم العذاب والهوان، ولم تبخل أيَّـة أُمَّة مسيحيَّة في اضطـهادهم واستباحة دمائهم، ولم تتورَّع دُول أُورُوبـا عـن إظـهار العـداء والبغضـاء لـهم، وإلحـاق الأذى بهم. ومـع كُـلّ هـذه المسيرة المُضنيـة عبر التّـاريخ الحـافل بالمآسـي والنّكبات فقـد ظـلَّ اليـهُود يُناضلون بأناة وصبر، ويسعون إلى مُستقبل أفضل، غـير آبـهين بالصّعـاب والآلام التـي كـانت تلحق بهم. وعندما جاء الإسلام رَفَضَهُ أحبارهم، واستنكروا أنْ يحمل هذه الرّسـالة نبـيٌّ مـن غير قومـهم، وهـاجموا مُحمَّـداً ﷺ، وحـاولوا ـ أيضـاً ـ قَتْلَهُ، وسـعوا إلـى تحطيـم هـذا الدِّيـن الجديد. وبعد أنْ نجحوا في فَتْح ثغرات كثيرة فـي المسيحيَّة، واخترقوا كثيراً مـن مُؤسَّسـاتها، وتمكَّنوا من خَلْق مفاهيم جديدة وظَّفوها لخدمة مُخطَّطاتهم، جاء سُـقُوط الخلافـة الإسـلاميَّة؛ ليُقدِّم لهم فُرصتهم الذّهبيَّة فـي تحقيـق طُمُوحاتـهم التّوراتيَّـة. وبينمـا كـان العَـرَب يغطُّـون فـي سُبات عميـق، غـافلين عـن التَّنبُّـه للمُخطَّـط الـذي كـانت تسعى إليـه الصّهيونيَّـة لبنـاء دولتـها

اليهُوديَّة في الأرض العَرَبيَّة، تمكَّنت الصّهيونيَّة ـ بمُساعدة الدُّول الاستعماريَّة في أُورُوبا ـ من النَّفاذ إلى المنطقة العَرَبيَّة، واغتصاب ما شاءت من الأراضي. لقد دَعَمَتْ أُورُوبا هذا الاغتصاب للحقِّ العَرَبي، بل حالت دُون تمكين صاحبه الشَّرْعي من الدّفاع عن وطنه وأرضه.

إنَّنا نعتقد أنَّ البحث عن تحريف التَّوراة والحديث عن طبيعة مُعتنقيها لم يعد أمراً مُجدياً، لأنَّ ما يجري على الأرض أمام أعيننا لم يعد يحتاج إلى دراسة أو تحليل. إنَّنا أمام واقع حي يتمثَّل في:

1 ـ قوى تُؤمن إيماناً أعمى بتوراتها، بوعد الله لها بامتلاك أرض أجدادها، بتاريخها وتُراثها، والتَّمجُّد به.

2 ـ قوى تُؤمن بأنَّها الجنس المُقدَّس والشّعب المُختار والأُمَّة الموهوبة التي ينبغي لها أنْ تحكم العالم، وأنْ يخضع النّاس لسُلطانها.

3 ـ قوى تنظر إلى الأُسطُورة، وتُحيلها إلى حُلم واجب التّحقيق، وحقيقة واجبة التّصديق. قوى تبذل كُلَّ طاقاتها والغالي والثّمين لتحقيق حُلمها الأُسطُوري " أرضك يا إسرائيل من الفُرات إلى النِّيل " الميراث التّاريخي للأرض التي وَعَدَ إلهها "يَهْوَه" بها.

4 ـ قوى تدعمها الإمبرياليَّة العالميَّة، ويُساندها يمين مُتطرِّف يتمتَّع بنُفُوذ قوي في المُجتمع الأميركي، وتُسيطر أفكاره المُؤيِّدة لإسرائيل على الإدارة الأميركيَّة، وتلتقي معها في العداء الشّديد للعُرُوبة والإسلام.

5 ـ قوى وَجَدَتْ في الإمبراطُوريَّة الأميركيَّة الجديدة خير داعم لها، وأوفى مُؤازر لعُدوانيَّتها.

6 ـ قوى تطمح إلى سَحْق العُرُوبة والإسلام، وتسعى ـ جاهدة ـ إلى الإجهاز على هذه الأُمَّة التي حملت لواء الإسلام أربعة عشر قرناً.

قوم تبنّوا التَّوراة وأسفارها، وحملوها بصدق وصبر، وجعلوها عقيدتهم الرّاسخة، وآمنوا بالتّلمود وما احتوته كتاباته من شذرات، اختلط بها الحُلم بالواقع، والخطأ بالصَّواب،

والحقيقة بالأُسطُورة. تلك الكتابات التي جاءت تعبيراً عن الإحباط الذي أصابهم بعد تدمير مملكتهم وتشريدهم، والتي حملت إليهم الآمال التي كانوا بأمسِّ الحاجة إليها بعد فاجعتهم التي أحاطت بهم، لقد آمنوا بما كَتَبَهُ أحبارهم فيها إيماناً مُطلَقاً، ولعلَّهم وجدوا فيها تصويراً شافياً لآمالهم المُستقبليَّة، التي أحسن الأحبار في تصويرها لهم وفق ما شاءت مُخيِّلتهم، فجاءت فيها الوُعُود الإلهيَّة والعطاءات السّماويَّة أكثر وُضُوحاً وأشدَّ تعبيراً بالتّركيز على شعب الله المُختار، الذي لابُدَّ وأنْ يحكم العالم، ويُخضع النّاس لمشيئته.

إنَّنا أمام قوى مُؤمنة بعقيدتها وبتُراثها وبوُعُود الله لها باصطفائها ومحبَّته لها، صبرت وكافحت وبذلت وجاهدت وتحمَّلت الذُّلَّ والهوان، وماتبدَّل إيمانها، ولا تزعزعت عقيدتها. والسُّؤال الذي لابُدَّ من طَرْحه بعد هذا العرض: هل اتَّضح للعَـرَب والمسلمين حقيقة الصّراع الدّائر الآن مع تلك القوى؟ وإذا تبيَّنت واتَّضحت حقيقة هذا الصّراع، فهل يكفي الإدراك؟ أم لابُدَّ من السّعي إلى عمل ما للتّعامل مع هذا الصّراع، وما تقتضيه مُستلزماته؟

وحتَّى يدرك الحُكَماء من بني إسرائيل حقيقة الرّسالة السّماويَّة التي أرادها الله لعباده، فإنَّه يبدو أنَّ هذا الصّراع سيطول.

الفصل الخامس:

الصّهيونيَّة والصّراع العَرَبي - الإسرائيلي

حقيقة النّصر:

إنَّ الانتصارات التي حقَّقتها الصّهيونيَّة العالميَّة مُنذُ تأسيس هذه الحَرَكَة عام 1897م، قد فَتَحَتْ شهيَّتها، وزادت من حدَّة جشعها لابتلاع المزيد من الأراضي. فالمشروع الصّهيوني الذي بدأ صغيراً، وحظي بتأييد كُلِّ القوى الاستعماريَّة في العالم الغربي، وعلى رأس هذه القوى الغاشمة بريطانيا التي فتحت أبواب فلسطين أمام أكبر مشروع استيطاني ينسجم مع مسيرة الاستعمار الغربي، إنْ لم يكن انعكاساً له، وصُورة طبق الأصل عنه. إنَّ هذا المشروع الذي بدأ بوعد بلفور، ثُمَّ تأيَّد بالقرار الدّولي رَقْم 181 لعام 1947 م الصّادر عن هيئة الأُمم المُتَّحدة، والذي بمُوجبه تمَّ تقسيم فلسطين إلى دولتَيْن - يهُوديَّة وعَرَبيَّة - وخصَّ الأُولى بـ 56٪ من هذه الأراضي المُغتصبة، و 44٪ من هذه الأراضي للجانب العَرَبي.

إنَّ هذا الاغتصاب للأرض لم يفِ بحاجة الطَّمَع الصّهيوني، فسُرعان ما أصبحت أجزاء كبيرة من الأراضي العَرَبيَّة تحت السّيطرة الإسرائيليَّة بعد حرب عام 1948م، وسُرعان ماتحقَّق للصّهيونيَّة العالميَّة السّيطرة على كامل الأراضي الفلسطينيَّة بعد حرب عام 1967م. ومُنذُ ذلك التّاريخ وإسرائيل تسعى لاحتلال المزيد من الأراضي العَرَبيَّة وضمِّها إلى مُمتلكاتها المُغتصبة من أصحابها. وها هي بعد حرب عام 1973 م، تضمُّ الجولان السُّوريَّة إليها، وتقتطع جُزءاً من الأراضي اللُّبنانيَّة "مزارع شبعا" بعد فشلها في احتلال كامل جنوب لبنان، وإخفاقها في فَرْض إرادتها على هذا البلد العَرَبي.

ويبدوأنَّ ما حقَّقته الصّهيونيَّة من انتصارات مُتلاحقة في صراعها مع الجانب العَرَبي قد ألقى غُمامة على بصيرة زُعمائها، وقادَتْهُم هذه الانتصارات إلى الاعتقاد بأنَّ الإرادة العَرَبيَّة

قد أصبحت قابلة للكَسْر، وأنَّ التّصميم على المُقاومة لدى هذا الجانب قد أصبح بحكْم المُنتهي. هذه الغشاوة قد حالت ـ للأسف ـ دُون وُضُوح الرُّؤية أمام الزّعامة الصّهيونيَّة، وحالت ـ أيضاً ـ عدم إمكانيَّة معرفة التَّوقُّعات المُستقبليَّة الصّحيحة المُحتمل مُواجهتها في حال استمرار الإصرار على مُمارسة النّهج الذي تسلكه هذه الزّعامة.

إنَّ إسرائيل ـ مثلها مثل أيّ مُجتمع ناشئ ـ تُعاني من مُشكلات لا حصر لها. فهُناك تمييز عُنصُري بارز، ليس ـ فقط ـ ضدَّ بعض أعداد كبيرة من اليهُود الذين ينتمون إلى جماعات يهُوديَّة دينيَّة أو عرْقيَّة مُعيَّنة فحسب، بل ـ أيضاً ـ ضدَّ السُّكَّان العَرَب الذين يحملون الجنسيَّة الإسرائيليَّة. فهُناك رغبة عارمة في أنْ تتحرَّر المرأة من كثير من القواعد الدِّينيَّة النّاظمة لعلاقتها مع الرّجل، وهُناك ـ أيضاً ـ السُّكَّان العَرَب، وامتلاك قُوَّة رادعة تلجم أيّ طُمُوح عَرَبي في مُنازعة الدَّولة اليهُوديَّة.

قد تُبهرنا الانتصارات التي حقَّقتْهَا الصّهيونيَّة كما بَهَرَتْ قادتها، وأعمت حُسْن الرُّؤية لديهم، ولكنْ؛ ألا يجدر بنا أنْ نتذكَّر خلفيَّة هذه النّجاحات التي تحقَّقت، والعوامل التي ساعدت على بُلُوغ تلك الإنجازات؟

من المُمكن أنْ نعزو أمر الانتصارات التي حقَّقتْهَا الحَركَة الصّهيونيَّة مُنذُ تأسيسها وحتَّى الآن إلى ما يلي:

1 ـ إيمان مُؤسِّسيها بالفكرة التي يسعون إلى تحقيقها، وبالحُلم الذي ابتكروه، وأوجدوا له السَّنَدَ التّاريخي المزعوم.

2 ـ إجادة المُؤسِّسين اللُّعبة السِّياسيَّة الواجب مُمارستها لتسويق مشروعهم وسَعْيهم الدّؤوب للوُصُول إلى مسعاهم الذي يعملون له.

3 ـ استغلال رغبة الأُسرة الدّوليَّة الأُورُوبيَّة في الانتهاء من المُشكلة اليهُوديَّة التي كانت دائماً مبعث مشاكل كثيرة لمُجتمعاتها. (جاء في الرّسالة التي وجَّهها هرتزل في 25/ 5/ 1898 إلى قيصر رُوسيا ما يلي:

". . إنَّ العُنصُر الحضاري الذي يُمكنه أنْ يحتلَّ فلسطين هُو اليهُود. وإنِّي أرى أُورُوبا مُستعدَّة أنْ تُشجِّع اليهُود على الاحتلال أكثر من غيرهم. وربَّما كان هذا التّشجيع ليس لأنَّ

لهم الحقّ التّاريخي الذي يضمنه لهم أقدس كُتُب البشريّة، وإنّما بسبب الشُّعُور السّائد في كُلّ مكان، شعور العمل على إخراج اليهُود".

4 - توافق المصالح الاستعماريّة للدّولة المُنتدبة - بريطانيا - مع الفكرة الصّهيونيّة الدّاعية إلى إنشاء وطن قومي يهُودي في فلسطين، والرّغبة في إبقاء النُّفُوذ الاستعماري في المنطقة التي تحرّرت - شكلياً - من الاستعمار والانتداب والوصاية.

5 - افتقار الضّمير العالمي إلى صحوة تُنبّه إلى خُطُورة هذا العمل الذي يقضي بإنشاء وطن لشعب لا يملك الحقّ، وسَلْبه من شعب يملك الحقّ.

6 - رغبة الغرب المسيحي في إيجاد بُؤرة استيطانيّة في قلب العالم العَرَبي تحول دُون وُجُود رابطة جَغرافيّة بين مشرقه ومغربه، وتمنع إمكانيّة تحقيق التّرابط السِّياسي بين شطرَيْه.

7 - عجز العالم العَرَبي عن التّعاون مع المُخطّط الصّهيوني مُنذُ بدء الدّعوة الصّهيونيّة، وعدم إدراك أبعاد هذا المُخطّط وآثاره المُستقبليّة على العالم العَرَبي بأسره.

8 - سذاجة التّعامل العَرَبي مع الطُّرُوحات الوَهْميّة للمُبادرات السِّلْميّة التي اقتُرحت لإنهاء الصّراع مع إسرائيل، وتأخُّر اكتشاف أنّ الخُطوات التي تتّخذها السُّلطات الإسرائيليّة بمُختلف تركيباتها السِّياسيّة - عُمّاليّة أو ليكوديّة، أو تحالف كافّة القوى في جبهة وطنيّة واحدة - ليست خُطوات عفْويّة أو عشوائيّة، بل هي خُطوات مدروسة ومُشبعة درساً وتحليلاً، وما زيارة شارون للقُدْس، وتحدِّي الشُّعُور الدِّيني للفلسطينيِّين وتمثيليّة العرض السّخي الذي قدّمه باراك، واقتحام الضّفّة الغربيّة، والمُبالغة في إظهار عجز السُّلطة الفلسطينيّة على السّيطرة على العمليّات الاستشهاديّة إلاّ مُقدّمة لإعلان رَفْض اللّيكود لإقامة الدّولة الفلسطينيّة المُتّفق على قيامها حسب اتّفاق أُوسلُو.

استغلال الحَدَث:

تتمتّع الحَرَكَة الصّهيونيّة بقُدرة فائقة على استغلال الأحداث العالميّة لتحقيق الهَدَف الذي تسعى إليه. وفي بداية المدّ الاستعماري الذي طال أفريقيا وآسيا سَعَتْ الصّهيونيّة إلى دعوة

يهُود أورُوبا، وحثّهم على العودة إلى فلسطين أرض الأجداد. وعندما اتّهمت الحُكُومة الفرنسيَّة الضّابط اليهُودي ألفريد درايفوس Alfred Dreyfus بتُهمة التّجسُّس لصالح الألمان، وأدانته المحكمة العسكريَّة بتاريخ 5/ 1/ 1895، وقامت المُظاهرات بشوارع باريس تُنادي: الموت لدرايفوس، الموت لليهُود، ثُمَّ ثبت بعد ذلك براءته، استغلّت الحَرَكَة الصّهيونيّة حكْم البراءة استغلالاً جيِّداً، وقامت بحملة دعائيَّة واسعة في وسط الجُمهُور الأورُوبي؛ لتُعطي انطباعاً لديه بأنَّ اليهُود بحاجة ماسَّة إلى أرض تجمعهم، وأنَّ مأساتهم (المُشكلة اليهُوديَّة) تعود بسبب انتمائهم الدِّيني، ولا يُوجد مكان لليهُود في الوَسَط غير اليهُودي، لذلك لابُدَّ من عودتهم إلى أرض صهيُون، الأرض المُقدَّسة، وبناء الدَّولة اليهُوديَّة هُناك.

وعقب الحرب العالميَّة الأُولى، وبدء تقاسم الحُلفاء مُمتلكات الإمبراطُوريَّة العُثمانيَّة؛ حاولت الصّهيونيَّة انتهاز هذه الفُرصة وإغراء السُّلطان العُثماني بالسّماح لليهُود بالهجرة إلى الأراضي المُقدَّسة. ثُمَّ استغلّت المَيْل الاستعماري الذي كان سائداً لدى الحُكُومة البريطانيَّة، وانتزعت منها وعد بلفور، الذي تضمَّن مَنْحَ اليهُود وَطَناً قوميّاً في فلسطين. لقد كان وعد بلفور عام 1917، مُؤشِّراً هامّاً للأُصُوليِّين المسيحيِّين الأميركيِّين على ما كانوا يُؤمنون به. وكما قال القسُّ جيري فالويل مُؤسِّس مُنظَّمة الأغلبيَّة الأخلاقيَّة Moral Majority، والذي يُؤمن إيماناً كاملاً بالتَّوراة ونُبُوءاتها عند قيام دولة إسرائيل: "إنَّ هذا اليوم هُو أعظم إشارة تدلُّ على أنَّ عودة المسيح باتت وشيكة، وإنَّ هذا اليوم هُو أعظم يوم في التّاريخ مُنذُ صُعُود المسيح إلى السّماء". لقد كان فالويل - مثل أيِّ أُصُولي برُوتستانتي - يُؤمن بأنَّ إنشاء إسرائيل واحتلال مدينة القُدْس هُو تحقيق لنُبُوءات العهد القديم. وقد نَجَحَتْ الصّهيونيَّة في اكتساب تأييد كافَّة الفرَق الأُصُوليَّة البرُوتستانتيَّة انطلاقاً من الاعتقاد المسيحي الذي يستند على نُصُوص العهد القديم، التي تُشير إلى أنَّ عودة المسيح الثّانية لحُكْم العالم 1000 سنة سعيدة لا يتمُّ إلاَّ بعد أنْ يُسيطر اليهُود على فلسطين.

وما إنْ انسحبت بريطانيا من فلسطين، وأعلن دافيد بن غُوريُون David Ben Gurion قيام دولة إسرائيل حتَّى قامت الصّهيونيَّة بحملة إعلاميَّة مُضلِّلة تُوحي بأنَّ اليهُود في فلسطين سيكونون ضحيَّة الجُمُوع العَرَبيَّة المُتعطِّشة للدّماء؛ لاستدرار عطف العالم، والاستنجاد بوافدين جُدُد؛

ليكونوا ـ بالواقع ـ عوناً على تنفيذ المُخطَّط الذي رافق ذلك الإعلان، والذي كان في جعبة الحُكُومة الإسرائيليَّة، التي مارست أقسى أنواع الإرهاب ضدَّ السُّكَّان المَدَنيِّين؛ لتهجير أكبر عدد منهم.

لقد استغلَّت الصّهيونيَّة الأحزاب الشُّيُوعيَّة في الاتِّحاد السُّوفييتي وأُورُوبا الشّرقيَّة، وتمكَّنت من اختراق قيادات أحزابها، حتَّى أصبحت الصُّورة الخارجيَّة لتلك الأحزاب تبدو وكأنَّها يهُوديَّة المنشأ. وتمكَّنت ـ إضافة إلى حُصُولها على دَعْم مُعظم حُكُومات أُورُوبا الشّرقيَّة ـ من ضمان التّأييد الكامل من قبَل دُول أُورُوبا الغربيَّة، والتي كانت فرنسا تتزعَّم هذا السُّلُوك، وذلك من خلال رئيس الحُكُومة في تلك الفترة اليهُودي ليون بلوم، والذي كان وزير داخليَّته اليهُودي الصّهيوني جُون مُوك.

في بداية الثَّورة الشُّيُوعيَّة عام 1917، نَجَحَتْ الصّهيونيَّة بالتّغلغل في الحزب الشُّيُوعي، واختراق صُفُوف قيادته، الأمر الذي مهَّد لها الحُصُول على تأييد الاتِّحاد السُّوفييتي، والتّصويت لجانب إنشاء دولة إسرائيل، وتكلَّلت جُهُودها بالنّجاح، واكتساب تأييد المُعسكرَيْن الرّأسمالي والشُّيُوعي على حَدٍّ سواء.

ولقد استثمرت الصّهيونيَّة استثماراً رائعاً المجزرة التي أصابت اليهُود في ألمانيا أثناء الحُكْم النّازي. فإضافة إلى ما جَنَتْهُ من مليارات الدُّولارات كَتَعويض لضحايا الهُولُوكست اليهُود، فقد استغلَّت الاعتقاد الذي ساد الوَسَط الأُصُولي اليهُودي بأنَّ المجزرة التي لحقت باليهُود الألمان هي عقاب من الله على الذُّنُوب التي يرتكبها شعبه، فحوَّلت هذا الاعتقاد على أنَّ هذه المجزرة التي كانت الصّهيونيَّة نفسها طَرَفَاً فيها للَمِّ شَمْل اليهُود "شعب إسرائيل في أرض إسرائيل كُلّها" وكما يقول الحاخام مناحيم كاشر **Menachim Kasher** "إنَّ هذه المجزرة بمثابة آلام المخاض المُؤذنة بالعصر المسيحاني، الذي ألمَّ بجيلنا، وَفَتَحَ لنا طريق الخلاص" هي دعوة من الله لشعبه المُختار يحثُّه فيها على العودة إلى أرض الميعاد، وهذه الدّعوة الإلهيَّة يجب الالتزام بها.

إنَّ هذا التّأييد من المُعسكرَيْن الرّأسمالي والشُّيُوعي كان من أبرز مظاهر استغلال الصّهيونيَّة للأحداث العالميَّة، التي تمكَّنت من استخدامها لصالح دعوتها وأفكارها. ففي نهاية الحرب العالميَّة الثّانية وقبل صُدُور قرار الأُمم المُتَّحدة رَقْم 181 لعام 1947 القاضي بتقسيم فلسطين إلى دولتَيْن عَرَبيَّة ويهُوديَّة، أدركت الصّهيونيَّة ضرورة استغلال تبدُّل ميزان القوى العالمي، وبُرُوز

الولايات المُتَّحدة على السّاحة السِّياسيَّة الدّوليَّة كَزعيمة للعالم الغربي، وأنَّ بريطانيا صاحبة وعد بلفور خَرَجَتْ من الحرب مُنهكة، شأنها شأن كُلِّ الدُّول الاستعماريَّة الأُورُوبيَّة الأُخرى، وأنَّ الولايات المُتَّحدة التي كان لها الدَّور البارز في الانتصار الذي حقَّقه الحُلفاء على النّازيَّة والفاشيَّة في أُورُوبا واليابان في آسيا أصبحت تُمثِّل مركز الثِّقل في السِّياسة الدُّوليَّة.

ومن هذه الرُّؤية أخذت الصّهيونيَّة تُركِّز كُلَّ جُهُودها ونشاطها على الولايات المُتَّحدة، ونقلت مُعظم مكاتبها إليها، حتَّى إنَّ حاييم وايزمان سارع هُو - أيضاً - إلى الانتقال إليها لمُتابعة هذا النّشاط الصّهيوني لدى الرّئيس ترُومان.

لقد تمكَّنت الصّهيونيَّة - بفَضْل هذه الجهُود والمساعي - أنْ تحظى بإقناع الإدارات الأميركيَّة بفائدة التّأييد والدَّعْم لمشروعاتها في فلسطين، وكانت قد مهَّدت لتحقيق ذلك من خلال النُّفُوذ الذي تحقَّق لها في صفُوف المُنظَّمات المسيحيَّة الصّهيونيَّة في الوَسَط البرُوتستانتي. ولا شكَّ أنَّ نجاح الصّهيونيَّة في اكتساب التّأييد الأميركي لا يعود - فقط - إلى أنشطتها المُختلفة ومساعيها الدّؤوبة، بل - أيضاً - إلى برُوز رغبة لدى الولايات المُتَّحدة وراثة نُفُوذ ومصالح الدُّول الغربيَّة في منطقة الشّرق الأوسط، وخاصَّة الدُّول النّفطيَّة التي كانت بريطانيا تنال نصيب الأسد من ثرواتها البتروليَّة.

وقد استغلَّت الصّهيونيَّة هذه الرّغبة الاستعماريَّة النّاشئة لدى الولايات المُتَّحدة تجاه الشّرق الأوسط، وأقنعتها بفائدة الاعتماد عليها لتحقيق هذه المصلحة، وبسط ذلك النُّفُوذ الذي تطمع فيه دولة كُبْرَى كالولايات المُتَّحدة لترث نُفُوذ إمبراطُوريَّتين قديمَتَيْن في المنطقة بريطانيا وفرنسا.

إنَّ استجابة الولايات المُتَّحدة لهذه الرّغبة الصّهيونيَّة كانت سريعة وهامَّة. فقد كانت أميركا أوَّل دولة تعترف بإسرائيل قبل أنْ تطلب منها إسرائيل ذلك، وكانت الولايات المُتَّحدة أسخى دولة في تقديم المنَح والمُساعدات الماليَّة والعسكريَّة لدولة إسرائيل مُنذُ إنشائها وحتَّى الآن. وبعد الحرب العالميَّة الثّانية؛ استغلَّت الصّهيونيَّة خوف المعسكر الرّأسمالي من تمدُّد النُّفُوذ الشُّيُوعي في منطقة الشّرق الأوسط ورغبة الاتِّحاد السُّوفييتي في وَضْع قَدَم له في المنطقة العَرَبيَّة، وصورَّت للغرب أنَّ إسرائيل هي الجدار الواقي للوقُوف أمام هذا الخطر المُتمثِّل في انتشار الشُّيُوعيَّة في منطقة الشّرق الأوسط، وتمكَّنت من الحُصُول على أكبر دَعْم غربي لدولة إسرائيل، التي أصبحت - بنَظَر الغرب - القلعة المنيعة التي يعتمد عليها، ليس - فقط - في الحَدِّ

من النُّفُوذ الشُّيُوعي، بل - أيضاً - في مَنْع أيٍّ توجُّه وحدوي بين الدُّول العَرَبِيَّة، وكذلك توجيه أنظار دول المنطقة إلى الاهتمام بقُدراتها العسكريَّة، وتخصيص أكبر جُزء من مواردها الماليَّة للإنفاق على التَّسلُّح. وعقب سُقُوط الاتِّحاد السُّوفييتي، وانتهاء الحرب الباردة بين المُعسكرَيْن؛ تمكَّنت الصّهيونيَّة من قيادة حملة إعلاميَّة، واستغلَّت الأفكار التي سادت الغرب في تلك الفترة، والتي تدعو إلى مُجابهة الحضارة الإسلاميَّة على اعتبار أنَّها الحضارة التي تُهدِّد الحضارة الغربيَّة المسيحيَّة. وكانت نتيجة هذه الحملة ازدياد التّأييد والدَّعْم الغربي لإسرائيل. وبعد الحَدَث الإرهابي الذي تمَّ في نيُو يُورك وواشنطن في 11/ 9/ 2001، والذي دَفَعَ الولايات المُتَّحدة إلى شنِّ حرب لا هوادة فيها على أفغانستان، وإطلاقها شعار "مَنْ ليس معنا فهُو مع الإرهاب"، ثُمَّ شرعت في توسيع نطاق حملتها على الإرهاب، وَسَمَّتْ عدداً من الدُّول التي تعدُّها دُولاً إرهابيَّة، وأطلقت على تلك الدُّول اسم محور الشَّرِّ؛ وهي إيران والعراق وكُوريا الشّماليَّة، وعدَّت كُلَّ دولة تُؤوي أيَّة جماعة إرهابيَّة أو تدعم أيَّة مُنظَّمة تعدُّها الولايات المُتَّحدة إرهابيَّة هي من دُول الإرهاب.

لقد استغلَّت إسرائيل هذا المنحى الذي اتَّخذته الولايات المُتَّحدة، وقامت الصّهيونيَّة بحملة إعلاميَّة مُضلِّلة تُدافع فيها عن الأعمال التي بدأتها إسرائيل في 29 / 3/ 2002، عندما اكتسحت قُوَّاتها مناطق السُّلطة الفلسطينيَّة في الضّفَّة الغربيَّة، ودمَّرت كُلَّ ما يُمكن تدميره من مُنشآت ومنازل ومُؤسَّسات تابعة للسُّلطة الفلسطينيَّة، تحت شعار أنَّ حربها هذه هي حرب دفاعيَّة، وتنطوي تحت شعار مُحاربة الإرهاب، غير آبهة بأنَّ عملها هذا هُو نسف لكُلِّ الأماني التي وَضَعَتْهَا السُّلطة الفلسطينيَّة على إمكانيَّة تحقيق السّلام مع الدَّولة اليهُوديَّة من خلال المُفاوضات السِّلْميَّة التي بدأتها معها بعد توقيع اتِّفاقيَّة أُوسلُو عام 1993م.

وتمكَّنت الصّهيونيَّة - بفضل الإمكانات الإعلاميَّة الهائلة التي تملكها - من تضليل الرّأي العامّ الأميركي والغربي، وترسيخ الاعتقاد لدى المُجتمع الدُّولي أنَّ الحرب التي تشنُّها إسرائيل هي حرب ضدَّ المُنظَّمات الإسلاميَّة، وهي حرب مُقدَّسة تهدف إلى صدِّ الهجمة الإسلاميَّة على العالم الغربي، وأنَّ حربها الشّاملة على الإرهاب هي حرب مُبرَّرة لا تُحقِّق - فقط - مصالح الدَّولة اليهُوديَّة، بل تسعى للقضاء على جُذُور الإرهاب الإسلامي، حسب زعمها.

أبعاد الموقف الإسرائيلي:

ليس من الصّعب اكتشاف المُخطَّط الصّهيوني الذي تسعى إسرائيل إلى تحقيقه. فالصُّورة ليست بهذا الغُمُوض الذي تُحاول الصّهيونيَّة إضفاءه عليها، فنحنُ أمام:

- دولة تتحكَّم بها عقائد أُسطُوريَّة خُرافيَّة، وتُسيِّرها زعامة مُتعطِّشة للقتل والتّدمير.
- دولة لا تُؤمن بالعيش ضمن حُدُود آمنة، ويخلو دُستُورها من تعيين هذه الحُدُود، بل بالعكس؛ تُؤمن بأنَّ حُدُودها هي كُلّ المواقع التي تُسيطر عليها أقدام قُوَّاتها المُسلَّحة.
- دولة تُضمر العداء لجيرانها، وتُصمِّم على القضاء عليهم، وإبادتهم.
- دولة تسعى إلى تشويه الحقيقة وتزوير التّاريخ للوُصُول إلى مآربها.
- دولة ترفض الالتزام بالقرارات الدّوليَّة، وتضرب عرض الحائط أيَّ قرار يدين أعمالها الإجراميَّة، أو لا يتناسب مع مصلحتها القوميَّة.
- دولة عُنصُريَّة تُؤمن بالذّات اليهُوديَّة، وتدعو كُلَّ يهُود العالم إلى الالتحاق بها، وتعمل على طَرْد السُّكَّان الأصليِّين للبلاد من أجل الوافدين الجُدُد إليها.
- دولة ذات أطماع عريضة، وأحلام كبيرة، تدعمها وتُساندها قوى غاشمة تتوافق مصالحها مع الطُّمُوحات التي تسعى إليها.

إنَّ ما سعت إليه إسرائيل في هُجُومها الذي قامت به في 29/ 3/ 2002، والذي اجتاحت فيه الضّفَّة الغربيَّة لتدمير البنية التّحتيَّة للفصائل الفلسطينيَّة، وإزالة الكيان الرّسْمي للسُّلطة الفلسطينيَّة هُو - في الواقع - رسالة واضحة للجانب العَرَبي، تردُّ فيه على مُبادرته التي قدَّمها في آذار 2002، والذي يعرض فيها: سلام شامل وعلاقات طبيعيَّة بين الدُّول العَرَبيَّة وإسرائيل، مُقابل انسحابها من الأراضي العَرَبيَّة المُحتلَّة بعد عام 1967، واعترافها بالحُقُوق المشروعة للشّعب الفلسطيني بإقامة دولته المُستقلَّة على تُرابه الوطني وفق الحُدُود التي كانت عليه قبل حرب 1967، وأنْ تكون عاصمتها القُدْس، وحلّ مُشكلة اللاّجئين حلاً عادلاً، مع إعطائهم حقّ العودة لَمنْ يشاء منهم.

إنَّ رَفْضَ المُبادرة السِّلْميَّة الذي جاء على شكل هُجُوم إجرامي شرس على مُدُن الضِّفَّة الغربيَّة ومُخيَّمات اللاَّجئين فيها، والذي تلاه قرار اللِّيكود برَفْض قيام دولة فلسطينيَّة، هُو دليل واضح على أنَّنا أمام واقع جديد يفرض علينا أنْ نعمل على دراسته بعُمق، وتحليله بعناية فائقة.

إنَّ مفهوم الهُجُوم الإسرائيلي يُشير إلى أنَّ هُناك انقضاضاً واضحاً على اتِّفاقيَّة أُوسلُو، وإعداماً كاملاً للآمال التي بَنَتْهَا السُّلطة الفلسطينيَّة عليها، والرّغبة في إعادة المسيرة السِّلْميَّة إلى نُقطة الصِّفر؛ لإدخال الجانب الفلسطيني في متاهة المُفاوضات من جديد، وذلك كُلُّه بالتّنسيق مع الجانب الأميركي.

الادِّعاءات الباطلة:

1 ـ اعتمدت الصّهيونيَّة لتسويق أفكارها الاستعماريَّة على النُّصُوص التَّوراتيَّة التي أشرنا إليها، والتي وردت في سفْر التّكوين. ومُنذُ بداية تحرُّكها؛ حاولت الصّهيونيَّة أنْ تُثبِّت في أذهان النّاس جميعاً فكرة الرَّبْط بين الأرض المُقدَّسة ـ فلسطين ـ والشّعب اليهُودي على أساس الوعد الإلهي الذي قدَّمه الرَّبُّ لبني إسرائيل (سفْر التّكوين، الإصحاح الثّاني عشر "12") وصوَّرت ـ وماتزال تُصوِّر ـ أنَّ هذه الأرض المُقدَّسة هي خاصَّة ببني إسرائيل، ولا حقَّ لأحد من أهل الدّيانات السّماويَّة الأُخرى ـ المسيحيَّة أو الإسلام ـ فيها، رغم أنَّ السَّيِّد المسيح وُلد فيها، ونَشَرَ دعوته فيها، وعُذِّب على أرضها، وكَنيسته ماتزال قائمة تُذكِّر بدعوته ورسالته التي انتشرت في كافَّة أنحاء العالم. وتُحاول الصّهيونيَّة أنْ تُزَوِّر التّاريخ وتُنكر الوُجود العَرَبي الذي كان ـ ومايزال فيها ـ مُنذُ عهد اليبوسيِّين الذين كانوا يستوطنونها قبل مجيء بني إسرائيل إليها من مصر. إنَّها تُحاول أنْ تُلغي التّاريخ الإسلامي لهذا البلد المُقدَّس، وتسعى إلى إبعاد صفة الإسلام عنه، ولا ترغب مُطلَقاً أنْ تتذكَّر تاريخ الفَتْح الإسلامي الذي تمَّ على يد الخليفة الرّاشد عُمر بن الخطاب، والتّاريخ المُشرِّف للقائد صلاح الدِّين الأيُّوبي، الذي استعاد الأرض المُقدَّسة من يد الصّليبيِّين بعد سبعين سنة من احتلالهم إيَّاها.

إنَّ تزوير التّاريخ صنعة يُتقنها اليهُود مُنذُ الأزل، ومهنة تسري في دمائهم، وكأنَّها شيء مُلازم لطبيعتهم. ألم يُنكروا وُجُود الشّعب الفلسطيني، ويطلقوا شعاراً كاذباً "أرض بلا

شعب لشعب بلا أرض"؟! ألم يُحاولوا إلغاء ليس ـ فقط ـ جَغرافيَّة الأرض، بل ـ أيضاً ـ تاريخ أصحابها؟! لقد برز تزوير التّاريخ وقلب الحقائق جليّاً عندما وقف مناحيم بيغن، بعد توقيع اتّفاقيَّة كامب ديفيد، أمام الأهرامات، وقال للرّئيس أنور السّادات: أكاد أرى أجدادي الذين بنوا هذه الأهرامات!!! أيُّ أجداد وأيّة صلة تربط بني إسرائيل بالأهرامات. ادِّعاء كاذب، وافتراء على التّاريخ، وإصرار على تشويه الحقيقة لخدمة الأهداف البعيدة التي تسعى الصّهيونيَّة لتحقيقها. إنَّها كذبة خرقاء أطلقتْهَا العنجهيَّة الإسرائيليَّة التي تستهتر بكُلِّ الحقائق، وتُصرُّ على إطلاق الأكاذيب التي ترغب أنْ يُصدِّقها النّاس، ولو كانت تتناقض مع الحقائق التّاريخيَّة.

إنَّ كُتُبَ التّاريخ تروي أنَّ الوُجُود اليهُودي في مصر جاء على يد فرعونها مرنبتاح عقب عودته من حملاته العسكريَّة على فلسطين عندما قابل في صحرائها بعض القبائل الرُّحَّل، والذي قال له قُوَّاده إنَّهم بنو إسرائيل، فقاتلهم، وقضى على أغلبيَّتهم، وأخذ البقيَّة الباقية منهم كأسرى حرب؛ ليعملوا خَدَمَاً لدى أثرياء القوم، وَوَشَمَ كُلَّ واحد منهم في رقبته كعلامة مُميَّزة، كي لا يختلطوا بأفراد الشّعب المصري، وحظر عليهم الاختلاط بالسُّكَّان الأصليِّين، وألْزَمَهُم بالسَّكَن في أماكن نائية بعيدة عن أحياء المصريِّين"(*). إنَّ بيغن كان يُدرك تعارض قوله مع التَّوراة، ويعلم ـ يقيناً ـ مُخالفة ادِّعائه للتّاريخ، إلاَّ أنَّه أصرَّ على إطلاق ادِّعائه بأنَّ أجداده هُم الذين بنوا الأهرامات، وكذلك فَعَلَ أجداده الصّهاينة عندما ادَّعوا ظُلْماً وبُهتاناً أنَّ الشّعب الإسرائيلي الذي لا وُجُود له ـ لعدم انطباق صفة الشّعب على اليهُود ـ قد اغتُصبت أرضه، وأنَّ اليهُود هُم الوَرَثَة الحقيقيُّون لفلسطين، ولا يحقُّ لأيِّ شعب آخر المُطالبة بهذا الحقِّ. لقد أعطوا لأنفسهم الحقَّ في التَّوطُّن في هذه الأرض، ومنعوا أصحابها من العودة إليها، أو السَّكَن فيها. إنَّهم يُريدون أنْ يُوقفوا التّاريخ، ويُلغوا كُلَّ مراحله، اعتباراً من رحيلهم وتشتُّت مملكتهم. إنَّهم يتكالبون على توطين أكبر عدد منهم في مساحة خاضعة للتَّوسُّع حسب ما يرد إليها من مُستوطنين غُزاة وفاتحين. إنَّ الصّهيونيَّة لا تُحاول ـ فقط ـ تثبيت هذا الحقِّ المزيف في أذهان

(*) رمسيس الثّالث" قاهر جيوش البحر تأليف بيير فانديه باب الموسومون بختم الملك للباحثة المُدققة فاطمة عبد الله محمود (لقد أمر مرنبتاح تثبيت هذه الواقعة على جدران الكرنك لتبقى كأثر تاريخي من آثار الفراعنة)" الأهرام الدُّولي العدد 42215 بتاريخ 6/ 7/ 2002".

النّاس، بل تعمل على توثيق هذا الادّعاء بطَرْد السُّكّان العَرَب الأصليّين - مسيحيّين ومُسلمين - من أرضهم وبُيُوتهم، مُستغلّة - للأسف - مُساندة الدُّول الأُورُوبيَّة لهذه الدّعوة والادّعاء، وذلك بُغية التَّخلُّص من هذه المجموعات الدِّينيَّة غير المرغوب فيها.

2 - الحُجَّة التّاريخيَّة التي تتمسَّك بها الصّهيونيَّة، والتي تتلخَّص بأنَّ الدَّولة اليهُوديَّة كانت في فلسطين لحقبة طويلة من الزّمن، وازدهرت واتَّسعت أيَّام داود وسُليمان عليهما السّلام، لا تعني - أبداً - منح حقّ العودة لهذه الدَّولة التي ماتت واندثرت مُنذُ آلاف السّنين. فلو شئنا أنْ نأخذ بهذا المنطق لكان للعَرَب حقٌّ بإسبانيا، وللهُنُود الحُمْر الحقّ في استرداد ما فَقَدُوه علي يد الأميركيّين. ثُمَّ إنَّ هذه الحُجَّة يُقوض أركانها عدَّة أُمُور أبرزها:

- أنَّ فلسطين قبل دُخُول اليهُود إليها كانت ساميَّة من حيثُ العرْق والسُّلالة البشريَّة.

- إذا سلَّمنا بالوعد الإلهي لإبراهيم بمَنْح هذه الأرض لنسله (أولاد إسحاق وأولاد إسماعيل) فإنَّ ذلك يعني أنَّ حقَّ الإرث يجب أنْ لا ينحصر في ذرِّيَّة إسحاق (اليهُود، العبرانيِّين، بني إسرائيل) بل - أيضاً - في ذرِّيَّة إسماعيل (العَرَب)، فإبراهيم - عليه السّلام - تزوَّج من سارة، فولدت له إسحاق، وتزوَّج من هاجر، فولدت له إسماعيل.

- إصرار الصّهيونيَّة على موضُوع ساميَّة العرْق يتناقض مع الواقع التّاريخي الذي يرفض هذا الإصرار استناداً إلى أنَّ الشّعب اليهُودي لا يُمثِّل - في الحقيقة - شعباً واحداً مُتماثلاً مثله مثل بقيَّة شعُوب الأرض. فبسبب ما تعرَّضت له التَّجمُّعات اليهُوديَّة في أكثر أنحاء المعمورة من اضطهاد وتشريد وقَتْل وإبادة فقد تشتَّت مجموعاتهم، ودخل بعضها في المسيحيَّة. وحرصاً من المجموعات اليهُوديَّة التي أصرَّت على الحفاظ على ديانتها، فقد برزت دعوات من زُعماء هذه المجموعات تدعو أفرادها إلى الاندماج في المُجتمعات التي يعيشون فيها. وأقرَّ رجال الدِّين اليهُود في مُؤتمرهم المُنعقد في بتسبورغ الأميركيَّة عام 1885، هذا الأمر، وأصدروا في نهاية مُؤتمرهم بياناً يقولون فيه: "إنَّنا نحنُ اليهُود لا نعتبر أنفسنا أُمَّة، بل مُجرَّد جماعة دينيَّة، وعلى هذا؛ لا نُفكِّر في العودة إلى فلسطين، ولا نرغب في إحياء أيَّة قوانين مُتعلِّقة بالدَّولة اليهُوديَّة".

- حاولت الصّهيونيَّة إبعاد فكرة الاندماج تلك التي تبنَّتها أغلب المجموعات اليهُوديَّة، وخاصَّة الرّأسماليِّين فيها - وذلك كَحَلٍّ للمُشكلة اليهُوديَّة - وتبنَّت فكرة مُضادَّة لها، وناضلت لإبعاد هذه الفكرة، والدّعوة إلى إحياء فكرة الدَّولة والشّعب اليهُودي واللُّغة العبريَّة التي كادت أنْ تُنسى في المُجتمعات اليهُوديَّة.

- أنَّ المجموعات اليهُوديَّة التي وُجدت خارج فلسطين لا تمتُّ بأيَّة صلة إلى الشّعب اليهُودي الذي استوطن فلسطين. فأكبر تجمُّع يهُودي في العالم، وهُو ما يُطلَق عليه اسم الأشكيناز - أيْ اليهُود الغربيِّين - هُم - في الحقيقة - سُلالة أحفاد الخَزَر الذين استوطنوا أُورُوبا الشّرقيَّة بعد اندحار إمبراطُوريَّتهم، وتوزَّع شعبها على بُلدان أُورُوبا الشّرقيَّة. وهؤلاء الأحفاد - حتَّى الآباء أنفسهم - لا ينتمون إلى العرْق السّامي اليهُودي، بل إنَّ هذه التَّجمُّعات التي انتشرت في وسط وشرق أُورُوبا كانوا دخيلين على اليهُوديَّة. فاعتناقهم اليهُوديَّة جاء نتيجة اعتقاد ملكهم بُولان (ملك الخَزَر) بأنَّ هذا الاعتناق لليهُوديَّة هُو المنجي الوحيد لمملكته من النُّفُوذ الإسلامي الذي كان يتهدَّده من الشّرق، والنُّفُوذ المسيحي البيزنطي الذي كان يتهدَّد مملكته من الغرب، ولكنْ؛ سُرعان ما قضى المغول على هذه المملكة، وتشرَّد أبناؤها في رُوسيا وبُلدان أُورُوبا الشّرقيَّة.

ومع ذلك؛ فقد أوجدت الصّهيونيَّة شيئاً مُبتكراً في تحديد صفة القوميَّة؛ إذْ دمجت الدِّين مع القوميَّة، وابتكرت ما يُطلَق عليه اسم القوميَّة اليهُوديَّة. وبينما يُحدِّد قانون الجنسيَّة - بشكل عامٍّ - العلاقة بين الفرد ودولة ما نرى أنَّ القوميَّة اليهُوديَّة تتعدَّى هذا المفهوم لتُعطي لكُلِّ يهُودي يعيش في كُلِّ بلد خارج إسرائيل الحقَّ في اكتساب الجنسيَّة الإسرائيليَّة، وهذا معناه تثبيت فكرة الولاء المُزدوج بواسطة ازدواج الجنسيَّة.

لقد رَفَضَ رجال الدِّين اليهُود الذين يُعارضون الصّهيونيَّة فكرة وُجُود شعب يهُودي واحد يرتبط برابطة القوميَّة، وأصرّوا على أنَّ الرّابطة التي تجمع بين اليهُود على مُختلف جنسيَّاتهم هي رابطة الدِّين فقط. فاليهُوديَّة - وليست الصّهيونيَّة، أو إسرائيل - هي - أوَّلاً، وقبل كُلِّ شيء دين، وليست قوميَّة، كما تدَّعي الصّهيونيَّة.

ـ يُبرز الواقع التّاريخي لليهُود ـ بشكل واضح ـ أنَّ الشّتات الذي عانوه لم يكن مُؤقّتاً، بل استمرَّ هذا الشّتات لما يزيد عن الألفَيْ عام. والتّاريخ يُشير إلى أنَّ المملكة اليهُوديَّة في إسرائيل التي سادت في عهد داود وسُليمان عليهما السّلام لم تستمرّ أكثر من ثمانين عاماً (1000 ـ 920 قبل الميلاد). ثُمَّ انقسمت هذه المملكة إلى مملكتَيْن: إسرائيل في الشّمال وعاصمتها السّامرة، ويهُوذا في الجنوب وعاصمتها (أُورشليم) القُدْس. وسُرعان ما نشبت الحرب بين المملكتَيْن، وانتهت بالقضاء على مملكة الشّمال، ومن ثمَّ؛ انضمَّ أبناؤها إلى مملكة يهُوذا. ولكنْ؛ في عام 722 قبل الميلاد فَتَحَ سرجون الآشوري السّامرة، ثُمَّ استولى على مملكة يهُوذا.

إنَّ هذا الواقع يُثبت أنَّ الرّغبة التي تبنَّاها مُؤتمر رجال الدِّين اليهُود الذي انعقد في بتسبورغ عام 1885، لم تكن صرخة في العراء، بل كانت تنبع من حاجة ماسَّة لدى المجموعات اليهُوديَّة التي تشتَّت في كافَّة بُلدان العالم إلى إيجاد حلٍّ سريع للمُشكلة اليهُوديَّة التي كانت فكرة الاندماج في المُجتمعات هي الحلُّ الأمثل لها. وفي عام 1878، أكَّد هذا المنحى الحاخام هرمان آدلر الحاخام الأكبر لإنكلترا؛ إذْ كَتَبَ يقول: "مُنذُ غزو فلسطين من قبَل الرُّومان أصبح اليهُود لا يكَونون مُجتمعاً سياسياً. إنَّنا ـ كيَهُود ـ ننتمي ـ سياسيّاً ـ إلى البلاد التي نعيش فيها. إنَّنا ـ بكُلِّ بساطة ـ إنكليز أو فرنسيُّون أو ألمان. إنَّنا نُمارس ـ بالضّرورة ـ بعض العقائد الدِّينيَّة الخاصَّة بنا. ولكنَّنا لا نختلف بهذا الشّأن مع المُواطنين الذين يعتنقون أيَّ دين آخر. إنَّنا نُشاركهم في المُساهمة في رفاهيَّة الوطن، ونطالب بحقُوق وواجبات المُواطنين".

ـ تدعو الصّهيونيَّة كُلَّ يهُود العالم البالغ عددهم حوالي 15 مليوناً إلى الهجرة إلى إسرائيل: "نحنُ نُوجِّه الدّعوة إلى كُلِّ اليهُود في سائر العالم لكي يجتمعوا حول يهُود إسرائيل، لمُساندتهم في مهمَّة تنظيم الهجرة والتّنمية". وتشجيعاً للهجرة؛ أصدرت إسرائيل قانون العودة عام 1950، الذي بمُوجبه يحقُّ لأيِّ يهُودي العودة إلى بلاده إسرائيل، ثُمَّ ألحقتْهُ بقانون الجنسيَّة عام 1952، الذي أعطى الحقَّ لكُلِّ مُهاجر يهُودي بأنْ يحمل الجنسيَّة الإسرائيليَّة.

من المُمكن إيجاز أهداف المُخطَّط الصّهيوني الاستعماري بالأُمُور التّالية:

آ ـ السّعي إلى تحقيق الحُلم اليهُودي القديم بقيام دولة إسرائيل الكُبرَى (من الفُرات إلى النّيل)، بعد أنْ تمكَّنت من فَرْض وُجُود الدَّولة اليهُوديَّة على كامل التُّراب الفلسطيني.

ب ـ استقدام أكبر عدد من اليهُود لإحلالهم بدل السُّكّان العَرَب الأصليّين، تمهيداً لمخطّطاتها التّوسُّعيّة القادمة.

ج ـ تثبيت فكرة القُوّة الإسرائيليّة التي لا تُقهَر، وإرهاب كافّة دول المنطقة بإمكانيّة تحطيم أيّة رغبة في المُقاومة أو العُدوان.

د ـ الرّغبة في السّيطرة الاقتصاديّة على المنطقة، وامتلاك موقعها الجَغرافي المُميَّز.

وتعتمد الصّهيونيّة لتحقيق هذا المُخطّط على:

أوّلاً: جهُودها المُتواصلة، وسعيها الدّءوب المُبرمَج والمدروس وكأنّه خاضع لبرنامج زمني يتمُّ تنفيذه من خلاله.

ثانياً: دَعْم الولايات المُتّحدة الأميركيّة وحُلفائها الأُورُوبيّين.

ثالثاً: عدم وُجُود رُؤية عَرَبيّة واحدة لمُواجهة الخَطَر الصّهيوني.

رابعاً: الوَهْم العَرَبي الذي ساد لدى أغلب الدُّول العَرَبيّة بعد اتّفاقات أُوسلُو 1993، بإمكانيّة تحقيق السّلام مع العدوّ الصّهيوني.

الفصل السّادس:

تحريف الشّريعة اليهُوديَّة

القُرآن الكريم والتَّوراة:

بيَّنتْ لنا أسفار التَّوراة الخمسة الأُولى ـ أسفار مُوسى ـ أبرز السّمات التي تتَّصف بها اليهُوديَّة، وأهمَّ معالم السُّلُوك اليهُودي؛ بدءاً من ضعف العقيدة الإيمانيَّة بمُوسى ورسالته، ومُرُوراً بالشَّطَط والمُعاندة وعدم الانصياع لأوامر الله، وانتهاء بالغُرُور والادِّعاء بأنَّ الله اختار بني إسرائيل ليكونوا شعبه المُصطفى، دُون بقيَّة شُعُوب الأرض.

ويُوضِّح لنا القُرآن الكريم سمات هذا السُّلُوك بآيات جليَّة واضحة تُبرز الطّبيعة اليهُوديَّة المُنحرفة، والعقيدة الفاسدة، والزّيغ الإيماني لدى هذا الشّعب. فمُنذُ أنْ دعاه مُوسى عليه السلام إلى التَّخلُّص من نير العبوديَّة والذُّلِّ والهوان الذي كان يُمارَس عليه من قبَل الفراعنة، فإنَّ هذه الدّعوة كانت عند هؤلاء مُجرَّد رغبة في التَّخلُّص من الذُّلِّ أكثر ممَّا هي إيمان برسالة مُوسى.

إنَّ القوم عندما شعروا بأنَّ فرعون وجُنُوده كادوا أنْ يُدركوهم سُرعان ما بَدَتْ علامات ضعف العقيدة في سُلُوكهم، فبدلاً من أنْ يزيد الشُّعُور بالخطر صدْق التَّوجه وحُسن التَّوكُّل على الله العليّ القدير، نرى أنَّ القوم يجأرون بالشّكوى والاحتجاج على مُوسى" أ من عدم القُبُور في مصر أخرجتنا لنموت في البرِّيَّة؟. ماذا صنعتَ بنا، فأخرجتَنَا من مصر؟. أ ليس هذا ما كلَّمناكَ به في مصر قائلين دَعْنَا نخدم المصريِّين/ فإنَّ خدمتنا لهم خير من نموت في البرِّيَّة "؟! (سفْر الخُرُوج / 14).

لقد صورَّت الآيات القُرآنيَّة موقف هؤلاء القوم ذوي العقيدة الفاسدة والإيمان الضّعيف ـ عندما شعروا بوُجود خَطَر إدراك فرعون إيَّاهم ـ أبلغ تصوير. وبيَّنت لنا الآيات الكريمة مدى

تهلهل العقيدة الإيمانيّة عند هؤلاء القوم ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴾ الشّعراء / 61 ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾ الأعراف / 129 .

لقد أحسّ مُوسى عليه السلام بزيغ اليقين لديهم، وأنّهم مايزالون بحاجة ماسّة إلى شُحنة كبيرة من الإيمان بالقُدرة الإلهيّة، عندما سألوه أثناء عُبورهم معه البحر عن بقيّة إخوانهم، فأجابهم مُوسى " إنّهم بخير، ويسيرون معنا، ولكنْ؛ بطريق آخر "، فَطَلَبُوا منه أنْ يروهم ويطمئنّوا عليهم، ولم يسع مُوسى عليه السلام إلاّ أنْ يُعبِّر عن هذا الموقف كما وَرَدَ في القُرآن الكريم بالقول ﴿ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾ الشُّعراء / 62 ولم يقل إنّ ربّنا معنا سيهدينا كما قال مُحمَّد ﷺ في الغار عندما كان مُختبئاً مع أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه ﴿ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ التَّوبة / 40. وكأنّ مُوسى أدرك أنّ شعبه لا يستحقّ - بعد - أنْ يكون بمعيّة الله .

وما إنْ تمّت المُعجزة الإلهيّة، ورأى القوم بأُمّ أعينهم آية من آيات الله، وما كادوا يستقرّون في أرض سيناء، حتّى عادت صفات الجُحُود تبرز، وفساد العقيدة ينكشف، فَطَلَبُوا من نبيّهم أنْ يجعل لهم آلهة مثل الآلهة التي رأوها عندما مرّوا على قوم يعبدون الأصنام ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴾ الأعراف / 138 .

وتأتي الدّعوة الإلهيّة لمُوسى للقاء ربّه، وتمتدّ فترة غيابه ﴿ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ﴾ البقرة / 51، ولكنّ القوم سرعان ما مالوا إلى الشّكّ بوحدانيّة الله، وَصَنَعُوا عجلاً إلهاً لهم ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ الأعراف / 148 .

ويبعث غضبُ مُوسى من شركهم نوعاً من الخوف والرّغبة لديهم في التّوبة، ولكنّها توبة مشوبة بعقيدة مهزوزة، وبإيمان مُهلهَل. فسرعان ما يظهر على هؤلاء التّذمّر والجُحُود بنعمة الله، فأنكروا على الله إرساله المنّ والسّلوى لهم، وَطَلَبُوا من مُوسى أنْ يطلب من ربّه (ربّ مُوسى !!) أنْ يُخرج لهم نباتاً غير المنّ والسّلوى، فهُم لا يستطيعون الصّبر على تناول طعام واحد ﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ

بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ البقرة / 61.

ويرتفع مُستوى الجُحُود والاستكبار عند بني إسرائيل عندما طَلَبُوا من مُوسى أنْ يُريهم الله جهرة، إمَّا تجاهلاً، أو عدم إدراك للذّات الإلهيَّة، وأنَّه - سُبحانه وتعالى - كدليل على عَظَمَته - هُو فوق إدراك البشر. فعندما قال مُوسى تجاوزاً ﴿ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأعراف / 143 وكأنَّ مُوسى أدرك أنَّه لم يكن من اللائّق بحضرة الذّات الإلهيَّة أنْ يطلب مثل هذا الطَّلَب، فاستدرك بطلب التَّوبة، ويُؤكِّد إيمانه بالله عزَّ وجلَّ، إلاَّ أنَّ هؤلاء المُستكبرين اشترطوا للإيمان بمُوسى أنْ يروا الله جهرة: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ البقرة / 55. وإزاء هذا التَّجاوز في الطَّلب والإصرار على الاستكبار واللُّجُوء إلى المُماحكة في تقبُّل الرّسالة التي جاء بها مُوسى، أراد الله - عزَّ وجلَّ - أنْ يُعاقب هؤلاء القوم، علَّهم يرتدعون ﴿ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ النّساء / 153. ولكنَّ رحمة الله أوسع من جُحُود واستكبار هذا القوم ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ البقرة / 56. ألم يُرسل الله الغمام ليستظلُّوا به من حرارة شمس سيناء المُحرقة؟! ألم يُنزِّل عليهم المنَّ والسّلوى؟! ماذا كان سُلُوكهم إزاء هذه النّعمة والرّحمة الإلهيَّة ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ ﴾ البقرة / 61. لقد قالوا هذا القول رغم قول مُوسى لهم ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ الأعراف / 129.

وتطغى طبيعة هؤلاء القوم وما جُبلوا عليه من حُبِّ المعصية وعدم الانصياع لأوامر نبيِّهم عندما رَفَضُوا دعوة مُوسى - عليه السّلام - لهم بدُخُول الأرض التي حدَّدها لهم، وأبوا أنْ يلتزموا بالأمر الإلهي ويُقاتلوا المُشركين لإعلاء كلمة الله: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ المائدة / 21. لقد جاء جواب هذا القوم مُخيِّباً لآمال الرّسول، فالله يطلب منهم أنْ يُحاربوا، ويُقاتلوا لإعلاء كلمة الحقّ، ويُحذّرهم بأنَّ الهُرُوب من هذه المهمَّة ستكون نتائجه الخُسران المُبين، نرى أنَّ الإصرار على

مُخالفة هذا الأمر الإلهي أمر غير مُستنكَر لديهم، وأنَّ عدم الانصياع لأمر الله شيء يتمُّ فيهم بمُنتهى البساطة والسُّهُولة ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾ المائدة / 22.

ويزداد سلُوكهم دناءة، وترتفع مُعاندتهم وجُحُودهم وعصيانهم درجات عندما يقولون لمُوسى عليه السلام: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ المائدة / 24. وأمام هذا الموقف المُشين لم يسع مُوسى عليه السلام إلاَّ أنْ يُنادي ربَّه قائلاً: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ المائدة / 25. وكان عقاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لهم أنْ حَرَمَهُم من دُخُول الأرض المُقدَّسة، وَجَعَلَهُم يتيهون في الصَّحراء أربعين سنة، عقاباً لهم على عدم تنفيذ الأمر الإلهي، وعصيانهم وخُذلانهم نبيّهم. وخاطب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ مُوسى، وأعلمه بأنَّ هؤلاء العُصاة ـ بسبب امتناعهم عن قتال الجبّارين ـ فسوف يتيهون في صحراء سيناء أربعين سنة ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ المائدة / 26. ويبرز عناد بني إسرائيل وميلهم الفطري إلى عدم الانصياع لأوامر الله وأوامر أنبيائهم عندما يُجادلون مُوسى ـ عليه السّلام ـ في مَوضُوع ذَبْح البقرة التي أراد الله أنْ يختبر ـ مُجدَّداً ـ طاعتهم، فأوحى إلى مُوسى أنْ يطلب من قومه أنْ يذبحوا بقرة ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ ﴾ البقرة / 67. وتستيقظ فطرة المُجادلة لدى قومه، وتنشط معها رغبة المُعاندة لديهم، ويُردِّدون باستكبار ﴿ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ البقرة / 67. رسولٌ يطلب من قومه ما كلَّفه الله أنْ يُخبرهم به، ولكنَّ الإيمان الضّعيف لدى هذا القوم ومَيْلهم الغريزي للمُراوغة والتَّشدُّد والغُلُوُّ يدفعهم إلى التَّطرُّف في طَلَب معرفة نوع هذه البقرة، وتبدأ سلسلة من الطَّلَبات إلى مُوسى: ﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ٦٨ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ البقرة / 68 ـ 69.
﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ٧٠ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ

بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ البقرة / 70 ـ 71. لقد كانت نتيجة هذا التَّشدُّد في تحديد مُواصفات البقرة اضطرارهم لشرائها بثمن غال جداً وجدوها لدى شابٍّ بار بأُمِّه. شدَّدوا على أنفسهم، فشدَّد الله عليهم. وتُذكِّرنا هـذه الحادثة بالآية الكريمة ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ آل عُمران / 53. إنَّ البقرة المطلوب ذَبْحها ـ حسب ما طَلَبَ مُوسى ـ هي الأداة التي أراد الله أنْ يُهيِّئها لمُوسى لكَشْف قاتل الثّري العقيم الذي ليس لـه إلاَّ وارث وحيـد هُـو ابن أخيه الذي قَتَلَهُ ليرثه، وَوَضَعَ جُثَّته على باب رجل من اليهُود ليتَّهمه بقَتْله، ولكـنْ؛ ليكتشف القومُ القاتلَ الحقيقـي، فـإنَّ الله سيُبيِّن لـهم ذلـك عندمـا يضربـون القتيـل بـأحد أعضـاء البقـرة المذبوحة. ولمَّا فعلوا ذلك أحيا الله القتيل، وأخبرهم عن القـاتل ﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ البقرة / 73.

إلاَّ أنَّ المُماحكة والغُلُوَّ في تحديد المُواصفات، والتَّشدُّد في تفسير الأمـر الإلـهي، وطَـرْح أسئلة لا مُبرِّر لها، ولا طائل من ورائها، إلاَّ تحقيق نوع من التَّشدُّد وإظهار الكثير من الـتَّزمُّت، دُون أنْ يُبعد ذلك السُّلُوك صفة هشاشة العقيدة الإيمانيَّة عن هؤلاء القوم الذين يُصرُّون ـ دومـاً ـ على استخدام عبارة ﴿ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ وكأنَّ الإله الواجب التَّوجُّه إليه هُو إله مُوسى، وليس إله بني إسرائيل. وللأسف ـ كما بيَّنَّا ـ فإنَّ العقيـدة المـهزوزة والإيمـان الضَّعيـف يتجلَّـى فـي قولـهم ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ البقرة / 71، وكأنَّ مُوسى لم يأت بالحقّ قبل ذلك.

قوم تردَّدوا كثيراً بتصديق رسالة مُوسـى ﷺ، وتمـادوا فـي طلباتـهم، وتجـاوزوا حُـدُود الأدب مع الله، عندما طَلَبُوا رُؤيته جهرة، ولم يتورَّعوا عن عبـادة العجـل تأسِّياً بـالقوم الذيـن يعبدون الأصنام، وكأنَّ كُلَّ تلك الصِّفات غير الحميدة التي تمتَّعوا بها لم تكفهم لاكتساب هـذه الخصائص التي تُميِّزهم من بقيَّة شُـعُوب الأرض، فأضـافوا إلـى هـذه الصِّفـات ميِّزات أُخرى ذَكَرَهَا القُرآن الكريم في آيات عديدة؛ نُدرج ـ فيما يلي ـ أبرزها:

آ ـ تحريف العقيدة:

ـ ﴿ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٌ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ البقرة / 75.

ـ ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ البقرة / 79.

ـ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة / 146.

ـ ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ آل عُمران / 71.

ـ ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ النّساء / 46.

ـ ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ المائدة / 41.

ـ ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ الأنعام / 91.

ب ـ نَقْضُ المواثيق:

ـ ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ البقرة / 63، 64.

ـ ﴿ أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ البقرة / 100.

ـ ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ آل عُمران / 187.

ج ـ المَيْل إلى الفتنة، والافتراء على الله:

ـ ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ المائدة / 18.

- ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ المائدة / 62.

- ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ﴾ المائدة / 64.

- ﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ المائدة / 64.

- ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ آل عمران183.

د ـ الغُرُور والاستكبار:

- ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ البقرة / 88.

- ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ البقرة / 89.

- ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ البقرة / 111.

- ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ البقرة/ 135.

- ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ آل عُمران / 24.

- ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ آل عُمران / 181.

هـ ـ تكذيب الأنبياء:

- ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ البقرة/ 87.

ـ ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ البقرة / 89.

ـ ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ الصفّ / 5.

ـ ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ الصفّ / 6.

و ـ استحقاق اللّعنة:

تلك هي أبرز الصّفات التي طَغَتْ على سلُوك بني إسرائيل، وترسَّخت في نُفُوسهم، ورغم الإنذارات التي تبلّغوها من ربِّهم، ورغم نداء أنبيائهم ونَهْيهم وتحذيرهم، فقد أبت هذه النُّفُوسُ العُدُولَ عن هذا السُّلُوك الخاطئ الذي يتنافى مع الفطرة الإنسانيّة السّليمة، ولهذا؛ فقد استحقّوا لعنة الله وغضبه:

ـ ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ آل عمران / 112.

ـ ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ المائدة / 13.

ـ ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الأعراف / 165 ـ 166 ـ 167.

الفصل السّابع:

الغرب والصّهيونيَّة

الصّهيونيَّة في الفكْر الغربي:

كان للحَرَكَة البرُوتستانتيَّة التي قام بها مـارتن لُوثـر فـي الرُّبـع الأوَّل مـن القـرن السّـادس عشر تأثير كبير على نظرة المسيحيَّة للدّيانـة اليهُوديَّـة. لقـد تبنَّـت البرُوتسـتانتيَّة أفكـاراً عقائديَّـة هامَّة، أحدثت تغييراً حاداً في النّظرة المسيحيَّة نحو اليهُود. فبعـد أنْ كـانت المسـيحيَّة تنظـر إلـى اليهُود بأنَّهم قَتَلَةُ المسيح، وأنَّ ما يُسمَّى بالأُمَّة اليهُوديَّة قد انتـهى، بعـد أنْ غضـب الله عليـهم، وطردهم من فلسـطين إلـى بـابل علـى يد نبوخذنصر؛ عقاباً لـهم علـى صَلْـب المسـيح، وأمَّا نُبُوءاتهم الدِّينيَّة المُتعلِّقة بالعودة إلى الأرض المُقدَّسة؛ فقـد تحقَّقـت عندمـا أعـادهم الإمـبراطُور الفارسي قورش إلى القُدْس، فإنَّ البرُوتستانتيَّة أنكرت هذه النَّظْـرة، وَرَفَضَـتْ هـذا الاعتقـاد، وأصرَّت على أنَّ الإيمان بمكانـة الشّـعب اليـهُودي وحـقّ عودتـه إلـى أرضـه التـي وعـده الله بـها ماتزال قائمة، لأنَّ هذه العـودة ضروريَّـة لعـودة المسيح نفسـه، ليُقيـم مملكتـه، ويحكـم العـالم لألف سنة سعيدة.

وبدايةً؛ انطلقت الدّعوات بحقِّ العودة وبَعْث الأُمَّة اليهُوديَّة على يد بعض رجـال الدِّيـن اليهُود في النّصف الثّاني من القرن السّادس عشر. فقد نَشَـرَ عـالم اللاَّهـوت اليـهُودي تُومـاس برايتمـان كتاباً حـول حـقِّ العـودة لليـهُود. ثُـمَّ توالـت ـ بعـد ذلـك ـ دعـوات تبنَّتْـهَا شـخصيَّات مسيحيَّة تحتلُّ مراكز دينيَّة وسياسيَّة هامَّـة، وقـاد هـذه الحملـة رجـال بـارزون مـن عُلمـاء الدِّيـن البرُوتستانت. ثُمَّ انتقلت المُناصرة لحقِّ العودة من المجـال الأدبي إلـى المجـال السِّياسـي؛ ليحمـل لواء هذه المُناصرة المُستشار القانوني للملك إنكلترا هنري فنش **Henry Finch** لينشر عـام **1621**، دراسة حول ضرورة القيام بحملة صليبيَّة جديدة لاستعادة إمبراطُوريَّة الأُمَّة اليهُوديَّة. ثُمَّ يقـود

حملة المُناصرة لهذه العودة السِّياسي البريطاني أُوليفر كرُومويل الذي استلم الحُكْم في بريطانيا عام 1653 ، بعد القضاء على المَلَكيَّة فيها ، والذي استمرَّ حُكْمه حتَّى عام 1658 . فقد دعا إلى عقد مُؤتمر للبرلمان لإقرار تشريع بعودة اليهُود إلى بريطانيا ، وذلك عام 1655 ، بعد أنْ حرَّم عليهم الملك إدوارد دُخُولهم إليها ، عندما أصدر قانون النَّفْي عام 1290 ، ومُنْذُ هذا المُؤتمر تبنَّى كرُومويل فكرة حقِّ العودة لليهُود إلى فلسطين ، وتشجيع توطين اليهُود فيها تحقيقاً للوعد الإلهي الممنوح لهم .

ويبدو أنَّ ربط المصالح الاستراتيجيَّة لبريطانيا بفكرة إنشاء الوطن القومي اليهُودي في فلسطين ـ التي كان اليهُود الأوائل يُشجِّعون على إثارتها من حين لآخر ـ كانت تجري تارةً تحت شعار أنَّ الله يغضب على كُلِّ شعب يُسيء مُعاملة اليهُود ـ وهذا ما حاولت اليهُوديَّة الإيحاء به بعد المُعاناة التي واجهتها بريطانيا أثناء الحرب الأهليَّة ـ وتارة تحت شعار أنَّ المصلحة الاستراتيجيَّة لبريطانيا تقتضي وُجُود وطن يهُودي يحرص على خدمة مصالحها .

لقد انتشرت أفكار التَّوطين اليهُودي في فلسطين في أكثر بُلدان أُورُوبا الغربيَّة ، وظهرت كتابات عديدة لأشهر الكُتَّاب يُردِّدون هذه الأفكار النَّثريَّة مثل جُورج إليوت George Eliot وهُولجر بولي Holger Polly ، أو الشِّعريَّة مثل جُون ميلتون John Milton ولُورد جُورج بايرون Lord George Byron وجُون كُولِيردج John Colridge . إنَّ هذه المُنطلقات الفكريَّة والتَّوجُّهات الفلسفيَّة أصبحت تُشكِّل قناعات لدى الفكر الأُورُوبي بأحقِّيَّة عودة اليهُود إلى فلسطين ، تمهيداً لعودة المسيح الثَّانية . وقد تكون آراء اللُّورد أنطوني آشلي كُوبر المعروف باللُّورد شافتسبري Lord Shftesburey وليدة هذه القناعات . ففي عام 1839 ، نَشَرَ اللُّورد مقالاً طويلاً في إحدى الدَّوريَّات البريطانيَّة المشهورة Quarterly Reviewed London يدعو إلى تسهيل عودة اليهُود إلى فلسطين ، وقال في مقاله : إنَّ اليهُود سيبقون يشعرون بالغُربة حتَّى يعودوا إلى فلسطين ، وإنَّ العودة اليهُوديَّة هي الأمل في تجدُّد المسيحيَّة ، وأطلق في نهاية مقاله شعاره الذي يقول فيه : وطن بلا شعب لشعب بلا وطن . وتبدو الاتِّجاهات الاستعماريَّة في هذه المقولة واضحة ، رغم أنَّها مُغلَّفة بستار ديني مُزيَّف . فسُرعان ما تلقَّف السَّاسة البريطانيُّون هذه الأفكار ذات المظهر الدِّيني الخادع الذي يُصوِّر هذه العودة بأنَّها تحقيق للإرادة الإلهيَّة ، وربطوا بينها وبين

المصالح الاستراتيجيَّة للإمبراطُوريَّة البريطانيَّة. فوُجُود قاعدة في الشّرق الأوسط ترتبط مصالحها بمصالح التّاج البريطاني أمر في غاية الأهمِّيَّة لحماية طريق الهند، دُرَّة ذلك التّاج.

وكان أبرز مَنْ تبنَّى أفكار اللُّورد شافتسبري اللُّورد بالمرستون **Lord Palmerston** وزير الخارجيَّة البريطاني، الذي كان ينظر باهتمام بالغ لوراثة مُمتلكات الإمبراطُوريَّة العُثمانيَّة، والذي كانت بلاده في مُنافسة حامية مع فرنسا لاقتسام هذه المُمتلكات. ولعلَّ بالمرستون ساءه أنْ تكون فرنسا أوَّل دولة أُورُوبيَّة ترعى دعوة عودة اليهُود إلى فلسطين، وذلك عندما دعا نابليون بُونابرت يهُود العالم إلى العودة إلى فلسطين، وإنشاء وطنهم القومي عام **1798**، ووجَّه نداءه المشهور الذي جاء فيه:

"يا وَرَثَةَ فلسطين الشَّرْعيِّين! إنَّ الأُمَّة التي لا تُتاجر بالرِّجال والأوطان (يعني فرنسا) تدعوكم للاستيلاء على إرثكم، وأَخْذ الأرض التي تمَّ ضمُّها والاحتفاظ بها (أيْ فلسطين) وفرنسا تُقدِّم لكم ضمانها وتأييدها ضدَّ الدُّخلاء. سارعوا أيُّها اليهُود. إنَّ هذه اللّحظة قد لا تكرَّر لآلاف السِّنين للمُطالبة باستعادة حقُوقكم التي ضاعت منكم، وهي وُجُودكم السِّياسي كأُمَّة بين الأُمم، وحقّكم الطّبيعي المُطلَق في عبادة إلهكم (يَهْوَه) طبقاً لعقيدتكم، عَلَناً، وإلى الأبد".

وإنْ كانت حملة نابليون قد فشلت، وارتدَّت جُيُوشه حاملةً خيبة أمل كبيرة له، إلاَّ أنَّ أفكاره ودعوته راجت في أذهان السِّياسيِّين الفرنسيِّين الذين جاؤوا بعده، سواء في عهد الملك لويس الرّابع عشر، أو في عهد نابليون الثّالث.

أمَّا بريطانيا التي كانت تطمح في إيجاد موطئ قَدَم لها في الشّرق الأوسط؛ فقد رأى بالمرستون وزير خارجيَّتها أنَّه يستطيع أنْ يتَّخذ فكرة اللُّورد شافتسبري مُتَّكأ يستند عليه لنَشْر فكرة حقِّ اليهُود في العودة إلى فلسطين، والادِّعاء بحماية الأقلِّيَّة اليهُوديَّة الموجودة فيها، مُتَّخذاً نفس الأُسلُوب الذي كانت تدَّعيه فرنسا بحماية الأقلِّيَّات الكاثُوليكيَّة. وقد ساعد على انتشار التّأييد الأُورُوبي لليهُود المُعاناة التي لاقاها يهُود رُوسيا بعد اغتيال إلكسندر الثّاني قيصر رُوسيا عام **1881**. ففي **1/ 3/ 1881**، قام أحد أعضاء مجموعة - يُشكِّل اليهُود والأقلِّيَّات الغالبيَّة العُظمى فيها - بإلقاء قُنبُلة على إلكسندر في سان بتسبرغ أصابته بجراح قاتلة، تُوفِّي على أثرها، وعندما تولَّى إلكسندر الثّالث الحُكْم بدأت موجة جديدة ضدَّ السّاميَّة، وازداد

تعسُّف السُّلطات ضدَّ هذه الأقلِّيَّة، وأخذت الجماهير الرُّوسيَّة تضطهد اليهُود تحت سَمْع وبَصَر السُّلطات الأمنيَّة الرُّوسيَّة، التي كانت تغضُّ النَّظر عن هذا السُّلُوك العدائي ضدَّ اليهُود. وانتشرت هذه الاعتداءات ضدَّ اليهُود في أنحاء رُوسيا، وامتدَّت إلى الدُّول التي كانت خاضعة لها، واستمرَّت عمليَّة الاضطهاد تلك حتَّى بداية الحرب العالميَّة الأُولى، وكانت نتيجتها نُزُوح أعداد كبيرة من اليهُود الرُّوس خلال هذه الفترة المُمتدَّة من عام 1881 ـ 1914 ـ ما يزيد عن مليون ونصف مليون يهُودي ـ توجَّه مُعظمهم نحو الولايات المُتَّحدة. وأمَّا اليهُود الذين هاجروا من بقيَّة دُول أُورُوبا الشَّرقيَّة التي كانت تابعة للإمبراطُوريَّة الرُّوسيَّة؛ فقد فاق المليونَيْن، توجَّه مُعظمهم ـ أيضاً ـ إلى الولايات المُتَّحدة، بينما توجَّه جُزء منهم إلى أُورُوبا الغربيَّة والشَّرق الأوسط.

أثار تدفُّق اليهُود إلى أُورُوبا الغربيَّة هُمُوم الأُورُوبيِّين الذين كانوا يُكنُّون العداء لليهُوديَّة، فوجد هؤلاء في الدَّعوة إلى تشجيع هجرة اليهُود إلى فلسطين مَنْفَذاً للتَّخلُّص من أُولئكَ الوافدين الجُدُد، إضافة إلى اليهُود المُقيمين بينهم. إلاَّ أنَّ النَّظرة الاستعماريَّة لخَلْق دولة يهُوديَّة في فلسطين بقيت هي الفكرة السَّائدة والمُسيطرة على العقليَّة الأُورُوبيَّة عامَّة، والبريطانيَّة خاصَّة. فقد كانت بريطانيا ترغب بوَضْع دولة تحت وصايتها في فلسطين كي تتحقَّق من خلالها مصالحها الاستراتيجيَّة والاقتصاديَّة.

ولم يكن جُوزيف تشامبرلين Joseph Chamberlin (1836 ـ 1914) "السِّياسي البريطاني الشَّهير الذي كان يقود الجناح اليساري في حزب العُمَّال، والذي شغل منصب وزير المُستعمرات خلال الفترة ما بين 1895 ـ 1903 " مُرتاحاً للهجرة اليهُوديَّة من أُورُوبا الشَّرقيَّة إلى بريطانيا. وكان يرى أنَّ هذه الهجرة ستُؤثِّر على العَمَالة البريطانيَّة. ورغم أنَّه لم يكن من المُتحمِّسين للصَّهيونيَّة، إلاَّ أنَّه وَجَدَ في الدَّعوة إلى إنشاء وطن لليهُود في فلسطين فُرصة لتحويل الهجرة من بريطانيا إلى أيِّ بلد آخر. وقد أيَّد "تشامبرلين" الأفكار التي حملها "تيودور هرتزل" حول الوطن القومي، ورأى أنَّ تبنِّي المشروع الصَّهيوني يتَّفق مع ما يحمله من أفكار حول موضُوع هجرة اليهُود إلى بريطانيا، ورغبته في تحويل هذه الهجرة إلى فلسطين حسب ما أقرَّه البرنامج السِّياسي للمُؤتمر الصَّهيوني الأوَّل الذي انعقد في سويسرا. وكانت أبرز أهداف هذا المُؤتمر هي تشجيع هجرة اليهُود إلى فلسطين. وكان لقاؤه مع "هرتزل" في لندن يُوحي بأنَّ

الأجواء أصبحت مُهيَّأة لالتقاء مصالح بريطانيا (المسيحيَّة الصّهيونيَّة) مع مصالح الصّهيونيَّة اليهُوديَّة. وتبع هذا اللّقاء "ذُ الرُّؤية المُشتركة التي أبرزت إمكانيَّة تلاقي المصالح" لقاءات مُتعدِّدة بين "تيودور هرتزل" و"آرثر بلفور" وزير الخارجيَّة البريطاني، والتي انتهت بالحُصُول على وثيقة تُؤيِّد مطالب الصّهيونيَّة في إنشاء الوطن القومي الموعود.

وفي 2/ 11/ 1917، ومع صُدُور وعد بلفور - الذي أقرَّ إقامة وطن قومي للشّعب اليهُودي في فلسطين، وأنكر على أصحاب الأرض الشَّرْعيِّين حُقُوقهم المشروعة - بدأت مرحلة جديدة من مراحل الصّراع لاسترجاع الحقِّ المسلوب، وبدأت - في الواقع - الغزوة الاستعماريَّة، والنُّزُوح الاستيطاني المدعوم، ليس - فقط - من الغرب الأُورُوبي، بل - أيضاً - من الغرب الأميركي. وبدأت سُلطات الانتداب البريطاني التي مَنَحَهَا مُؤتمر سان ريمو عام 1920، حقَّ الانتداب على هذا الجُزء من الوطن العَرَبي تعمل جاهدة على خَلْق كُلِّ الأجواء المُناسبة لتعزيز التَّواجد اليهُودي في فلسطين، وَوَضْع كافَّة العقبات أمام السُّكَّان الأصليِّين لهذا البلد لمُمارسة حقِّهم المشروع في التَّصدِّي لهذا الغزو الاستعماري، والاستيطان غير الشَّرْعي في الأراضي العَرَبيَّة.

الصّهيونيَّة في الفكر اليهُودي:

إنَّ الدّعوة التي أطلقها نابليون بُونابرت عام 1799، إلى يهُود العالم باغتنام فُرصة تواجده على أبواب عكَّا، وإعداد أنفسهم للعودة إلى فلسطين لاستعادة حُقُوقهم التي سُلِبَت منهم، والتي تدعمها فرنسا بكُلِّ قُوَّتها، تلك الدّعوة التي جاءت قبل 118 سنة من صُدُور وعد بلفور لم تكن فكرة جديدة بالنّسبة لليهُود، ولم تكن دعوة طارئة تحثُّهم على العودة إلى فلسطين، وإنشاء دولتهم اليهُوديَّة فيها. لقد كانت تلك الفكرة تتواجد في أعماق عدد كبير من اليهُود، وكانت الرّغبة في تحقيق هذه العودة حُلماً يُداعب أذهان الكثيرين منهم، مُنذُ أنْ عانى هؤلاء آلام الشّتات والاضطهاد إثر السّبي البابلي الذي تمَّ على يد نبوخذنصر عام 586 ق. م.

لقد ترسَّخت في أعماق الفكر اليهُودي فكرة العودة إلى الأرض المُقدَّسة لإعادة أمجاد المملكة اليهُوديَّة الغابرة، التي حَكَمَتْ قسماً كبيراً من فلسطين "أرض الكنعانيِّين" في عهد داود

وسُليمان عليهما السّلام. ورغم أنّ الوقائع التّاريخيَّة تُشير إلى أنّ هذه المملكة لم تدمْ أكثر من ثمانين عاماً (1000 ـ 920 ق. م.) بسبب تصدُّعها بعد وفاة سُليمان ﷺ، وانقسامها إلى مملكَتَيْن: الأُولى في الشّمال وعاصمتها السّامرة، والثّانية في الجنوب وعاصمتها أُورشليم (القُدْس)، إلاّ أنّ التّاريخ يذكر أنّ المملكة الأُولى مملكة الشّمال (مملكة إسرائيل) لم تُعمّر طويلاً، وانتهت على يد الآشوريّين بعد 200 سنة من قيامها، وكذلك الحال بالنّسبة لمملكة الجنوب (مملكة يهُوذا) التي جاء تدميرها على يد نبوخذنصر البابلي عام 586 ق. م. وتمّ على أثر هذا الغزو سبي سُكّانها، ونَقْلهم إلى بابل لُمعاملتهم كَعَبيد للبابليّين.

إنّ الوقائع التّاريخيَّة لمسيرة اليهُود عبر التّاريخ تُشير إلى أنّ هؤلاء القوم قاسوا من آلام الاضطهاد والتّشريد والتّهجير الإجباري ما لم يُقاسه أيُّ شعب من شعُوب العالم. وقد تكون مأساة التّهجير شيء مُلازم ومُلتصق بهؤلاء القوم عبر عُصُور التّاريخ مُنذُ مُوسى ﷺ وحتّى عصرنا هذا. ويُمكن القول إنّ اليهُود ـ حتّى الآن ـ مايزالون يُعاصرون حالة الشّتات التي كانوا يُعانون منها مُنذُ المراحل الأُولى في تاريخ حياتهم وحتّى الآن. إنّ ما يُطلق عليه اسم الشّتات Diaspora هُو الواقع الذي مايزال سائداً في الوَسَط اليهُودي. فمُعظم يهُود العالم مايزالون مُوزَّعين في كافَّة أنحاء المعمورة، ومايزال اسم الشّتات مُلتصقاً بهم. وحسب إحصاءات عام 1990، فقد كان عدد يهُود العالم يبلغ حوالي ثلاثة عشر مليوناً (13.000.000) تسعون بالمئة منهم يعيش في خمس بُلدان، وثلاثة أرباع هؤلاء يعيشون في الولايات المُتَّحدة وإسرائيل. ونظرة إلى عدد اليهُود المُتواجدين في الولايات المُتَّحدة والتي تتمركز مجموعاتهم في مدينة نيُو يُورك تُبيِّن أنّ عدد هؤلاء اليهُود يُشكّل 43٪ من مجموع عددهم في العالم، بينما نجد أنّ هذه النّسبة تتدنّى إلى 36٪ بالنّسبة ليهُود إسرائيل. لقد حاولت الصّهيونيَّة خلال العشر سنوات الأخيرة من القرن الماضي أنْ تُغيِّر هذا الواقع، ولكنْ؛ ماتزال صفة الشّتات هي الصّفة الغالبة على ما يُسمّى (بالشّعب اليهُودي).

ويُدرج تُوماس سويل Thomas Sowell في كتابه الهجرات والثّقافات Migrations and Cultures هذه الحقيقة في الجدول الإحصائي التّالي، الذي يشير إلى هذا الواقع في نهاية عام 1990:

اسم الدَّولة	العدد
يهُود الولايات المُتَّحدة	5.535.000
يهُود إسرائيل	3.946.700
يهُود رُوسيا	1.150.000
يهُود فرنسا	530.000
يهُود بريطانيا	315.000
يهُود بقيَّة دُول العالم	1.329.700
المجموع العامّ	12.806.400

إلاَّ أنَّه وبعد عشر سنوات من دراسة تُوماس سويل حول هذا المُوضُوع ـ الشّتات ـ نجد أنَّ الصّبغة العامَّة التي تُسيطر على الحياة اليهُوديَّة ماتزال قائمة، رغم كُلّ الجُهُود التي تبذلها الصّهيونيَّة لتغيير هذه الصّبغة. فبمُوجب الإحصاءات التي قام بها سيرجيو ديلا بيرغولا (Sergio Della Pergola) في قسم الدّراسات السُّكَّانيَّة والإحصائيَّة في الجامعة العبريَّة في القُدْس، والمنشورة في الكتاب السّنوي لليهُود الأميركان في نيُو يُورك، والذي تُصدره اللّجنة الأميركيَّة اليهُوديَّة، فإنَّ نتائج هذه الإحصاءات تُثبت ـ بعد الاطّلاع عليها ـ استمرار هذه الظّاهرة في الحياة اليهُوديَّة. لقد جاء في هذه الإحصائيَّة أنَّه في نهاية عام 2000، كان توزيع اليهُود في العالم هُو كالتّالي:

اسم الدَّولة	عدد اليهُود فيها
الولايات المُتَّحدة	5.700.000
إسرائيل	4.882.000
رُوسيا	438.100
فرنسا	521.000
بريطانيا	276.000
بقيَّة دُول العالم	1.374.400
المجموع العامّ	13.191.500

إنَّ هذه الأرقام تعني أنَّ 500 . 309 . 8 يهُودي مايزالون يعيشون في الشّتات؛ أيْ أنَّ ما يُقارب 65 ٪ من مجموع يهُود العالم مايزالون يعيشون خارج إسرائيل. وتسعى الحُكُومة الحاليَّة برئاسة آرييل شارون إلى استدعاء مليون يهُودي خلال الخمس سنوات القادمة، لتعزيز الوُجود السُكَّاني اليهُودي في فلسطين. ولقد بيَّنت الإحصاءات أنَّه في عام 2020، سيُمثِّل العَرَب 55 ٪ من سُكَّان فلسطين، بينما لن يتجاوز عدد اليهُود فيها 45 ٪. لذلك يسعى اليهُود إلى جَلْب عدد من المُهاجرين لتفادي هذا الأمر. والشّيء الذي يدعو إلى التَّوقُّف أمامه هُو ما بيَّنته الإحصاءات حول الكثافة السُكَّانيَّة؛ إذْ تبلغ هذه الكثافة في فلسطين تسع أضعافها ممَّا هي عليه في الأُردن، وستَّة أضعافها عمَّا هي عليه في سُورية. ويبدو أنَّ الإسرائيليِّين ينظرون بقَلَق بالغ إلى النّسبة العالية للتّزايد السُّكَّاني في المُحيط العَرَبي، والتي تبلغ 4 . 3 ٪ سنويّاً، وهذا القلق يزداد عندهم عند أيِّ احتمال لعودة اللاَّجئين الذين أُجبروا على تَرْك البلاد عام 1948، والنّازحين الذين غادروها عام 1967. وأمَّا التَّوزيع الجَغرافي حسب القارَّات؛ فإنَّنا نجد أنَّ القارَّة الأميركيَّة تحوي 900 . 483 . 6 يهُودي؛ أيْ ما يُعادل 50٪ من عدد يهُود العالم، مُوزَّعين على الشّكل التّالي: 000 . 700 . 5 في الولايات المُتَّحدة، و000 . 362 في كندا، و800 . 52 في أميركا الوُسْطَى، و100 . 369 في أميركا الجنوبيَّة.

أمَّا أُورُوبا؛ فإنَّ قسمها الغربي يضمُّ ما يُقارب 600 . 046 . 1 يهُودي، منهم 700 . 026 . 1 يهُودي في الاتِّحاد الأُورُوبي، و 900 . 19 يهُودي في بقيَّة دُول أُورُوبا الغربيَّة. وإذا أضفنا إلى هذه الأرقام يهُود رُوسيا البالغ عددهم 100 . 438 فإنَّ مجموع يهُود القارَّة الأُورُوبيَّة يُصبح 000 . 583 . 1. وتضمُّ الدُّول التي كانت ضمن مجموعة الاتِّحاد السُّوفيتي 200 . 149 يهُودي، مُوزَّعين على الشّكل التّالي:

000 . 30 دُول البلطيق+900، 20 دُول آسيا الوُسْطَى +98. 300 دُول أُورُوبا الشّرقيَّة.

أمَّا القارَّة الإفريقيَّة؛ فإنَّها تحوي ما مجموعه 800 . 89 يهُودي، أغلبهم (100 . 82) في النّصف الجنوبي من القارَّة.

وأخيراً؛ فإنَّ القارَّة الأُوقيانُوسيَّة (أُستراليا - نيوزيلندا - جُزُر الباسفيك)؛ فإنَّها تضمُّ حوالي 900 . 101 يهُودي.

الفصل الثّامن:

اللّعنة الإلهيَّة

العالم ولعنة الشّتات:

آ ـ الآشوريُّون ـ البابليُّون ـ الرُّومان:

إنَّ كثيراً من الشُّعُوب في العالم عانت من حالات التَّمزُّق والتّشتت، إلاَّ أنَّ هذه الشُّعُوب بقيت مُحافظة على وُجُودها في موطنها، ولكنْ؛ في الحالة اليهُوديَّة فإنَّنا نجد أنَّ الشّتات اليهُودي يُعدُّ حالة خاصَّة، لها تعقيداتها وصفاتها التي تتميَّز بعدَّة عوامل؛ أبرزها:

1 ـ إنَّ مُعظم اليهُود مايزالون يعيشون خارج الأرض التي يزعمون أنَّها وَطَنهم الأصلي.

2 ـ إنَّ خسارة الأرض كانت بالنّسبة لليهُود ليست ـ فقط ـ سياسيَّة، بل سُكَّانيَّة أيضاً. فالآخرون حقَّقوا لأنفسهم نصراً جَغرافيَّاً وسُكَّانيَّاً عندما استولوا على تلك الأرض.

3 ـ إنَّ التّمركز اليهُودي خارج تلك الأرض مرَّ بعدَّة تبدُّلات، بدأت في أُورُوبا الشّرقيَّة، وانتقلت إلى العالم الإسلامي، واستقرَّت ـ أخيراً ـ في الولايات المُتَّحدة الأميركيَّة.

تاريخيَّاً؛ تعود بداية مرحلة الشّتات إلى القرن الثّامن قبل الميلاد، عندما غزا الآشوريُّون مملكة إسرائيل، واقتادوا معهم أكثر من 27.000 يهُودي بعد تدمير المملكة. أُولئكَ اليهُود الذين يُعدُّون القبائل المفقودة التي لم يُعثَر على أثر لها. وخلال فترات مُتتالية؛ كان اليهُود عُرضة للتّهجير والاضطهاد، ولكنَّ ذلك لم يحلْ دُون أنْ يفقد هؤلاء هُويَّتهم الدِّينيَّة أو ولاءهم لعاصمة مملكتهم وترديدهم الجُملة التَّوراتيَّة: إذا فقدتُك يا أُورشليم.. وجاء السّبي البابلي على يد نبوخذنصر عام 586 ق. م. وتلاه ـ أيضاً ـ رُجُوع عكسي وعودة لبناء الهيكل

على يد الإمبراطُور الفارسي قورش، الذي قاد المجموعات اليهُوديَّة، التي كان يُقدَّر عددها بحوالي 50.000 يهُودي إلى القُدْس لبناء المعبد في جبل صهيون في مدينة القُدْس. وقبل ميلاد السَّيِّد المسيح عليه السلام بقرن - تقريباً - احتلَّ الرُّومان القُدْس، وخلال احتلالهم فلسطين قامت عدَّة مُحاولات للتَّخلُّص من هذا الاحتلال الرُّوماني، وذلك خلال القرنَيْن الأوَّل والثّاني بعد الميلاد، ولكنَّ فشل هاتَيْن المُحاولتَيْن أدَّى إلى تدمير المعبد، وترحيل العديد من اليهُود خارج فلسطين. لقد استمرَّ اليهُود خلال ما يزيد عن ألفَيْ سنة بدُون أيِّ أرض أو وطن يلجؤون إليه، أو يحتمون به. وكانت أراضي الإمبراطُوريَّة الرُّومانيَّة مسرحاً لتواجدهم في أرضها الشّاسعة. ويُقدَّر عدد اليهُود الذين استوطنوا رُوما - فقط - في تلك المرحلة بحوالي 50.000 يهُودي، والذين استوطنوا في كافَّة أنحاء الإمبراطُوريَّة بحوالي أربعة ملايين (4.000.000) يهُودي.

لقد سمحت القوانين الرُّومانيَّة لليهُود أنْ يتعاملوا بالتِّجارة والخدمات وكُلّ الأعمال الحِرَفيَّة، الأمر الذي سهَّل أمامهم سُبُل العيش، وتحقيق مكاسب ماليَّة جيِّدة. ولم يحل هذا الأمر دُون تعرُّض اليهُود للمذابح والطَّرْد من فلسطين، أو للبَيْع بأعداد كبيرة منهم كَعَبيد، بعد فشل ثورتهم الثّانية على الرُّومان. وفي بداية العُصُور الوُسْطَى، وبعد أنْ اعتلى آخر إمبراطُور رُوماني عرش رُوما في عام 476 بعد الميلاد، كان اليهُود قد استقرُّوا في بقاع مُختلفة من أراضي الإمبراطُوريَّة الرُّومانيَّة في منطقة البحر الأبيض المُتوسِّط، بعيدين عن مناطق شمال أُورُوبا، وقريبين من البُلدان العَرَبيَّة، التي تعرَّضت - فيما بعد - للغزوات الصّليبيَّة، وغزوات المغول والتّتار. وفي تلك الأيّام؛ عاش اليهُود في الوَسَط الإسلامي تحت ظلِّ شُرُوط أفضل بكثير ممَّا كان بعضهم يعيش في وَسَط مسيحي.

ب - العالم الإسلامي:

لقد كانت العلامة الفارقة لمُعاملة اليهُود في كُلٍّ من العالمَيْن الإسلامي والمسيحي أنَّ الإسلام تعامل مع اليهُود بمُنتهى التّسامح والاحترام، ولم يكن اليهُود عبارة عن ظاهرة غير مألوفة في المُجتمع الإسلامي، بل كان يُنظَر إليهم على أنَّهم أقلِّيَّة مُؤمنة، تعتنق التَّوراة ككتاب مُقدَّس لهم، بينما كان اليهُود في العالم المسيحي (أُورُوبا بصُورة خاصَّة) عبارة عن أقلِّيَّة غير

مرغوب فيها؛ لأنَّهم غير مسيحيِّين. وفي تلك الفترة (أوائل العُصُور الوُسْطَى) عندما كانت للمُعتقَدات الدِّينيَّة أهميَّة كبيرة في المُجتمع، وكانت الانتصارات الإسلاميَّة تتوالى، والإسلام يزداد انتشاراً، لم تتغيَّر النَّظرة نحو اليهُود، وبقي اليهُود يحظون بالاحترام والتَّعامل معهم بدُون تمييز. وأثناء فترة ازدهار العُلُوم والفلسفة الإسلاميَّة في عهد الإمبراطُوريَّة العُثمانيَّة التي أصبحت في زمانها أقوى قُوَّة عسكريَّة في العالم، ولم يُجاريها أيُّ بلد فيما توصَّلت إليه من تقدُّم، كانت ثقافة العالم الإسلامي في أكثر المواضع هي الأكثر تقدُّماً، والأكثر قبولاً وجاذبيَّة من أيَّة ثقافة أُورُوبيَّة مُعاصرة.

وبقدر ما كان وَضْع اليهُود خلال العُصُور الوُسْطَى مُريحاً في الوَسَط الإسلامي، فقد كان سيِّئاً في الوَسَط المسيحي الأُورُوبي. فبعد تقطيع أوصال الإمبراطُوريَّة الرُّومانيَّة، واستيلاء البرابرة الوَثَنيِّين على أجزاء كبيرة من الأراضي الأُورُوبيَّة التي كان يعيش فيها اليهُود مُنذُ الأزمنة القديمة، واعتناق هؤلاء البرابرة الوَثَنيِّين الدِّيانة المسيحيَّة بدأت ظلال من القُيُود تُفرَض على السُّكَّان اليهُود، وتزايدت هذه القُيُود مع مُرُور الزّمن بشكل غير مُتوقَّع في العُصُور المُتأخِّرة من فترة العُصُور الوُسْطَى. لقد كانت الثّقافة التي كان اليهُود يتمتَّعون بها - مُقارنة مع نُظرائهم المسيحيِّين في تلك العُصُور المُظلمة، التي كان الجهل يُخيِّم فيها على تلك المُجتمعات - هي الشّفيع لهؤلاء اليهُود في بقائهم مُتمتِّعين بشيء من المكانة بين جيرانهم المسيحيِّين.

إنَّ الأقاويل التي كانت تُطلَق ضدَّ اليهُود، والتي منها أنَّهم يقتلون الصّبية المسيحيِّين، ويشربون دماءهم، وأنَّهم قَتَلَةُ المسيح، وغيرها من الأقاويل لم تثن اليهُود عن مُتابعة نشاطهم وفعاليَّتهم في الوَسَط المسيحي. فقد بقوا - رغم كُلِّ التّحاملات عليهم - موضع ثقة في الوَسَط التّجاري المسيحي، الذي كان يعتمد عليهم في تجارته الخارجيَّة مع العالم الإسلامي، الذي كان تُجَّاره يثقون بهم، وذلك رغم ما كان قائماً بين العالَمَيْن الإسلامي والمسيحي من صراع. وعندما فَتَحَ الأتراك العُثمانيُّون أبوابَ بلادهم لليهُود النّازحين من إسبانيا كانوا بفطْنتهم وذكائهم يعلمون أنَّهم فَتَحُوا أبوابهم للخبرة والمعرفة التي يتمتَّع بها اليهُود. وكان من ضمن تلك المهارات المُتعدِّدة الخبرة العسكريَّة والمعرفة العلميَّة، التي كان العُثمانيُّون بحاجة إليها لمعرفة نُقطة الضّعْف لدى خُصُومهم المسيحيِّين الأُورُوبيِّين، إضافة إلى ذلك؛ فإنَّ العُثمانيِّين

كانوا يعتمدون على اليهُود في أعمال التّرجمة والمهمَّات غير الرَّسْميَّة، وكانوا يـأمنون جانبهم أكثر من المسيحيّين الذين كان انتماؤهم للدَّولة موضع شُبهة دائمة. لقد استخدم العُثمانيُّون الخبرةَ اليهُوديَّة في غزو المُدُن المسيحيَّة، وتمتَّع اليهُود بتواجد كبير في مدينة إستانبول؛ حيثُ بلغ عددهم حوالي 11٪ من سكَّان المدينة عام 1477. وبعد هجرات يهُوديَّة من فرنسا وإيطاليا لتلك المدينة أصبح عدد اليهُود فيها عام 1535، أضعاف تلك النّسبة التي كانت عليه عام 1477. وَحَدَثَ الشّيء نفسه في مدينة سالونيك. وفي عام 1869، كان اليهُود يتمتَّعون بكامل حُقُوق المُواطنة التي يتمتّع بها الآخرون، بغَضِّ النَّظَر عن انتمائهم الدِّيني.

ج - أورُوبا الغربيَّة:

إنَّ النّشاط التّجاري الذي مارسه التُّجَّار اليهُود امتدَّ إلى تجارة الرّقيق؛ ليُصبحوا أكبر مُصدِّر للرّقيق في أورُوبا. وكانت الإمبراطُوريَّة العُثمانيَّة من أهمِّ عُملائهم في استيراد الأُورُوبيّين الأرقَّاء، وخاصَّة؛ العبيد الآتين من منطقة القُوقاز. ولكنْ؛ مع مُرُور الزّمن، وتزايد العداء لليهُود من قبَل السُّلطات الدِّينيَّة المسيحيَّة، فقد وَجَدَ الحُكَّام أنفسهم أمام أمرَيْن مُتضادَّين: أوَّلهما أنَّهم بحاجة ماسَّة إلى المال اليهُودي الذي يمدُّهم به اليهُود، وبحاجة ماسَّة - أيضاً - لخدماتهم في جباية الأموال والضّرائب التي يفرضونها على شُعُوبهم، والثّاني التّجاوب مع الموجة العارمة المُناوئة لليهُود. وتوصَّل الحُكَّام إلى أسلُوب ماكر في التّعامل مع هؤلاء اليهُود. فهُم - تارةً - يُقدِّمون كُلَّ الحماية اللاَّزمة لهم، وتارةً يجعلون منهم كَبْش فداء عندما تشتدُّ الحملة ضدَّهم، وضدَّ سُلُوكيَّاتهم.

ففي عام 1306، أصدر الملك فيليب ملك فرنسا أمراً مَلَكيّاً يقضي بطَرْد كُلِّ اليهُود من فرنسا، وكانت حُجَّته في هذا القرار أنَّ اليهُود يتعاملون بالرّبا، ويأخذون فوائد عالية على الأموال التي يُقرضونها. وهُو لم يلغ الدُّيون المُستحقَّة لهم فقط، بل حوَّل هذه الدُّيون لخزينته الخاصَّة. وقد اتَّضح له - لاحقاً - أنَّ الدُّيون التي حصَّلها كانت أقلَّ من الضّرائب التي كان اليهُود يدفعونها.

وكما كان قد حَصَلَ عام 1290، من طَرْد لليهُود في بريطانيا، ففي عام 1394، تكرَّرت عمليَّات الطَّرْد من فرنسا، بعد أنْ عاد إليها اليهُود بعد إلغاء أمر طَرْدهم السّابق. إنَّ حوادث

الطَّرْد كانت تحدث كثيراً في مُدُن أُورُوبا الغربيَّة. ففي ألمانيا؛ أصدرت مدينة كُولن عام 1424، قراراً بطَرْد اليهُود منها، وكذلك فَعَلَتْ مدينة أُوغسبرغ عام 1439، وتبعتها مدينة مُورافيا عام 1454. إنَّ الشّيء نفسه الذي حصل أثناء الحُرُوب الصّليبيَّة ضدَّ المسلمين حَدَثَ مثيله مع اليهُود في أُورُوبا. فالمأساة التي عاشتها البُلدان التي اجتاحها الصّليبيُّون أثناء زحفهم باتِّجاه الأراضي المُقدَّسة تكرَّرت مع اليهُود أثناء هذا الزّحف. ففي عام 1096، قَتَلَ الصّليبيُّون حوالي عشرة آلاف (10.000) يهُودي في وسط أُورُوبا. وحين انتشر الطّاعون في أُورُوبا في القرن الرّابع عشر، وَذَهَبَ ضحيَّته مئات الأُلُوف من الأُورُوبيِّين، انتشرت شائعات في أُورُوبا مفادها أنَّ اليهُود هُم سبب هذا الطّاعون، ونتيجة هذه الشّائعات؛ تعرَّض اليهُود في عدد كبير من المُدُن الأُورُوبيَّة للاضطهاد والأعمال العدائيَّة ضدَّهم.

ومع مُرُور الزّمن، ونُمُوّ موجة عدم التّسامح والتَّشدُّد الدِّيني، أخذت المُضايقات ضدَّ اليهُود تتَّسع، وتزداد، وبدأت عدَّة مُدُن أُورُوبيَّة تفرض عليهم لباساً مُعيَّناً، وَوَضْع إشارات مُعيَّنة على ملابسهم لتمييزهم من المسيحيِّين. وقد أصدر البابا أنوسنت الثّالث Innocent III عام 1215، أمراً يُلزم اليهُود بارتداء إشارات خاصَّة تُبيِّن أنَّهم يهُود، كما مَنَعَتْ عدَّة دُول أُورُوبيَّة عنهم مُمارسة بعض المهَن، وَفَرَضَتْ عليهم السَّكَنَ في مناطق بعيدة عن المناطق المسيحيَّة، كما فُرِض عليهم - أحياناً - عدم مُغادرة أحيائهم ليلاً.

وقد تكون النّمسا البلد الأُورُوبي الوحيد الذي كان يضمُّ أكبر تجمُّع لليهُود في أُورُوبا (2.2 مليون يهُودي)، ولكنَّ عاصمتها فيينا كانت - بالمُقابل - تحدُّ من تواجد اليهُود فيها. ورغم أنَّ العدد القليل من اليهُود الذين سُمح لهم بالإقامة فيها لم يزد عن 2000 يهُودي في نهاية عام 1847، إلاَّ أنَّه بفَضْل الدَّعْم الذي قدَّمه هؤلاء لبني جلْدتهم تمكَّن عدد كبير من اليهُود من الدُّخُول إلى العاصمة بصُورة شَرْعيَّة، أو غير شرعيَّة، ليبلغ عددهم في نهاية عام 1857 ما يُعادل 1٪ من سُكَّان فيينا، و6٪ من عدد سُكَّانها عام 1869، ثُمَّ 12٪ عام 1890. وأصبح عدد طُلاَّب الحُقُوق فيها يُعادل خُمس مجموع الطُّلاَّب، وعدد طُلاَّب الطِّبِّ ثُلث عدد طُلاَّب كُلِّيَّة الطِّبِّ في عام 1880. وَغَدَتْ نسبة الطُّلاَّب اليهُود في جامعة فيينا تُعادل ثُلث عدد الطُّلاَّب، وذلك عام 1890. وعند مُقارنة أوضاع اليهُود في تلك الفترة مع بقيَّة دُول أُورُوبا الغربيَّة نجد أنَّه في بداية

الحرب العالميَّة الأُولى كان عدد اليهُود في ألمانيا لا يزيد عن 000 . 617 يهُودي، وأكثر من 000 . 100 بقليل في فرنسا، وحوالي 000 . 250 في بريطانيا. ورغم أنَّ عدد اليهُود في فرنسا كان قليلاً نسبياً إذا قارنَّاه بجيرانها بريطانيا وألمانيا والنّمسا، إلاَّ أنَّ هذا البلد لعب دوراً مُميَّزاً في التّاريخ اليهُودي. ففي البداية؛ كانت فرنسا أوّل بلد تمنح اليهُود المُساواة المَدَنيَّة في الحُقُوق، وذلك إثر الثَّورة الفرنسيَّة عام 1789، ونداء نابليون ليهُود العالم أمام أسوار عكَّا، والذي أشرنا إليه سابقاً، أعطى اليهُود اعتبارات ذاتيَّة قيِّمة، لم تُقدم عليه أيَّة دولة أُورُوبيَّة أُخرى. ولكنْ؛ بعد هزيمة نابليون في معركة واترلو أمام الإنكليز عام 1815، بدأت سلسلة من التّراجعات تتعاقب لإعادة الأُمُور إلى ما كانت عليه أيّام الحُكْم المَلكي، وبدأت مُيُول قويَّة تطفو على السَّطْح نحو مُعاداة السّاميَّة. وعقَّدت قضيَّة الضّابط اليهُودي في الجيش الفرنسي "ألفريد درايفوس" الذي اتُّهم بأنّه يتجسَّس لصالح الألمان، وأُدين بتلك التُّهمة من قِبَل المحكمة العسكريَّة بتاريخ 5/ 1/ 1895، الأُمُور بالنّسبة لليهُود الفرنسيِّين، فقد فجَّرت هذه الفضيحة نار العداء للسَّاميَّة، وانطلقت الجماهير في الشَّوارع تُنادي: الموتُ لليهُود.. الموتُ لليهُود.

ويعدُّ بعض *المُراقبين اليهُود أنَّ تعاون حكُومة فيشي مع النّازيِّين* أثناء الحرب العالميَّة الثّانية هُو صُورة واضحة وتعبير بيِّن عن مقدار كَراهية الفرنسيِّين لليهُود. ففي أثناء فترة التّعاون هذه؛ لجأ عدد كبير من اليهُود الذين فرّوا من موجة الاضطهاد إلى بعض البُلدان الأُورُوبيَّة التي فَتَحَتْ أبوابها لهم كالنّرويج والدّانمارك، وحتَّى إيطاليا الفاشيَّة. لقد كان عدد اليهُود الألمان يُعادل أكثر من ستَّة أضعاف عدد اليهُود الفرنسيِّين في أوائل القرن العشرين. فرُبع طُلاَّب الحُقُوق في الجامعات الألمانيَّة وثُلث خرِّيجي كُلِّيّات الفلسفة كانوا من اليهُود. لقد بلغ النّشاط اليهُودي في ألمانيا ذروته في أوائل القرن العشرين، وقبل فترة الثّلاثينيَّات من ذلك القرن. وقبل مجيء هتلر إلى الحُكْم كان نصف المُخرجين الألمان من اليهُود، وثلاثة أرباع المسرحيّات كان كُتَّابها يهُوداً، وكانت أربعة آلاف من محلاَّت جُملة النّسيج مملوكة لليهُود، و60٪ من محلاَّت بيع الملابس أيضاً. وكان السِّياسيُّون اليهُود ذوو المُيُول اليساريَّة هُم الأكثر بُرُوزاً في الحياة السِّياسيَّة الألمانيَّة.

وقد تكون السّنوات الصّعبة التي عاناها الشّعب الألماني أثناء فترة الكآبة في عهد الحُكُومة الألمانيَّة برئاسة بُول فُون هايندنبرغ Paul Von Hindenburg هي التي أعطت هتلر

دفعة كبيرة وفُرصة جيِّدة في عام 1932، لينال حزبه 37 ٪ من أصوات النّاخبين، بعد أنْ كانت هذه النّسبة 3 ٪ عام 1928. وبسبب هذا التّأييد الكاسح الذي مَنَحَهُ الشّعب الألماني لهتلر، والذي يُعدُّ في حينه أكبر تأييد في تاريخ المُستشاريَّة الألمانيَّة، عُيِّن هتلر كَمُستشار لألمانيا؛ ليُصبح بعد خمسة عشر شهراً ديكتاتُورها المُطلَق، ولتبدأ - فوراً - الإجراءات الطَّويلة ضدَّ اليهُود الألمان. فمن القوانين التي تمنع اليهُود من مُزاولة عدَّة مهَن، إلى قوانين مُقاطعة نشاطهم التّجاري، إلى مُمارسة الدّعاية ضدَّهم، وإلى قانون حرمانهم من حُقُوقهم المَدَنيَّة. وفي تشرين الثّاني نُوفمبر عام 1938، شهدت البلاد الألمانيَّة ما أُطلَق عليه بالألمانيَّة كلمة Kristalnacht أيْ ليلة الزُّجاج المكسور. ؛ إذْ بعد اغتيال أحد المسؤولين الألمان على يد أحد الشُّبَّان اليهُود قامت الجماهير الألمانيَّة بحملة عُنف كبيرة ضدَّ اليهُود ومُمتلكاتهم، وأحرقوا عدداً كبيراً من منازلهم، وحطَّموا عدداً من معابدهم. وقد أبدى بعض القادة النّازيِّين استياءهم الظّاهري من أعمال العُنف هذه، ولكنْ؛ بالوقت نفسه سعوا - سرّاً - إلى اتِّباع خُطَّة إنشاء المُعسكرات لاحتواء كُلِّ المُعارضين لحُكْمهم. واليهُود الذين تمكَّنوا من الفرار من ألمانيا قبل إنشاء مُعسكرات الاعتقال لم يتجاوز عددهم 000 . 150 يهُودي، و000 . 150 آخرين فرّوا قبل اندلاع الحرب العالميَّة الثّانية عام 1939.

إنَّ الاضطهاد الذي لحق باليهُود الألمان قبل إنشاء مُعسكرات الاعتقال الألمانيَّة، وقبل اندلاع الحرب العالميَّة الثّانية؛ أيْ ما بين عامَيْ 1933 و1938، كان سبباً في فرار حوالي 000 . 300 يهُودي ألماني. إنَّ هذه الهجرة خفَّفت من أعداد اليهُود الألمان الذين قُتلوا في تلك المُعسكرات، والذين يُقدَّر عددهم بحوالي 000 . 200 يهُودي.

لقد دَفَعَ الألمان بعد انتهاء الحرب العالميَّة الثّانية بلايين الدُّولارات لحُكُومة إسرائيل كَتَعويض عن هؤلاء اليهُود الذين قضوا نحبهم على أيدي النّازيِّين، وقدَّمت ألمانيا مُساعدات ماليَّة واقتصاديَّة طائلة لإسرائيل، وحمَّستْ شبابها على الذّهاب إليها، والتَّطوُّع للعمل فيها.

د - إسبانيا والكَاثُوليكيَّة:

عاش اليهُود في إسبانيا مُنذُ عدَّة قُرُون سبقت تأسيس دولة القُوطيِّين (القبائل الجرمانيَّة التي جاءت من وسط أُورُوبا) المملكة الإسبانيَّة في القرن الخامس الميلادي. وكانت إسبانيا

بالنّسبة لهم مثلها مثل أيَّة بُقعة في أورُوبا. وإضافة إلى تعاطيهم التّجارة والإقراض، فإنَّهم احتلُّوا مناصب مَدَنيَّة وعسكريَّة في الحُكُومة القُوطيَّة، وكانوا من أصحاب الأراضي، ومن مُمتلكي العبيد. وعندما أخذت المملكة تتَّجه نحو المسيحيَّة، وفي عهد الملك ريكارد Recard عام 589، بدأت مرحلة جديدة مع اليهُود. إنَّ ريكارد نفسه لم يكن يُريد أنْ يطرد اليهُود من إسبانيا، ولم يكن يرغب في اتِّباع السِّياسة التي اتّبعها أسلافه، الذين كان مُعظمهم لا يُكنُّون العداء لليهُوديَّة، ولم ينتهجوا سياسة مُعيَّنة ضدَّهم، بل وفي العُهُود المُتأخِّرة من القرن السّابع فإنَّ بعض رجال الدِّين الكاثُوليك أنفسهم كانوا يُتابعون - بصُورة غير قانونيَّة - تجارة تصدير العبيد لليهُود.

ويبدو أنَّ الأسباب التي دَعَتْ الإسبان إلى فَرْض قُيُود وتشديدات على يهُودها كان دافعه النّشاط اليهُودي في الوَسَط المسيحي، وخوف الإسبان الكاثُوليك من هذا النّشاط. لذلك؛ فقد فَرَضَتْ السُّلطات الإسبانيَّة قُيُوداً جديدة على اليهُود؛ أبرزها كان طَرْد اليهُود من الوظائف الحُكُوميَّة، التي يُمكن - من خلالها - مُمارسة أيّ نُفُوذ على المسيحيِّين. وكانت عُقُوبة الموت تتمُّ بحقِّ أيِّ يهُودي يُحاول ردَّ أيِّ مسيحي عن دينه، وتمّ في الوقت نفسه مَنْع أيِّ يهُودي بامتلاك أيِّ مسيحي كَعَبد له، أو حتَّى استخدام أيّ مسيحي للعمل لديه. وازداد هذا الموقف الرّسْمي الذي اتَّخذته السُّلطات الإسبانيَّة ضدَّ اليهُود تشدُّداً، حتَّى وصل الأمر بأنْ أصدر الملك الإسباني سيسبوت Sisebut أمراً مَلَكيّاً بطَرْد اليهُود من كافَّة أنحاء مملكته، أو اعتناقهم المسيحيَّة، إذا رغبوا في البقاء في إسبانيا. ولكنَّ الملك تُوفِّي عام 621، قبل أنْ يتمكَّن من تنفيذ هذا الأمر، وقد تابع خُلفاؤه هذه السِّياسة المُعادية لليهُود، والتي تميَّزت برغبة مسيحيَّة بإبعاد اليهُود عن النّشاط الاقتصادي.

وفي نهاية القرن السّابع؛ غَزَا العَرَب إسبانيا، وتمَّت لهم السّيطرة على البلاد، واستمرَّ هذا الحُكْم العَرَبي الإسلامي ما يُقارب السّبعمائة (700) عام، تمتَّع اليهُود - خلالها - بأزهى فترة من حياة الشّتات التي عاشوها عبر تاريخهم. لقد كانت لهم فترة العصر الذّهبي، سواء من النّاحيَّة الاقتصاديَّة أو الثّقافيَّة. فقد كان العالم الإسلامي - في تلك الفترة - منبعاً غزيراً للعُلُوم والشّعر والفلسفة، ووَضَعَتْ الهندسة المعماريَّة بصماتها الرّائعة على المظهر المعماري في

البلاد، وأصبحت الثّقافة العَرَبيَّة الآتية من الشّرق الأوسط أو الشّمال الأفريقي والممزوجة بالثّقافة اليُونانيَّة والهِنْديَّة محلَّ اهتمام كبير في الوَسَط الإسباني، الذي أصبحت فيه اللُّغة العَرَبيَّة هي اللُّغة الرَّسْميَّة للدَّولة، ونشطت أعمال التّرجمة إلى اللُّغات الأُورُوبيَّة، وأصبحت هذه التّرجمات التي كان لليهُود دور بارز فيها جُزءاً هاماً من تُراث الحضارة الغربيَّة.

وفي خلال هذه الفترة ما بين 1369 و 1371، نشبت الحرب الأهليَّة بين المسيحيِّين الإسبان، الذين كانوا يعيشون خارج مناطق الدَّولة العَرَبيَّة في شبه الجزيرة الأيبريَّة. وكانت السُّلطة خلال فترة الحرب هذه لا تملك الوسائل الكاملة لقَمْع أعمال الشّغب التي يقوم بها الرُّعاع في أكثر المناطق الإسبانيَّة، مع ما صاحب ذلك من إشاعات وآراء ضدَّ اليهُود أثناء مأساة الطّاعون الذي اجتاح أُورُوبا. وقد وَجَدَ اليهُود الإسبان أنفسهم أمام حملة جديدة من الكَراهية والتّحامل ضدَّهم، وبلغت هذه الحملة مُنتهاها عند حُلُول عام 1391، واضطُرَّ عدَّة أُلُوف من اليهُود الدُّخُول في المسيحيَّة حفاظاً على حياتهم. ومن هذا الواقع؛ فقد أصبح التَّوزيع الدِّيني لليهُود الإسبان يأخذ ثلاث وُجُوه: الأوَّل أُولئكَ الذين تحوَّلوا إلى المسيحيَّة، والذين أصبحوا يُدعَون بالمُرتدِّين Conversos، والثّاني أُولئكَ الذين اعتنقوا المسيحيَّة ظاهرياً، وبقوا على يهُوديَّتهم سراً، والذين يُطلَق عليهم اسم المارانو Marranos، والثّالث اليهُود الذين بقوا مُحافظين على يهُوديَّتهم. إلاَّ أنَّ هذا النّموذج الثّالث سُرعان ما واجه أمراً بالطَّرْد من إسبانيا، بعد سُقُوط غرناطة بيد جُيُوش فرديناند وإيزابيلا.

ففي عام 1492، سَقَطَتْ الأندلس بيد الإسبان وخرج العَرَب من الأندلس، بعد أنْ تعايش اليهُود والمُسلمون فيها طوال فترة الحُكْم العَرَبي الإسلامي للأندلس. وما إنْ استتبَّ الأمر للإسبان، حتَّى صَدَرَ أمر مَلَكي بطَرْد اليهُود من إسبانيا تماماً مثل ما حَدَثَ في الماضي في كُلٍّ من فرنسا وبريطانيا. وقد أعطى الأمر المَلَكي فترة قصيرة جداً لليهُود لتنفيذ هذا الأمر، وبدأت مئات الأُلُوف من اليهُود تُغادر إسبانيا، وتوجَّه أُولئكَ اليهُود (السّفارديم) إلى البلاد الإسلاميَّة في شمال أفريقيا وبلاد الشّرق الأوسط والدُّول التي كانت خاضعة لنُفُوذ الإمبراطُوريَّة العُثمانيَّة، وفضَّل بعضهم التَّوجُّه إلى بُلدان أُورُوبيَّة مُعيَّنة كإيطاليا وهُولندا. والذين هاجروا إلى هُولندا استطاعوا - خلال فترة بسيطة - أنْ يجعلوا من أمستردام أعظم مرفأ

تجاري، وأنْ يتملَّكوا - بعد ذلك - رُبع أسهم الشّركة الهُولنديَّة المعروفة باسم شركة الهند الشّرقيَّة. Dutch East India Co.

هـ - رُوسيا القَيْصريَّة:

في نهاية عام 1795، كان عدد اليهُود الذين يقطنون في رُوسيا يبلغ 800.000 يهُودي، ويتضمَّن هذا الرَّقم يهُود بُولُونيا التي اختفت من الخريطة الجَغرافيَّة في نهاية القرن الثّامن عشر، بعد أنْ تقاسمت أراضيها كُلٌّ من رُوسيا وبرُوسيا والنّمسا. كانت رُوسيا أكثر بُلدان أُورُوبا الشّرقيَّة مُيُولاً لُمعاداة اليهُود، وأكثر الدُّول إصداراً للمراسيم المَلكيَّة التي تحدُّ من نشاطهم، وتنفيهم إلى مناطق نائية خارج البلاد. لقد كان النّظام القَيْصري لا يُريد أنْ يدع التَّجمُّعات اليهُوديَّة تنتشر في أنحاء المملكة. لذلك؛ فإنَّ الحُكُومة القَيْصريَّة حدَّدت تواجدهم في حُدُود ضيِّقة، وفي البقاع النّائية الأقلّ تطوُّراً في جنوب البلاد، وحدَّدت لهم حُدُوداً دَعَتْهَا أعمدة المُستوطنات التي يُسمَح لليهُود أنْ يعيشوا وراءها. وزيادة في اضطهاد اليهُود؛ فقد فَرَضَتْ الحُكُومة على شبابهم الذين تقلُّ أعمارهم عن 25 سنة خدمة عسكريَّة طويلة الأمد، وخلالها يُجبَر هؤلاء على أكْل لحم الخنزير، الذي تُحرِّم الدّيانة اليهُوديَّة أكْلَهُ، كما كانت الحُكُومة تمنع اليهُود من إطلاق لحاهم، ولبْس المعاطف الطَّويلة، وتسمح للشّرطة بقَصِّ لحيَّة كُلِّ يهُودي يُطلق لحيته.

وبلغت ذروة الاضطهاد في فترة الحُكْم القَيْصري أثناء عهد القَيْصر نيقولا الأوّل 1825 - 1855. وعندما تولَّى ابنه إلكسندر الثّاني؛ بدأ في تخفيف تلك الأحكام القاسية المفروضة على اليهُود. ولكنَّ الآمال التي انتعشت في أوائل عهده سرُعان ما تبخَّرت بسبب قُصُور توصُّل سياسة التّحرير والحُقُوق المَدَنيَّة إلى المُستوى الذي كان سائداً في دُول أُورُوبا الغربيَّة. وعندما اغتيل إلكسندر الثّاني عام 1881، من قِبَل عُضو إحدى الجماعات التي يُشكِّل اليهُود الغالبيَّة العُظمى فيها، انفجرت سياسة الاضطهاد لليهُود، وانطلقت جُمُوع الرُّعاع تُهاجم - بين حين وآخر - التَّجمُّعات اليهُوديَّة تحت سَمْع وبَصَر السُّلطات الأمنيَّة، التي كانت تغضُّ النَّظَر عن هذا السُّلُوك العدائي ضدَّ اليهُود، وتُشارك - أحياناً - بنفسها بتلك الأعمال. وانتشرت هذه الاعتداءات في كافَّة أنحاء الإمبراطُوريَّة، وأصبحت من الأُمُور العاديَّة المُتكرِّرة التي تجري في رُوسيا والدُّول المُلحَقَة بها.

واستمرَّ هذا السُّلُوك المُعادي لليهُود حتَّى بداية الحرب العالميَّة الأُولى عام 1914، وكان نتيجتها حُدُوث أكبر نُزُوح يهُودي من الإمبراطُوريَّة. فما بين عام 1881 و 1914، خرج ما بين مليون إلى مليون ونصف (1.000.000 - 1.500.000) يهُودي من رُوسيا فقط، هاجر أكثرهم إلى الولايات المُتَّحدة الأميركيَّة. وخلال هذه الفترة بلغ مجموع اليهُود الذين فرّوا من الاضطهاد المسيحي من رُوسيا ودُول أُورُوبا الشّرقيَّة التّابعة للإمبراطُوريَّة الرُّوسيَّة ما يزيد عن المليونَيْن، هاجر مُعظمهم إلى أميركا، والتجأ البعض الآخر إلى دُول أُورُوبا الغربيَّة، ودُول الشّرق الأوسط والشّمال الإفريقي. ويُقدَّر عدد اليهُود الذين هاجروا في تلك الفترة إلى الولايات المُتَّحدة بثلاثة أرباع عدد اليهُود الذين خرجوا من الإمبراطُوريَّة الرُّوسيَّة خلال الفترة نفسها. وقد يكون مفتاح مُعاناة اليهُود في أُورُوبا الشّرقيَّة هُو ما حَدَثَ في رُوسيا بعد الثَّورة البلشفيَّة عام 1917، التي أنتجت ما كان يُطلَق عليه الاتِّحاد السُّوفييتي. لقد تعاملت الثَّورة من مُنطلق التّفاعل مع مبادئها مع الأقلِّيَّة اليهُوديَّة بنَفْس التّعامل الذي سَلَكَتهُ مع بقيَّة المجموعات الدِّينيَّة الأُخرى، ولم تنظر إلى أفراد هذه الأقلِّيَّة على أنَّهم يهُود، وتمكَّن عدد كبير من هؤلاء اليهُود أنْ يحتلُّوا مراكز هامَّة في الدَّولة، وبَرَزَتْ أسماء يهُوديَّة مثل ليون ترُوتسكي Leon Trotsky الذي كان يتمتَّع بشُهرة واسعة في الوَسَط اليهُودي، والذي شغل منصب رئيس الشّغّيلة السُّوفييت، ولعب دوراً هامّاً في تدعيم نظام لينين الشُّيُوعي، ومكسيم ليتفينوف Maxim Litvinov الذي شغل منصب وزير خارجيَّة الاتِّحاد السُّوفييتي. إلاَّ أنَّه سُرعان ما بدأت الشُّكُوك تحوم حول سُلُوك الأقلِّيَّة اليهُوديَّة، وبدأت الدَّولة السُّوفييتيَّة تتنبَّه إلى المخاطر التي تُشكِّلها هذه الأقلِّيَّة، فَطَرَدَتْ الحُكُومة السُّوفييتيَّة ترُوتسكي من المكتب السِّياسي واللّجنة المركزيَّة للحزب، ثُمَّ أبعدتْهُ عن رُوسيا عام 1929. أمَّا وزير الخارجيَّة ليتفينوف؛ فقد أعفتْهُ من منصبه، وكلَّفت فلاديمير مولُوتُوف Vladimier Molotov بهذا المنصب. وبدأت حملات التّطهير التي قادها ستالين في أوائل الثّلاثينيَّات تطال آلاف اليهُود الذين كانوا يحتلُّون مراكز هامَّة في الدَّولة، وكانوا يحتلُّون - أيضاً - مكاناً عالياً في نظرة الشَّكّ السّتالينيَّة، وصلت إلى الشَّكّ في مدى إخلاصهم، وتعاونهم، وأبعاد ارتباطهم مع الخارج. وبالفعل؛ فقد كان القادة الشُّيُوعيُّون الأوائل يُدركون إدراكاً عميقاً حقيقة اليهُوديَّة والحَرَكَة الصّهيونيَّة، فكارل ماركس Carl Marx عندما كان يتحدَّث عن اليهُوديَّة كان يتحدَّث عن عُنصرُ هامّ فيها، وهُو أنَّ الإله

في اليهُوديَّة هُو المال، ويصف اليهُوديَّة بأنَّها عدوَّة المُجتمع، وأنَّ اليهُوديّ لا يهمُّه سوى منفعته الذّاتيَّة، وأنَّ الأنانيَّة هي أبرز الصِّفات التي تصطبغ بها النَّفْس اليهُوديَّة، وأنَّ جوهر اليهُوديَّة هي المُتاجرة لتحقيق الرّبح، وبسبب ارتباطها والتصاقها بالمنفعة، فإنَّها تبقى مُناهضة للتَّحرُّر. أمَّا فلاديمير لينين Vladimir Lenin؛ فكان يُعارض فكرة القوميَّة اليهُوديَّة، لا في شكلها الصّهيوني اليميني فحسب، بل ـ أيضاً ـ في شكلها اليساري؛ لأنَّ فكرتها الحقيقيَّة تنطلق من مُناهضة مصالح البرُوليتاريا اليهُوديَّة ذاتها، وأنَّها تُروِّج الرُّوح المُعادية للاندماج، وتُشجِّع على إحياء رُوح الجيتو.

لقد طالت حملة التّطهير هذه كُلَّ الأحزاب الشُّيُوعيَّة في بُلدان أُورُوبا الشّرقيَّة المُرتبطة بالاتِّحاد السُّوفييتي، وطال هذا التّطهير حتَّى أساتذة الجامعات، ومعاهد التّعليم؛ بحيثُ أصبح عدد الطُّلاَّب اليهُود في جامعة مُوسكُو يتناقص بدرجة مُثيرة. فبعد أنْ كانت نسبة هؤلاء تبلغ في أواخر الأربعينيَّات 30٪ من مجموع طُلاَّب الجامعة، أصبح في نهاية التّسعينيَّات 1٪ ـ فقط ـ من مجموع الطُّلاَّب.

وتزايدت هجرة اليهُود من الاتِّحاد السُّوفييتي بعد قيام إسرائيل عام 1948، ورغم أنَّهم كانوا يُواجهون عقبات للوُصُول إلى هذه الهجرة، فقد تمكَّن 62.000 يهُودي من الهجرة إلى إسرائيل خلال الفترة مابين 1968 ـ 1973، ولكنْ؛ بعد عام 1991، وانهيار الاتِّحاد السُّوفييتي، وانتهاء الحرب الباردة، تزايد عدد المُهاجرين من رُوسيا إلى إسرائيل بشكل مُثير؛ حيثُ تُشير بعض الإحصاءات إلى أنَّ نسبة اليهُود الذين يتكلَّمون الرُّوسيَّة في إسرائيل يبلغ ـ الآن ـ ما يُقارب 20٪ من عدد السُّكَّان.

و ـ أُورُوبا الشّرقيَّة:

خلال الفترة ما بين الحربَيْن العالميَّتَيْن، وخاصَّة في فترة الثّلاثينيَّات كانت الأوضاع الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة لليهُود في أُورُوبا الشّرقيَّة ووسط أُورُوبا تزداد سُوءاً. فبعد الحرب العالميَّة الأُولى وانهزام الإمبراطُوريَّة النّمساويَّة عادت بُولُونيا إلى الخريطة الأُورُوبيَّة، وبَرَزَتْ دُول جديدة؛ مثل تشيكُوسلُوفاكيا، ويُوغُوسلافيا، ولاتفيا. وكانت اهتمامات هذه الدُّول تتَّجه نحو الدّاخل، وخاصَّة بالنّسبة للتّعامل مع الأقلّيّات، والتي تأتي المجموعة اليهُوديَّة في

مُقدِّمتها. وبالرّغم من أنَّ حالة اليهُود في تلك الدُّول لم تكن مُزدهـرة، إلاَّ أنَّ نسبة كبيرة من تجارة هذه الدُّول كانت في أيديهم، إضافة إلى امتلاكهم بعض الصُّحُف. وعلى سبيل المثال؛ ففي عام 1921، كانت ثلاثة أخماس تجارة بُولُونيا في أيدي اليهُود، وكانت أعداد كبيرة منهم تعمل في المُؤسَّسات الحُكُوميَّة، وفي المُؤسَّسات التّعليميّة، والمُستشفيات. والأمرنفسه كان سائداً بالنّسبة لليهُود القاطنين في هنغاريا. ففي بُودابست وحدها كان عدد التُّجَّار اليهُود يُعادل 60 ٪ من تُجَّار المدينة، وكان الصُّحُفيُّون اليهُود يُمثِّلون 42 ٪ من مجموع عدد الصُّحُفيِّين، وكذلك كانت نسبة المُحامين تُعادل 45 ٪، والأطبَّاء 49 ٪، علماً بأنَّ عدد اليهُود كان في تلك الفترة يُعادل 6 ٪ من عدد السُّكَّان. وبصُورة عامَّة؛ كان اليهُود الهنغاريُّون رغم وُجُود الفُقراء بينهم يعيشون في وَضْع جيِّد ومُريح، وبالمُقابل؛ كان مُعظم المسيحيِّين الهنغار يعملون في الزّراعة، التي لم يعمل فيها من اليهُود سوى 4 ٪ ـ فقط ـ منهم. وينطبق هذا الأمر على رُومانيا؛ حيثُ يعمل ثلاثة أرباع السُّكَّان في الزّراعة، بينما يعمل أربعة أخماس اليهُود في التّجارة والصّناعة. وعندما كانت 88 ٪ من تجارة بُولُونيا بيد اليهُود في تلك الحقبة القديمة نجد أنَّ هذه النّسبة في وقت مُتأخِّر من الثّلاثينيَّات تدنَّت في دُول أكثر تقدُّماً من بُولُونيا كألمانيا؛ لتُصبح أقلَّ من 8 ٪. وفي ليتوانيا ـ البلد الأكثر فقراً من بُولُونيا ـ كان اليهُود يُديرون أكثر من ثلاثة أرباع تجارة هذا البلد.

إنَّ هذه الأوضاع دَفَعَتْ الطّبقة الوُسْطى في أُورُوبا الشّرقيَّة إلى مُهاجمة تلك الأقلِّيّة التي تُسيطر على مُقدَّرات بلادهم الأصليَّة، والتي أصبحت تُهدِّد حياتهم، وتحوَّلت الجامعات في مُعظم دول أُورُوبا الشّرقيَّة إلى مراكز لنَشْر العداء لليهُوديّة، وخاصَّة بعد انتشار الأفكار النّازيَّة في الوَسَط الطُّلاَّبي الجامعي. وهكذا أصبح في الثّلاثينيَّات أمراً عاديّاً أنْ يُرغم الطُّلاَّب اليهُود في الجامعات البُولُونيَّة أنْ يجلسوا في الصَّفِّ في مكان مُنعزل عن بقيَّة الطُّلاَّب. وكانت النّازيَّة تُثير في الشّباب النّعرة القوميَّة، وأخذت دعايتها النّشيطة تُسيطر على السّاحة في وسط أُورُوبا. وكان جُوزيف غُوبلز وزير الدّعاية ينشط في إلقاء المُحاضرات للدّعوة إلى النّازيَّة، وبدأت نسبة الطُّلاَّب اليهُود تتناقص في الجامعات بدءاً من عام 1934، وأخذت الحُكُومات تُقلِّص النّشاط الاقتصادي اليهُودي في أراضيها، وتفرض رقابة على الصّناعات التي يمتلكها

اليهُود؛ كـالتّبغ، والمشروبات الرُّوحيَّة، والملـح، والكبريت، وغيرهـا. فمثلاً فـي بُولُونيـا؛ اتَّبعت الحكُومة البُولُونيَّة مُنذُ عام 1930، هذا الأُسلُوب، إضافة إلـى اتِّخـاذ بعـض الإجراءات العدائيَّة ضدَّ مالكيها، الأمر الذي أدَّى إلى تناقص النّشاط الاقتصادي اليهُودي، وإغلاق عـدد كبير من المحلاَّت اليهُوديَّة. وَحَدَثَ الشّيء نفسه - تقريباً - في هنغاريا، وَبَلَغَ العداء للسَّاميَّة فيـها أنْ أُجبر رئيس وُزرائها بيلا ايمردي Be'la Emredy على الاستقالة؛ لأنَّ لـه جُذُوراً يهُوديَّة. وعند قيام دولة إسرائيل هاجر حوالي 000 .60 يهُودي بُولُوني إليها خلال الفترة المُمتدَّة مـا بين 1950 - 1970، ولم يبقَ في بُولُونيا في نهاية سنة 2000، سوى 000 .10 يهُودي فقط.

إنَّ المأساة التي عاشها اليهُود في بُولُونيا تكرَّرت - بشـكل أو بـآخر - فـي أكثر دُول أُورُوبـا الشّرقيَّة: هنغاريا - رُومانيا - تشيكُوسلُوفاكيا، ودُول البلقان الأُخرى. لقد كان اليـهُود يحتلُّـون مراكز هامَّـة وحسَّاسـة فـي حكُومـات هـذه الـدُّول، وكـانوا يتمتَّعـون بتمثيـل بـارز فـي قيـادات الأحزاب الشُّيُوعيَّة فيها، كما كان الحال في بُولُونيا، ولكنْ؛ أمـام الهجمـة النّازيَّـة ضـدَّ أنظمـة الحكْم في تلك الـدُّول، ونجاح هـذه الحملـة، أصبـح اليـهُود موضـع اتِّـهام ومُلاحقـة، ثُـمَّ اضطهاد، ثُمَّ الدَّفْع بهم إلى المحرقـة "الهُولُوكسـت"، وتبـع ذلـك الـهُجُوم الشُّيُوعي الـذي قـاده ستالين عليهم في أواخر الأربعينيَّات وأوائل الخمسينيَّات.

يتَّضح ممَّا سَبَقَ أنَّ سمة البغضـاء والكَراهية التي سادت في أنحـاء العـالم تجاه التَّجمُّعـات اليهُوديَّة والنّظرة العدائيَّة التي حملتها شُعُوب العالم لليـهُود لابُدَّ وأنْ تُوحـي لنـا بـأنَّ الإجمـاع على كَراهية أصحاب هذه الدّيانة لا يعود - فقط - إلى المَيْل الفطري المُترسِّخ لدى تلك الشُّـعُوب للوُقُوف ضدَّ اليهُود، بل - أيضاً - لوُجـود عـدَّة عوامـل، سـاعدت علـى تنميـة شُـعُور الكَراهيـة تلك، ونظرة العداء الشّديد لليهُوديَّة.

وقد تكون أبرز هذه العوامل ما تحمله الدّيانة اليهُوديَّة ذاتها من كتابات تحثُّ على كَراهيـة الغير (الغُوييم)، واحتقاره، واعتبار أنَّ اليهُوديَّة - فقط - هي الدّيانة الوحيدة التـي اختارهـا الله، وأنَّ الشّعب اليهُودي هُو شعب الله الذي اختـاره، واصطفـاه، دُون بقيَّـة شُـعُوب العـالم. وقـد تكون - أيضاً - نظرة الاستعلاء التي تـأصَّلت فـي النَّفْس اليهُوديَّـة، والنَّظْـرة التـي حملتـها هـذه النَّفْس إزاء كُلِّ شُعُوب الأرض، والتي رسَّختهَا فيها النُّصُوص الدِّينيَّة المُتعدِّدة التـي وَرَدَتْ فـي

الكُتُب اليهُوديَّة المُقدَّسة (العهد القديم والتّلمود). ولا شكَّ أنَّ رُوح استغلال الآخرين التي تُسيطر على العقليَّة اليهُوديَّة، والتي دفعت أبناء هذه الدّيانة إلى الميل في التّعامل بالرّبا والمُعاملات الماليَّة الجائرة، والتي صوَّرها وعبَّر عنها شكسبير في رائعته "تاجر البُنْدُقيَّة" قد أعطت انطباعاً لدى كُلِّ المُجتمعات الأُخرى غير اليهُوديَّة بعدم إنسانيَّة هؤلاء اليهُود، وميلهم الغريزي إلى الاستغلال البشع وغير الإنساني للآخرين. وقد تكون الرّغبة في الانفصال عن المُجتمعات والميل نحو الانعزاليَّة والعيش في حُدُود الجيتو الذي لا يسمح ولا يُساعد على الاختلاط بالمُجتمعات الأُخرى هي - أيضاً - إحدى هذه العوامل التي ساعدت على انتشار موجة العداء والكَراهية لليهُود. لقد حاولت الحُكُومات الرُّوسيَّة قبل الثَّورة البُولشفيَّة إدماج التَّجمُّعات اليهُوديَّة في المُجتمع الرُّوسي، ولكنَّ مُحاولاتها باءت بالفشل، بسبب إصرار هذه التَّجمُّعات على رَفْضها قبول فكرة الاندماج والتّعايش ضمن جوٍّ حضاري حديث. وتعود هذه المُحاولات الفاشلة إلى عام 1804، عندما أصدرت الحُكُومة الرُّوسيَّة ما يُعرَف بدُستُور اليهُود، بغرض فرض أوضاع حضاريَّة جديدة على اليهُود، بُغية اندماجهم في المُجتمع الرُّوسي. إلاَّ أنَّ هذه المُحاولات فشلت، وأدَّت - في النّهاية - إلى إصدار قوانين مايس (مايو) عام 1882، التي بمُقتضاها صار من المحظور على اليهُود:

1 - الاستيطان في أيَّة منطقة ريفيَّة رُوسيَّة، وعدم السّماح بتشغيل أيِّ يهُودي في المناطق الرِّيفيَّة.

2 - عودة اليهُودي إلى قريته إذا غادرها، والسّماح للرُّوس بطَرْد اليهُود من قُراهم.

3 - إقامة اليهُود في مُوسكُو، وتجديد عُقُود الإيجار المُبرمة معهم.

4 - استجلاب أيِّ قريب لمناطق السَّكَن الرِّيفيَّة التي يقطن بها اليهُود.

5 - توسيع النّشاط الاقتصادي، وتغيير الوضع الاجتماعي من مهني إلى تاجر.

إنَّ هذا الإجماع على اتِّخاذ هذا الموقف العدائي تجاه مُعتنقي هذه الدّيانة طوال تلك الحقبة التّاريخيَّة الطَّويلة لابُدَّ أنْ يدفعنا إلى البحث عن أسباب وخَلْفيَّة هذا الاجماع، وأنْ نتساءل: هل هُو بسبب عصيان هذا القوم الإرادة الإلهيَّة، ورَفْضهم المُتكرِّر الانصياع للأمر الإلهي الذي

حَمَلَهُ إليهم أنبياؤهم العديدون الذين لاقوا كُلَّ العَنَت والاضطهاد في دعوتهم؟ أم أنَّ هذا الرَّفض الجماعي لسُلُوك هؤلاء يعود إلى اكتشاف الغريزة الشِّرِّيرة المُتأصِّلة في نُفُوسهم؟

إنَّ التّعاطف الظّاهري الذي تلقاه اليهُوديَّة ـ الآن ـ مُمثَّلة بالصّهيونيَّة يجب أنْ لا يحول دُون النَّظَر إلى النُّفُور الذي صاحب مسيرتها طوال آلاف السّنين!!

المسيح اليهُودي الصّهيوني:

إنَّ الطَّرْد والشّتات والتّهجير الإجباري ودعوات الاضطهاد التي كانت تنطلق من حين لآخر، والتي كانت أورُوبا المسرح الأكثر تفاعلاً معها دَفَعَتْ عدداً كبيراً من اليهُود إلى السّعي لتخليص قومهم من المُيُول اللاّساميَّة التي كانت سائدة في الفكر المسيحي. لقد كانت هذه الأفكار هي السّائدة لدى أغلب المسيحيِّين بأنَّ كُلَّ يهُودي هُو مُراب مُستغلّ ذُو قلب خال من الرّحمة. وفي الواقع؛ فقد سعى أكثر اليهُود لضمان مصالحهم إلى توظيف أنفسهم في خدمة الحاكم الأُورُوبي والإقطاعي، وامتهنوا مهنة جباية وتحصيل الأموال التي يفرضها ذلك الحاكم أو الإقطاعي الجشع على شعبه. لذلك؛ فقد اكتسب اليهُودي كَراهية النّاس له، ليس ـ فقط ـ بسبب ارتباطه بالنُّخبة الحاكمة، وتعامله معها، بل ـ أيضاً ـ بسبب تعامله بالرّبا واستغلال كُلِّ مُناسبة للإقراض بنسب فائدة عالية، الأمر الذي تُحرِّمه الكَنيسة المسيحيَّة، ولكنْ؛ تسمح به اليهُوديَّة للتّعامل مع غير اليهُود.

لقد دَفَعَتْ ظُرُوف الاضطهاد وحملات الكَراهية لليهُود عدداً من أبنائهم أنْ يحمل نفس الدّعوة التي حملها لاحقاً "تيودور هرتزل". إلاَّ أنَّ هؤلاء السَّبَّاقين في الدّعوة إلى الصّهيونيَّة استغلُّوا لنَشْر دعوتهم الدِّين والمُعتقَد الدِّيني، ورأى هؤلاء أنَّ حَمْلَ النّاس على الإيمان بفكرة العودة والخلاص من المُعاناة والكَراهية التي يُواجهونها في هذا المُجتمع المسيحي المُتحفِّز دائماً ضدَّهم، وضدَّ مُعتقَداتهم، لابُدَّ أنْ يمرَّ من خلال غطاء ديني. لذلك أخذ هؤلاء الدُّعاة بفكرة المسيح المُخلِّص الذي أرسله الله لهذا الشّعب اليهُودي؛ ليقوده إلى أرض آبائه وأجداده التي وَعَدَهُ الله بها. ويبدو أنَّ هذا النَّوع من الصّهيونيَّة بدأ في التّاريخ اليهُودي بعد السّبي البابلي وعودة اليهُود المَسبيِّين إلى القُدْس بمُساعدة قورش..

ففي أثناء الحُكْم الرُّوماني لفلسطين؛ شَعَرَ الرُّومان أنَّ اليهُود يسعون لإثارة فتنة في المدينة، ويُخطِّطون لهَدْم سُور مدينة القُدْس؛ ليُسهِّلوا على أتباع أحد اليهُود الذي ادَّعى أنَّه المسيح المُنتظَر الذي جاء ليُخلِّص اليهُود من حُكْم الرُّومان، ويُعيد مجد إمبراطُوريَّتهم القديمة. وسُرعان ما قام حاكم المدينة الرُّوماني بإفشال هذا المُخطَّط، وانقضَّ على المُتآمرين اليهُود، وشتَّت شَمْلَهُم، وجاء بعد هذا اليهُودي ثيوداس، ثُمَّ تبعه أحد اليهُود المصريِّين، وادَّعى بأنَّه هُو المسيح المُنتظَر، الذي سيقود الشّعب اليهُودي إلى أرضه؛ لإعادة مجد مملكته البائدة، وتخليص اليهُود من حُكْم الرُّومان. وفي فترة المسيح - عليه السّلام - ظَهَرَ يهُوذا الجليلي يحمل الادّعاء نفسه، ويدعو إلى الهَدَف نفسه، ولكنَّ اليهُودي بركُوكبا الذي ادَّعى أنَّه المسيح المُنتظَر أرفق دعوته بالطَّلَب بإعلان الجهاد المُقدَّس ضدَّ كُلِّ مَنْ هُو غير يهُودي، لطَرْد هؤلاء من فلسطين. وقد تكون شخصيَّة داود الرّائي اليهُودي الذي ادَّعى أنَّه المسيح المُخلِّص عام 1163، من أكثر الشّخصيَّات اليهُوديَّة جُرأة في دعوته. لقد كان يدعو اليهُود المُقيمين في بغداد والأقاليم المُحيطة بها للذّهاب معه إلى القُدْس لتحريرها من أيدي العَرَب. وقد نَجَحَ داود في إثارة الفتنة في الدَّولة العبَّاسيَّة. لقد كانت رسالته إلى بني قومه من اليهُود هي خلاص بني إسرائيل من الغُربة والاحتقار والتَّشرُّد في الأرض، لجَمْعهم في فلسطين، وإعلان حكُومة يهُوديَّة مُستقلَّة فيها، تُعيد أمجاد مملكة داود وسُليمان عليهما السّلام. لقد رافقت دعوة داود الرّائي التّخطيط لشنِّ هُجُوم عسكري لتحقيق ما يسعى إليه. فدعا اليهُود إلى التَّطوُّع في الجيش، الذي سيتولَّى هُو قيادته. وقد استجاب لدعوته عدد كبير من اليهُود، وكوَّنوا جيشاً كبيراً لمُهاجمة الجيش العبَّاسي، وخاض داود وجيشه معركة ضارية، كانت نتيجتها أنْ خسر الجيش اليهُودي بقيادة داود المعركةَ، وَفَتَكَ الجيشُ العبَّاسي به، وبقُوَّاته.

وفي عام 1502، ادَّعى اليهُودي الألماني اشراملين أنَّه هُو المسيح الحقُّ، وأنَّ الله أرسله للاستيلاء على فلسطين، وإقامة دولة لليهُود فيها، ودعا اليهُود إلى هَدْم أفرانهم التي يخبزون فيها خُبز الفصح؛ لأنَّ الفصح القادم سيكون في القُدْس؛ حيثُ سيخبز اليهُود هُناك خُبز الفصح. واستجاب لدعوته عدد كبير من اليهُود، وهيَّؤوا أنفسهم لهذه الرّحلة، إلاَّ أنَّ المنيَّة عاجلتْهُ في العام نفسه، ومات بالسَّكْتَة القلبيَّة قبل أنْ يتمكَّن من قيادة اليهُود إلى الأرض المُقدَّسة.

ومن الذين ادَّعوا أنَّه المسيح المُنتظَر، وذاع صيته في أورُوبا، ودعا البابا ومُلُوك أورُوبا إلى مُساعدته بالأموال، وإمداده بالسّلاح لمحاربة العَرَب، وتخليص القُدْس من أيديهم، كان المدعو داود الرّاؤبيني، المولود في المدينة المُنوَّرة عام 1490. إلاَّ أنَّ دعوته تلك لم تحظَ بالتّأييد المطلوب؛ بسبب مُناشدته اليهُود الذين تنصَّروا تحت ضغط محاكم التّفتيش في إسبانيا والبُرتغال إلى العودة إلى الدّيانة اليهُوديَّة، وتَهَوُّدهم من جديد، لذلك؛ فقد أُلقي القبض عليه، وأُودع السّجن، وَوُضع له السُّمّ في طعام؛ ليموت في سجنه قبل أنْ تتحقَّق دعوته.

وقد تكون آخر شخصيَّة في هذه السّلسلة التي ادَّعت النُّبُوَّة، وَسَعَتْ إلى إحياء الفكرة الصّهيونيَّة، قبل ظُهُور الصّهيونيَّة المُعاصرة، التي سنُلقي الأضواء على مسيرتها، هُو المدعو يعقوب فرانك، المولود عام 1726. لقد كان فرانك يدَّعي أنَّه المسيح الموعود، وكان يقول بأنَّ رُوح المسيح سَكَنَتْ فيه، بعد أنْ سَكَنَتْ ـ أوَّلاً ـ في النّبي داود، ثُمَّ انتقلت إلى النّبي إلياهو، ومنه إلى عيسى بن مريم، ثُمَّ إلى مُحمَّد ﷺ، وحلَّت ـ بعد ذلك ـ في شبتاي زيفي اليهُودي التُّركي الجنسيَّة عام 1648. وكان هذا الأخير "شبتاي زيفي" قد اتَّبعه عدد كبير من اليهُود الذين آمنوا بدعوته، إلاَّ أنَّه تخلَّى عن الدّعوة، وتظاهر بالإسلام، بعد أنْ هدَّده السُّلطان التُّركي مُحمَّد الرّابع بالقَتْل، وأوعز شبتاي إلى أتباعه بالانصياع خوفاً على حياتهم، إلاَّ أنَّهم بقوا على عقيدتهم اليهُوديَّة، وأصبحوا يُعرَفُون ـ بعد ذلك ـ بيهُود الدُّونمة، تماماً؛ مثل ما تمَّ مع بني جلْدتهم في إسبانيا، الذين تبنّوا المسيحيَّة ظاهريّاً، ولكنْ؛ بقيت عقيدتهم الدِّينيَّة راسخة في نُفُوسهم، وأصبحوا ـ فيما بعد ـ يُعرَفُون باسم يهُود المُورانا.

لقد أثارت دعوة فرانك ـ التي انطلقت من منطقة غاليسيا في جنوب رُوسيا ـ غَضَبَ السُّلطات الرُّوسيَّة، فعملت على طَرْده وأتباعه من الأراضي الرُّوسيَّة. وكما تمَّ مع شبتاي زيفي في تُركيا، فقد أعلن يعقوب فرانك عند عودته إلى رُوسيا عام 1759، توبته، ودُخُوله في المسيحيَّة؛ لتفادي بَطْش السُّلطات الرُّوسيَّة به وبأتباعه، وطبعاً؛ كان هذا التَّحوُّل إلى المسيحيَّة عملاً مسرحيّاً للتّمويه والتّظاهر، بُغية تفادي غضب السُّلطة التي كانت شديدة الحذر من سُلُوكه، ومُناهضة ـ تماماً ـ لدعوته.

الفصل التّاسع:

الولايات المُتَّحدة الأميركيَّة واليهُود

خَلْفيَّة الدَّعْم الأميركي لإسرائيل:

قد يكون من المُفيد في دراستنا هذه أنْ نُشير إلى ضرورة التَّعمُّق في ظاهرة التّأييد الأميركي لإسرائيل، والمُساندة الأُورُوبيَّة لأعمالها، أو على الأقلّ؛ التّغاضي عن سُلُوكها الإجرامي، الذي ساد حياتها خلال ما يزيد عن الخمسين عاماً من عُمرها.

لقد سادت في الآونة الأخيرة مقولة تُفيد بأنَّ هُناك تردُّداً في الإدارة الأميركيَّة، وتخبُّطاً في قراراتها، وتجاذُباً بين الصُّقُور "رامسفيلد، تشيني، وكُونداليزا رايس"، والحمائم "باول ومُستشاري وزارة الخارجيَّة "في إدارتها. وجاءت هذه الأقاويل لتُوحي وكأنَّ الإدارة الأميركيَّة عاجزة عن الوُصُول إلى قرار نهائي حول إدارة الصّراع العَرَبي - الإسرائيلي. ولا أدري كيف يُمكن أنْ نصف سُلُوك أكبر دولة في العالم المُعاصر أنَّه سُلُوك مُتردِّد أو مُتخبِّط لا يعلم ماذا يجب عليه أنْ يتَّخذه من قرارات، ويتخبَّط في انتهاج أُسلُوب سليم لإدارة هذا الصّراع، الذي يدور في أشدّ المناطق الاستراتيجيَّة حساسيَّة؟!.

إنَّ القول بأنَّ الولايات المُتَّحدة لا تملك رُؤية سياسيَّة واضحة تجاه منطقة الشّرق الأوسط، وإنَّ سياستها لا تعتمد على ركائز سليمة، ولا تتحلَّى ببُعْد نَظَر سياسي، وتحليل صحيح للأهداف البعيدة التي تخدم مصالحها، إنَّ هذا القول ليس في الحقيقة سوى تنظير سطحي لسياسة الولايات المُتَّحدة تجاه أزمة الشّرق الأوسط، والصّراع العَرَبي الإسرائيلي، لأنَّه من غير المعقول أنْ لا تتوافر لدولة عُظمى كالولايات المُتَّحدة هذه الرّكائز الأساسيَّة للتَّوصُّل

إلى تحليل دقيق لمصالحها، وبالتّالي؛ اتّخاذ الخُطوات اللاّزمة والسُّلُوك الصّحيح لتنفيذ هذه السِّياسة، وتحقيق تلك المصالح.

وعليه؛ فإنَّ أصحَّ وَصْف لهذا السُّلُوك الأميركي هُو التَّواطؤ، وليس التَّخبُّط، وإنَّ أدقَّ وَصْف للمُعالجة الأميركيَّة لأزمة الشّرق الأوسط هُو الانحياز للجانب الإسرائيلي، وليس السّعي إلى التَّوصُّل إلى حلٍّ عادل، يُعيد الحقَّ لأصحابه، ويحرم المُعتدي من جني ثمار عُدوانه.

إنَّ المُتتبِّع لسُلُوك الإدارة الأميركيَّة مُنذُ عهد جُون آدامز، وحتَّى ولاية بُوش الابن، يجد الانحياز الكامل - الجُمهُوري والدِّيمُقراطي - لإسرائيل، والتّجاوب التّامّ مع رغباتها وأطماعها التَّوسُّعيَّة على حساب الجانب العَرَبي.

إنَّ النّظرة التّاريخيَّة للالتزام الأميركي بتأييد إسرائيل يقودنا إلى أنَّ هذا التّأييد كان يسبق إنشاء الدَّولة اليهُوديَّة؛ إذْ كان يعتمد على مُنطلقات دينيَّة، قبل أنْ يتحوَّل إلى مصالح وعلاقات استراتيجيَّة. فقد كان المسيحيُّون البرُوتستانت قد تبنّوا ما جاء في التَّوراة من مُعتقَدات تحثُّ على تأييد اليهُود بالعودة إلى فلسطين تمهيداً لعودة المسيح الثّانية، بل ذهب بعضهم إلى الاعتقاد بأنَّ عدم تأييد هذا الحقِّ اليهُودي نوع من الكُفْر، سيكون موضع حساب ومُساءلة يوم القيامة. وقد يكون الرّئيس الأميركي جُون آدامز (1797 - 1801) أسبقَ من غيره من الرُّؤساء الذين دعوا إلى حقِّ عودة اليهُود إلى أرضهم التي وَعَدَهُم الله بها. وكان مُعظم رُؤساء الولايات المُتَّحدة يميلون إلى الإيمان بفكرة حقِّ العودة، وبضرورة تأييد إسرائيل والشّعب اليهُودي. ولم يكن مُستغرباً - أبداً - أنْ يقف الرّئيس جيمي كارتر في الكنيست الإسرائيلي في آذار من عام 1979، ليُخاطب أعضاء الكنيست قائلاً: إنَّنا نتقاسم معاً التَّوراة. وعندما استقبل كارتر مناحيم بيغن في البيت الأبيض شدَّد على الجانب الدِّيني لهذا الالتزام قائلاً: إنَّ هذا الالتزام المُطلَق بدَعْم وتأييد إسرائيل ينطلق من التزام ديني. ووَعَدَ بيغنَ بأنْ تُواصل الولايات المُتَّحدة تأييدها ودَعْمَهَا لإسرائيل إلى الأبد. والرّئيس ريغان الذي يُعدُّ - أيضاً - من أكثر الرُّؤساء الأميركيِّين التصاقاً بالكَنيسة كان يُناصر - دائماً - كُلَّ الأعمال التي كانت تقوم

بها إسرائيل، حتَّى وصف غزوها للُبنان عام 1982، بأنَّه مُقدِّمة لمعركة هرمجيديون، التي تحدَّثت عنها التَّوراة، وقالت إنَّها ستجري بين المسيح والمُشركين (العَرَب والمُسلمين). ولم يتورَّع بيل كلينتون عن إبداء تأييده الكامل لمُقترحات إيهُود باراك، وَوَصَفَهَا بالعرض السّخي، رغم أنَّها تتضمَّن إجحافاً كبيراً بحقِّ الجانب الفلسطيني. فقد اشترط إيهُود باراك ـ ضمن ما اشترط ـ أنْ يقبل ياسر عرفات بإلغاء المُطالبة بحقِّ العودة لـ 000 . 700 . 3 لاجئ، والتّنازل عن المُطالبة بالقُدس كعَاصمة للدَّولة الفلسطينيَّة، وأنْ يُمحى هذا الطَّلب من ذاكرة الجانب الفلسطيني إلى الأبد.

أمَّا جُورج بُوش الابن؛ فقد فاق انحيازه لإسرائيل كُلَّ مواقف الإدارات الأميركيَّة السّابقة. لقد تبنَّى كُلَّ الأفكار الشّارونيَّة والسُّلُوك الشّاروني الإجرامي، وبارك اقتحام قُوَّاته مُدُنَ الضِّفَّة الغربيَّة، وغَضَّ الطَّرْفَ عن تجاهل شارون للمُبادرة السُّعُوديَّة التي أقرَّها مُؤتمر القمَّة العَرَبيَّة، كما رَفَضَ الاقتراح الذي قدَّمه له الرّئيس حُسني مُبارك، المُتضمِّن ضرورة وَضْع إطار زمني لإعلان الدَّولة الفلسطينيَّة، وإعلان خُطَّة زمنيَّة للتّفاوض حول قضايا الحُدُود، والقُدس، واللاَّجئين، والمُستعمرات، والمياه. لقد ذَهَبَ الرّئيس بوش الابن إلى أبعد من ذلك، فقد قبل ـ بكُلِّ بساطة ـ رَفْضَ إسرائيل لقرار مجلس الأمن، القاضي بتشكيل لجنة لتقصِّي الحقائق عن الجرائم التي ارتكبَتْهَا قُوَّات الجيش الإسرائيلي في مُخيَّم جنين، عندما اقتحمتْهُ في شهر آذار من عام 2002، ذلك القرار الذي وافقت عليه الولايات المُتَّحدة نفسها. إنَّ كَشْفَ الانحياز المفضوح لإسرائيل، الذي تُمارسه الولايات المُتَّحدة لم يعد أمراً غير طبيعي. وهذه المُمارسة يتولاَّها الرّئيس تارةً، وأعضاء إدارته تارةً أُخرى، دُون إعطاء أيِّ اعتبار لمشاعر العالم العَرَبي.

وها هُو مُؤخَّراً وزير الخارجيَّة الأميركي كُولن باول يُدلي بتصريح لجريدة الحياة اللّندنيَّة عن الدَّولة الفلسطينيَّة نَشَرَتْهُ في عددها الصّادر بتاريخ 12/ 6/ 2002، يقول فيه: إنَّه يُمكن خَلْق دولة مُؤقَّتة في المُستقبل القريب، يُمكن للشّعب الفلسطيني أنْ ينظر إليها كَخُطوة في الطَّريق إلى التّسويَّة الشّاملة. شيء يُمكنهم أنْ يستثمروا فيها أحلامهم وآمالهم!! لقد حوَّل السيِّد باول في تصريحه هذا حُلم الفلسطينيِّين إلى شيء يُمكن خَلْقُهُ، أو تكوينه، أو إعادة

تسميته من جديد، وألغى - للأسف - كُلَّ القرارات التي بحثت موضُوع قيام الدَّولة الفلسطينيَّة. أ ليس هذا السُّلُوك هُو ما يدعو إليه آرييل شارون وخُطَّته التي تهدف إلى إلغاء فكرة الدَّولة الفلسطينيَّة، وتتبنَّاه - للأسف الشَّديد - الإدارة الأميركيَّة، بدءاً من رئيسها، ومُرُوراً بصقُورها، وانتهاء بحمائمها؟!.

رُؤساء البيت الأبيض المُتعاطفين مع اليهُود:

قد تكون القناعة التَّامَّة المُترسِّخة لدى حُكَّام إسرائيل، والمُنطلقة من أنَّ اللُّوبي اليهُودي في الولايات المُتَّحدة يملك القُدرة الكافية على فَرْض إرادته على الإدارة الأميركيَّة - ديمُقراطيَّة أو جُمهُوريَّة - هي التي دَفَعَتْ آرييل شارون - رئيس وُزراء إسرائيل - إلى الرَّدِّ على أحد الصُّحُفيِّين في 3/ 11/ 2001، حول صحَّة الضّغط الأميركي بالقول: "كُلّ مرَّة نحنُ نفعل شيئاً تقول لي إنَّ أميركا ستفعل هذا أو ذاك، وأنا أودُّ أنْ أقول لكَ شيئاً في مُنتهى الوُضُوح: لا تقلقْ فيما يتعلَّق بالضّغط الأميركي على إسرائيل، فالشّعب اليهُودي هُو الذي يُسيطر على أميركا، والشّعب الأميركي يعرف ذلك".

وسواء كان هذا القول صحيحاً، أو مُبالغاً فيه، فإنَّ سُلُوك أكثر الإدارات الأميركيَّة مُنذُ إنشاء إسرائيل عام 1947، يتَّصف بصفة التَّأييد المُطلَق لهذه الدَّولة، والعمل على تحقيق كافَّة رغباتها، التي تتَّصف - أحياناً - وكأنَّها تتعارض مع مصلحة الولايات المُتَّحدة نفسها. وآخر مثال على هذه المواقف السِّياسيَّة المُتَّسمة بالانحياز الكامل، والانصياع للرّغبات الجامحة لهذه الدَّولة هُو ما اتَّخذه الرّئيس جُورج بُوش الابن من مواقف لا تتَّصف إلاَّ بأنَّها مواقف مُنحازة - بشكل فاضح - لصالح إسرائيل. إلاَّ أنَّ الأمر الذي يُثير كثيراً من التّساؤل، ويستوقف المُتابع لسياسة الرُّؤساء الأميركيِّين تجاه اليهُود هُو هذا التَّحوُّل الحادُّ في موقف الرُّؤساء الأميركيِّين من اليهُود، وتبدُّل النّظرة لهم، ولنشاطهم في المُجتمع الأميركي، من التّحذير منهم، والدّعوة إلى إقصائهم، والتّنبيه من نواياهم الخبيثة، ومُؤامراتهم الشِّرِّيرة، إلى التّعاون معهم، والدّعوة إلى مُساعدتهم، ومَدِّ يد العون لهم، وتقديم كُلِّ ما يلزم، لجَعْلهم أكبر قُوَّة عسكريَّة ضاربة في الشّرق الأوسط. إنَّ هذا التَّحوُّل في نظرة الرُّؤساء الأميركيِّين لليهُود يقودنا - بداية - إلى

موقف الرّئيس جُورج واشنطن George Washington أوّل رئيس للولايات المُتَّحدة، الذي تولّى رئاسة الجُمهُوريَّة فيها خلال فترَتَيْن انتخابيَّتَيْن من 1789 ولغاية 1797.

جُورج واشنطن George Washington 1789 ـ 1797:

لقد شَعَرَ جُورج واشنطن بخَطَر اليهُود على الولايات المُتَّحدة، وأدرك بإحساسه الثّاقب أنَّ هذه الفئة لا تُضمر الخير لأميركا. فهي فئة تهتمُّ ـ فقط ـ بمصالحها الخاصَّة، ولا يهمُّها ـ أبداً ـ مصالح الشّعب الأميركي. ومن مُنطلق الحرص على مصلحة بلاده، ولَفْت نَظَر مُواطنيه إلى خَطَر هؤلاء على الأخلاق والمُجتمع، أطلق كلماته المشهورة التي يُحذِّر فيها من التّشابك في المصالح معهم، والتّذكير بأنَّ هذا التّشابك لابُدَّ وأنْ يقود إلى الخُضُوع التّامِّ لإرادتهم. وفي تحذيره هذا يقول: *"إنَّ هؤلاء "اليهُود" يعملون بشكل فعَّال جدّاً ضدَّنا، أكثر من الجُيُوش المُعادية، فهُم أخطر بمئة مرَّة على حُرِّيَّاتنا، والهَدَف الكبير الذي نحنُ جميعاً مُلتزمون به.. إنَّه من المُؤسف ـ حقّاً ـ أنَّ كُلَّ ولاية لم تُطاردهم مُنذُ أمد طويل، وتصطادهم، باعتبارهم وباءً على المجتمع، وأشدّ الأعداء لرفاهيَّة وسعادة أميركا".*

إنَّ رأي الجنرال واشنطن في اليهُود كان يتطابق معه رأي رجل الدَّولة الأميركي والعالم والفيلسوف والنّاشر بنجامين فرانكلين Benjamin Franklin تلك الشّخصيَّة التي تُعدُّ من أكثر الشّخصيَّات الفعَّالة في خَلْق الأُمَّة الأميركيَّة، والذي كان له الدَّور البارز في إعداد مُسوّدة إعلان الاستقلال والدُّستُور الأميركي. إنَّ بنجامين فرانكلين ـ تلك الشّخصيَّة التي يكتب عنها المُؤرِّخون الأميركيُّون، ويصفونه بأنَّه من ألمع الشّخصيَّات في الولايات المُتَّحدة ـ كان صريحاً في نُبُوءته، وصادقاً في حديثه عن اليهُود، وكيفيَّة التّعامل معهم؛ لتفادي خَطَرهم على الأُمَّة الأميركيَّة. ففي حديثه مع مندوبي الولايات المُتَّحدة في فيلادلفيا عام 1787، عند إعداد مُسوّدة الدُّستُور الأميركي خاطب هؤلاء المندوبين قائلاً:

" أيُّها السّادة، إنَّني أُوافق الجنرال جُورج واشنطن على أنَّنا يجب أنْ نحمي هذه الدَّولة الفتيَّة من التَّأثير الغادر والخفي. فالعدوُّ ـ أيُّها السّادة ـ هُم اليهُود. ففي أيِّ دولة حلَّ اليهُود بأعداد كبيرة، فإنَّهم يسعون إلى الحطِّ من المُستوى الأخلاقي فيها، وتبخيس إمكانيَّاتها

التّجاريَّة. إنَّهم يسعون إلى تمييز أنفسهم، والتَّرفُّع عن الاختلاط بالآخرين. إنَّهم يهزؤون بالدّيانة المسيحيَّة، ويحطُّون من مكانتها. هذه الدّيانة التي هي أساس أمَّتنا، إنَّهم يُحاولون انتهاك حُرُماتها، ويعملون على بناء دولة داخل دولة، وإزاء أيَّة مُعارضة لهم، فإنَّهم يلجؤون إلى خَنْق هذه الدَّولة ماليّاً، وحتَّى الموت، كما فعلوا في إسبانيا والبُرتغال. وحتَّى الآن، ولما يزيد عن 1700 عام، مايزال اليهُود ينوحون على قَدَرهم الحزين بأنَّهم طُردوا من أرضهم، أرض الميعاد كما يدعونها فلسطين. ولكنْ؛ أيُّها السّادة، لو أنَّ العالم أعطاهم هذه الأرض مجّاناً وبدُون مُقابل، فإنَّهم سيبتدعون ـ فوراً ـ سبباً ما لعدم عودتهم. لماذا؟؟ لأنَّهم مصّاصو دماء، ومصّاصو الدّماء لا يعيشون على مصّاصي دماء. إنَّهم لا يستطيعون العيش وحدهم، بل يجب أنْ يتطفَّلوا على المسيحيّيْن. إنَّهم كالنّبات الطُّفيلي، يعيشون على حساب المسيحيّيْن والآخرين الذين ليسوا من عرْقهم. وإذا لم تُخرجوهم من الولايات المُتَّحدة دُستُوريّاً، فإنَّهم في أقلّ من مئتَيْ سنة سيتكاثرون كالأورام الخبيثة، وبأعداد هائلة، وسيُسيطرون على هذه الأرض، وسيبتلعونها، وسيُغيِّرون نظام الحُكْم فيها، الذي ـ نحنُ الأميركيِّيْن ـ سَفَكْنا دماءنا، وقدَّمنا أرواحنا، وموارد حياتنا، وعرَّضنا حُرِّيّاتنا للخطر من أجل هذه الدَّولة. وإذا لم تطردوهم، ففي أقلّ من مئتَيْ عام، سترون أحفادنا يعملون في الحُقُول ليُؤمِّنوا لهم الطّعام، بينما هُم جالسون في البُيُوتات الماليَّة الفخمة، يفركون أيديهم بانتظار المزيد من المال. إنَّني أحذِّركم أيُّها السّادة؛ إنْ لم تطردوا اليهُود وإلى الأبد، فسيلعنكم أولادكم، وأنتم في القُبُور.

اليهُود ـ أيُّها السّادة ـ هُم آسيويُّون. دعوهم يتوالدون أينما كان، ويعيشون لأيِّ عدد من الأجيال خارج موطنهم، فإنَّهم لن يكونوا غير آسيويِّيْن، وسيبقون كذلك. إنَّ أفكارهم لم ـ ولن ـ تتماشى مع العقليَّة الأميركيَّة، حتَّى ولو عاشوا بيننا لعشرة أجيال. فالنّمر لا يستطيع أنْ يُغيِّر جلده. فاليهُود آسيويُّون، وهُم يُشكِّلون تهديداً خطيراً على هذه الدَّولة، إذا سُمح لهم بالدُّخُول إليها. لذلك؛ يجب إقصاؤهم بمُوجب هذا المُؤتمر الدُّستُوري".

لقد سبق تحذير جُورج واشنطن للشّعب الأميركي من خَطَر اليهُود وتأكيد بنجامين فرانكلين كلام الجنرال واشنطن ووصفه اليهُود بأنَّهم مصَّاصو دماء، الذين لا يعيشون إلاَّ على دماء الآخرين أنَّه كانت هُناك أصوات أُخرى تُحذِّر النّاس من هؤلاء اليهُود، وتدعو إلى

نَبْذهم . فعُمدة نيُو يُورك (نيُو أمستردام في ذلك الوقت) بيتر ستايفسنت **Peter Styvesant** الهُولندي المَولد ، والمُتوفَّى عام 1682 ، كان يُحذِّر من اليهُود ، ومن عدم أمانتهم في التّعامل التّجاري مع المسيحيِّين . ففي رسالته إلى شركة الهند الشّرقيَّة في أمستردام عام 1654 ، كَتَبَ يقول :

" إنَّ اليهُود الذين وَصَلُوا إلى (نيُو يُورك) يُريدون البقاء هُنا . إنَّهم يُدركون أنَّهم يتعاملون بالرّبا ، ويغشُّون في تجارتهم مع المسيحيِّين. إنَّهم مكروهون جداً بالنّسبة للسُّكّان. إنَّ القساوسة هُنا يخشون من أنْ يكون فَقْرُ هؤلاء سيُصبح عبئاً في الشّتاء القادم. إنَّه من الأفضل أنْ يُطلَبَ منهم مُغادرة هذه البلاد بصُورة وُدِّيَّة. إنَّنا نُصلِّي بصُورة خاصَّة ، وندعو لأجل أنفسنا ومُجتمعنا أنْ يُخلِّصنا من هذا العِرْق المُخادع والأعداء الكريهين ، والكافرين بالمسيح ، وأنْ لا يُسمَح لهم ـ مُنذُ الآن ، ولا في المُستقبل ـ أنْ يُلوِّثوا ، أو يُزعجوا بلادنا " .

جُون آدمز **John Adams** 1797 ـ 1801 :

ولا شكَّ أنَّ الرّئيس جُون آدامز الرّئيس الثّاني في تعداد الرُّؤساء الأميركيِّين ، والذي تولَّى رئاسة الجُمهُوريَّة في الفترة 1797 ـ 1801 ، قد تأثَّر كثيراً بالأفكار التَّوراتيَّة ، والتي أصبحت لدى البرُوتستانت تُراثاً مسيحياً مُقدَّساً ، ورُكناً هامَّاً من أركان الإيمان المسيحي ، وجُزءاً لا يُجتزأ منه . إنَّ تلك الأفكار أصبحت جُزءاً من الإنجيل ، بعد أنْ استطاع اليهُود أنْ يفرضوا تُراثهم الدِّيني ـ الذي تضمَّنته التَّوراة (العهد القديم **Old Testament**) ـ على الإنجيل (العهد الجديد **New Testament**) ، ودَمْج الكتابَيْن في كتاب واحد ؛ تحت عُنوان الكتاب المُقدَّس **Holy Book** . لقد ترسَّخت هذه المُعتقَدات ، وارتبطت فكرة عودة المسيح بعودة اليهُود إلى فلسطين ، وإقامة دولة يهُوديَّة فيها ، وإعادة بناء الهيكل . إنَّ كُلَّ تلك الأُمُور ـ حسب المُعتقَد الدِّيني المسيحي ـ هي إرادة إلهيَّة ، وحقٌ إلهي لليهُود . ومن هذا المُنطلق الدِّيني والنّظرة المسيحيَّة للعودة إلى الأرض المُقدَّسة ؛ بدأت الأصوات تُنادي بضرورة تأييد عودة اليهُود إلى فلسطين . وكان الرّئيس جُون آدامز أوَّل رئيس للولايات المُتَّحدة يدعو إلى تأييد هذه العودة .

تُوماس جفرسون Thomas Jefferson 1801 ـ 1809:

أمَّا الرّئيس جفرسون؛ فهُو لم يشأ أنْ يدمج فكرة كَراهية اليهُود وفكرة حقّ عودتهم إلى بلادهم. لقد كان الرّئيس تُوماس جفرسون يكره تلك المقولة التي يُطلقها اليهُود على أنفسهم، والتي يزعمون فيها أنَّهم شعب الله المُختار، وكان يقول تعليقاً على ذلك: " *إنَّ أولئك الذين يعملون في الأرض هُم شعب الله المُختار، إذا كان لله شعباً مُختاراً* ". وكان يصف الشّتات اليهُودي والادّعاء بالأُمَّة الواحدة هُو ادّعاء يفتقد الكثير من المصداقيَّة. ومن أقواله في هذا الموضُوع: *رغم حالة الشّتات، فإنَّ اليهُود يعتقدون بأنَّهم يُشكّلون أمّة واحدة، إلاَّ أنَّهم يبقون غُرباء عن الأرض التي يعيشون فيها*.

وبسبب ارتباط عودة اليهُود إلى فلسطين مع فكرة عودة المسيح، تلك الفكرة التي ترسَّخت في الفكر المسيحي، فقد أخذت مسيرة كَراهية اليهُود تسير في منحى آخر غير فكرة التّخلُّص منهم بعدم السّماح لهم بالإقامة في الولايات المُتّحدة، إلى الدّعوة إلى فكرة تأييد عودتهم إلى فلسطين. لقد كانت الهجرة اليهُوديَّة إلى الولايات المُتَّحدة تُقلق القيادات الأميركيَّة، وبالوقت نفسه؛ لا تُريد هذه القيادات الظُّهُور بمظاهر غير مرغوب فيها، وخاصَّة في بداية عهد الاستقلال.

وليم هنري هاريسون William Henry Harrison 1841 ـ 1841:

وسُرعان ما تبلور هذا الاتّجاه الدّاعي إلى مُناصرة اليهُود، وتأييد حقّ عودتهم إلى فلسطين أثناء إدارة الرّئيس وليم هاريسون، والذي لم تدم رئاسته سوى 32 يوماً؛ بسبب وفاته المُفاجئة في مكتبه عن عُمر يُناهز 62 عاماً. فقد قدَّمت إدارة هاريسون شكوى إلى الحُكُومة الرُّوسيَّة؛ بسبب سُوء مُعاملة اليهُود الرُّوس.

ومُنذُ ذلك الموقف الرّسمي الأميركي؛ أخذت مسيرة التّأييد لليهُود في العودة تزداد يوماً بعد يوم، وتنتقل من رئيس إلى آخر، وتتراوح حرارتها صُعُوداً أو هُبُوطاً حسب ما يتَّفق مع مصلحة الرّئاسة الأميركيَّة، واتّجاه إدارتها.

وودرو ويلسون Woodrow Wilson 1913 ـ 1921:

إنَّ هذا الموقف الأميركي المُنطلق من اعتبارات مُختلفة منها ما هُو ديني يستند إلى عقيدة دينيَّة تُؤمن بضرورة عودة اليهُود إلى فلسطين، تمهيداً للمجيء الثَّاني للمسيح، ومنها ما هُو سياسي مبعثه الرّغبة الخفيَّة في التَّخلُّص من هذه الكُتلة الدِّينيَّة غير المرغوب فيها، سواء مَنْ كان منها داخل الولايات المُتَّحدة، أو مَنْ كان خارجها إلاَّ أنَّه يرغب في الهجرة إليها. إنَّ هذا الموقف، سواء كان يستند على قواعد دينيَّة، أو يعتمد على رغبة سياسيَّة، فإنَّه قاد الولايات المُتَّحدة إلى إعلان مُوافقتها الرَّسْميَّة على بيان اللُّورد آرثر بلفُور القاضي بإنشاء وطن قومي لليهُود في فلسطين. ففي 31/ 8/ 1918، بَعَثَ الرّئيس وودرو ويلسون كتاباً إلى الحاخام ستيفن وايز، يُعلن فيه تأييد الولايات المُتَّحدة ومُوافقتها على وعد بلفور. وأمَّا الكُونغرس الأميركي؛ فقد أيَّد ـ أيضاً ـ وعد بلفور الصّادر في 2/ 11/ 1917، وأصدر بياناً رَسْميّاً بتاريخ 21/ 9/ 1922، يُعلن فيه تأييد الولايات المُتَّحدة لهذا القرار. إنَّ الرّئيس وودرو ويلسون ـ برسالته تلك ـ قد أرسى قاعدة هامَّة في سياسة الولايات المُتَّحدة تجاه إسرائيل، فقد أسَّس ويلسون مبدأ هامّاً، وهُو الالتزام الأميركي بالوطن القومي اليهُودي، وذلك من خلال المُوافقة على وعد بلفور.

إنَّ الدَّعْم الذي لقيه اليهُود من الولايات المُتَّحدة خلال عهد الرّئيس ويلسون، والذي استمرَّت رئاسته في البيت الأبيض لفترَتَيْن مُتتاليتَيْن (1913 ـ 1921) والتّأييد الأميركي للمشروع الصّهيوني بإنشاء وطن قومي لليهُود في فلسطين ـ بغَضِّ النَّظَر عن الحُقُوق المشروعة لسُكَّان البلد الأصليِّين ـ كان ـ في الحقيقة ـ مُؤشّراً واضحاً على أنَّ الولايات المُتَّحدة وافقت ـ ضمناً ـ على تجاهل الحقِّ العَرَبي. فعند قراءة النَّصِّ الوارد في قرار بلفور نجد أنَّ القرار لم يُشر ـ بوُضُوح وبصراحة ـ إلى حقِّ العَرَب ـ أيضاً ـ بإنشاء وطن قومي لهم أُسوة باليهُود. وكذلك جاءت مُوافقة الجانب الأميركي في رسالة الرّئيس ويلسون؛ إذْ تبنَّى الرّئيس الأميركي نفس الصِّيغة الواردة في النَّصِّ البريطاني، وهي: "بأنْ تبذل الحُكُومة البريطانيَّة قُصارى جهدها لتسهيل تحقيق هذا الهَدَف (إنشاء الوطن القومي)، مع الحرص على عدم القيام بأيِّ عمل

يُلحق الأذى بالحُقُوق المَدَنيَّة والدِّينيَّة لغير اليهُود في فلسطين، أو حقُوق اليهُود، ووَضْعهم السِّياسي في دُول أُخرى".

فرانكلين رُوزفلت Franklin Delano Rosvelt 1933 ـ 1945:

وكان من الطّبيعي أنْ يبتهج اليهُود بهذا الموقف، ولكنْ؛ ما إنْ بدأت بوادر الأزمة الاقتصاديَّة تلوح في الأُفق في نهاية العشرينيَّات حتَّى لاحت بوادر تُنذر بموجة جديدة بالعداء ضدَّ اليهُود الأميركيِّين. ففي أثناء فترة الرُّكُود تلك، تولَّى رئاسة الجُمهُوريَّة الرّئيس فرانكلين رُوزفلت، الذي شغل هذا المنصب ثلاث دورات انتخابيَّة مُتتالية، ويُعدُّ رُوزفلت أوَّل وآخر رئيس أميركي تدوم فترة رئاسته تلك المُدَّة التي استمرَّت 12 سنة و39 يوماً. إنَّ هذا الرّئيس خرِّيج جامعة هارفارد والأُسقفي المذهب Episcopalian وقف موقفاً مُنحازاً مع اليهُود أمام موجة العداء التي انتشرت ضدَّهم أثناء فترة الرُّكُود الاقتصادي التي اجتاحت الولايات المُتَّحدة في نهاية العشرينيَّات من القرن الماضي. لقد دافع عن اليهُود، وصَدَّ عنهم موجة الكَراهية التي انتشرت ضدَّهم؛ حيثُ كانت قد سادت فكرة آنذاك تقول بأنَّ اليهُود هُم سبب هذه الأزمة. وقد اتَّخذ رُوزفلت موقفاً صارماً إزاء هتلر، فهُو الرّئيس الذي انتقد هتلر وأنصاره ذوي القُمصان الرّماديَّة. وقد وَصَفَ رُوزفلت هؤلاء الأنصار بالخارجين على القانون. ولأوَّل مرَّة في تاريخ الولايات المُتَّحدة؛ سُمح لليهُود في عهد رُوزفلت بالاشتراك بالحُكُومة كَوُزراء، أو إشغال مناصب رفيعة في الدَّولة كَرئاسة المحكمة الدُّستُوريَّة العُليا، أو مُستشارين في البيت الأبيض. لذلك يعدُّ الكثير من اليهُود أنَّ فرانكلين رُوزفلت يأتي في المرتبة الثّانية بعد مُوسى عليه السلام، وأنَّه ـ بالنّسبة للكثيرين منهم ـ المُنقذ، الذي دافع عنهم، وصدَّ موجة العداء التي انتشرت ضدَّهم.

لقد بلغت محبَّة اليهُود له أنَّ تسعة أصوات من أصل عشرة كانت تُصوِّت له في الانتخابات. لقد كان رُوزفلت أوَّل رئيس أميركي يُصرِّح علانية بضرورة فَتْح أبواب فلسطين أمام اللاَّجئين اليهُود، ويُعلن مُعارضته للكتاب الأبيض الصّادر عن الحُكُومة البريطانيَّة عام 1939، والقاضي بتحديد هجرة اليهُود إلى فلسطين.

إنَّ هذا التّأييد للحزب الدِّيمُقراطي ومُرشّحه رُوزفلت كان يُقابله تنديد يهُودي بالحزب الجُمهُوري، الذي يدَّعي اليهُود بأنَّه احتضن أعداء السّاميَّة في العشرينيَّات والثّلاثينيَّات، ولذلك فإنَّ مُرشَّح هذا الحزب دوايت دافيد أيزنهاور الذي قاد الحُلفاء إلى النّصر، وحرَّر المُعتقلات النّازيَّة التي كانت تضمُّ أعداداً هائلة من اليهُود لم يشفع له في الحُصُول على تأييد اليهُود له في انتخابات عام 1952؛ إذْ صوَّت اليهُود لمُنافسه الدِّيمُقراطي إدلاي ستيفنسون، إلاَّ أنَّ أيزنهاور فاز في الانتخابات بنسبة كبيرة، وهزم منافسه ستيفنسون، الذي لم يحصل إلاَّ على 992 . 314 . 27 صوتاً من أصوات النّاخبين، بينما حصل أيزنهاور على 963 . 778 . 33 صوتاً. وفي عام 1956، حقَّق أيزنهاور انتصاراً ثانياً بأكثريَّة ساحقة - أيضاً - ضدَّ المُرشَّح الدِّيمُقراطي ستيفنسون، فحصل على 003 . 581 . 35 صوتاً، بينما حصل مُنافسه الدِّيمُقراطي على 765 . 738 . 25 صوتاً فقط. وهكذا أبرز اليهُود عداءهم السّافر للحزب الجُمهُوري. ولكنْ؛ بعد مُرُور أربع سنوات، وفي عام 1960، رشَّح الجُمهُوريُّون ريتشارد نيكسون للرّئاسة، وكان اليهُود يعدُّ نيكسون من أشدِّ الأعداء لهم، وذلك عندما وَصَفَ المُرشَّحة اليهُوديَّة لعُضويَّة مجلس الشّيوخ هيلين غاهاغان دُوغلاس بأنَّها ليِّنة إزاء الشُّيُوعيَّة. لقد أثار هذا الموقف ثائرة اليهُود، واندفعت كُلُّ أصواتهم نحو المُرشَّح الدِّيمُقراطي المُنافس لنيكسون جُون كينيدي. وقد بلغت حساسيَّة اليهُود تجاه كُلّ مُرشَّح يمتلك ذرَّة واحدة من العداء للسّاميَّة، أو بالأحرى احتمال أنْ يمتلك مثل هذه الذَّرَّة إعلان حرب شعواء عليه، وتدمير مُستقبله السِّياسي. فعندما رشَّح الحزب الجُمهُوري باري غُولدووتر ذي الآراء المُحافظة، نَظَرَ اليهُود إلى هذا التّرشيح من وُجهة نَظَرهم الخاصَّة، التي تعدُّ أنَّ النّزعة المُحافظة تُعادل العداء للسّاميَّة. وفي اعتقادهم؛ أنَّ اليمين المُحافظ هُو - في الحقيقة - مسيحي يُجاهر بمسيحيَّته، وبالتّالي؛ فإنَّه مُعاد للسّاميَّة، ففي العقل اليهُودي يترسَّخ هذا الاعتقاد، ومنه؛ فعندما صوَّت 61٪ من الأميركيّين ضدَّ غُولدووتر، فإنَّ 90٪ من اليهُود صوَّتوا ضدَّه.

لقد أظهر رُوزفلت تعاطفاً كبيراً مع اليهُود، وأبدى شجاعة وجُرأة في تعيين اليهُود في مناصب مرموقة وبارزة في الحُكُومة ودوائر الدَّولة. لقد لاقى سُلُوكه هذا ترحيباً وتقديراً عظيمَيْن من الجالية اليهُوديَّة، ولكنْ؛ بالمُقابل، هُوجم مراراً، لاتِّباعه هذا السُّلُوك، وقد اتُّهمه

خُصُومه بأنَّه يحمل جُذُوراً يهُوديَّة، ونَشَرَتْ بعض الصُّحُف المُناوئة له وثيقة تُشير إلى أنَّ اسمه هُو اسم يهُودي، وأنَّ الاسم الحقيقي له هُو (رُوزن فلت)، وليس رُوزفلت، ووُزِّعت وثيقة على أعضاء الكُونغرس تُبيِّن أنَّ أربعمئة من رجال الحُكُومة هُم من اليهُود، وتبنَّت صحيفة الدِّيلي نيُوز النِّيُو يُوركيَّة طَبْعَ هذه الوثيقة وتوزيعها على النَّاس. إنَّ هذا الموقف إزاء اليهُود يُثبت - بوُضُوح - شدَّة عداء النَّاس لهؤلاء القوم المكروهين من قِبَل أكثر فئات المُجتمع الأميركي. وتُشير الإحصاءات في تلك الفترة على أنَّ هُناك 121 مُنظَّمة تُكرِّس كُلَّ جُهُودها لمُهاجمة اليهُود، وفَضْح أعمالهم الدَّنيئة. ونتيجة لعمليَّة مَسْح جَرَتْ في نيسان عام 1939، تبيَّن أنَّ 3 . 42 ٪ من السُّكَّان كانوا يُعادون اليهُود، وأنَّ هذا الموقف كان نابعاً من اعتقادهم بأنَّ اليهُود لديهم صفات وخصائص غير مُستحبَّة.

لقد وَصَفَتْ إدارة رُوزفلت هذا الهُجُوم عليها، واستهجان الاعتماد على اليهُود، بأنَّه عمل صادر عن مجموعة من المهووسين. وكان رُوزفلت يُدرك أنَّ الأزمة الاقتصاديَّة التي كانت تبدو بوادرها ستُلحق باليهُود آثاراً سيِّئة؛ لأنَّ المُجتمع الأميركي لديه عقيدة راسخة بأنَّ اليهُود هُم أسباب هذا الرُّكُود الاقتصادي. إلاَّ أنَّه رغم ذلك فقد تجاهل كُلَّ الانتقادات المُوجَّهة إليه، وزيادة في مُواجهة هذه الانتقادات، فقد عيَّن قاضياً يهُودياً في المحكمة العُليا عام 1939. وعندما شَعَرَ اليهُود بشدَّة الموجة العدائيَّة ضدَّهم آثروا الابتعاد عن تقلُّد المناصب البارزة. وحفاظاً على مصالحهم، فقد آثروا الميل نحو عدم الصِّدام مع البيرُوقراطيَّة الأميركيَّة المُتمركزة في بعض الإدارات والمُؤسَّسات، التي لها اعتبارات خاصَّة لدى الأميركيِّين.

هاري ترومان Harry S. Truman 1945 ـ 1953:

بعد وفاة فرانكلين رُوزفلت في 12/ 4/ 1945، تولَّى الرِّئاسة هاري س. ترومان، الذي كان يشغل منصب نائب الرِّئيس في عهد الرِّئيس رُوزفلت، والذي رشَّحه حزبه الدِّيمُقراطي لمنصب الرِّئاسة، وبقي في هذا المنصب لفترتَيْن انتخابيَّتَيْن (سبع سنوات ومئتان وثلاثة وثمانون يوما). لقد كان ترومان أشدّ حماساً من رُوزفلت فيما يتعلَّق بتأييد اليهُود في إنشاء الوطن القومي لهم، حسب ما قدَّمه، ومهَّد له السَّاسة البريطانيُّون. فما إنْ أُعلن عن قيام دولة

إسرائيل حتَّى سارع ترومان إلى الاعتراف بها، وذلك قبل أنْ تطلب الحُكُومة الإسرائيليَّة منه ذلك، وبذلك؛ بَدَتْ الولايات المُتَّحدة أوَّل دولة في العالم تعترف بدولة إسرائيل. ولم يتورَّع ترومان من الاعتراف بأنَّ الولايات المُتَّحدة تُشجِّع وتُؤيِّد كُلَّ التأييد قيام مثل هذه الدَّولة، ولو كان هذا الأمر سيتمُّ على حساب الحقِّ العَرَبي. وفي رسالته إلى العاهل السُّعُودي في 28/ 10/ 1948، يعترف ترومان بأنَّ من الطّبيعي أنْ تُشجِّع الإدارة الأميركيَّة قيام وطن قومي لليهُود في فلسطين، وبدُون أيَّة مُواربة في الحديث، وفي مُنتهى التَّخلِّي عن حُدُود اللّباقة الدِّبلُوماسيَّة، أعلن ترومان موقف الولايات المُتَّحدة إزاء إسرائيل، وكأنَّ هذه الصّراحة والوُضُوح في المواقف لم تُعط العَرَب ضوءاً كافياً لاكتشاف السِّياسة الأميركيَّة تجاه الصّراع العَرَبي الإسرائيلي، ولم تُبيِّن لهم مدى ارتباط مصالح الولايات المُتَّحدة بإسرائيل، مُنذُ ذلك الوقت المُبكِّر في مسيرة الصّراع العَرَبي ـ الإسرائيلي، وموقف الولايات المُتَّحدة منه. ويُصوِّر بعض المُحلِّلين السِّياسيِّيْن الموقف الأميركي الذي اتَّخذه هاري ترومان بأنَّه موقف يرتكز على خلفيَّة دينيَّة بحتة، وعقيدة توراتيَّة راسخة في نَفْس هذا الرّئيس المُتديِّن؛ مُستشهدين بقوله: "إنَّني كَمَعْمَدَاني أحسُّ بشيء عميق في نفسي له مغزاه عندما ترد فكرة البعث اليهُودي". إلاَّ أنَّ الواقع التّاريخي لهذا الانحراف الكبير باتِّجاه إسرائيل يقود إلى حقيقة لابُدَّ أنْ يكون لها مغزاها ومدلولها: وهي أنَّ الولايات المُتَّحدة التي خرجت من الحرب العالميَّة الثّانية تحمل راية النّصر والتَّفوُّق على حُلفائها في كُلِّ الميادين، دَفَعَتْهَا هذه الاعتبارات إلى التّفكير بضرورة وراثة تركة الاستعمارَيْن البريطاني والفرنسي في منطقة الشّرق الأوسط الاستراتيجيَّة، التي تربط أُورُوبا وأفريقيا بآسيا عبر أهمِّ ممرٍّ مائيٍّ عالميٍّ، والغنيَّة بأكبر احتياطي للبترول في العالم. إنَّ التَّمتُّع بهذه الثّروات الطّائلة يجب أنْ يكون من نصيب الولايات المُتَّحدة فقط، ولا يحقُّ ـ حسب المفهوم الأميركي ـ أنْ يُشاركها في الثّروة أيُّ شريك آخر، حتَّى ولو كان هذا الشّريك أحد حُلفائها. ومُنذُ قيام إسرائيل؛ بدأت أميركا في اتِّباع سياسة احتواء هذه المنطقة، ووَضْعها تحت مظلَّتها. لقد قادت هذه السِّياسة دُول المنطقة إلى حلقة طويلة من الصّراع، قد يتطلَّب استعراضها كتاباً مُستقلاً. إلاَّ إنَّ القول بأنَّ تأييد ترومان لقيام دولة إسرائيل، وعدم انصياعه لنصيحة مُستشاريه العسكريِّيْن والسِّياسيِّيْن بضرورة التَّريُّث قبل هذا الاعتراف، وإقدامه على

الاعتراف السّريع بها، ليكون أوّل رئيس دولة تعترف بإسرائيل، وتكون بلاده أكبر داعم سياسي لها في مُستهلِّ إنشائها، وحتّى الآن، وتكون أميركا الدّولة الرئيسيَّة التي تُقدِّم لإسرائيل أكبر حصّة من مُساعداتها الخارجيَّة التي تُقدِّمها لأيَّة دولة أُخرى من دُول العالم، بل إنَّ تلك المُساعدات بدأت قبل قيام دولة إسرائيل؛ إذْ إنَّ الرّئيس ترومان تعهَّد بأنْ تتحمَّل الولايات المُتَّحدة نفقات نَقْل مئة ألف يهُودي من أُورُوبا إلى فلسطين، وذلك في عام 1946، بتكلفة تبلغ 000 . 450 دُولار، كما طَلَبَ من وزير خارجيَّته جُورج مارشال تقديم كُلِّ المعونات الاقتصاديَّة اللاّزمة لإسرائيل، أُسوة بالمُساعدات الاقتصاديَّة التي قدَّمتها أُورُوبا لأميركا، كما طَلَبَ منه ـ أيضاً ـ السّعي لدى الدُّول لحُصُول إسرائيل على عُضويَّة الأمم المُتَّحدة. إنَّ ردَّ هذا السُّلُوك لاعتبارات دينيَّة هُو ـ باعتقادنا ـ تصوير سطحي لموقف الولايات المُتَّحدة، وسُلُوك رئيسها؛ إذْ إنَّ هذا السُّلُوك لابُدَّ أنْ تكون له خلفيّات أكثر بكثير من خلفيَّة المُعتقَد الدِّيني، وهذا ما أثبتته الأحداث التي تتالت، والمواقف التي تتابعت على المنطقة، والتي تُشير كُلُّها إلى بُرُوز مفاهيم استعماريَّة جديدة، واتِّجاهات أميركيَّة نحو منطقة الشّرق الأوسط، تضع الاعتبارات الدِّينيَّة التي دَعَتْ إلى تأييد قيام دولة إسرائيل في أماكن أدنى بكثير ممّا أُشيع عن أهمِّيَّتها في اتِّخاذ قرار الانحياز الذي اتَّخذه ترومان. إنَّ رسالة سَلَفه الرّئيس رُوزفلت الجوابيَّة إلى العاهل السُّعُودي الملك عبد العزيز في 5/ 4/ 1945، تتضمَّن ـ للأسف ـ وُعُوداً لم تلتزم بها الإدارة الأميركيَّة التي سطَّرتْ هذه الرّسالة، أو الإدارات التي تَلَتْهَا. لقد وَعَدَ رُوزفلتُ بأنْ لا تتَّخذ الولايات المُتَّحدة أيَّ عمل يضرُّ بمصالح العَرَب في فلسطين، وتعهَّد برسالته تلك أنْ تبقى هذه السِّياسة ثابتة، ولا تتغيَّر: " وإنَّه لممَّا يسرُّني أنْ أُجدِّد لجلالتكم التّأكيدات التي تلقَّيتموها سابقاً بخُصُوص موقف حكُومتي كَرئيس للسّلطة التّنفيذيَّة فيما يتعلَّق بقضيَّة فلسطين. وإنِّي أُعلمكم بأنَّ سياسة هذه الحكُومة غير مُتغيِّرة ". وخير تعليق على هذا الموقف القول " صدِّقْ، أو لا تُصدِّقْ".

لقد كان ردُّ إسرائيل لجميل الرّئيس ترومان أنْ أصدرت طوابع بريديَّة تحمل صُورته. وكان موقف الرّئيس ترومان مع العَرَب في غاية الفظاظة والعُدوانيَّة. ففي عهده؛ حظَّرت إدارته بَيْع الأسلحة لهم. وفي عهده؛ صدر البيان الثُّلاثي الأميركي ـ البريطاني ـ الفرنسي لعام

1950، والذي بمُوجبه التزمت الدُّول الثّلاث بعدم تزويد الدُّول العَرَبيَّة بالأسلحة، وَمَنْعها من إنتاج أو الحُصُول على أيَّة أسلحة هُجُوميَّة. ثُمَّ مارست الولايات المُتَّحدة أقصى درجات الضّغط لرَفْع المُقاطعة على البضائع الإسرائيليَّة، والضّغط على الدُّول العَرَبيَّة بالدُّخُول في تحالفات ضدّ الاتِّحاد السُّوفييتي.

دوايت ديفيد أيزنهاور Dwight David Eisenhower 1953 ـ 1961:

لا يُمكن لليهُودي الأميركي أنْ ينسى ما عاناه آباؤه وأجداده من مخاطر الرّحلة البحْريَّة إلى الشَّواطئ الشّرقيَّة للولايات المُتَّحدة، ولا الاضطهاد الذي عاناه في رُوسيا أثناء الحُكْم القَيْصري، وأحكام الإبعاد التي شاهدها في إسبانيا، وبعض البُلدان الأُورُوبيَّة، وحتَّى في أميركا نفسها. إنَّ هذه الذّكريات المُؤلمة ماتزال عالقة بأذهان هؤلاء اليهُود المُهاجرين الوافدين إلى القارَّة الجديدة. لذلك؛ عندما فَتَحَ رُوزفلت أمامهم أبواب الدَّوائر الرَّسْميَّة ليتولّوا مناصب بارزة وهامَّة في حُكُومته وإداراتها، بَدَتْ لهم في الأُفق بوادر تسمح بالإيعاز بأنَّ نشاطهم السِّياسي وتكتُّلهم الاجتماعي وانغماسهم في الحياة الاجتماعيَّة الأميركيَّة التي سَمَحَتْ مُؤهّلاتهم العالية الدُّخُول إليها من أبوابها الواسعة، أوحت لهم كُلُّ هذه المُؤشّرات إلى أنَّ الطّريق أصبحت مُمهّدة أمامهم للقيام بدور أكثر فعاليَّة في الحياة السِّياسيَّة الأميركيَّة. وجاءت إدارة ترومان لتُرسِّخ في أذهان هؤلاء أنَّ الفُرصة أكثر مُلاءمة لاستغلالها، عندما اتَّخذ ترومان ذلك الموقف المُثير في اندفاعه في تأييد قرار التّقسيم، وإنشاء دولة إسرائيل.

ولم تكن إدارة الرّئيس أيزنهاور أقلّ حماساً لتأييد إسرائيل من إدارة ترومان، ولكنَّ ظُرُوف الرّئيس أيزنهاور كانت أكثر صُعُوبة في مُواجهة الأحداث التي رافقت فترتَيْ رئاسته الأُولى والثّانية. لقد سَعَتْ إدارة الرّئيس أيزنهاور ـ في البداية ـ إلى فَرْض سياسة رَبْط العالم العَرَبي في عَجَلَة العَرَبَة الأميركيَّة. وكانت الخُطَّة التي أُطلق عليها مبدأ أيزنهاور هي بداية سياسة الاحتواء الأميركي. إلاَّ أنَّ مصر وسُوريا قادتا حملة ضدّ هذه الرّغبة الأميركيَّة، وتمكَّنتا من إفشالها. وعندما رَفَضَتْ القاهرة ودمشق الانحياز وسياسة الاحتواء، سَعَتْ الولايات المُتَّحدة ـ من خلال حلف بغداد ـ إلى إخضاع الإرادة العَرَبيَّة للنُّفُوذ الغربي. وكان جُون فُوستر

دالاس وزير الخارجيَّة في عهد أيزنهاور يعتقد أنَّ السّيطرة على سُوريا من خلال هذا الحلف الذي يدعمه النّظام المَلكي في العراق كفيل بإخضاع النّظام في مصر بزعامة جمال عبد النّاصر، وحسم المعركة لصالح الولايات المُتَّحدة، وإسرائيل طبعاً. وبعد تأميم مصر لقناة السُّويس، وإعلان جمال عبد النّاصر ذلك في 26/ 7/ 1956، بدأت حملة أميركيَّة شرسة ضدَّ مصر، وبدأت خُيُوط مُؤامرة تُحاك بين بريطانيا وفرنسا وإسرائيل، واتَّفق زُعماء هذه الدُّول الثّلاث (أنطُوني إيدن ـ غي مُولييه ـ ليفي أشكول) على إعداد عُدوان مُسلَّح ضدَّ مصر. ولم تكن الولايات المُتَّحدة بعيدة عن أجواء هذه المُؤامرة، ولكنَّها كانت ترغب في البقاء بعيداً عن الأضواء لعدَّة أسباب؛ أهمّها المُحافظة الظّاهريَّة على الإيحاء بأنَّها لا تميل إلى الصّدام المُباشر مع النّظام النّاصري، الذي كان يتمتَّع بتأييد الشّارع العَرَبي، وكذلك مُراقبة موقف الاتّحاد السُّوفييتي عند تنفيذ هذه المُؤامرة، كي لا يخرج من يدها زمام مُعالجة الأُمُور عند وُصُولها لمرحلة التّأزُّم الشّديد. وأيضاً؛ الرّغبة الأكيدة المُترسّخة لديها في إنهاء كُلّ نُفُوذ للدَّولتَيْن الاستعماريَّتَيْن بريطانيا وفرنسا في المنطقة، بعد إبراز هاتَيْن الدَّولتَيْن بأنَّهما الدَّولتان الوحيدتان اللّتان تُضمران العداء للعَرَب، وماتزالان تطمحان إلى العودة إلى العُهُود الاستعماريَّة السّابقة. وفي 29/ 10/ 1956، اقتحمت القُوّات الإسرائيليَّة الحُدُود المصريّة، وتقدّمت في سيناء، لتصل إلى قناة السُّويس. وبعد ظهر 30/ 10/ 1956، تدخلت قُوَّات كُلٍّ من الشّريكَيْن بريطانيا وفرنسا، وبدأتا بقَصْف جوّيٍّ لمُدُن القناة والقاهرة، استمرَّ سبعة أيَّام، قبل إنزال قُوَّاتهما على البرّ المصري.

لقد بَدَتْ هذه الحرب العُدوانيَّة وكأنَّها ردٌّ على تأميم مصر لقناة السُّويس، إلاّ أنّها ـ في الحقيقة ـ كانت لها أهدافها البعيدة في إبراز الرّغبة الاستعماريَّة في إعادة النُّفُوذ الغربي إلى الوطن العَرَبي، وإشعار العالم العَرَبي ـ بكامل أقطاره ـ أنَّ التَّمرُّد على الإرادة الغربيَّة عمل غير مقبول، وغير مسموح به.

وفي غمرة تلك الأحداث؛ اتَّخذت إدارة الرّئيس أيزنهاور قراراً بتوجيه إنذار إلى إسرائيل بضرورة الانسحاب من الأراضي المصريَّة التي احتلّتْهَا أثناء العُدوان الثّلاثي. وكان هذا الموقف الجريء بالنّسبة للرّئيس الأميركي بمثابة مُغامرة سياسيَّة، لما يحمله من مخاطر على مُستقبله

السِّياسي. إلاَّ أنَّ أيزنـهاور كـان فـي موقفـه هـذا ينطلـق مـن منطلـق الحفـاظ علـى المصلحـة العُليـا للولايات المُتَّحدة وهُو - كَقَـائد عسـكري - يُقـدِّر هـذه الأُمُـور، ويُـدرك مـدى أهمِّيَّتـها. لقـد شـعر أيزنهاور أنَّ عدم اتِّخاذ مثل هذا الموقف سيترك السّاحة للاتِّحاد السُّوفييتي، الذي كان يرغـب فـي إظـهار الولايـات المُتَّحـدة وكأنَّـها دولـة حليفـة للاستعمار الغربي، وأنَّـها تُؤثـر مصـالح حُلفائـها الاستعماريِّين على مصالح الدُّول المُتطلِّعة إلـى الانعتـاق مـن السِّيطرة الاسـتعماريَّة، التـي عـانت منها لقُرُون عديدة. لذلك؛ فإنَّ الموقـف الأمـيركي إزاء أزمـة السُّويس كـان - فـي الحقيقـة - لقَطْع الطَّريق على الاتِّحاد السُّوفييتي، وعدم السّماح له بالتَّدخُّل في الأزمة بشكل مُنفـرد، يُوحـي بأنَّـه المُنقذ الوحيد للجانب العَرَبي المُعتدى عليه، إضافة إلى الرَّغبة الخفيَّـة فـي إقصـاء النُّفُـوذ السِّياسـي لكُلٍّ من بريطانيا وفرنسا عن المنطقة. أمَّا بالنِّسـبة لإسـرائيل؛ فالمصلحـة الأميركيَّـة فـوق المصلحـة الإسرائيليَّة، ولا حديـث يعلـو علـى هـذا الأمـر، مـهما قيـل عـن وُجُـود لُوبـي يـهُودي، أو لُوبـي أميركي صهيُوني.

إنَّ هذا الموقف المُنـاهض للسِّياسـة الإسـرائيليَّة اتَّخـذه الرَّئيـس أيزنـهاور فـي عـام 1953، أيضاً، عندما طَلَبَ من إسرائيل التَّوقُّف عن تحويل مياه نهر الأُردن، وكان سبب هذا الطَّلب أنَّ أميركا كانت تسعى - حينئذ إلى - تنفيذ مُخطَّط أميركي، هَدَفُهُ العمل علـى قيـام تعـاون مُشـترك بين إسرائيل وجيرانها الأُردن وسُوريا لاستغلال مياه نهرَيْ الأُردن واليرموك.

وقد يكون الرَّئيس أيزنهاور هُو أوَّل رئيس أميركي يتَّخذ مثـل هـذه المواقـف الجريئـة أمـام إسرائيل واللُّوبي اليهُودي المُؤيِّد لـها داخـل الولايـات المُتَّحـدة. ولكـنْ؛ يجـب أنْ لا تُثـير هـذه المواقف التَّساؤل حول الشَّخصيَّة التي اتَّخذت هذه المواقف، بل من الأفضـل أنْ نتسـاءل: هـل مصلحة الولايات المُتَّحدة تأتي فـي المُقدِّمـة، وتسبق فـي الأهمِّيَّـة مصلحـة إسـرائيل فـي بعـض الحالات الخاصَّـة التـي تضـع المصلحـة العُليـا للولايـات المُتَّحـدة فـي المـيزان؟ أم يبقـى الاهتمـام بالمصلحة اليهُوديَّة المُتمثِّلة في إسرائيل أكثر أهمِّيَّة؟

إنَّ الموقف الذي اتَّخذه أيزنهاور تجاه إسرائيل في عام 1953، أو في عام 1956، لم يكـن - في حقيقتـه - سـوى التَّعبير الصَّادق والالـتزام التَّامّ بالمبـادئ الأساسـيَّة التـي وَضَعَـهَا الرَّئيـس

وودرو ويلسون، الذي حدَّد - مُنذُ الثَّلاثينيَّات في القرن الماضي - المعنى الفعلي لمبدأ مُونرُو، الذي ينصُّ على أنْ تنظر الولايات المُتَّحدة لمصلحتها الخاصَّة. ففي عهد الرَّئيس ويلسون؛ قامت الولايات المُتَّحدة بغزو كُلٍّ من هاييتي والدُّومينيكان، وأقامت في هذَيْن البلدَيْن حكُومات ديكتاتُوريَّة تُؤمِّن مصالح أميركا من خلال الشّركات الأميركيَّة، التي أصبح لها الحقُّ في السّيطرة على هذَيْن القُطرَيْن التّعيسَيْن.

إنَّ الرّغبة في أنْ تُسيطر الولايات المُتَّحدة على مُقدَّرات العالم كُلِّه برزت بعد الحرب العالميَّة الثّانية، بل، وأثناءها. فعندما دمَّرت الحرب مُعظم الصّناعات في أُورُوبا بقيت الصّناعة الأميركيَّة بمنأى عن هذا التّدمير، بل واستفادت منه كثيراً، وحسَّنتْ، وضاعفت إنتاجها. لقد قدَّمت الولايات المُتَّحدة ما يزيد عن 12 بليون دُولار كَمُساعدات وقُرُوض لدُول أُورُوبا الغربيَّة خلال الفترة ما بين 1948 - 1951، أكثر من ثُلث هذا المبلغ خُصِّص لشراء مُنتجات أميركيَّة، وأميركا - الآن - تملك أكبر طاقة صناعيَّة في العالم، وقد يكون تاريخ البشريَّة خالياً من مثل هذه التّجربة الفريدة.

لذلك؛ فإنَّ المُخطِّطين (مُخطِّطي وزارة الخارجيَّة ومجلس الأمن القومي) كانوا يُدركون الأُسُس المتينة التي يعتمدون عليها في نظرتهم الدّاعية إلى أنْ تكون الولايات المُتَّحدة الدَّولة الأقوى والأكثر طُمُوحاً للسّيطرة على العالم ومُقدَّراته.

إلاَّ أنَّه يُمكن القول إنَّ شعُور أيزنهاور كان فاتراً تجاه إسرائيل بشكل واضح، والسّبب في اعتقاده يعود إلى أنَّ هذه الدَّولة تُشكِّل إزعاجاً للولايات المُتَّحدة، وتُعكِّر علاقاتها مع الدُّول النّفطيَّة، والعالم العَرَبي، لذلك؛ لم تتضمَّن وزارة أيزنهاور أعضاء ذوي نُفُوذ ومُتحيِّزين لإسرائيل، بل على العكس، فقد كان وزير خارجيَّته جُون فُوستر دالاس من المُنتقدين الدّائمين لإسرائيل.

جُون فيتزجيرالد كينيدي John Fitzgerald Kennedy (1961 - 1963):

رغم أنَّ فترة الرّئيس كينيدي كانت قصيرة، ولم تدم سوى سنتَيْن وثلاثمئة وستة أيَّام، إلاَّ أنَّها كانت تُصوِّر تصويراً بالغاً دور المُخابرات الأميركيَّة في التَّدخُّل بالحياة السِّياسيَّة في

الولايات المتَّحدة. وتُعدُّ قصَّة اغتياله من أغرب قَصَص الاغتيال السِّياسي في التّاريخ الأميركي، وماتزال أصابع الاتِّهام تُشير إلى دور المُخابرات المركزيَّة في مُؤامرة الاغتيال التي تمَّت في الثّاني والعشرين من شهر تشرين الثّاني / نُوفمبر من عام 1963، في مدينة دالاس، في ولاية تكساس.

لقد كان الرّئيس كينيدي - الكَاثُوليكي الوحيد الذي تربَّع على كُرسي الرّئاسة الأميركيَّة - أكثر الرُّؤساء اعتماداً على المُثقَّفين ذوي المُيُول التَّحرُّريَّة.

وفي عهده؛ تمَّ إدخال عدد كبير من المُثقَّفين اليهُود إلى البيت الأبيض، وإدارات الدَّولة، كما عيَّن بعضهم في المحاكم الفيدراليَّة، والمحكمة العُليا Supreme Court، وقرَّب إليه عدداً منهم؛ ليعملوا كَمُستشارين في البيت الأبيض. ويُعدُّ كينيدي الأكثر جُرأة من الرُّؤساء الأميركيِّين الذين ازداد اعتمادهم على خبرة ومهارة اليهُود في الحقل السِّياسي الذي يبرعون فيه؛ إذْ إنَّ اليهُود المُنهمكين في النّشاط السِّياسي الأميركي تتراوح نسبتهم ما بين 20 - 25٪ من مجموع العاملين في هذا الحقل. فهُم يُمارسون نشاطاً سياسيّاً يفوق بكثير ما يُمارسه المُنتمون إلى أيَّة جماعة أُخرى في الولايات المُتَّحدة. لذلك؛ فليس من المُصادفة أنْ تجد أكثر المُراسلين الصُّحُفيِّين والعاملين في حقل الإعلام شُهرة هُم من اليهُود، فهُم خليَّة من النّحل تعمل بلا كَلال أو مَلَل، و ليس مُستغرباً - أيضاً - أنْ تجد أكثر العاملين في الحملات الانتخابيَّة مع المُرشَّحين للرّئاسة هُم من اليهُود المُتخصِّصين في إدارة هذه الحملات.

إنَّ استطلاعات الرّأي تُبيِّن - باستمرار - وُجُود اهتمام كبير لدى الشّباب اليهُودي بالسِّياسة. وقد قدَّرت هذه الاستطلاعات أنَّ نسبة اليهُود المُهتمِّين بمُتابعة الاطِّلاع على الشُّؤُون السِّياسيَّة تُشكِّل 4 إلى 1 من غير اليهُود.

وإنْ كان كينيدي قد فَتَحَ أبواب البيت الأبيض على مصراعيها أمام اليهُود، فإنَّه فَتَحَ - أيضاً - مُستودعات الأسلحة الأميركيَّة لتزويد التّرسانة الإسرائيليَّة بهذه الأسلحة. وكان أوَّل رئيس جُمهُوريَّة أميركي يسمح بتزويد إسرائيل بكافَّة أنواع الأسلحة، خارقاً - بذلك - السِّياسة

التي انتهجتْهَا الولايات المُتّحدة عام 1948، بالنّسبة لتقنين تصدير الأسلحة إلى منطقة الشّرق الأوسط.

لقد شهد عهد كينيدي انعطافاً حاداً في العلاقة التي كانت سائدة بين البيت الأبيض واليهُود. تلك العلاقة التي بُنيت في الماضي على وَضْع حُدُود للتّعاون بين الطّرَفَيْن، وإقامة خُطُوط حمراء أمام اليهُود فيما يتعلّق بالمناصب الحُكُوميّة البارزة، والمناصب الرّئيسيّة في جهاز مُوظّفي البيت الأبيض.

ويبدو أنّه حتّى القُيُود التي كانت موضُوعة حول دُخُول اليهُود إلى كُلّيّات جامعيّة مُعيّنة قد رُفعَتْ في عهد الرّئيس كينيدي، وفُتحت أمام اليهُود أبواب هذه المعاهد الجامعيّة، وأخذت النُّخبة اليهُوديّة تجد مكاناً لها في الوَسَط الجامعي، إضافة إلى ما نالته من تقدير وتعاون من الرّئاسة الأميركيّة، وأصبح اليهُود أكثر قُرباً وتعاملاً مع مسؤولي البيت الأبيض.

وهكذا انفتحت أبواب البيت الأبيض على مصراعَيْها أمام اليهُود، بعد ثلاثين سنة من فتحها مُواربة أمامهم في عهد الرّئيس فرانكلين رُوزفلت، الذي لاقى انتقاداً شديداً من مُعارضيه؛ بسبب هذا السّماح الجُزئي لبعض منهم في العمل في حكُومته. لقد كان الرّئيس كينيدي أشدّ الرُّؤساء تحمُّساً للتّعامل مع اليهُود، والاعتماد عليهم.

وقد ضمّت حكُومته ـ في تلك الفترة ـ العديد منهم، ولكنْ؛ بدُون أيّة ضجّة إعلاميّة كالتي رافقت مُشاركتهم في الحكُومة في الثّلاثينيّات في عهد الرّئيس رُوزفلت.

ليندون جُونسُون Lyndon Baines Johnson (1963 ـ 1969):

كان ليندون جُونسُون يشغل منصب نائب الرّئيس في عهد جُون كينيدي. وبعد اغتيال كينيدي؛ تولّى منصب الرّئاسة بمُوجب الدُّستُور، وباشر مهامه مُنذُ 22/ 11/ 1963، وحتّى 20/ 1/ 1969، أيْ خمس سنوات وتسعة وخمسين يوماً، ونَجَحَ حزبه الدّيمُقراطي أنْ يُؤمّن نجاحه في الانتخابات الرّئاسيّة التي جرَتْ عام 1965، أمام مُنافسه الجُمهُوري باري غُولد ووتر Barry Moris Goldwater، وفاز في تلك الانتخابات فوزاً ساحقاً على خصمه الجُمهُوري؛

حيثُ نال جُونسُون 34. 90٪ من الأصوات الانتخابيَّة، بينما حصل غُولدووتـر علـى 66. 9٪ منها فقط.

لقد كان الرّئيس جُونسُون مثـل سَلَفه وثيق الصّلـة مـع اليـهُود، وكـان مُتعاطفـاً معـهم؛ لدرجة كبيرة، حتّى إنَّه كان يُطلَق عليه الرّئيس الأكثر قُرباً من اليهُود في عصـره. ومـا إنْ باشـر مهامَّ الرّئاسة حتّى أعلن بياناً يذكر فيه تأييده ودَعْمه للدَّولة اليهُوديَّة، وقال فيه: "لقـد خسـرتُم صديقاً عظيمـاً (جُـون كينيـدي)، ولكـنْ؛ وجدتُـم واحـداً أفضـل منـه". وعلَّـق إيزايـاه كينـين Isaiah L. Kenen أكثر النّاشطين في اللُّوبي اليهُودي في واشنطن على هذا القـول: "أسـتطيع أنْ أقول إنَّ كُلَّ شيء فَعَلَهُ كَرَئيس يدعم تلك المقولة".

وبالفعل؛ فقـد كـان موقـف الرّئيـس جُونسُـون يدعـو إلـى الدّهشـة، عندمـا تبلَّـغ البيـت الأبيض نبأ ضَرْب الطّائرات الإسرائيليَّة سفينة التَّجسُّـس ليبرتي، عـن سـابق إصـرار وتصميـم على إغراقها وتدميرها بمَنْ فيها. ففي الثّامن من حُزيران / يُونيُو/ 1967، وبعد أنْ أعلـن رئيـس الأركان الإسرائيلي إسحاق رابين تدمير قُـوَّات الجيـش المصـري، قـامت الطّـائرات الإسـرائيليَّة بعدَّة طَلَعَات فوق الباخرة ليبرتي، والتي ترفع العلم الأميركي، والتي لا تملك الوسائل الفعَّالـة للدّفاع عن نفسها في أيَّة معركـة تُثار ضدَّهـا جويَّـة كـانت أو بحْريَّـة. وبعـد عـدَّة سـاعات مـن طَلَعَات الطّائرات الإسرائيليَّة قام سربان من طائرات الميراج والمستير الإسرائيليَّة بضَرْب البـاخرة بالصَّواريخ، والمدافع الرَّشَّاشة، وقنابل النّابالم، وكانت نتيجة هذا الهُجُوم المُتعمَّد على سفينة حليفة مقتل 34 بحَّاراً، وإصابة 171 بحَّاراً أميركيّاً بجُرُوح بالغة. وبعد أنْ تمَّ تحقيق الـهَدَف مـن الغارة الإسرائيليَّة وتبـاطُؤ سُفُن الأُسـطُول السّـادس فـي عمليَّـة الإنقـاذ؛ لتـأخُّر وُرُود الأوامـر للمُباشرة بعمليَّة الإنقاذ مـن البيـت الأبيـض، سـارعت الحُكُومـة الإسـرائيليَّة بتقديـم اعتذارهـا للولايات المُتَّحدة، مُدَّعية أنَّ سلاح الجوِّ الإسرائيلي ضَرَبَ السّفينة الأميركيَّة بالخطأ، علماً بأنَّ تقارير البحْريَّة الأميركيَّة أشارت إلى أنَّ السّفينة كـانت تحـت المُراقبـة الإسـرائيليَّة لمُدَّة 24 ساعة قبل الهُجُوم عليها، وأنَّ إسرائيل طَلَبَتْ من الولايـات المُتَّحـدة إبعـاد السّـفينة عـن المنطقـة التـي كانت فيها، ممَّا يعني أنَّ إسرائيل كـانت تعلـم تمامـاً هُويَّـة السّـفينة التـي اسـتهدفتْهَا، ومُقاتلاتـها تعرف جنسيَّتها من العَلَم الذي يُرفرف على سطحها. وبالفعل؛ فقـد طَلَبَتْ القيـادة الأميركيَّـة

من قائد السّفينة الابتعاد إلى عرض البحر، ولكنْ؛ للأسف، لم يصل هذا الأمر إلاّ بعد الهُجُوم على السّفينة، الأمر الذي أثار ضجّةً كبيرة في الصّحافة الأميركيّة - النّيُو يُورك تايمز، والواشنطن ستار. لقد أثبتت التّحقيقات التي جَرَتْ حول الحادث وكُشف عنها النّقاب بعد عدّة سنوات، والتي نَشَرَهَا الضّابط الكُولُونيل جيمس إينيز James M. Ennes في كتابه " العُدوان على ليبرتي " أنّ دافع إسرائيل في الهُجُوم على ليبرتي كان لتدمير السّفينة التي خشي الإسرائيليُّون أنْ تكون أجهزتها قد سجّلت المُخطّط الذي أعدّتْهُ إسرائيل لاحتلال مُرتفعات الجولان السُّوريّة، بالرّغم من توقيعها اتّفاقاً بوَقْف النّار مع الجانب العَرَبي. ولكنّ المُهمّ هُنا هُو موقف الرّئيس جُونسُون. لقد قبل جُونسُون الاعتذارَ الإسرائيلي، وعدّ الحادث كأنّه خطأ ارتكبتْهُ البحْريّة الإسرائيليّة، وليس جريمة عُدوانيّة أعدّتْهَا القيادة العسكريّة الإسرائيليّة.

كانت إدارة جُونسُون تحوي أكبر عدد من اليهُود المُعادين للعَرَب، ولم يكن في تاريخ الولايات المُتّحدة إدارة مُنحازة في تلك الفترة ومُعادية للعَرَب مثل تلك الإدارة. وعندما تسرّبت للولايات المُتّحدة أنباء الخُطّة العسكريّة التي قدّمتْهَا سُوريا لمُؤتمر القمّة للدُّول العَرَبيّة الذي عُقد في الدّار البيضاء في أيلول / سبتمبر / 1965، للقيام بحملة عسكريّة عَرَبيّة شاملة ضدّ إسرائيل، سارعت إدارة جُونسُون بتقديم مُساعدات عسكريّة هائلة للدّولة الإسرائيليّة، وزوّدتْهَا بمعدّات عسكريّة مُتطوّرة لمُواجهة هذا الهُجُوم المُحتمل، والذي مايزال - حينها - قَيْدَ البحث.

ويُشير الأُستاذ مُحمّد حسنين هيكل في كتابه" كلام في السّياسة "في الصّفحة 334 - 338 إلى هذه الحادثة (تسريب الخُطّة السُّوريّة) إلى أنّ أصابع الاتّهام في هذه القضيّة تتّجه إلى أنّ طَرَفاً عَرَبياً هُو الذي نَقَلَ تفاصيل هذه الخُطّة إلى الجانب الأميركي، ونفس هذا الطّرف ساعد على وُصُولها إلى إسرائيل، فيقول:

"بعد قرابة سنة من اجتماع الدّار البيضاء، جرى لقاء بين الرّئيس عبد النّاصر وجُوزيف بروز تيتو، وفُوجئ عبد النّاصر بأنّ صديقه اليُوغسلافي يقول له بالحَرْف: هل صحيح أنّكم وضعتُمْ خُطّة عسكريّة للقضاء على إسرائيل حين انعقاد مُؤتمر القمّة في الدّار البيضاء في العام

الماضي؟" ثُمَّ يُواصل تيتو حديثه مع عبد النّاصر قائلاً: مُنذُ عدَّة شُهُور ألحَّ غُولدمان "ناحوم غُولدمان رئيس الوكالة اليهُوديَّة أيَّامها" عليَّ بمُقابلة معي، ولم أستجب لطلبه، مُتصوّراً أنّه يُريد أنْ يُسمعني واحداً من "مُونُولُوجاته الشّهيرة" عن السّلام، طالباً وساطتي معكَ، كما فعل مرَّات من قبلُ، ولكنَّ غُولدمان بَعَثَ إليَّ يقول إنَّ لديه مُوضُوعاً عاجلاً من الضّروري اطّلاعي عليه، وهُو مُوضُوع جديد تماماً. وحدَّدتُ له موعداً، وقابلتُهُ بالفعل قبل عشرة أيَّام في دُوبرُوفنيك. وعندما لقيتُهُ، فإنَّه لم ينتظر حتَّى المُجاملات التّقليديَّة، إنَّما بدأ - على الفور - بما يشغله قائلاً لي: إنَّ رُؤساء الدُّول العَرَبيَّة الذين اجتمعوا في الدّار البيضاء وَضَعُوا خُطَّة للقضاء على إسرائيل. وإنَّ هذه الخُطَّة وَصَلَتْ من ثلاثة مصادر إلى إسرائيل. وقد دعاني رئيس الوُزراء ليفي أشكول - بطريقة عاجلة - إلى مُقابلته في القُدْس، وأَطْلَعَني على هذه الخُطَّة، وقال لي: إذا كُنتَ تتصوَّر أنَّنا فَبْركْنَاها لإقناعكَ بما نقول، فلكَ أنْ تسأل أصدقاءكَ في البيت الأبيض، أو وكالة المُخابرات المركزيَّة في واشنطن، فقد وَصَلَتْ إليهم الخُطَّة كما وَصَلَتْ إلينا. وقد اطَّلع عليها الرّئيس جُونسُون بنفسه، وقرَّر - بعدها - زيادة المُساعدات العسكريَّة لإسرائيل بطريقة تخطَّت كُلَّ الحُدُود التي عرفناها من قبلُ".

واستطرد تيتُو قائلاً: إنَّ غُولدمان قال لي - بعد ذلك - إنَّ رئيس وُزراء إسرائيل أخبره بأنَّه الآن لا يستطيع أنْ يقبل أنصاف حُلُول. فإسرائيل في خَطَر لم يتعرَّض له اليهُود مُنذُ أيَّام هتلر والهُولُوكُوست. وبالعكس؛ فإنَّ الخَطَر هذه المرَّة أفدح، فاليهُود الذين اختفوا تحت الحُكْم النّازي كانوا في المنفى. وأمَّا الآن؛ فإنَّ 5 . 2 مليون يهُودي مُعرَّضون للإبادة في عُقْر وطنهم، بعد أنْ استطاعوا تحقيق حُلم إنشاء الدَّولة.

وكان طَلَبُ أشكول - بعد ذلك - من غُولدمان أنَّه يُريد من الحَرَكَة اليهُوديَّة أنْ تُدبِّر له مبلغاً كبيراً من المال لاستكمال احتياجات إسرائيل من السّلاح، فهي لا تُريد أنْ تعتمد - فقط - على المصادر الأميركيَّة للسّلاح، رغم كرمها؛ لأنَّ اعتماد إسرائيل بالكامل على السّلاح الأميركي وحده من شأنه أنْ يُعطي واشنطن نوعاً من حقِّ الاعتراض - الفيتُو - على تحقيق أيَّة أهداف إسرائيليَّة لا تُريدها الولايات المُتَّحدة، وتُريدها إسرائيل.

وواصل الرّئيس تيتُو حديثه، فقال: عندما سمعتُ هذا الكلام من غُولدمان كان تعليقي عليه أنّني لا أُصدّق. وعلى فَرَض أنَّ العَرَب لديهم مثل هذه النَّوايا، فلستُ أظنُّ أنَّهم يضعونها على ورق، وحتَّى إذا وضعوها على ورق، فإنَّهم سوف يحتاطون، لكي لا تصل إلى إسرائيل، وإلى الولايات المُتَّحدة، أخبارهم من ثلاثة مصادر، أو أربعة. وردَّ على غُولدمان بأنَّ ذلك كان انطباعه الأوَّل وهُو يسمع أشكول، ولكنْ؛ بعد أنْ رأى الأوراق، وتأكَّد أنَّ البيت الأبيض والمُخابرات المركزيَّة لديهما علم بحقيقة المَوْضُوع، فإنَّه كان مُضطراً أنْ يُصدِّق.

ويستطرد حسنين هيكل قائلاً: إنَّ جمال عبد النّاصر الذي فُوجئ بما سمع من تيتو استطاع على الفور أنْ يُدرك مدى صحَّة المعلومات التي وَصَلَتْ إلى إسرائيل، وقد قدَّر خُطُورتها. ومن الغريب أنَّ شُكُوكه - وقتها - اتَّجهت إلى الجنرال مُحمَّد أُوفقير، ولم يرد على باله - ولا حتَّى كَهَاجس أو كَابوس - أنَّ المُشكلة فوق أُوفقير، وأعلى منه. ورأى جمال عبد النّاصر أنْ يُصارح الملك الحَسَن أثناء مُؤتمر القمَّة العَرَبي في الرّباط عام 1969، بأنَّ هُناك أخباراً تتسرَّب من المغرب إلى إسرائيل. والأكثر في المُفارقة أنَّ جمال عبد النّاصر أفضى إلى الملك الحَسَن بشُكُوكه في وزيره القوي مُحمَّد أُوفقير. وربَّما إنَّه - الآن، فقط - يُمكن لأيِّ مُتابع مُهتمٍّ بالشّأن العَرَبي أنْ يسمح لنفسه بالتّساؤل على الأقلِّ عن أسباب الحرص الزّائد للملك الحَسَن على استضافة أكبر عدد من مُؤتمرات القمَّة العَرَبيَّة والإسلاميَّة التي تتعرَّض مُناقشاتها - بالضّرورة - للصّراع العَرَبي - الإسرائيلي في ذلك الوقت. ثُمَّ يُلحق ما يُقال الآن صراحة وعلى لسان أكبر المسؤولين وأكثر المُعلِّقين في إسرائيل أنَّ جهاز المُوساد كانت لديه في قاعات اجتماع القمَم العَرَبيَّة والإسلاميَّة وسائل تنصُّت واستماع؛ أيْ إنَّ جهاز المُوساد كان طَرَفاً حاضراً في هذه الاجتماعات.

وعلى سبيل الحَصْر؛ فإنَّ الملك الحَسَن استضاف سبعة مُؤتمرات قمَّة عَرَبيَّة، وهذا عدد قياسي من المُؤتمرات لم تستطع دولة عَرَبيَّة أنْ تتحمَّل تكاليفه أو مسؤوليَّاته:

1 - الدّار البيضاء / أيلول / سبتمبر / 1965.

2 ـ الرّباط/ كانون الأوّل / ديسمبر/ 1969 .

3 ـ الرّباط/ تشرين الأوّل/ أكتوبر/ 1974 .

4 ـ فاس/ تشرين الثّاني/ نُوفمبر/ 1981 .

5 ـ فاس / أيلول / سبتمبر/ 1982 .

6 ـ الدّار البيضاء / آب / أغسطس/ 1985 .

7 ـ الدّار البيضاء/ أيّار / مايو/ 1989 .

لقد كان النّاس يذكرون ترومان بأنّه صديق حميم لإسرائيل ، ولكنَّ الحقيقة أن ترومان يهمُّه مصير الانتخابات أكثر ممّا يهمُّه مصير إسرائيل ، ولكنْ؛ بعد أنْ ربح المعركة الانتخابيّة ، وفاز بالانتخابات عام 1948 ، بمُساعدة الأصوات اليهُوديَّة بدا وكأنَّه غير مُهتمٍّ بالدَّولة اليهُوديَّة . أمَّا الرّئيس جُونسُون؛ فكان همُّه وشغله الشّاغل ضمان أمن إسرائيل .

لقد كانت إدارة جُونسُون تحوي كثيراً من اليهُود العاملين في الحُكُومة والبيت الأبيض ، ولكنْ؛ إضافة إلى هذا الكَمِّ الهائل من اليهُود ، فإنَّ جُونسُون أضاف إلى إدارته عدداً كبيراً من المُستشارين اليهُود؛ مثل آرثر غُولدبرغ ، هاري ماكفيرسُون ، جُون رُوش ، الأُخوة رُوستُو (والت واوجين)، وين واتنبرغ ، وغيرهم . .

ريتشارد نيكسون Richard Milhous Nixon (1969 ـ 1974):

يُعدُّ الرّئيس ريتشارد نيكسون من أبرز الرُّؤساء الأميركيِّين الذين تولّوا وَضْعَ الدّراسات الاستراتيجيَّة الهامَّة لُمستقبل الولايات المُتَّحدة ، والسِّياسة التي ينبغي أنْ تتَّبعها في علاقاتها مع دُول العالم . لقد قاد نيكسون حملة إنهاء الصّراع مع فيتنام ، وتمكَّن من إنقاذ الولايات المُتَّحدة من المُستنقع الفيتنامي ، كما أثمرت زيارته للصّين على قيام تعاون مُثمر بين البلدَيْن ، ووقَّع مع الاتّحاد السُّوفييتي مُعاهدة الحَدِّ من إنتاج الصَّواريخ المُضادَّة للصَّواريخ البالستيَّة ، وشهد مع مُواطنيه نُزُول الأميركي نيل أرمسترونج Neil A. Armstrong أوَّل رجل على سطح القمر .

لقد كان نيكسون ـ مُنذُ بداية فترة رئاسته ـ عُرضة لهُجُوم شرس من قِبَل الصّحافة اليهُوديَّة وأنصارها في الولايات المُتَّحدة. وكانت التُّهمة المُوجَّهة إليه أنَّه يحمل في طيَّاته شعُوراً مُعادياً للسّاميَّة. وهذه التُّهمة هي الصِّيغة الجاهزة دوماً لدى المُنظَّمات اليهُوديَّة في هُجُومها على كُلّ مَنْ لا يُقدِّم فُرُوض الطّاعة لإسرائيل، والدَّعْم الكامل لمُخطَّطاتها العُدوانيَّة، وسياساتها المُنحرفة، ومواقفها التي كثيراً ما كانت تُمثِّل تحدِّياً للإرادة الدُّوليَّة. وهذا ما لقيه نيكسون من إسرائيل ومُناصريها في واشنطن. فرغم أنَّ الفضل الكبير يعود له في إنقاذ إسرائيل من هزيمة نكراء ومُحتَّمة ومصير أسود يتوعَّدها، وذلك إثر الهُجُوم المصري والسُّوري الذي قامت به قُوَّات هذَيْن البلدَيْن في السّادس من تشرين الأوَّل / أُكتُوبر / من عام 1973، حين اقتحمت القُوَّات المصريَّة خطَّ بارليف، وتوغَّلت في سيناء، واقتحمت القُوَّات السُّوريَّة هضبة الجولان، وتقدَّمت في الأراضي الفلسطينيَّة المُحتلَّة. في هذا الوقت الحرج؛ تدخَّلت الولايات المُتَّحدة، وأمر نيكسون بمَدِّ جسر جوِّيٍّ لنَقْل أكبر وأحدث المعدَّات العسكريَّة المخزونة في أورُوبا إلى إسرائيل، وتزويد هذه الدَّولة بالأسلحة المُتطوِّرة، التي تكفل لها إيقاف هذا الهُجُوم المصري ـ السُّوري، وَوَضَعَتْ أميركا كُلَّ ثقلها الدِّيبلوماسي لنصرة إسرائيل في هذه المعركة المصيريَّة.

في تلك الفترة؛ كان نيكسون الصّديق الحميم بالنّسبة للإسرائيليِّين، الذين كانوا يُردِّدُون عبارات الإعجاب به، وخاصَّة في صفُوف حزب العُمَّال، الذي كان بعض أعضائه مُشتركين في الحكُومة الإسرائيليَّة برئاسة غُولدا مائير. ولكنَّ الأمر الذي سوَّد صفحة نيكسون لدى اليهُود هُو الأفكار التي تصوَّر أنَّها الحلُّ الأمثل والعادل للطَّرَفَيْن العَرَبي والإسرائيلي لحلّ الصّراع الطَّويل بينهما. وكأيِّ حلٍّ مُقترَح لحلِّ القضيَّة الفلسطينيَّة لا يحمل في طيَّاته التَّحيُّز الكامل للباطل الإسرائيلي هُو بالمنظار اليهُودي حلٌّ جائر يجب إخماده، والتّشهير بصاحبه. وهكذا سارت الأُمُور مع نيكسون، عندما أعلن وزير خارجيَّته وليم رُوجرز خُطَّة للسّلام في الشّرق الأوسط لإنهاء الصّراع العَرَبي ـ الإسرائيلي. ولم تنلْ أفكار نيكسون مُوافقة اللُّوبي اليهُودي، فيطلب اللُّوبي من غُولدا مائير مُهاجمة هذا المشروع، ويُؤيِّد مُؤتمر المُنظَّمات اليهُوديَّة الأميركيَّة هذا الموقف. ويبدأ الهُجُوم اليهُودي على نيكسون، وتُثار أمامه تُهمة مُعاداة

السّاميَّة، ويتسقَّط اللُّوبي اليهُودي بعض العبارات التي وَصَفَ بها نيكسون إحدى الشّخصيَّات العاملة في إدارته بأنَّه يهُودي. ورغم أنَّ نيكسون قد استعان باليهُودي هنري كيسينجر كَوَزير للخارجيَّة، الذي تولَّى الوزارة بعد استقالة رُوجرز في 3/ 9/ 1973، وقدَّم لإسرائيل كُلَّ المُساعدات والدَّعْم اللاَّمُتناهي، إلاَّ أنَّ نيكسون بقي مكروهاً في المُجتمع اليهُودي، وبقيت صفة "ضدَّ السّاميَّة" مُلصَقَةً به.

ثُمَّ تأتي فضيحة ووترغيت؛ لتضع نهاية سريعة للحياة السِّياسيَّة لأبرع رئيس أميركي تولَّى وَضْعَ استراتيجيَّة طويلة الأمد، أثبتت الأحداث بُعْدَ نَظَر واضعها، وعُمق التّفكير السِّياسي الذي يتمتَّع به. فالعلاقة الأميركيَّة ـ الصِّينيَّة، والعلاقات مع الاتِّحاد السُّوفييتي، كانت من أبرز نقاط هذه الاستراتيجيَّة، التي حقَّقت للولايات المُتَّحدة آفاقاً واسعة من المنافع.

كان نيكسون يتمنَّى أنْ تقبل مصر وإسرائيل مشروع رُوجرز، الذي رَفَضَتْهُ إسرائيل رَفْضاً باتّاً، لما يتضمَّن من مبدأ الانسحاب الكامل من الأراضي المُحتلَّة بعد عام 1967، مُقابل اتِّفاقيَّة سلام، ويضع خُطُوطاً عامَّة لتسويَّة سلْميَّة للقضيَّة الفلسطينيَّة من خلال الحلّ النّهائي مع الأُردن، على أنْ تتمَّ المُفاوضات في رُودس، عبر وسيط دولي، وليس من خلال الحوار المُباشر بين الطَّرَفَيْن. وكذلك رَفَضَتْ مصرُ المشروعَ؛ لأنَّها رأت فيه اتِّجاهاً لحلٍّ مُنفرد معها، والرّغبة في إبقاء الجبهات الأُخرى (السُّوريَّة والأُردنيَّة) بمعزل عن هذا الحلّ. وساعد على هذا الاتِّجاه قبول الاتّحاد السُّوفييتي اقتراح جمال عبد النّاصر بدَعْم مصر عسكريّاً، وذلك بإرسال قُوَّات سُوفييتيَّة لحماية العُمق الاستراتيجي لأجوائها.

وعندما تأكَّد لرُوجرز استحالة قبول مشروعه، تقدَّم بمُبادرته التي عُرِفَتْ باسم مُبادرة رُوجرز. وتختلف هذه المُبادرة عن المشروع بأنَّها تُقدِّم أفكاراً عامَّة لتسويَّة شاملة يتمُّ الاتِّفاق عليها تحت مظلَّة الأُمم المُتَّحدة؛ إطارها الانسحاب من أراضٍ عَرَبيَّة، وليس من الأراضي العَرَبيَّة. وقبلت مصر وإسرائيل المُبادرة بعد تردُّد، صاحبه مُؤثِّرات سياسيَّة مُتعدِّدة لدى الجانبَيْن العَرَبي والإسرائيلي، وخاصَّة أنَّ إسرائيل رَفَضَتْ المُبادرة فوراً، وبعصبيَّة زائدة، دَفَعَتْ سفيرها لدى واشنطن إسحاق رابين أنْ يُؤخِّر تسليم رَفْض حكُومته إلى وزارة الخارجيَّة

الأميركيَّة مُدَّة 24 ساعة، علَّ غُولدا مائير - رئيسة الوُزراء - أنْ تُغيِّر رأيها. وبعد أنْ استقال وليم رُوجرز من منصبه، تولَّى هنري كيسينجر ملفَّ الصّراع العَرَبي - الإسرائيلي، وتمكَّن من إقناع أنور السّادات بقبول الاشتراك بمُؤتمر جنيف، الذي خطَّط له، وأدار أُمُوره، وأشرف بنفسه على مُجرياته. وتحقَّق لكيسينجر ما كانت تحلم به إسرائيل. فقد تمكَّن من فَتْح أكبر ثغرة في جدار الرَّفْض العَرَبي لإجراء مُحادثات مُباشرة وعَلَنيَّة بين العَرَب وإسرائيل. وتمَّ افتتاح المُؤتمر دُون أيَّة شرُوط مُسبقة، أو تعهُّد إسرائيلي بالانسحاب من الأراضي المُحتلَّة بعد عام 1967، ذلك الشّرط الذي كانت تُصرُّ عليه سُوريَّة، والتي - بدورها - رَفَضَتْ حُضُور المُؤتمر؛ لأنَّها كانت تُدرك - تماماً - أنَّ المُؤتمر لن يكون سوى مطلباً أميركيّاً لتحقيق رغبة إسرائيليَّة، هدفها تمزيق الصَّفِّ العَرَبي. وبالفعل؛ فقد استطاع كيسينجر من إقصاء الأُمم المُتَّحدة عن القيام بأيِّ دور في الإشراف على أعمال المُؤتمر، وأبعد - في الوقت نفسه - الاتِّحاد السُّوفييتي وأُورُوبا الغربيَّة عن أيَّة مهمَّة تتعلَّق بالمُؤتمر. وكما أراد كيسينجر - بالاتِّفاق مع مصر وإسرائيل - بقيت هذه الأطراف بعيدة عن القيام بأيِّ دور خلال المُحادثات، التي أراد أنْ تجري بين الأطراف المُتنازعة مُباشرة. وتجدر الإشارة هُنا إلى أنَّ الولايات المُتَّحدة كانت - وماتزال - ترغب في إقصاء أُورُوبا عن العالم العَرَبي. وقد أفشلت عدَّة مُحاولات لإحلال صيغة مُتطوِّرة من التّعاون الأُورُوبي - العَرَبي، وقد نَجَحَتْ في إبعاد فكرة الشّرق أوسطيَّة التي انطلقت بعد اتِّفاق أُوسلُو؛ لأنَّها تربط منطقة الشّرق الأوسط برباط وثيق مع المجموعة الأُورُوبيَّة، وَنَجَحَتْ - أيضاً - في إبعاد أيِّ دور لأُورُوبا في النّزاع العَرَبي - الإسرائيلي. والمُحاولات الأميركيَّة للانفراد بقضايا الشّرق الأوسط ليست جديدة، أو طارئة، فمُنذُ الخمسينيَّات؛ تمكَّنت المُخابرات الأميركيَّة من إقناع شاه إيران بتحويل 40٪ من حصَّة بريطانيا من البترول الإيراني لصالح الشّركات الأميركيَّة. ولقد كان هَمُّ هنري كيسينجر خلال رحلاته المكُّوكيَّة عام 1973، أنْ يُثبت في أذهان الأُورُوبيِّين واليابانيِّين - على حَدٍّ سواء - ضرورة عدم التَّورُّط في الدِّيبلُوماسيَّة المُتعلِّقة بالشّرق الأوسط.

ولم تجر الأُمُور بالنّسبة لنيكسون كما كان يتمنَّى. فقد بَرَزَتْ فضيحة ووترغيت، وأثبتت التّحقيقات التي أجرتْهَا لجان الكونغرس أنَّ نيكسون أمر مكتب التّحقيقات الفيدرالي

بعرقلة التّحقيق في قضيَّة التَّجسُّس على أعمال الحزب الدِّيمُقراطي، التي تمَّت بمعرفته، وأُجبر نيكسون على تقديم استقالته بتاريخ 8/ 8/ 1974، وغادر البيت الأبيض في اليوم التّالي، ليدع موضُوع الشّرق الأوسط بين يدَيْ وزير خارجيَّته كيسينجر، الذي تمكَّن من فَرْض اتِّفاقيَّة لفَكِّ الارتباط بين القُوَّات المصريَّة والإسرائيليَّة، جَعَلَتْ الوفد العسكري المصري وهُو ينظر إلى بُنُودها يشعر بأقصى درجات الأسى والحُزن على ما تضمَّنَتْهُ من مهانة وإجحاف بحقِّ هؤلاء الأبطال، الذين حقَّقوا مُعجزة اختراق خطِّ بارليف، ورفعوا آيات الفخار على رأس الأُمَّة العَرَبيَّة.

جيرالد فورد Gerald Rudolf Ford (1974 ـ 1977):

يُعدُّ الرّئيس جيرالد فُورد ـ الرّئيس الثّامن والثّلاثين الذي شغل منصب الرّئاسة لفترة امتدَّت من 9/ 8/ 1974 وحتَّى 20/ 1/ 1977 ـ الوحيد بين رُؤساء الولايات المُتَّحدة الذي يشغل هذا المنصب، دُون أنْ يخوض معركة انتخابيَّة. فقد جاء إلى الحُكْم بترشيح من نيكسون، بعد أنْ استقال نائبه اسبيرو آغينيو من منصبه، إثر ثُبُوت قبوله رشوة ماليَّة من إحدى الشّركات.

لقد شغل جيرالد فُورد منصب رئيس جُمهُوريَّة الولايات المُتَّحدة حسب نُصُوص الدُّستُور الأميركي، التي تقضي بأنَّ نائب الرّئيس هُو الذي يشغل منصب الرّئاسة عند خُلُوِّ هذا المنصب من صاحبه، وذلك إثر استقالة الرّئيس نيكسون من منصبه، بسبب فضيحة ووترغيت.

وهكذا أصبح فُورد الجُمهُوري أوَّل نائب رئيس في تاريخ أميركا ينجح في احتلال أعلى منصب بسبب استقالة رئيس. وكانت باكورة أعماله تعيين عُمدة نيُو يُورك السّابق نيلسون رُوكفلر كنائب للرّئيس، وبعد أنْ وافق الكُونغرس على ذلك، أصبح رُوكفلر ـ أيضاً ـ أوَّل نائب لرئيس الولايات المُتَّحدة يحتلُّ هذا المنصب الرّسْمي، دُون أنْ يُضطَرَّ إلى دُخُول حلبة الانتخابات. أمَّا أعضاء حُكُومة نيكسون؛ فقد استمرُّوا في شغل وظائفهم حتَّى مُنتصف عام 1976؛ حيثُ أجرى فُورد تعديلات في وزارته، ولكنَّه أبقى هنري كيسينجر وزيراً للخارجيَّة، وأيضاً؛ وزيرَيْ الزّراعة والخزانة في منصبَيْهما.

لقد كان فُورد يشعر أنَّ الرّئيس نيكسون قد ظُلم من قَبَل الصّحافة ورجال الإعلام، ولم ينلْ من الكُونغرس ما يستحقٌ من تقدير لخدماته القيِّمة لبلاده. وبمُنتهى كرم الأخلاق والإنسانيَّة أصدر أمراً بالعفو عن الرّئيس نيكسون من كُلِّ تبعات قضيَّة ووترغيت.

وقد قُوبل هذا الإجراء بانتقادات شديدة من قَبَل بعض أعضاء الكُونغرس والصّحافة، ولكنْ؛ كان جواب فُورد على هذه الاعتراضات أنَّه يأمل أنْ يُؤدِّي عمله الذي أقدم عليه إلى إنهاء إنشغال الأُمَّة بقضيَّة ووترغيت ومُساعدة الرّئيس السّابق على استعادة عافيته.

أمَّا بالنّسبة للصّراع العَرَبي الإسرائيلي؛ فقد سلَّم فُورد مهمَّة مُعالجة هذا الصّراع إلى وزير الخارجيَّة هنري كيسينجر. وعندما زارته عدَّة وُفُود عَرَبيَّة لتهنئته بمنصبه الجديد، والطّلب منه التَّدخُّل الفعَّال في مسار هذا الصّراع، كان موقف فُورد من هذه الرّغبة العَرَبيَّة مُناشدة الدُّول العَرَبيَّة بعدم التَّسرُّع للوُصُول إلى حَلٍّ لمُشكلة صراعهم مع إسرائيل، والطّلب منهم إعطاءه الفُرصة والوقت الكافي لمُعالجة هذا الموُضُوع.

لقد شعرت الوُفُود العَرَبيَّة أنَّ الجانب الأميركي الذي أعطى كامل ملفٍّ الصّراع العَرَبي - الإسرائيلي إلى هنري كيسينجر لا يُولي هذا الشّاغل العَرَبي الاهتمام الذي كانت ترجوه.

وعندما قابله أنور السّادات في سالزبُورغ في الأوَّل من حُزيران عام 1975، وشكا له تعنُّت الجانب الإسرائيلي في مُفاوضات فَكِّ الارتباط، أجاب الرّئيس فورد بأنَّه من الأنسب تقديم التّنازلات لإسرائيل لمُساعدة رابين على البقاء في الحُكْم، والحيلولة دُون مجيء اللّيكود في حالة سُقُوط رابين. وتأكَّد للسّادات نفس الشُّعُور الذي لمسته الوُفُود العَرَبيَّة، التي زارت الرّئيس الجديد للولايات المُتَّحدة جيرالد فُورد.

ويُمكن القول إنَّ إدارة الرّئيس فُورد لم تختلف في مُيُولها نحو إسرائيل عن الإدارات السّابقة، وبقيت مُحافظة في التّعامل معها على المُستوى الذي يرضى عنه اللُّوبي اليهُودي في واشنطن.

جيمي كارتر Jimmy Carter (1977 ـ 1981):

دَفَعَ انتخاب الدِّيمُقراطي حامل الماجستير في العُلُوم من الأكاديميَّة البحْريَّة الأميركيَّة جيمي كارتر، وفوزه على مُنافسه الجُمهُوري لرئاسة الولايات المُتَّحدة إلى السّير في طريق جديد لمُعالجة قضيَّة الصّراع العَرَبي ـ الإسرائيلي.

لقد كان الرّئيس كارتر الجُورجي المولد، والمَعْمَدَاني المذهب شديد الالتصاق بمسيحيَّته، ويحمل في أعماقه نظرة إنسانيَّة لما يجب أنْ تكون عليه العلاقات بين الدّيانات السّماويَّة. فهُو إضافة إلى عدم ارتباطه بأيَّة أفكار لمسيرة الدِّيبلُوماسيَّة الأميركيَّة في الشّرق الأوسط، سواء كانت هذه الدِّيبلُوماسيَّة تُعبِّر عن أفكار الدِّيمُقراطيِّين أو الجُمهُوريِّين، إلاَّ أنَّه كان يرجو في قرارة نفسه أنْ يسود السّلام في هذه المنطقة المُقدَّسة، ويُبيِّن رأيه في هذا؛ فيقول:

"بسبب علاقتي الوطيدة بإسرائيل، فإنَّني أشترك مع أكثر المَعْمَدَانيِّين الجنوبيِّين بأنْ تكون الأماكن المُقدَّسة التي نُبجِّلها محفوظة، وإمكانيَّة زيارتها مُتوفِّرة للمسيحيِّين، ونفس الشّيء بالنّسبة للدّيانات الأُخرى. إنَّ المُعتقَد اليهُودي ـ المسيحي الذي تضمَّنه الكتاب المُقدَّس، والذي يربط اليهُوديَّة بالمسيحيَّة هُو ـ دائماً ـ في قلبي ويُشكِّل جُزءاً من حياتي. وأنا أعتقد ـ بشدَّة ـ بأنَّ اليهُود الذين نجوا من أهوال الهُولُوكُوست يستحقُّون أنْ ينالوا وطناً لهم، وأنْ يكون لهم كامل الحقّ في أنْ يعيشوا بسلام مع بقيَّة جيرانهم. إنَّني أعتبر أنَّ هذا الوطن القومي لليهُود يتوافق مع تعاليم الإنجيل، ويتَّفق مع الإرادة الإلهيَّة. إنَّ هذه المبادئ الأخلاقيَّة والمُعتقَدات الدِّينيَّة جَعَلَتْ التزامي بأمن إسرائيل لا يتغيَّر.

إنَّ هذه الأفكار يُشاركني بها كثير من الأميركيِّين، وبما أنَّني أصبحتُ رئيساً للولايات المُتَّحدة، فإنَّه يلزمني أنْ تتوفَّر لدي نظرة أشمل لهذا المَوْضُوع. فلسلامة بلادي أتمنَّى أنْ تكون منطقة الشّرق الأوسط أكثر استقراراً وسلاماً، وأنا لا أُريد أنْ أرى النُّفُوذ السُّوفييتي ينتشر في هذه المنطقة. إنَّ إسرائيل بما تملكه من إمكانيَّات استراتيجيَّة فإنَّ الولايات المُتَّحدة تعتبر إسرائيل رُكناً هاماً في تحقيق أهداف أميركا. أنا لا أملك شُعُوراً قويّاً تجاه الدُّول العَرَبيَّة، ولم أقم بزيارة إلى أيٍّ منها، ولم أُقابل أحداً من قادتها".

ويتَّضح من أقوال الرّئيس كارتر مدى ارتباط هذا الرّئيس بإسرائيل، وأنَّ هذا الارتباط الذي يُغلِّفه المُعتقَد الدِّيني، الذي يُحاول الرّئيس كارتر تسليط الكثير من الأضواء عليه، قد أكَّده في عدَّة مُناسبات أبرزها: في آذار / مارس/ 1979، عندما وَقَفَ في الكنيست الإسرائيلي مُخاطباً أعضاء الكنيست قائلاً: "إنَّنا نتقاسم التَّوراة". وعندما استقبل مناحيم بيغن في البيت الأبيض أثناء مُحادثات كامب ديفيد خاطبه قائلاً: "إنَّ التزام الولايات المُتَّحدة المُطلَق بدَعْم إسرائيل ينطلق من التزام ديني". وعندما قابل البابا شنودة رئيس الكَنيسة القبطيَّة في مصر سأله: "أليس صحيحاً - يا صاحب القداسة - أنَّ اليهُود هُم شعب الله المُختار"؟

لقد كانت الأفكار العَرَبيَّة المطروحة لتحقيق السّلام بين العَرَب وإسرائيل، والتي تأتي تحت شعار الأرض مُقابل السّلام؛ أيْ الانسحاب من الأراضي العَرَبيَّة المُحتلَّة إلى حُدُود ما قبل الخامس من حُزيران 1967، كانت هذه الأفكار تلقى تجاوباً لدى الرّئيس كارتر، وقد أشبعها بحثاً مع أطراف النّزاع، وساقت الأقدار إلى كارتر الرّئيس أنور السّادات وإعلانه في 9/ 11/ 1977، أمام مجلس الشّعب المصري أنَّه ينوي زيارة إسرائيل، ومُقابلة أعدائه وجهاً لوجه، لبحث السّلام معهم. وتوالت الأحداث لتنتهي بكامب ديفيد، ويتمُّ توقيع اتِّفاقيَّة السّلام بين مصر - أنور السّادات وإسرائيل - مناحيم بيغن؛ بحُضُور العرَّاب الرّئيس كارتر. ويتحقَّق بذلك التَّوقيع الحُلم الذي كان يُراود مُخيّلة الرّئيس كارتر، ويسعى إلى تحقيقه، ليُشارك مع أنور السّادات ومناحيم بيغن جائزة نُوبل للسّلام، التي مُنحت لهم معاً في عام 1978.

رُونالد ريغان Ronald Wilson Reagan (1981 - 1989):

في الثّمانينيَّات؛ شهدت الولايات المُتَّحدة امتداداً ملحوظاً لليمين الأميركي، واتِّساعاً ملموساً لنُفُوذه، وأصبح رُونالد ريغان يُمثِّل اليمين الجديد، بعد أنْ قرَّر حزبه الجُمهُوري في مُؤتمره المُنعقد في ديترويت في تمُّوز/ يُوليُو/ 1980، ترشيحه للرّئاسة؛ ليُنافس المُرشَّح الدِّيمُقراطي جيمي كارتر، ويتغلَّب عليه بفارق كبير. فبينما حَصَلَ كارتر على 35.481.435 صوتاً؛ أيْ ما يُعادل 41.1٪ من مجموع الأصوات نال ريغان 43.899.248 صوتاً؛ أيْ ما

يُعادل 51٪ من مجموع الأصوات. وتكرَّر فوز ريغان في انتخابات الفترة الثّانية التي جَرَتْ عام 1985، أمام مُنافسه الدِّيمُقراطي والتر مُونديل Walter Mondale؛ ليفوز في هذه الدَّورة بفارق أكبر ممَّا ناله في انتخابات 1981، فبينما حَصَلَ مُونديل على 641 . 573 . 37 صوتاً، حَصَلَ ريغان على 603 . 450 . 54 صوتاً؛ أيْ ما يُعادل 59٪ من أصوات النّاخبين.

إنَّ الشّيء الذي يُثير الاهتمام في شخصيَّة رُونالد ريغان بالنّسبة لعلاقات الرّئيس مع إسرائيل واللُّوبي اليهُودي الأميركي المَوْضُوع الذي نحنُ بصدد إلقاء بعض الضَّوء عليه، هُو إيمان ريغان الشّديد بقَصَص التَّوراة ونُبُوءاتها. لقد أثارت هذه القَصَص اعتقاداً راسخاً لدى ريغان بأنَّ ما يجري الآن - في عهده - في الشّرق الأوسط ما هُو إلاَّ تحقيقاً لنُبُوءات التَّوراة، وخاصَّة ما جاء منها في سفْر حزقيال، والتي جاء في بعضها أنَّ جُيُوش إسرائيل سوف تنتصر على قوى الظّلام في معركة رهيبة، تنتهي بمجيء المسيح؛ ليحكم العالم ألف (1000) سنة سعيدة. وقد أُطلق على هذه المعركة اسم هرمجيديون، نسبة إلى سهل يقع بين الجليل والضّفّة الغربيَّة. لقد تولَّدت القناعة لدى ريغان البرُوتستانتي الأُسقفي بضرورة مُساعدة هؤلاء النّاس الذين يختارهم الله لتحقيق إرادته.

فعندما غزت إسرائيل لُبنان عام 1982، بارك ريغان هذا الغزو، وبَعَثَ برسالة إلى رئيس اللُّوبي الصّهيوني في الكُونغرس يُهنِّئه على هذا العمل، ويُذكِّره بأنَّ هذا الأمر وكأنَّه مُقدِّمة لمعركة هرمجيديون، التي تحدَّثت عنها التَّوراة. لقد كان ريغان مُتحمِّساً لإسرائيل، وكان يقول لضُيُوفه دائماً: إنَّنا ربَّما نكون الجيل الذي يُحقِّق هرمجيديون. وفي حديث أمام مجموعة من القادة اليهُود قال ريغان: إنَّ إسرائيل هي الدِّيمُقراطيَّة الثّانية الوحيدة التي يُمكن أنْ نعتمد عليها كَموقع لحُدُوث معركة هرمجيديون. إنَّ اعتقادات ريغان المُغالية بالإيمان بالأساطير والتَّنبُّؤات ذات الشّطحات الدِّينيَّة لم تكن حكْراً عليه فقط، بل كان العديد من المسيحيِّين يُشاطرونه بها، وعلى رأس هؤلاء يأتي وزير دفاعه غاسبار وينبرغر Gasper Winberger. ففي عهد ريغان؛ وقَّعت الولايات المُتّحدة عدَّة اتِّفاقيَّات للتّعاون الاستراتيجي مع الدَّولة العبريَّة، الأمر الذي سَمَحَ لإسرائيل بتحسين موقعها الاستراتيجي، ومكَّنها من القيام بالضّربة العسكريَّة للمُفاعل

الذَّرّي العراقي في حُزيران عـام 1981 . ومـن هـذا المُنطلـق يُمكـن أنْ نحكـم علـى إدارة ريغـان ومدى ارتباطها بإسرائيل واللُّوبي اليهُودي الأميركي .

جُورج بُوش الأب George Herbert Walker Bush (1989 ـ 1993):

في عام 1990 ، غزا صدَّام حُسَين الكُويت ، وبعد أنْ شعر بهَوْل ما أقدم عليه ، وأحسَّ بعُمْق الفخِّ ، الذي وَقَعَ فيه ، عَرَضَ علـى الولايات المُتَّحدة ـ التي كـان رئيسها آنـذاك جُورج بُوش ، الرّئيس السّابق لوكالة المُخابرات المركزيَّة في عهد الرّئيس ريغـان ـ الانسحاب مـن الكُويت ، مُقابل أنْ تنسحب إسرائيل مـن الأراضـي المُحتلَّة . إلاَّ أنَّ الرّئيس بُـوش رَفَضَ هـذا العرض ، وأصرَّ ليس ـ فقط ـ على الانسحاب بلا قَيْد ولا شـرط ، بـل وضَرْب وتدمير القُـوَّات العراقيَّة بكُلِّ الوسائل المُمكنة . في تلك الفترة ؛ وعدت الولايـات المُتَّحـدة الـدُّول العَرَبيَّة التي ساهمت قُوَّاتها بطَرْد القُوَّات العسكريَّة العراقيَّة من الكُويت بإحياء مشروع للتّسويَّة السِّلْميَّة بين العَرَب وإسرائيل ، وذلك علـى أسـاس مبـدأ الأرض مُقابل السّلام . وبعـد أنْ حقَّقَـت الحملة الدّوليَّة العسكريَّة التي قادتها الولايات المُتَّحدة ضدَّ العراق أهدافها ، وتحقَّق لأميركا مـا كـانت تسعى إليه فـي تلك المنطقـة ، وَفَرَضَـتْ حصارهـا الاقتصـادي الظّـالم علـى الشّعب العراقـي ، أطلقت ما وَعَدَتْ به ، وانعقد في عام 1991 ـ مُؤتمر في مدريد ، تلاه بعد عـامَيْن 1993 ، توقيـع اتِّفاق بين مُنظَّمة التّحرير وإسرائيل ، أثبتت السُّنُون العشر الأخيرة هَشَاشَة هذا الاتِّفاق ، وعـدم الرّغبة الأميركيَّة والإسرائيليَّة بتنفيذه .

لقد وَعَدَ جُورج بُوش الأب ـ أثناء حملة التّأييد المطلوبة لضَرْب العراق ـ أنْ تعمـل إدارتـه على إحياء عمليَّة السّلام بين العَرَب وإسرائيل ، وَوَعَدَ ـ أيضاً ـ أنْ تكون الولايـات المُتَّحـدة هـي الرّاعي الأوَّل ، يُساعدها الاتِّحاد السُّوفييتي الرّاعي الثّـاني لـهذه المسـيرة السِّـلْميَّة ، الـذي تبيَّن للجانب العَرَبي ـ بعد مُباحثات مُضْنية مع الجانب الإسرائيلي ـ عدم الجدوى من الاسـتمرار في هذه التّمثيليَّة ، التي لم يكن أبرز أهدافها إلاَّ كَسْب الوقت بالنّسبة لإسرائيل ، وإقامة أكـبر عـدد من المُستوطنات في الأراضي العَرَبيَّة المُحتلَّة ، تحت سَمْع وبَصَر المجموعة الدّوليَّة ، وعلى رأسها الولايات المُتَّحدة .

كانت إدارة الرّئيس بُوش حريصة على إبقاء مصالحها البتروليَّة بمنأى عن هـذه المُماطلة. لذلك؛ دأبت إدارته على الإعلان ـ بين حين وآخر ـ على تأييد المطـالب العَرَبيَّـة، دُون أنْ يصل هذا التّأييد إلى مُستوى الإجراء العملي، الذي يُعطي انطباعاً بصدْق هذا التّأييد.

إنَّ المظاهر الخادعة التي انطلت ـ وماتزال ـ على العَرَب كان لها دور فعَّال فـي إبقـاء حالـة اللاَّسلْم واللاَّحرب هي الحالة المرغوب إبقاؤها في منطقة الشّرق الأوسط. صحيح أنَّ ابتسـامة جيمس بيكـر ورحلاته المكُّوكيَّة إلـى دمشـق وعمَّـان والقـاهرة وتـل ّأبيـب كـانت تُوحـي بـأنَّ الولايات المُتَّحدة جادَّة في التَّوصُّل إلى حلٍّ ما، أو اتِّفاق ما، يُذيب حالة الجُمُود التي سيطرت على مسيرة السّلام والمُفاوضات التـي جَرَتْ مـن أجلـها، إلاَّ أنَّ الواقـع بقـي علـى حالـه، دُون حُدُوث أيِّ تبديل، ودُون الحُصُول على أيِّ تقدُّم. بل بالعكس، فقـد حرصـت إسـرائيل علـى إحراج الإدارة الأميركيَّة عندما لمست ميُولها الجادَّة لإبعاد إسرائيل عن التّحـالف الدّولـي الـذي أعدَّته الولايات المُتَّحدة لمُهاجمة العراق، فقدَّمت طلباً لاقتراض 10 بليون دُولار لتمويـل إنشـاء مُستوطنات جديدة لليهُود الوافدين من الاتِّحاد السُّوفييتي، وذلك مُباشـرة بعـد إجبـار القُـوَّات العراقيَّة على الانسحاب من الكُويت، وبدء الاستعداد لمُباحثات السّـلام بـين العَـرَب وإسـرائيل في مدريد. لقد شـعر بُـوش أنَّ الطَّلَـبَ الإسـرائيلي لتوطـين مليـون يـهُودي فـي الضّفَّـة الغربيَّـة بتمويل أميركي لن يخدم الأهداف التي ترجو الولايات المُتَّحدة تحقيقها، ولـن تُعـط إلاَّ انطباعـاً سيِّئاً لدى العَرَب عن صدْق نوايا أميركا وإسـرائيل معـاً. ولذلـك؛ فقـد طَلَـبَ مـن الكُونغـرس تأجيل البحث في هذا المَوْضُوع لمُدَّة أربعة أشهر، الأمر الذي أثار ثائرة اللُّوبـي اليـهُودي. وإزاء هذا الهُجُوم اليهُودي على بُوش من قبَل عدد كبير من المُنظَّمات اليهُوديَّة كـان لابُـدَّ للرّئيس أنْ ينتقد ـ علانيَّة ـ ذلك السُّلُوك اليهُودي، الذي يُريد أنْ يظهر وكأنَّه قُوَّة سياسيَّة مُطلَقة.

إلاَّ أنَّ عبارات الرّئيس بُوش فسَّرتْهَا الدَّوائر اليهُوديَّة بأنَّها أقوال تتَّصف بالعداء للسّاميَّة. وأصدر مالكولم هُوينلاين **Malcolm Hoenlein** المُديـر المسؤول عـن أبـرز المُنظَّمـات اليهُوديَّة بياناً، ندَّد فيه بما جاء في كلام الرّئيس بُوش، وَوَصَفَهُ بأنَّه اعتداء على الحقّ اليهُودي في الدّفاع عن حُقُوقهم كَمُواطنين. وفي النّهاية؛ نَجَحَ اللُّوبي اليـهُودي بـأنْ يتقـدَّم بُـوش بـالاعتذار عمَّـا

قاله، وتمَّتْ المُوافقة على القرض المطلوب، وَدَفَعَ بُوش - في آخر الأمر - ثمن موقفه عدم تصويت اليهُود له، وإعطاء أصواتهم لمُنافسه بيل كلينتون.

لقد كان جُورج شُولتز وزير الخارجيَّة الأميركي الذي خلف الجنرال الكسندر هيغ في هذا المنصب يعتقد أنَّ جُورج بُوش الأب - الذي كان يشغل منصب نائب الرَّئيس رُونالد ريغان - قد استوعب كُلَّ السِّياسة الأميركيَّة التي وضعتها إدارة الرَّئيس ريغان تجاه القضيَّة الفلسطينيَّة، وخاصَّة أنَّ شُولتز كان يُطلع بُوش على مُجريات كُلَّ هذه السِّياسة. وكان الرَّئيس بُوش يُدرك أنَّ أزمة الشَّرق الأوسط ستكون من أهمِّ القضايا التي ستُواجهه عند نجاحه في الانتخابات أمام مُنافسه الدِّيمُقراطي مايكل ستانلي دُوكاكيس. ولكنْ؛ يبدو أنَّ المصالح الشَّخصيَّة فرضت على الرَّئيس بُوش أنْ ينتهج سياسة بعيدة عمَّا كان يحلم به قبل أنْ يتسلَّم رئاسة الجُمهُوريَّة، وأنْ يبتعد ما أمكن عن إغضاب اللُّوبي الصَّهيوني ذي النُّفُوذ الكبير الذي يتمتَّع به؛ سواء في البيت الأبيض، أو في الكُونغرس.

بيل كلينتون William (Bill) Jefferson Clinton (1993 - 2001):

عندما ترشَّح ويليام جيفرسون (بيل)كلينتون لرئاسة الولايات المُتَّحدة عن الحزب الدِّيمُقراطي لخوض انتخابات الرِّئاسة ضدَّ المُرشَّح الجُمهُوري جُورج بُوش في نهاية عام 1992، كانت كُلُّ الدَّلائل تُشير إلى أنَّ نسبة نجاحه في الانتخابات ستكون أقلَّ بكثير من نسبة نجاح مُنافسه الجُمهُوري جُورج بُوش، وأنَّ كثيراً من المُراقبين السِّياسيِّين كانوا يعتقدون أنَّه من الصَّعب على أيِّ ديمُقراطي أنْ يزيح من الطَّريق المُرشَّح الجُمهُوري جُورج بُوش، حتَّى إنَّ بعض الدِّيمُقراطيِّين كانوا يتهيَّبون من موضوع التَّرشيح هذا. ولكنَّ بيل كلينتون تمكَّن من هزيمة خصمه الجُمهُوري؛ ليُصبح أوَّل رئيس أميركي يُولد بعد الحرب العالميَّة الثَّانية 1946، وأوَّل رئيس أميركي يتولَّى هذا المنصب بعد انتهاء الحرب الباردة، وليُصبح - أيضاً - الرَّئيس الدِّيمُقراطي الذي يجلس على كُرسي البيت الأبيض، بعد أنْ ظلَّ الجُمهُوريُّون يشغلون هذا الكُرسي، ويُسيطرون على أركان البيت الأبيض لُمدَّة اثنَيْ عشر عاماً مُتتالية (ريغان لفترتَيْن رئاسيتَّيْن 1981 - 1989، وبُوش لفترة رئاسيَّة واحدة 1989 - 1993). لقد حَصَلَ كلينتون على

370 صوتاً انتخابياً، مُقابل 168 صوتاً لبُوش؛ أيْ أنَّ النّسبة التي حقَّقها كلينتون من مجموع أصوات الولايات كانت تُمثِّل 2 . 43 ٪، بينما كانت النّسبة التي حَصَلَ عليها بُوش تُمثِّل 7 . 37 ٪ فقط. وعند إعادة انتخابه عام 1996، أصبح كلينتون الرّئيس الدِّيمُقراطي الوحيد الذي احتلَّ البيت الأبيض لفترَتَيْن رئاسيَّتَيْن مُتتاليتَيْن مُنذُ عهد الرّئيس فرانكلين رُوزفلت. وفي فترته الرّئاسيَّة الثّانية؛ استهل كلينتون حملته الانتخابيَّة بالإعلان على مُوافقته على نَقْل السِّفَارة الأميركيَّة من تلّ أبيب إلى القُدْس، وذلك استرضاء للُّوبي اليهُودي، واعترافاً رَسْمياً بالقُدْس عاصمة لإسرائيل. إنَّ هذا الموقف هُو نفس ما كان يدعو إليه مُنافسه المُرشَّح الجُمهُوري رُوبيرت دُول وزعيم الأكثريَّة الجُمهُوريَّة في الكُونغرس السِّيناتور جينجر ريتش. لقد كان كلينتون من المُتحمِّسين جداً لسياسة دَعْم إسرائيل، وكان يتمنَّى أنْ يحظى بشرف التَّوصُّل إلى حلّ للصّراع العَرَبي - الإسرائيلي، ولكنْ؛ للأسف، كانت هذه الأُمنيَّة تتبنَّى كُلَّ الخُطُوط العامَّة للسِّياسة الإسرائيليَّة، وتسعى إلى الحُصُول على أقصى ما يُمكن من التّنازلات من الجانب العَرَبي، لذلك؛ بقيت مُجرَّد أُمنيَّة بعيدة المنال.

شهدت فترة رئاسة كلينتون أحداثاً كثيرة داخليَّة وخارجيَّة، ولعبت شخصيَّة كلينتون المُثيرة للإعجاب دوراً هاماً في تلك الأحداث. ولعلَّ أبرز هذه الأحداث على السّاحة الدّاخليَّة هي قصَّة الفضائح التي تلقَّفتْهَا وسائل الإعلام الأميركيَّة، والتي تدور حول علاقات الرّئيس كلينتون بعدد من الفتيات اللّواتي عملنَ معه، سواء عندما كان حاكماً لولاية أركنساس، التي وُلد فيها، أو عندما أصبح رئيساً للولايات المُتَّحدة يقطن البيت الأبيض في واشنطن. وقد أخذت هذه الفضائح فترة طويلة من عهد الرّئيس تزيد عن السّنتَيْن، وأدَّت إلى شدّ أنظار المُشاهد الأميركي إلى شاشات التّلفزيون، يقضي صباحه ومساءه وراء الشّاشة الصّغيرة يُتابع أغرب قضيّ، وأكثر القَصَص إثارة في العصر الحديث، دُون أنْ ينتبه هذا المُشاهد البسيط إلى الأحداث الجانبيَّة التي رافقت عرض هذه المسرحيَّة، وتلك الحوارات التي تخلّلها ذلك العرض المُثير. لقد أدَّت إحالة موضُوع فضائح الرّئيس إلى المُدَّعي العامّ المُستقلّ كينيث ستار، الذي طَلَبَتْ منه وزيرة العدل جانيت رينو التّحقيق فيها، إلى وُقُوع حوادث مأساويَّة مرَّت وكُلّ اهتمام المُشاهد كان ينحصر أمام قضيَّة بُولا جُونز، التي اتَّهمت الرّئيس بالتَّحرُّش الجنسي

حينما كان حاكماً لولاية أركنساس، وليندا ثريب صديقة مُونيكا لوينسكي، التي نقلت إلى كينيث ستار قصَّة العلاقة الغراميَّة بين صديقتها مُونيكا والرّئيس كلينتون. إنَّ الأحداث الجانبيَّة التي رافقت قضيَّة الفضائح والتّحقيق فيها، والتي مرَّت دُون أنْ تُثير الاهتمام الواجب التَّوقُّف عنده هي حُدُوث 21 حالة وفاة لأشخاص لهم صلة مُباشرة في هذه القضيَّة، ومن حالات الوفاة تلك وُقُوع 8 حالات انتحار.

ولا شكَّ أنَّ استعراض مُلابسات وفاة أُولئكَ الأشخاص قد يخرج عن نطاق مَوضُوع كتابنا، وإنَّه لابُدَّ من العودة إلى تحليل مواقف الرّئيس كلينتون إزاء الصّراع العَرَبي - الإسرائيلي.

كان الرّئيس كلينتون خلال أزمته المُرهقة وخطيئته الأخلاقيَّة الفادحة يبدو هادئاً، لا تُفارق الابتسامة وجهه الصّبوح، ويُحاول جاهداً أنْ يبدو مُتماسكاً، وكأنَّ القضيَّة التي يُحاول خصمه اللّدود كينيث ستار أنْ يقضي عليه وعلى مُستقبله السِّياسي ليست بذات بال، لأنَّه واثق من الانتصار والفوز بثقة الشّعب الأميركي، الذي وقف مع رئيسه موقفاً يُثير الإعجاب والدّهشة معاً. فالإعجاب بالرّئيس مبعثه نجاح سياسته الدّاخليَّة، وتحقيق أكبر قدر من الرّفاه خلال عهده، والدّهشة هي أنَّه إذا كانت هُناك قناعة لدى البعض بضرورة تنحّي الرّئيس عن مقعده الرّئاسي، فإنَّ هذا التّنحي يُمكن أنْ يكون بعد انتهاء فترة رئاسته. ثُمَّ إنَّ موقف الزّوجة ذات الطُّمُوحات السِّياسيَّة الواسعة إزاء هذه القضيَّة، والتّأييد المُطلَق لزوجها زاد ثقة الرّئيس بنفسه، وزاد إيمانه بأنَّ المُدَّعي العامّ ستار ذي الوجه العبوس لن يتمكّن من تحقيق حُلمه وأُمنيّاته.

وأمام كُلّ هذه التّعقيدات في مسيرة الرّئيس كان لابُدَّ من البحث عن وسيلة للخُرُوج من المأزق الدّاخلي، وإيجاد ساحة أُخرى يتمكّن فيها الرّئيس من إبراز مواهبه، أو حتّى عرض بعض مهاراته، وتحقيق شيء من الدّعاية والنّشاط السِّياسي الخارجي. لقد كان أمل الرّئيس أنْ يحظى بموقف يُؤهّله نيل جائزة نُوبل للسّلام، تعويضاً عمّا لحقه من هزّات وتشويه سُمعة، كان لا يرغب مُطلَقاً أنْ ينالها. وهكذا بدا لكلينتون أنَّ الهُرُوب من الحصار الدّاخلي أنْ يكون إلى

الشّرق الأوسط؛ لتحقيق ما يُطلَق عليه السّلام المرغوب تحقيقه، وهُو يعلم أنَّ رحلته إلى هذه المنطقة لن تُجدي إلاَّ إذا اقتنعت إسرائيل بهَدَف الرّحلة، ولكنْ؛ لكي لا تبقى نتائج الرّحلة سلبيَّة، فهُو يأمر بتشديد الحصار على العراق، وزيادة الغارات عليه، بحُجَّة امتلاكه لأسلحة الدّمار الشّامل، رغم أنَّ كُلَّ الإدارات الأميركيَّة تعلم أنَّ هذه الأسلحة قد دُمِّرت تماماً، وأنَّ العراق لم يعد يملك أيَّ قَدْر منها.

ثُمَّ تتكرَّر مُحاولاته، ويدعو عرفات وباراك إلى كامب ديفيد، ويطلب من عرفات إسقاط حقّ العودة للاَّجئين، وعدم المُطالبة بالقُدْس الشّرقيَّة كَعاصمة لفلسطين، ويشتطُّ بطَلَبَات المزيد من التّنازلات، ثُمَّ يتجاهل المسار السُّوري، ويتجاهل طَلَبَ رَفْع العُقُوبات عن السُّودان وليبيا. ولكنَّ كُلَّ ذلك لا يمنع أنْ يدَّعي أنَّه يُدافع عن حُقُوق العَرَب والمُسلمين، وأنَّ ذلك الادِّعاء لا يحول دُون أنْ تكون مُعظم الشّخصيَّات الهامَّة في إدارته من اليهُود؛ بدءاً من مادلين أُولبرايت وزيرة الخارجيَّة، ووليم كُوهين وزير الدّفاع، وجُورج تينيت مُدير المُخابرات المركزيَّة، وصامويل بيرغر رئيس مجلس الأمن القومي، وحتَّى وسيطه بين إسرائيل والسُّلطة الفلسطينيَّة دينيس رُوس. ويبلغ مجموع هؤلاء اليهُود الذين يحتلُّون مناصب عالية في الطّاقم الإداري لحُكُومة الرّئيس كلينتون بأربع وستِّين عُضواً؛ منهم مَنْ يشغل منصباً وزاريَّاً كَوزير الزّراعة والخزانة والعمل، ومنهم مَنْ يشغل منصب المُستشار في مجلس الأمن القومي، ومنهم مَنْ يحتلُّ منصباً رفيعاً في البيت الأبيض.

وحرصاً من كلينتون على إعلان استمرار تأييده لإسرائيل؛ صرَّح في 3/ 8/ 2002، لوكالة الأسوشيتد برس الأميركيَّة " أنَّه على استعداد لحَمْل السّلاح للقتال دفاعاً عن إسرائيل إذا تعرَّضت لغزو من إيران أو العراق".

وأمام جماعة يهُوديَّة تتولَّى جَمْع المُساعدات لأطفال إسرائيل قال: " إنَّ الإسرائيليِّين يعرفون أنَّه إذا عبر الجيش العراقي أو الإيراني نهر الأُردن، فإنَّني سأحمل سلاحي، وأُقاتل حتَّى الموت دفاعاً عن إسرائيل". ويجدر الإشارة هُنا أنَّ كلينتون تهرَّب من المُشاركة في الحرب التي خاضتْهَا بلاده ضدَّ فييتنام.

جُورج بُوش الابن George W. Bush (2001 -):

في الخامس والعشرين من شهر نيسان / أبريل/ 2002 ، كان الرّئيس بُوش الابن يستعدُّ لاستقبال الأمير عبد الله ولي العهد السُّعُودي ؛ ليُناقش معه الأفكار التي تضمَّنتْهَا المُبادرة السُّعُوديَّة ، والتي أقرَّها مُؤتمر القمَّة المُنعقد في بيرُوت قبل شهر من موعد هذه الزِّيارة . لقد كانت أبرز بنُود المُبادرة اعتراف عَرَبي بإسرائيل ، وإقامة علاقات طبيعيَّة معها ، مُقابل انسحابها من الأراضي العَرَبيَّة المُحتلَّة بعد الخامس من حُزيران 1967 ، والقبول بإقامة الدَّولة الفلسطينيَّة . وبعد الاجتماع الذي دام ما يُقارب الخمس ساعات ، بدا واضحاً أنَّ الأمير عبد الله لم يكن راضياً عن تلك المُحادثات ، التي لمس فيها إصراراً أميركيّاً على تجاهل المُبادرة ، ورَفْض العرض السُّعُودي . ولذلك ؛ لم يكن من المُستغرب عدم إجابته على أسئلة الصُّحُفيّين ، ولم يكن من المُستغرب - في الوقت نفسه - ازدياد التَّعسُّف الإسرائيلي ، وارتفاع مُستوى العُنف الذي تُمارسه قُوَّات الاحتلال ضدَّ الشّعب الفلسطيني .

ولم تُجد زيارة الأمير عبد الله لكُلٍّ من الرّئيس بُوش ونائبه ديك تشيني في تغيير الموقف الأميركي في التّأييد اللاَّمُتناهي لإسرائيل ، والدَّعْم المُتزايد لتصرُّفاتها . وتأكّد للأمير عبد الله أنَّ المُثلَّث المُتشدِّد في البيت الأبيض ، والذي يُؤلِّف تشيني ورامسفيلد وكُوندا رايس أضلاعه ، ويقف على رأسه الرّئيس بُوش لن يتزحزح هذا المُثلَّث عن موقفه المُؤيِّد لإسرائيل ، ولن تصل إدارته إلى مُستوى إدارة أبيه التي كانت تعمل على إظهار عدم انحيازها للجانب الإسرائيلي . لقد كانت إسرائيل تعيش في قَلَق من جرَّاء مواقف جيمس بيكر وزير الخارجيَّة في عهد الرّئيس جُورج بُوش الأب . وبقدر ما كانت إدارة الرّئيس بُوش الأب غير مُنحازة - ظاهريّاً - لإسرائيل ، كانت إدارة بُوش الابن في غاية التّأييد لإسرائيل ، وفي مُنتهى الدَّعْم الأدبي والماديّ لها .

لقد كان الأمير عبد الله يستند في مُفاوضاته مع الرّئيس بُوش الابن على صلات الماضي الحميدة مع والده ، ووزير دفاعه آنذاك ديك تشيني ، ولكنْ ؛ يبدو أنَّ للابن تطلُّعات تختلف عن تطلُّعات والده ، وأنَّ موضُوع إعادة انتخابه لدورة ثانية تأخذ حيِّزاً كبيراً من اهتماماته .

لقد كان الرّئيس بُوش يعلم أنَّ أكثر من 75٪ من اليهُود صوَّتوا ضدَّه، وضدَّ نائبه ديك تشيني، ولصالح آل غُور ونائبه جُوزيف ليبرمان اليهُودي المُرشَّح لأوَّل مرَّة في تاريخ الولايات المُتَّحدة لمنصب نائب الرّئيس. ويعلم ـ أيضاً ـ أنَّ المُنظَّمات اليهُوديَّة تعدُّ إدارة أبيه هي الإدارة التي أظهرت أدنى درجات التّعاطف مع إسرائيل مُنذُ عهد الرّئيس دوايت أيزنهاور، وذلك بسبب علاقات الصّداقة والمصالح الماليَّة الواسعة للشّركات الأميركيَّة العاملة في الخليج العَرَبي والمملكة العَرَبيَّة السُّعُوديَّة، وخاصَّة شركات النّفط العملاقة التي تربطها مع دُول تلك المنطقة علاقات عمل وثيقة ومصالح اقتصاديَّة هائلة. والرّئيس بُوش الابن لا يُريد أنْ يدفع الثّمن الذي دَفَعَهُ والده، ويخسر أصوات اليهُود في الانتخابات القادمة، كما تمَّ مع والده أمام مُنافسه الدِّيمُقراطي بيل كلينتون، لذلك؛ فقد اتَّخذ سياسة واضحة في إبداء تأييده المُطلَق لإسرائيل، فوقف بجانبها في ديربان عند بحث موضُوع العُنصُريَّة والتّمييز العُنصُري خلال المُؤتمر الذي نظَّمَتْهُ هيئة الأُمم المُتَّحدة، وَرَفَضَتْ الولايات المُتَّحدة مشروع القرار الذي تبنَّتْهُ غالبيَّة الدُّول المُشتركة في المُؤتمر القاضي باعتبار الصّهيونيَّة حَرَكَة عُنصُريَّة، وتمكَّنت الولايات المُتَّحدة من تعطيل إصدار هذا القرار، وحالت دُون تبنِّيه وإقراره.

ثُمَّ تتابعت مواقف التّأييد لإسرائيل، بدءاً من تعطيل أيِّ مشروع قرار يتبنَّاه أعضاء مجلس الأمن لإدانة إسرائيل، أو التّنديد بسياستها اللاَّإنسانيَّة، التي ترتكبها ضدَّ السُّلطة الفلسطينيَّة والشّعب الفلسطيني، مُرُوراً بتبنِّي كُلِّ مواقف الحُكُومة الإسرائيليَّة التي يرأسها آرييل شارون، ووُصُولاً إلى وَصْف ياسر عرفات برجل الإرهاب، وأرييل شارون (صاحب مجازر صبرا وشاتيلا وحمَّامات الدّم في جنين ونابلس) برجل السّلام.

ومواقف الإدارة الأميركيَّة برئاسة بُوش الابن لم تقتصر على مُعارضة قرارات مجلس الأمن، بل امتدَّت إلى الاعتراض على قرار الجمعيَّة العامَّة للأُمم المُتَّحدة الذي اقتصر على طَلَب انسحاب القُوَّات الإسرائيليَّة من الأراضي الفلسطينيَّة التي اجتاحتْهَا بعد اندلاع الانتفاضة الأخيرة، والطَّلَب من إسرائيل وَقْف جميع الأعمال العسكريَّة التي تُمارسها في تلك المناطق.

إنَّ التَّودُّد إلى اللُّوبي اليهُودي، والتّأييد الدّائم للسِّياسة العُدوانيَّة التي تُمارسـها إسـرائيل بات من أبرز سمات السِّياسة الأميركيَّة في عهد الرّئيس بُوش الابن تجاه قضيَّة الشّرق الأوسط. فـاحترام الرّغبـات الجامحـة للزّعامـة اليمينيَّـة الإسـرائيليَّة أصبـح شـيئاً طبيعيّـاً بالنّسـبة للبيـت الأبيض. ونظرة سريعة على ما تحتويه إدارة الرّئيس بُوش مـن عنـاصر يهُوديَّـة تُثبـت أنَّ اللُّوبـي اليهُودي الأميركي قد توغَّـل فـي إدارة بُـوش الابـن إلـى مسـافات بعيـدة، جَعَـلَ بعـض اليـهُود الأميركيِّين يُبدون خشيتهم العَلَنيَّة من ازدياد النُّفُوذ اليهُودي في السِّياسة الأميركيَّة. وكما يقول الكاتب اليهُودي الشّهير ديفيد رُوزنبرغ David Rosenberg: إنَّ اللُّوبي اليهُودي الذي زرعتـه شخصيَّات بارعة وذكيَّة من داخل إسرائيل هُو - ظاهريّاً - يبدو كأنَّه صناعة أميركيَّة، ولكنْ - فـي الحقيقة - هُو صناعة عقُول ذكيَّة إسرائيليَّة يُدار من قبَل اليـهُود الإسـرائيليِّين، وبعيـداً كُـلّ البُعْـد عن اليهُود الأميركيِّين ومصالحهم الحقيقيَّة.

إنَّ نظرة سريعة إلى الوُجُوه في الإدارة الأميركيَّة نجد أنَّ مُعظمها وُجُوه يهُوديَّـة، ومُعظـم المناصب الحسَّاسة في الحكُومة والبيت الأبيض يشغلها يهُود، ومثال على ذلك:

- آري فليشر Ari Fleisher يشغل منصب النّاطق الرَّسْمي للحكُومة.

- ريتشـارد بـيرل Richard Perle أبـرز مُستشـار للرّئيـس للسِّياسـة الخارجيَّـة، ورئيـس مجلس الدّفاع في البنتاغون، ويُعدُّ العين السّاهرة لإسرائيل في الإدارة الأميركيَّة

- بُـول ولفوويـتز Paul Wolfowitz مُستشـار الرّئيـس للشُّؤُون اليهُوديَّـة، ونـائب وزيـر الدّفاع.

- دُوغلاس فيث Douglas Feith مُساعد نائب وزير الدّفـاع، ومُستشـار فـي البنتـاغون، ومن أشدّ المُناهضين للعَرَب.

- إيليـوت أبرامـز Elliot Abrams مُستشـار فـي مجلـس الأمـن القومـي، وأحـد أبـرز الشّخصيَّات التي لعبت دوراً في تزويد إيران بالأسلحة لمُحاربة العراق. تلـك الفضيحـة التي عُرِفَتْ - فيما بعد - باسم (إيران غيـت). كمـا لعـب دوراً فـي تزويـد ثـوار الكُونـترا بالأسلحة والخُبراء لمُحاربة حكُومة السّاندنيستا الدِّيمُقراطيَّة في نيكاراغوا.

- دُوف زيكهايم Dov Zekheim مُساعد وزير الدّفاع، وكان يعمل سابقاً مُستشاراً للشُّؤُون اليهُوديَّة في إدارة الرّئيس بُوش الأب.

- ريتشارد هاآس Richard Haass مُدير التّخطيط في وزارة الخارجيَّة، ومن أشدّ المُنادين بضَرْب العراق.

- هنري كيسينجر Henry Kissinger وزير الخارجيَّة في عهد الرّئيس نيكسون، وأشهر مُستشاري البنتاغون الذين زاملوا سياسة مجلس الدّفاع الأميركي، والذي يُشتهر ببصماته الكبيرة على الجرائم التي ارتكبتْهَا أميركا في جنوب شرقي آسيا - تشيلي - يُوغُوسلافيا، والمُنادي بضَرْب العراق، والذي يُطلق عليه أعداؤه بأنَّه شارون أميركا.

- جيمس شليزنجر James Schlesinger أحد مُستشاري وزارة الدّفاع، وعُضو في مجلس الدّفاع في البنتاغون.

- ميل سامبلر Mel Sembler مُدير بنك الاستيراد والتّصدير الأميركي.

- رُوبيرت ستاتلُوف Robert Statloff مُستشار في مجلس الأمن القومي.

- مارك غرُوسمان Marc Grossman مُساعد وزير الخارجيَّة للشُّؤُون السِّياسيَّة.

- رُوبيرت زويليك Robert Zoellick المُمثِّل التّجاري للولايات المُتَّحدة، ومن الذين عملوا في إدارة بُوش الأب، ويُعدُّ - أيضاً - من المُناصرين المُتعصِّبين لإسرائيل.

- جُوش بُولتن Josh Bolten رئيس هيئة مُوظَّفي البيت الأبيض.

- كين ميلمان Ken Melman المُدير السِّياسي في البيت الأبيض.

- آدم غُولدمان Adam Goldman المسؤول عن العلاقات اليهُوديَّة في البيت الأبيض.

وإذا أردنا الاسترسال في سَرْد أسماء هؤلاء البارزين اليهُود في إدارة الرّئيس جُورج بُوش الابن لتطلَّب منَّا إدراج أكثر من ثلاثين اسماً، يتولّون مناصب حسَّاسة وهامَّة في تلك الإدارة. والشّيء الذي يلفت النَّظَر هُنا أنَّ هذا الاعتماد الكبير والاستخدام الواسع لتلك

المهارات اليهُوديَّة قد أصبح أمراً طبيعيَّاً لا يُثير عند اللُّجُوء إليه أيَّ استغراب أو احتجاج أو مُعارضة في المُجتمع الأميركي.

من المُمكن جداً أنْ تُوحي إلينا مواقف رُؤساء البيت الأبيض من الجماعات اليهُوديَّة ونظرتهم إلى الصّراع العَرَبي - الإسرائيلي بعدَّة حقائق هامَّة أبرزها: أنَّ اليهُود - بفضل جُهُودهم الجبَّارة، وسعيهم الدّائم والدّؤوب لتغيير نظرة المُجتمع الأميركي المسيحي تجاههم - استطاعوا - خلال فترة قصيرة من الزّمن - أنْ يُحقِّقوا قفزة كبيرة نحو الهَدَف الذي كانوا يصبون إليه. لقد تمكَّنت الجماعات اليهُوديَّة من إيجاد مفهوم جديد لدى الطَّرَف المسيحي الأميركي، واستطاعت ليس - فقط - إقناع هذا الطَّرَف بفائدة التّعامل معها، بل - أيضاً - ضرورة هذا التّعامل والحاجة الماسَّة إليه، لما فيه من فوائد كبيرة ومصالح مُشتركة بين الطَّرَفَيْن المسيحي واليهُودي. لقد أثبتت هذه الجماعات - التي لا يزيد عدد أفرادها عن 2٪ من مجموع عدد سكَّان الولايات المُتَّحدة - أنَّها، إضافة لما تتمتَّع به من إمكانيَّات ماديَّة هائلة، فإنَّها تستحوذ على مُستوى علمي وفنِّي رفيع في الوَسَط الاجتماعي. إنَّ مُتوسِّط مالكي البيُوت اليهُود الذين يزيد دَخْلهم عن 000 . 50 دولار في السّنة يبلغ ضعف عدد هؤلاء المالكين من غير اليهُود، وإنَّ 45٪ من أصحاب الثّروات العالية جداً في الولايات المُتَّحدة هُم من اليهُود، وإنَّ 20٪ من أساتذة الجامعات فيها هُم من اليهُود أيضاً. أمَّا مُؤسَّسات المُحاماة الشّهيرة في كُلٍّ من نيُو يُورك وواشنطن، فهي مُؤسَّسات يهُوديَّة، وتُشكِّل نسبة هذه المُؤسَّسات 40٪ من مجموع مُؤسَّسات المُحاماة في كُلٍّ من المدينتَيْن. لقد حصد أبناء هذه الجماعات 25٪ من مجموع جوائز نُوبل، وسيطر كُتَّابها على عدد كبير من أجهزة الإعلام ودُور النَّشْر الأميركيَّة. لذلك كُلّه؛ فقد أصبح تقبُّل الوُجُود اليهُودي في المُجتمع الأميركي أمراً طبيعيَّاً، والتّعامل معه شيئاً مقبولاً، وأصبحت المصالح المُتبادلة بينهما - مع مُرُور الزّمن - أكثر تشابكاً، وأعمق ارتباطاً. وعزَّز هذا التّرابط بين المصالح الماديَّة الاعتبارات الدِّينيَّة التي تبنَّتها البرُوتستانتيَّة المسيحيَّة، واعتمادها على التُّراث الدِّيني اليهُودي، وما تضمَّنه من أفكار تدعو إلى تأييد العودة اليهُوديَّة إلى فلسطين؛ تمهيداً لمجيء المسيح الثّانية، وحُلُول الفترة المسيحانيَّة السّعيدة. ويجب أنْ لا يغيب عن أذهاننا أنَّ انفتاح شهيَّة الولايات المُتَّحدة بعد الحرب العالميَّة الثّانية لبَسْط نُفُوذها في منطقة الشّرق

الأوسط ذي الموقع الاستراتيجي الهامّ، واحتكار الثّروة النّفطيَّة الهائلة الموجودة فيه، ورغبتها في إرث الإمبراطُوريَّتَيْن الاستعماريَّتَيْن البريطانيَّة والفرنسيَّة، وطردهما من تلك المنطقة للانفراد بالسّيطرة التَّامَّة على المنطقة ونفطها، ووَضْع كُلّ دُول العالم تحت سيطرتها، وتحقيق حُلمها الإمبراطُوري للحُصُول على لقب الدَّولة الأعظم، كُلّ ذلك جَعَلَ التّرابط الاستراتيجي مع إسرائيل - ربيبة الصّهيونيَّة اليهُوديَّة - شيئاً هامّاً في تثمين الاعتقاد بضرورة التّلاحم مع اليهُوديَّة أوّلاً، والصّهيونيَّة ثانياً، وإسرائيل ثالثاً، مع العلم؛ أنَّ الثّلاث يُشكّلون وجهاً واحداً لعُملة رديئة واحدة.

الاستراتيجيَّة المُعاصرة لليمين الأميركي:

في العُصُور الماضية؛ كان العالم يعيش في ظلّ تنافس عدد من القوى، تُحاول كُلّ منها فَرْضَ أقصى ما يُمكن لها من النُّفُوذ على القوى الأُخرى، وتُحاول التَّوصُّل إلى فَرْض الهيمنة على أكبر قَدْر من المساحة التي تستطيع أنْ تصل إليها قُوَّاتها وجيُوشها. وغالباً ما كانت قُوَّتان عالميَّتان تتنافسان وتتصارعان للتَّربُّع على قمَّة النُّفُوذ والسّيطرة. وفي عصرنا الحديث؛ كان الشّرق الذي يتمثَّل في الاتِّحاد السُّوفييتي والدُّول التي تسير في ركابه فيما يُطلَق عليه الكُتلة الشّرقيَّة يُمثِّل أحد قُطبَيْ الصّراع بينه وبين الغرب، الذي يتمثَّل في الولايات المُتَّحدة الأميركيَّة وأورُوبا الغربيَّة والدُّول التي تنضوي تحت شعار العالم الحُرّ، أو ما يُطلَق عليه الكُتلة الرّأسماليَّة. وكان الصّراع بين هاتَيْن القُوَّتَيْن يدور للوُصُول إلى أقصى ما يُمكن من توسيع مناطق النُّفُوذ في العالم. وكانت نتيجة هذا التّنافس أنْ تمكَّن الغرب - بقيادة أميركا - من إلحاق هزيمة نكراء في المُعسكر المُقابل، أدَّت إلى انهيار هذا المُعسكر، وسُقُوط الأنظمة الدّائرة في فَلَكه، وبُزُوغ قُوَّة جديدة على السّاحة، مُنذُ بداية التّسعينيَّات من القرن الماضي.

إنَّ انهيار الإمبراطُوريَّة السُّوفييتيَّة، وسُقُوط الكُتلة الشُّيُوعيَّة أفسح المجال أمام بُرُوز الولايات المُتَّحدة كقُوَّة تملك من القُوَّة العسكريَّة والإمكانيَّات الاقتصاديَّة الهائلة ما يُؤهّلها إلى التَّربُّع على عرش إمبراطُوريَّة جديدة وحيدة القُطْب، تنفرد بقيادة العالم وفق رُؤية فكريَّة وسياسيَّة مُعيَّنة. وقد كانت هذه القُوَّة تحلم - أساساً - بالانفراد بزعامة العالم، استناداً إلى

الخلفيَّة الفكريَّة التي نشأت عليها ثقافتها وتاريخها. لقد أصبحت الرُّؤية الأميركيَّة فيما يتعلَّق بالنّظام العالمي رُؤية متميِّزة ترنو نحو نظام عالمي هي قائدته وزعيمته بلا مُنازع، سيِّدته المُطلَقة التي لا ترغب في رُؤية أيِّ مُنافس يُعكِّر قيادتها، أو أيّ طرف لا ينصاع لرغباتها وسياستها.

لقد أوحى غُرُور القُوَّة إلى الولايات المُتَّحدة بأنَّ خُلُوَّ السّاحة السِّياسيَّة من أيِّ مُنافس حقيقي لطُمُوحاتها - سيادة العالم - إمكانيَّة تحقيق أهدافها بأقلِّ كلفة وأدنى ثمن، وأنَّ استغلال هذا الظّرف - فقدان المُنافس وعدم احتمال بُرُوزه في المُستقبل القريب - هُو فُرصة ذهبيَّة لتنفيذ استراتيجيَّة جديدة تسمح بتحقيق أحلام أصحاب الأفكار الإمبراطُوريَّة، الذين يحلمون بسيادة العالم في ظلِّ الإمبراطُوريَّة الأميركيَّة، التي ستُعدُّ - بحُدُودها ورُقعة نُفُوذها - أكبر إمبراطُوريَّة في التّاريخ.

إنَّ المُتتبِّع للتَّيَّارات الفكريَّة السّائدة في الفكر الاستراتيجي الأميركي المُعاصر - وخاصَّة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر/ 2001، وتربُّع أعمدة اليمين الأميركي على رأس أبرز المراكز السِّياسيَّة في الإدارة الأميركيَّة، أمثال رُونالد رامسفيلد وزير الدّفاع، ونائبه بُول وولفويتز، وريتشارد بيرل رئيس مكتب السِّياسة الاستراتيجيَّة، وكُوندُوليزا رايس مُستشارة الأمن القومي (وحالياً: وزيرة الخارجيَّة)، وديك تشيني نائب الرّئيس - لابُدَّ أنْ تبرز أمامه الحقائق التّالية:

1 - الرّغبة في أنْ تظلَّ الولايات المُتَّحدة الأميركيَّة القُوَّة الوحيدة في العالم.

2 - الإصرار على أنْ تكون هذه القُوَّة هي القائد الوحيد المُهيمن على الشُّؤُون الدَّوليَّة.

3 - عدم قبول أيِّ تنازل عن هذه المهمَّة، ولا حتَّى إدخال أيّ نوع من المُشاركة فيها.

4 - عدم الرّغبة في بُرُوز أيَّة قوى مُنافسة، سواء كانت هذه المُنافسة اقتصاديَّة، أو عسكريَّة، والسّعي إلى مَنْع ظُهُور هذه القوى بأيِّ شكل من الأشكال.

5 - السّعي إلى إقناع العالم بأنَّ الولايات المُتَّحدة هي رسول العناية الإلهيَّة لإنقاذ البشريَّة من الفوضى التي تسرح فيها.

6 ـ الشُّعُور المُتزايد بضرورة انصياع الأُمم المُتَّحدة ومُؤسَّساتها إلى رغبات الإدارة الأميركيَّة، سواء انسجمت سياسات هذه المُنظَّمة ومُؤسَّساتها مع هذه الرّغبات، أم لم تنسجم، لُمخالفة هذه الرّغبات للقوانين والمبادئ الدُّوليَّة المُتَّفق عليها.

ويبدو أنَّ مُخطِّطي السِّياسة الأميركيَّة في إدارة الرّئيس بُوش كانوا يخشون أنْ يُوحي غياب العدوّ التّقليدي للولايات المُتَّحدة ـ الاتِّحاد السُّوفييتي ـ إلى الشّعب الأميركي بحالة من الاسترخاء السِّياسي، الأمر الذي يحول دُون الاستمرار في الاستعداد العسكري، وبالتَّالي؛ يُضعف من القُدرة العسكريَّة الأميركيَّة، ويخُشى في هذه الحالة أنْ تتدنَّى النّزعة العسكريَّة لدى الشّعب الأميركي، الأمر الذي يُسهِّل على العدوّ (أيّ عدو) هزّ هذه الشّخصيَّة القوميَّة الأميركيَّة.

ولُمجابهة هذه الاحتمالات؛ فقد رأى مُخطِّطو الاستراتيجيَّة الجديدة أنَّه لابُدَّ من إيجاد عدوٍّ بديل عن العدوّ الشُّيُوعي ـ الاتِّحاد السُّوفييتي ـ وكانت مُحاولات استغلال أفكار صموئيل هينتنجتون ولويس فُوكُوياما حول موضُوع حَتْميَّة صراع الحضارات، وإطلاق شعار أنَّ الحضارة الإسلاميَّة هي الخَطَر الحقيقي الذي يُهدِّد الحضارة الغربيَّة، والسّعي لاستفزاز العالم الإسلامي، وجرّه إلى ساحة الصّراع لإقناع الرّأي العامّ الغربي بصدْق هذه المقولات، تجري وتدور في عُقُول هؤلاء المُخطِّطين، الذين يحلمون بأنْ تحكم أميركا العالم، وتضع بُلدانه تحت سُلطتها، دُون وُجُود أيِّ مُنازع لها.

لقد كانت أحداث أيلول / سبتمبر فُرصة ذهبيَّة للعُثُور على عدوٍّ يُهدِّد ـ فعلاً ـ الأمن القومي الأميركي، وتمتدّ أعماله ونشاطه لتُغطِّي كامل الكُرة الأرضيَّة: إنَّه الإرهاب. هذا العدوُّ الذي يجب أنْ يُؤمن الشّعب الأميركي وشُعُوب العالم بأنَّه العدوُّ اللّدود للحضارة الإنسانيَّة، وخاصَّة الحضارة الأميركيَّة. ورغم أنَّ التُّهمة التي وجَّهتْهَا الولايات المُتَّحدة لعناصر هذا العدوّ، الذين كانوا، قبل فترة قصيرة من الزّمن من أبرز المُتعاونين معها والمُنفِّذين لسياستها، إلاّ أنَّ أجهزتها الأمنيَّة عجزت عن تقديم الأدلَّة الدّامغة بضُلُوع القاعدة، أو ابن لادن، بهذا العمل الإجرامي.

أمَّا وَضْع تعريف مُحدَّد لظاهرة الإرهاب وتوصيف هذه الظّاهرة بمُواصفات مُحدَّدة ومُتَّفق عليها دوليّاً؛ فقد باءت كُلُّ المُحاولات للوُصُول لهذا الهَدَف بالفشل؛ بسبب تعنُّت الإدارة الأميركيَّة المسؤولة، وإصرارها على أنْ تحفظ لنفسها الحقّ في تعريف مَنْ هُو إرهابي، ومَنْ هُو غير إرهابي، حسب منظورها الخاصّ، ومصالحها الخاصَّة، التي تتَّفق مع استراتيجيَّتها الجديدة. لقد ألصقت صفة الإرهاب بالمُقاومة الفلسطينيَّة، والمُقاومة اللّبنانيَّة - حزب الله - مُعتبرة أنَّ مُقاومة الاحتلال هُو الإرهاب بعينه، واشتطَّت بهذا التّفسير، حتَّى وَصَلَ بها الأمر إلى القول بأنَّ ياسر عرفات رجل الإرهاب، وشارون السَّفَّاح رجل السّلام.

وعدَّتْ أعمال الجيش الإسرائيلي اللاَّإنسانيَّة من اغتيال أفراد المُقاومة، إلى هَدْم المساكن على رُؤُوس أصحابها، وتشريد الآلاف من أراضيهم، واستخدام أشدّ وأفتك أنواع الأسلحة، بما فيها الصَّواريخ لضَرْب الشّعب الفلسطيني الأعزل من السّلاح، أعمالاً مُبرَّرة، تقع تحت شعار الدّفاع عن النّفس!!! وليست أعمالاً بَرْبَريَّة كما اتَّفق على وَصْفها مُعظم الشُّرفاء في العالم، حتَّى بعض رجال الدِّين اليهُودي أنفسهم.

لقد رَفَضَتْ الولايات المُتَّحدة اعتبار ما تمَّ في أيلول / سبتمبر / 2001، عملاً إجراميَّاً يستحقُّ المُلاحقة، وتقديم مُرتكبيه للمُحاكمة، بل قامت الإدارة الأميركيَّة مُباشرة باتِّهام القاعدة، وبن لادن، بهذا العمل الإجرامي، وشنَّت حملة هوجاء على الحُرِّيات المَدَنيَّة، وقامت باحتجاز المئات من المُواطنين الأميركيِّين ذوي الأُصُول الشّرق أوسطيَّة، وأعطت أجهزة أمنها الحقّ بالتَّنصُّت على المُواطنين، وأصدرت قوانين تحدُّ من الحُرِّيَّات المَدَنيَّة، وَفَسَحَتْ المجال لأجهزتها الأمنيَّة بالتَّدخُّل غير المُبرَّر في شُؤُون المُواطنين، وسُلُوك سياسة مُغايرة تماماً للسِّياسة الدّفاعيَّة القديمة، التي تعتمد على مبدأ الرَّدْع والاحتواء، ليحلَّ محلّها سياسة جديدة ترتكز على فكرة الحرب الوقائيَّة. تلك السِّياسة التي تنسجم - فقط - مع المصلحة الأميركيَّة، بغَضِّ النَّظَر عن اتِّفاق هذه المصلحة مع الشَّرْعيَّة الدّوليَّة، أو عدم اتِّفاقها. لقد أطلق الرّئيس بُوش شعار "مَنْ ليس معنا فهُو ضدّنا"، وأنَّ العالم من وجهة نَظَره ينقسم إلى عالمَيْن: عالم الأخيار وهُو العالم الذي يُؤيِّد أميركا ويُناصرها، وعالم الأشرار الذي يتكوَّن من إيران والعراق وكُوريا الشّماليَّة، وبقيَّة الدُّول التي تُؤوي الإرهابيِّين، أو تُقدِّم يد العون لهم. لذلك؛ فإنَّها -

أيْ الولايات المُتَّحدة - ستعدُّ نفسها حُرَّة في شنِّ أيَّة حرب ضدَّ هذه الدُّول التي تعدُّها مُهدِّدة لأمنها القومي؛ داعية هذه الحرب بالحرب الوقائيَّة. وقرَّرت - في سُلُوكها هذا - مفهوماً جديداً للحرب، يضع جانباً الاعتبارات الدّوليَّة والسَّنَد القانوني الشَّرْعي الذي يسمح بها.

لذلك؛ فقد وَجَدَتْ الإدارة الأميركيَّة المُتعطِّشة لتحقيق أهدافها الرّامية إلى التَّربُّع على عرش العالم، وفَرْض الهيمنة الأميركيَّة عليه نفسَهَا أمام فُرصة رائعة جديرة بالاستغلال للتّرويج لأفكارها وبرامجها. فبعد أقلّ من شهر - فقط - من الهُجُوم على بُرجَيْ مركز التّجارة العالمي، وبناء البنتاغون، كانت القُوَّات الأميركيَّة تشنُّ حرباً لا هوادة فيها على أفغانستان في 7/ 10/ 2001، رغم قبول النّظام الأفغاني بتسليم بنْ لادن ورفاقه المُتَّهمين بذلك الهُجُوم إلى السُّلطات الأميركيَّة حال تسلُّمه منها أيَّة إثباتات تدين المُتَّهمين بارتكاب هذا الهُجُوم.

بعد تدمير البنية التّحتيَّة لأفغانستان وتشتيت وقَتْل الآلاف من جُنُود طالبان، واستسلام العديد منهم للقُوَّات الأميركيَّة، قامت تلك القُوَّات بنَقْل الذين نجوا من الموت إلى مُعسكرات الاعتقال في قاعدة غوانتنامو في الكاريبي، وذلك خلافاً لكُلِّ القوانين، والأعراف الدّوليَّة، والشّرائع القضائيَّة، غير آبهة بالاحتجاجات الدّوليَّة على المُعاملة غير الإنسانيَّة التي عاملت بها هؤلاء الأسرى.

بغَضِّ النَّظَر عن صحَّة اتِّهام الولايات المُتَّحدة الأميركيَّة بأنَّ بنْ لادن وتنظيم القاعدة كانا وراء أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر، وسواء أنكر البعض هذا الاتِّهام لعدم وُجُود أدلَّة كافية لإثبات صحَّته، الأمر الذي دَفَعَ عدَّة كُتَّاب إلى الاعتقاد بأنَّ الحَدَثَ الذي تمَّ في أيلول / سبتمبر ما هُو إلاَّ مُؤامرة حاكتها دوائر أميركيَّة لإعطاء المُبرِّر لليمين الأميركي لتنفيذ مُخطَّطه، الذي يسعى له مُنذُ وقت طويل، وهُو فَرْض الهيمنة الأميركيَّة على دُول العالم، والسّعي إلى أنْ تتربَّع الولايات المُتَّحدة على عرش إمبراطُوريَّة لا يُنافسها فيه أيَّة قُوَّة أُخرى. وسواء قبل البعض صحَّة، أو عدم صحَّة هذه المقولة، فإنَّ حصيلة أحداث أيلول / سبتمبر فَسَحَتْ المجال أمام اليمين الأميركي لفَرْض أفكاره وبرنامجه ليس - فقط - على الرّأي العامّ الأميركي، بل على الرّأي العامّ العالمي أجمع. لقد قُوبلت السِّياسة العُدوانيَّة التي انتهجتْهَا

الولايات المُتَّحدة ليس ـ فقط ـ ضدَّ أعدائها الحقيقيِّين، بل ـ أيضاً ـ ضدَّ أعدائها المُحتملين، وكذلك السُّلُوك الفظّ الذي استخدمَهُ إزاء حُلفائها الأُورُوبيِّين، باستنكار شديد من النُّخبة السِّياسيَّة الأُورُوبيَّة، وَدَفَعَتْ البعض كَالكَاتب الفرنسي "ألن جُوكس" مُؤلِّف كتاب "إمبراطُوريَّة الفوضى"وزميله "إيمانويل تُود" مُؤلِّف كتاب"ما بعد الإمبراطُوريَّة"، والكاتب الأميركي "جُون ايكنبري" أُستاذ الجَغرافيا السِّياسيَّة في جامعة جُورج تاون، و"زبيجنيو بريجينسكي" مُستشار الأمن القومي في عهد الرّئيس جيمي كارتر، و"برنت سكركرُوفت" مُستشار الأمن القومي في عهد الرّئيسين جيرالد فُورد و"جُورج بُوش" الأب، و"جُورج ميتشل" رئيس مجلس الشُّيُوخ السّابق، وغيرهم، إلى انتقاد السِّياسة الأميركيَّة الجديدة التي يسلكها الرّئيس جُورج بُوش الابن، والتي تتّسم بغَطْرَسَة القُوَّة وإظهار العداء السّافر لكُلِّ مَنْ لا يتَّفق مع الشّعارات التي يُطلقها هُو وأركانه المُساعدون المُلتفُّون حوله.

إنَّ تقسيم العالم إلى طيِّبين وأشرار، والإصرار على تنفيذ مشروع الدُّرُوع الصّاروخيَّة البالستيَّة، والانسحاب من مُعاهدة كيُوتُو لخَفْض درجة حرارة الأرض، ورَفْض التّصديق على وثيقة المحكمة الجنائيَّة الدّوليَّة، أوحى إلى العديد من المُراقبين بأنَّ الولايات المُتَّحدة الأميركيَّة تسعى إلى فَرْض مفهوم جديد في العلاقات الدّوليَّة، يعكس اتِّجاهاً أميركيّاً إلى الانفراد في تبنِّي سياسة استراتيجيَّة خاصَّة، تستند على مبدأيْن هامَّين: أولاهما اعتماد الحرب الوقائيَّة، وتفضيل الحلّ العسكري على الحلّ الدِّبلُوماسي ضدَّ كُلِّ مَنْ تراه الولايات المُتَّحدة أنَّه يُهدِّد مصالحها الاستراتيجيَّة، أو تدفعه طُمُوحاته إلى دُخُول النّادي النَّووي المُغلَقة أبوابه أمام مَنْ لا تُريد أميركا أنْ تفتحها أمامه، وثانيهما هُو إعطاء الشَّرْعيَّة للولايات المُتَّحدة ـ دُون غيرها ـ لاستخدام القُوَّة وفق المنظور الأميركي، ليس ـ فقط ـ للتّعامل مع محور الشَّرِّ إيران ـ العراق ـ كُوريا الشّماليَّة، بل ـ أيضاً ـ لفَرْض النّظام الدِّيمُقراطي وفق المفهوم الأميركي في البُلدان التي تراها الولايات المُتَّحدة مرتعاً خصباً لبُذُور الإرهاب كالسُّعُوديَّة، وبعض دُول الشّرق الأوسط وجنوب آسيا.

إنَّ هذا السُّلُوك الذي يلقى كثيراً من الاحتجاجات والاعتراضات في عدد كبير من دُول العالم سيبقى ـ للأسف ـ هُو السُّلُوك الذي تبنَّاه الرّئيس بُوش الابن واليمين المُتطرِّف في الحزب

الجُمهُوري وشريحة واسعة من النّاخبين الأميركيّين، الذين أعطوا أصواتهم لمُرشّحي الحزب الجُمهُوري في الانتخابات التي جَرَتْ في تشرين الثّاني من عام 2002، والتي عزّزت نتائجُهَا موقعَ الرّئيس الأميركي الذي يحلم بتجديد رئاسته في الانتخابات القادمة عام 2004، (وقد حَصَلَ هذا، وفاز بُوش الابن بالانتخابات)، بعد أنْ يُحقّق لبلاده النّصر على بلد ظلّ تحت الحصار والتّجويع لحقبة تزيد عن أحد عشر عاماً.

الولايات المُتَّحدة والخليج العَرَبي:

لم تكد الولايات المُتّحدة تُغلق الملفّ الأفغاني، وما إنْ بَدَتْ بوادر الاستقرار السّياسي تُخيِّم على هذا البلد التّعس، الذي ابتُلي بسلسلة طويلة من المُعاناة من جرّاء أطماع الدّولتَيْن الكبيرَتَيْن "رُوسيا وأميركا" الطّامعتَيْن في وَضْعه تحت نُفُوذهما، والانفراد بالتّحكُّم بقُدراته وأراضيه الشّاسعة، وما إنْ تمّ للولايات المُتّحدة ما أرادت من هذا البلد، والت سياستها إلى تنصيب رجلها المُنفّذ الأمين لسياستها حامد قرضاي رئيساً للدّولة الأفغانيّة، حتّى رأت أنّ من الضّروري إثارة موضُوع جديد في مُسلسلها القاضي بإشغال العالم بشيء جديد، كي تُبرّر مسعاها في السّيطرة على ما تبقّى من نفط الخليج. ومن المعروف أنّ النّفط العراقي يُشكِّل ثاني أكبر احتياطي للنّفط في العالم، وأنّ السّيطرة المُباشرة عليه تعني:

1 ـ التّحكم بصادرات النّفط إلى كُلّ دُول العالم، الأمر الذي يقود إلى إحكام السّيطرة على كامل نفط الخليج، وبالتّالي؛ التّحكُّم بصادرات النّفط الخليجي إلى كُلّ من رُوسيا واليابان والصّين الشّعبيّة. وهذا هَدَفٌ كانت تسعى إليه أميركا مُنذُ وقت طويل؛ لإحكام سيطرتها على المسيرة الاقتصاديّة لهذه الدُّول الثّلاث، التي تخشى أنْ تُصبح في المُستقبل القريب بُلداناً مُنافسة لها.

2 ـ التّقويض العملي لمُنظّمة الأُوبك، التي ماتزال تتحكّم بالإنتاج والأسعار في سُوق النّفط العالمي. وحيثُ إنّه من المُتوقّع أنْ تزداد الحاجة إلى النّفط في المُستقبل القريب، وخاصّة بالنّسبة للصّين واليابان بسبب التّطوُّر السّريع والنُّمُوّ الاقتصادي المُتزايد في كُلّ منهما، فإنّ

القضاء على استقلاليَّة المُنظَّمة يُتيح للولايات المُتَّحدة التَّربُّع على عرش هذه القُوَّة الاستراتيجيَّة العظيمة، والتَّحكُّم بمسيرتها وفق مصالح الاقتصاد القومي الأميركي.

3 ـ أنَّ التّداعيات المُتوقَّعة في سُوق النّفط بعد احتلال العراق لن تُصيب آثارها السَّيِّئة سوى الدُّول التي ترغب الولايات المُتَّحدة إلحاق الضّرر بها، وهي ـ على التّحديد ـ اليابان والصِّين ورُوسيا وبعض الدُّول الأُخرى التي يُشكِّل البترول العراقي أبرز وارداتها.

4 ـ أنَّ احتلال منابع النّفط العراقي سيُمهِّد الطّريق أمام الولايات المُتَّحدة لتقليل اعتمادها على البترول السُّعُودي، وهذا سيحمل في طيَّاته إشارات هامَّة للنّظام السُّعُودي أبرزها ضرورة الانصياع التّامّ للرّغبات الأميركيَّة.

5 ـ أنَّ الولايات المُتَّحدة نفسها بحاجة ـ وفق تقديرات اللّجنة الوطنيَّة للطّاقة ـ في المُستقبل القريب إلى استيراد برميلَيْن من كُلّ ثلاثة براميل تحتاجها لتغطية استهلاكها المحلِّي من النّفط، وذلك بسبب ازدياد الطّلب على استهلاك هذه المادَّة، الذي يتوقَّع الخُبراء أنْ تصل نسبته إلى 33٪ خلال السّنوات العشرين القادمة، وأنَّ الضّرورة الاستراتيجيَّة ستُحتِّم على الولايات المُتَّحدة زيادة وارداتها البتروليَّة بمقدار يتراوح ما بين 15 ـ 20٪ في غُضُون السّنوات الأربع القادمة.

ومن المُفيد أنْ نُبيِّن أنَّ الجُزء الأساسي غير المُعلَن من الحملة الأميركيَّة على العراق الذي تتَّهمه أميركا بامتلاك أسلحة الدّمار الشّامل، وأنَّه يُشكِّل تهديداً مُباشراً لأمنها القومي هُو السّيطرة على منابع النّفط، وأنَّ الحملة التي حَشَدَتْ لها الولايات المُتَّحدة ما يزيد عن 250 ألف جُندي من قُوَّاتها، وأمرت بحشد عدد كبير من حاملات طائراتها في منطقة الخليج؛ للمُساهمة في عمليَّة الغزو، هُو ـ في الحقيقة ـ احتلال كامل منابع النّفط العراقي. ولكنْ؛ يبقى السُّؤال الذي لابُدَّ من طرحه عند الحديث عن الخلفيَّة الحقيقيَّة للحملة الأميركيَّة على العراق وهُو: هل هُو النّفط ـ فقط ـ الذي يُشكِّل حيِّزاً كبيراً من اهتمامات الولايات المُتَّحدة الأميركيَّة؟ أم أنَّ هُناك هدفاً آخر تسعى إليه الولايات المُتَّحدة، ولا تُحبِّذ التَّحدُّث عنه في الوقت الحاضر، وخاصَّة في مرحلة الإعداد لهذه الحرب غير العادلة التي تسعى إليها؟ لقد ثَبَتَ للمُنظَّمة الدُّوليَّة خُلُوّ العراق

من أسلحة الدّمار الشّامل، بعد خُضُوعه لثماني سنوات من التّفتيش والتّنقيب من قبَل وكالتَيْ الطّاقة الذّرّيّة والبحث عن سلاح الدّمار الشّامل (أنموفيك) التي يرأسها السُّويدي "هانز بليكس" مُنذُ عام 2000، عندما اختاره الأمين العامّ للأمم المُتّحدة "كُوفي أنان" لهذا المنصب، وذلك بعد أنْ قضى 18 (ثمانية عشر) عاماً مُديراً عاماً للوكالة الدُّوليّة للطّاقة الذّرّيّة، التي يرأسها - الآن - الدُّكتُور مُحمَّد البرادعي. وها هُو العراق - الآن - يلتزم بالقرار الصّادر عن الأُمم المُتّحدة تحت رَقْم 1444، ويضع كُلّ مُقدّراته تحت تصرُّف عناصر هاتَيْن الوكالتَيْن مُجدَّداً، اعتباراً من شهر تشرين الثّاني من عام 2002.

ورغم ذلك؛ تسعى الولايات المُتّحدة جاهدة للعمل على شنّ الحرب التي صمّمت على القيام بها ضدّ العراق، غير آبهة بموقف بعض حُلفائها الأعضاء الدّائمين في مجلس الأمن الدُّولي كفَرنسا وألمانيا، وغير مُكترثة باعتراضات الصِّين ورُوسيا، وضاربةً عرض الحائط بكُلّ النّداءات التي وُجِّهت إليها للعُدُول عن هذه الحرب، والتّوصُّل إلى حلّ سلْمي لمُشكلتها مع العراق. وفي الحقيقة؛ فإنّ الولايات المُتّحدة - إضافة إلى اهتمامها بإسقاط النّظام العراقي للتّخلُّص من حليف سابق تمرَّد يوماً ما على إرادتها وسياستها، وإضافة إلى رغبتها في امتلاك حقُول النّفط العراقي، والسّيطرة على كامل الطّاقة النّفطيّة في الخليج العَرَبي - فإنّ شهيّتها مفتوحة الآن - إضافة لكُلّ ما ذكرناه - إلى تثبيت وُجُودها في جميع بُلدان دُول الخليج. فبهذا التّواجد على الأرض تضمن الولايات المُتّحدة ليس - فقط - امتلاك الثّروة النّفطيّة، بل - أيضاً - امتلاك البُقعة الاستراتيجيّة الهامّة، التي تعدُّها المنطقة الأبرز في معالم استراتيجيّتها، والمنطقة الهامّة التي تُشكّل مَعْلَماً بارزاً ورئيسياً في منطقة شرق السُّويس، الذي كانت بريطانيا تعدُّه أبرز أعمدتها الاستراتيجيّة في العالم. كما تضمن - أيضاً - بَسْطَ نُفُوذها المُتفرِّد على كامل منطقة الشّرق الأوسط.

ويميل المُحلّلون السِّياسيُّون إلى الاعتقاد بأنْ تكون لنتائج الحرب ضدّ العراق تداعيات مُتشعِّبة تطال ليس - فقط - العراق ودُول الخليج، بل - أيضاً - دُولاً أُخرى، لن تكون إسرائيل - الدَّولة المُستفيدة الكُبْرَى من هذه الحرب - مُستثناة منها، وذلك تجسيداً لقانون النّتائج غير المقصودة، الذي من المُحتمل جدّاً أنْ يضع بصماته على الحُلم الشّاروني.

ويعتقد هؤلاء المُحلّلون أنَّ الإطاحة بنظام صدَّام حُسَيْن سيُمهِّد الطَّريق أمام الولايات المُتَّحدة لتحقيق تَصوُّراتها الجامحة في إحداث تغييرات جَذْريَّة في دُول منطقة الشّرق العَرَبي، وإعادة تشكيل أنظمته لتعزيز وتثبيت مصالحها في كامل منطقة الشّرق الأوسط، وإبراز صُورة الهيمنة الأميركيَّة اقتصاديّاً وسياسيّاً على دُول العالم أجمع، (وقد تمَّت هذه الحرب على العراق، ومن ثمَّ؛ تمَّت الإطاحة بنظام صدَّام حُسَيْن، ومن ثمَّ؛ تمَّ اعتقاله، وجَرَتْ الانتخابات في ظلِّ الاحتلال الأمريكي للعراق، وأصبح الكُردي جلال طالباني الرّئيس الحالي للعراق).

الفصل العاشر:

اللاَّساميَّة كسلاح يهُودي للتّشهير

مُعاداة السّاميَّة Antisemitism:

لم يشهد تاريخ البشريَّة حملة كَراهية مُستمرَّة ضدّ شعب من الشُّعُوب مثل ما شهد ضدّ اليهُود. ولم تُواجه فئة دينيَّة من اضطهاد وتعذيب وتشريد مثل ما واجه اليهُود من حملات تجاوزت الكَراهية، وتخطَّت مراحلها؛ لتصل إلى حُدُود التّعذيب والقَتْل، بل والحَرْق في أفران الغاز. فمُنذُ عصر الفراعنة والآشُوريِّين والبابليِّين والرُّومان في العُصُور القديمة والمسيحيِّين الغربيِّين والشّرقيِّين في العُصُور الحديثة، كان اليهُود عُرضة لحملات دائمة من الكَراهية، ورَفْض مُستمرّ من كُلّ شُعُوب العالم لتواجدهم بينهم، ورغبة مُلحَّة لإبعادهم عن المُحيط الذي يتواجدون فيه. وتُبيِّن المسيرة التّاريخيَّة لليهُود أنَّ الاضطهاد والقَتْل والتّدمير الذي لاقوه مُنذُ المراحل التّاريخيَّة المُغرقة في القدَم يفوق تَصوُّر أيّ خيال، وأنَّ الأذى الذي لحقهم يتجاوز أيَّ تقدير. لقد كَرهتْهُم شُعُوب وَثَنيَّة، ودُول دينيَّة، وأنظمة لا دينيَّة، وكأنَّ لعنة سماويَّة تُلازمهم، ولا تُغادرهم إلاَّ لفترات محدودة؛ لتعود وتصبّ على رُؤُوسهم مصائب أشدّ، ومُعاناة أقسى.

وفي العصر الحديث؛ غدت حملة الكَراهية تلك تأخذ مُصطلحاً جديداً يحمل اسم مُعاداة السّاميَّة. إنَّ هذه الصّفة الجديدة لكَراهية اليهُود، والتي أوَّل مَنْ استخدمها الألماني وليم مار William Marr عام 1879، لم تكن تعني له سوى مُصطلح جديد، يستند إلى الإيمان الشّديد بالنّظرة إلى اليهُود كافَّة على أنَّهم مجموعة لها جُذُور خاصَّة، ومُواصفات جسديَّة وأخلاقيَّة وضيعة، وأنَّهم ـ بالنّسبة للآريِّين ـ أُناس ميَّالون لأنْ يكونوا عبيداً، بخلاف الآريِّين

الذين يتمتَّعون بمزايا أصيلة، تؤهِّلهم لأنْ يكونوا أسياداً. إنَّ هذه النّظرة التي حَمَلَهَا "وليم مـار" لليهُود المليئة بـالتَّعصُّب، والرّغبـة في العـزل الاجتمـاعي لـهم، واضطـهادهم، بـل والانتقـام منهم، هي نفس النّظرة التي سَبَقَ أنْ تبنَّاها أقوام كثيرون سبقوا "وليم مار" بآلاف السّنين.

لقد أثارت اليهُوديَّة النّقمة ضدَّها، وكَراهية شُعُوب العالم لها بسبب ما حَمَلَتْهُ من أفكـار عدائيَّة ضدَّ كُلِّ الأعراق التي أطلقت عليهم اسم (الأغيار). فاستباحت اليهُوديَّة اسـتغلالهم، وَسَمَحَتْ بتدميرهم، وَنَظَرَتْ إليهم نظرة استعلاء وترفُّع، كما آمنت بأنَّ شعب الله المُختار ـ أي (اليهُود) ـ هُو الشّعب المُهيَّأ للسّيطرة والقيادة، ولا مكان تحت الشّمس للآخرين. ثُمَّ جاء السَّيِّد المسيح، وجاءت اليهُوديَّة لتُنكر رسالته، وتتآمر عليه، وتسعى بكُلِّ قُوَّتها لتدمـير هـذه الرّسـالة السّماويَّة، بل ذهبت إلى المُساعدة على صَلْبه، الأمر الذي خَلَقَ في نُفُـوس المسـيحيِّين مسـاحة كبيرة من الحقد والكَراهية ضدَّ هؤلاء المُتآمرين. ولم تنطفئ جذوة الرّغبة في الانتقام رغم صُدُور بيان بابوي بتبرئة اليهُود من دم المسيح، ولم ينسَ رجال الدِّين المسـيحي ـ أبـداً ـ أنَّ دمـاءهم ودمـاء أبناء كَنَائسهم كانت عُرضة للهَدْر من قِبَل اليهُود لفترة طويلة من الزّمن (فطيرة الدّم). كُلُّ تلك العوامل غذَّتْهَا ما جُبِلَتْ عليه النَّفْس اليهُوديَّة من الجَشَـع المـادِّيِّ، والميـل الشّـديد لجَمْـع المـال، وإقراضه بفوائد فاحشـة، ونمَّتـهَا ـ أيضـاً ـ الأحكـام الشَّـرْعيَّة المُتشـدِّدة، التـي فَرَضَتْـهَا الشّـريعة اليهُوديَّة على أتباعها؛ مثل عدم المُشاركة في الطّعام مع الجار، وعدم السّـماح بـالزّواج إلاَّ مـن أبناء وبنات الدّيانة اليهُوديَّـة، والالـتزام بـارتداء ألبسـة مُعيَّنـة، وإطـلاق اللّحـى. هـذا السُّـلُوك المُميِّز لليهُود أعطى تلك الانطباعات السَّيِّئة لعدد من القادة الرُّومان مثل تيبريوس، وكاليغولا، قبل ظهور المسيحيَّة، بإبداء أقصى ما يُمكن من الكَراهية لليهُود، والعمل على طَرْدهم ونَفْيـهم خارج الإمبراطُوريَّة.

ثُمَّ إنَّ إقدام اليهُود على قَتْل بني جلْدتهم، الذين آمنوا بالمسيحيَّة على يد الثّـائر اليـهُودي باركُوكبا، وتعاوُن اليهُود مـع الرُّومـان ضـدَّ المسيحيِّين، والسَّـعْي لـدى رُومـا بعـدم الاعـتراف بالمسـيحيَّة، ذلـك كُلُّـه رسَّـخ لـدى المسـيحيِّين كَراهيـة عميقـة لليـهُود، وتولَّـدت قناعـة لـدى المسيحيِّين أنَّ الإله قد غضب عليهم، ولم يعد يعدُّهم أنَّهم شعبه المُختـار. وَذَهَـبَ العـداء لـهم حدّاً جَعَلَ بعض الكَنائس تُحرِّم علـى أتباعـها الاتِّصـال بـهم، والتّعـامل معـهم، وحتّـى قـراءة

كتابهم التَّوراة باللُّغة العبريَّة. ولقد تطوَّر العداء لليهُوديَّة بعد تحوُّل الإمبراطُوريَّة الرُّومانيَّة إلى المسيحيَّة، وازدادت حملات الكَراهية لهم، وَبَرَزَ في صفُوف المسيحيَّة في العهد البيزنطي ما يُسمَّى بقانون "جُوستنيان" الذي بمُوجبه حُرِّم على اليهُود بناء معابد لهم، وحُرِّمت قراءة التَّوراة باللُّغة العبريَّة، وحُرِّم التَّجمُّع في الأماكن العامَّة، وحُرِّم الاحتفال بعيد الفصح اليهُودي (عيد نجاة اليهُود من فرعون) قبل عيد الفصح المسيحي (عيد القيامة)، أو الشّهادة أمام المحاكم إذا كان مسيحيّ طرفاً في المُحاكمة. وتتالت المجامع الكَنَسيَّة في إصدار قرارات، كُلّها تنصبُّ في خانة العداء لليهُوديَّة؛ كمَنْع المسيحيّين من الارتباط باليهُود بأيَّة علاقة زواج، أو جنس، والتّداوي لدى أطبَّائهم، والأكل والسَّكَن معهم. وَوَصَلَ الأمر بأنْ فُرِضَتْ عليهم عام 1078، دَفْعُ ضريبة لدَعْم الكَنيسة، وحرِّم على المسيحيّين عام 1179، تقديم بعض الأدوية إلى اليهُود، ثُمَّ في عام 1215، فُرض عليهم ارتداء لباس خاصّ يُميِّزهم من الآخرين، وفي عام 1431، مُنعوا من الالتحاق بالجامعات.

وزادت الأُمُور التي رسَّخت في النُّفُوس الكَراهية لليهُود ما حَمَلَهُ كتابهم التّلمود من أفكار وآراء مُعادية للمسيحيَّة، الأمر الذي دَفَعَ عدداً من الباباوات والدُّول إلى الأمر بإحراقه، ومَنْع تداوله.

فالعداء لليهُود قد ترسَّخ في النُّفُوس مُنذُ آلاف السّنين، والمُصطلح الجديد الذي يحمل اسم مُعاداة السّاميَّة، الذي حلَّ محلَّ كَراهية اليهُود تسمية تحمل معنى شاملاً، يعني - في الظّاهر الحرْفي - العداء ضدَّ العرْق السّامي، ويعني - في الواقع - اليهُود حَصْراً. فالعَرَب ساميُّون مثل اليهُود، ومن جذُور واحدة (سام بن نُوح)، إلاَّ أنَّ التّعبير "مُعاداة السّاميَّة" خُصِّص لليهُود، واعتمد العالم كُلُّه - بمَنْ فيه اليهُود أنفسهم - هذا الحَصْرَ، وهذه الحُدُود الضيِّقة لهذا المُصطلح.

إنَّ الشّيء الذي يرفضه العقل، ولا يُقرُّه المنطق هُو وُجُود الحساسيَّة المُفرطة لدى اليهُود بالنّسبة لمَوْضُوع السّاميَّة، ومن الأُمُور الطّبيعيَّة السّائدة في المُجتمعات المُتحضِّرة أنْ تجد فيها مَنْ ينتقد المسيحيَّة، حتَّى البابويَّة نفسها، وفيها مَنْ ينتقد الإسلام، حتَّى الخُلفاء الرّاشدين، وفيها

ـ أيضاً ـ مَنْ ينتقد الرّأسماليَّة، ومَنْ ينتقد الاشتراكيَّة، ويصف أصحابها بأقذع الصّفات، وفيها ـ أيضاً ـ مَنْ يتّهم الآخرين بالعُنصُريَّة والتَّعصُّب العرْقي، ولكنْ؛ عندما يأتي موضُوع مُعاداة السّاميَّة فإنَّنا نجد إفراطاً في الحساسيَّة لا حُدُود له في تلك الفئة، التي نصَّبت نفسها دفاعاً عن الشّعب اليهُودي. إنَّ هذه السُّلُوكيَّة المُتناهية في التَّطرُّف إزاء المواقف والانتقادات المُناوئة لليهُود لا نجدها لدى الجماعات الأُخرى، التي تتعرَّض للهُجُوم، أو التّحامل عليها من قبَل مجموعات أُخرى، بل للأسف بَدَتْ وكأنَّها حكْر على الفئة الحاكمة التي تربَّعت على مركز الصّدارة السِّياسيَّة في إسرائيل، والتي تمكَّنت من تسخير كُلِّ الطّاقات لرَصْد أيَّة كلمة أو بادرة ترى فيها نوعاً ما من مُعاداة السّاميَّة، أو حتَّى انتقاد السُّلُوك والتَّصرُّفات التي تبدر من أتباعها. إنَّ سُلُوك تلك الفئة في مُهاجمتها والنَّيل من مُعارضيها وإسكاتهم بأيَّة وسيلة، إنْ دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على أنَّ هؤلاء النّاس الذين وَضَعُوا هذه السِّياسة نصب أعينهم لابُدَّ وأنْ يكونوا أحد أمرَيْن:

ـ إمَّا أنَّهم قد فقدوا القُدرة على الرُّؤية والتَّطلُّع إلى ما هُو أبعد من أُنُوفهم.

ـ وإمَّا أنَّ نُفُوسهم قد سيطرت عليها مساحة كبيرة من التَّعصُّب الأعمى والكَراهية المُطلقة.

إنَّ رَفْعَ شعار العداء للسّاميَّة لم يكن ـ ولن يكون ـ السّلاح الفعَّال على الصّعيد السِّياسي، والاعتماد على هذه السُّلُوكيَّة لن يُجدي في كَمِّ الأفواه، وإخفاء الحقيقة، وإبعاد نُورها عن أعين النّاس. قد تستطيع هذه السِّياسة إبعاد بعض النّاس، ولكنْ لن تستطيع إبقاء جميع النّاس بعيدين عن قول الحقِّ، وطَلَب العدل.

إنَّ إصرار اليهُود على سُلُوك هذا الأُسلُوب لفَرْض نوع من الإرهاب الفكري ضدَّ كُلِّ مَنْ تُسوِّل له نفسه التَّعرُّض لهم ولسُلُوكهم غير الإنساني مع الفلسطينيِّين خاصَّة، مايزال السِّياسة التي تُؤمن بها كُلُّ المجموعات اليهُوديَّة المُنتشرة في كُلِّ أنحاء العالم، والتي ـ لا شكَّ ـ تتبع نَمَطاً واحداً مُقرَّراً من قبَل السُّلطات اليهُوديَّة العُليا. لقد أثارت سياسة كَمِّ الأفواه التي تتَّبعها الصّهيونيَّة العالميَّة وإسرائيل على حَدٍّ سواء نقمة شديدة، ولكنْ؛ يبدو أنَّ إصرار ذوي الجُلُود السّميكة على مُتابعة هذه السِّياسة هُو الواقع السّائد حتَّى الآن. إنَّ آخر ما شاهدناه من

نماذج عن هذه السُّلُوكيَّة كان قرار قاضي التّحقيق الفرنسي باستدعاء رئيس تحرير جريدة الأهرام القاهريَّة؛ للتّحقيق معه بشأن مقال نَشَرَهُ الكاتب عادل حمُّودة يروي فيه القصَّة المعروفة باسم الأب تُوما، التي جَرَتْ في دمشق عام 1840. ومُلخَّص هذه القصَّة أنَّه ـ في ذلك العام ـ اتَّهمت السُّلطات في دمشق الحاخام أبو العافية ورفاقه بقَتْل الأب تُوما وخادمه، وإرسال زُجاجة من دمه إلى الحاخام الأكبر. وبعد إلقاء القَبْض على الحاخام أبي العافية؛ قام أعيان اليهُود في دمشق بمُحاولة رشوة المدعو خليل الصّيداوي للاعتراف بأنَّه هُو الذي نفَّذ الجريمة. وبعد أنْ رَفَضَ المذكور العرض، قام المُحامي اليهُودي أدولف كريميه بعمليَّة سياسيَّة واسعة في أُورُوبا، وتمكَّن من تجنيد عدد من وُجهاء يهُود أُورُوبا للحُضُور إلى مصر، ومُقابلة مُحمَّد علي باشا، والطَّلَب منه الإيعاز للسُّلطات السُّوريَّة بالإفراج عن الحاخام أبي العافية ورفاقه، وإسقاط التُّهمة المُوجَّهة لهم. واستجاب مُحمَّد علي لهذا المسعى، الذي قام به الوفد المدعوم من قناصل دُول أُورُوبا كُلّها، وتمَّ إطلاق سراح الحاخام ورفاقه، وأعلنت السُّلطات براءتهم.

إنَّ إيراد هذه الواقعة أثار حفيظة المُنظَّمة الصّهيونيَّة في فرنسا، ورأت أنَّ عرض هذه القصَّة في الصّحيفة المصريَّة هُو نوع من العداء للسّاميَّة، وأقامت تلك الدّعوى على إبراهيم نافع رئيس تحرير الأهرام، مُلصقة به هذه التُّهمة.

ورغم أنَّ هذه الحادثة قد تمَّت قبل 162 سنة، وأنَّها وَرَدَتْ في عدَّة كُتُب، وأثارتها عدَّة صُحُف في حينه، إلاَّ أنَّ الرّغبة في إظهار القُدرة اليهُوديَّة على إلحاق التّشهير واستخدام أيَّة وسيلة للانتقام من أيَّة جهة تُسوِّل لها نفسها من توجيه النَّقْد لليهُود كان وراء هذه الدّعوى. فقد أصرَّت المُنظَّمة اليهُوديَّة في فرنسا على إقامة الدّعوى على الأهرام بسبب نَشْر هذه القصَّة التي اعتبرت نَشْرَهَا نوعاً من مُعاداة السّاميَّة.

إنَّ الإشارة إلى أيِّ إنسان بأنَّه يهُودي، أو مسيحي، أو مُسلم، أو أبيض، أو أسود، أو أسمر، لا يعني ـ مُطلَقاً ـ التّقليل من شأنه، أو الحطّ من كرامته، بل هي عادة مُتأصِّلة بين النّاس، ولكنْ؛ عندما نقول أمام أيِّ يهُودي إنَّكَ يهُودي فإنَّه يقفز إلى ذهنه شعار مُعاداة السّاميَّة. وفي

الحقيقة؛ يجب أنْ نُقرَّ بأنَّ مُعاداة السّاميَّة كانت سائدة طوال ما يزيد عن الألفَيْ عام، وأنَّها ماتزال سائدة ـ أيضاً ـ في عصرنا هذا. ولكنْ؛ هل يعني الاعتراف بهذه الحقيقة أنْ تسعى الأقلِّيَّة اليهُوديَّة التي تُمثِّل ـ حوالي ـ اثنَيْن بالألف من سُكَّان العالم ـ المُحافظة على هذا النَّمَط المجحوج في التّعامل مع مُعارضيها أو مُنتقديها، وأنْ تبقى تُهمة مُعاداة السّاميَّة جاهزة للإطلاق ضدَّ كُلِّ كاتب يُحاول أنْ يقترب من أيِّ نوع من أنواع النَّقْد للشّخصيَّة اليهُوديَّة، أو يجتهد في قراءة أو تحليل شيء من التّاريخ اليهُودي؟ لقد وُجِّهت هذه التُّهمة إلى رُوجيه غارودي، الذي يُعدُّ من أبرز الفلاسفة الفرنسيِّين، ووُجِّهتْ إلى المُؤرِّخ البريطاني الشّهير دافيد إيرفنج، وإلى الفيلسوف العَرَبي الأميركي الجنسيَّة إدوارد سعيد، وأيضاً؛ الإذاعي الفرنسي المعروف دانييل ميرميه، والنّاشط الفرنسي جُوزف بُوفيه، الذي لاقى عند عودته من فلسطين ومُشاركته بالاعتصام مع الرّئيس عرفات في مقرِّه في رام الله أثناء حصار القُوَّات الإسرائيليَّة لعرفات ومُهاجمة مدينة جنين اعتداءً هَمَجياً بالضَّرْب من أنصار شباب مُنظَّمة بيتار اليهُوديَّة، وتكرَّر هذا الأمر أثناء مسيرة لأنصار القضيَّة الفلسطينيَّة استنكاراً لمجزرة مدينة جنين، وأوقع شباب هذه المُنظَّمة المُتطرِّفة عدداً كبيراً من الجرحى في صفُوف المُتظاهرين.

وللأسف؛ نجد هذه المواقف والاتِّهامات بمُعاداة السّاميَّة تنطلق ضدَّ أيِّ شخص مهما كانت مكانته، ومهما كانت نواياه، وسواء كان موقفه تعبيراً صادقاً لما يجر، أو تحليلاً بريئاً لواقعة، أو انطباعاً إنسانيّاً لما يسمعه أو يُشاهده أيُّ مُراقب للأحداث. لقد كانت خطيئة السَّيِّدة "غريتا ديوزنبرغ" زوجة رئيس البنك المركزي الأُورُوبي أنْ ثبَّتت على شُرفة منزلها عَلَمَ فلسطين تضامناً منها مع الشّعب الفلسطيني في محنته بعد اقتحام الجيش الإسرائيلي مُدُن الضفَّة الغربيَّة في آذار / مارس / 2002، لقد عَدَّت المُنظَّمات الصّهيُونيَّة هذا العمل عملاً إجراميّاً، ويُمثِّل عداء للسّاميَّة يستحقُّ مُرتكبه العقُوبة. وطلب المجلس اليهُودي العالمي ليس ـ فقط ـ مُعاقبة الزَّوجة، بل ـ أيضاً ـ مُعاقبة زوجها، وعدم السّماح له بدُخُول الولايات المُتَّحدة. ثُمَّ أقامت دعوى على الزَّوجة بتُهمة العداء للسّاميَّة، وانهالتْ عليها رسائل التّهديد بالقَتْل. والشّيء نفسه كاد أنْ يحصل بالنّسبة لزوجة رئيس الوُزراء البريطاني تُوني بلير عندما أبدت تعاطفها مع الضّحايا الفلسطينيِّين، ولم يشفع لها اعتذارها، إلاَّ بعد أنْ قامت بحملة جَمْع تبرُّعات لصالح

الضّحايا الإسرائيليِّين، بَلَغَتْ حصيلتها الملايين من الجُنيهات. وحتّى شبكة CNN الأميركيَّة لم تنجَ من التّهديد بعدم السّماح لها بالعمل في إسرائيل، بعد بثٍّ بعض أشرطة الفيديو عن الفدائيِّين الذين قاموا بعمليّاتهم الاستشهاديَّة قبل إقدامهم على عمليّاتهم تلك.

إنَّ هذا التَّرصُّد المُبالغ فيه لكُلِّ حَرَكَة أو نشاط يتعرَّض له اليهُود، وينتقد تصرُّفاتهم، أو يُبيِّن سُلُوكهم الخاطئ شيء يدعو للاستغراب والدّهشة. وعند إبداء هذا الاستغراب أمام أحد رجال الفكر في جامعة ستانفورد في كاليفورنيا أجابني قائلاً: إنَّها لعنة تُلازم الأقلِّيَّة التي تشعر بفقدان شيء من تُراثها، وتسعى لإيجاد شيء من المجد التّاريخي، الذي قد تكون المُخيِّلة قد ساهمتْ في تضخيمه ليصل لحَدِّ الأُسطُورة.

إنَّها حقّاً مُبالغة لن تُوصل أصحابها مهما سعى المُعتقدون بصوابها إلى إمكانيَّة إسكات أقلام الحقيقة، مهما بلغت وسائل قَمْعها. وللأسف؛ فإنَّ العالم يستجيب - بغباء - لهذا المنطق المعكوس، وتلك الادِّعاءات الباطلة. فإنْ تقرأ كتابات عُنصُريَّة ومُتناهية في الحقارة ضدَّ العَرَب (وهُم ساميُّون) فهذا شيء حضاري ومسموح به، ولو تضمَّن مساحات واسعة من الأكاذيب والاختلاق. أمَّا أنْ تكتب مُنتقداً السُّلُوك اليهُودي في قَتْل الأطفال (مُحمَّد الدُّرَّة) عمداً وهُو في أحضان أبيه، وأنْ تهدم أحياء كاملة، وتستبيح دم ساكنيها من العَرَب، وتُحيل حياة شعب كامل إلى جحيم، وتحرمه من مُمارسة حُقُوقه المشروعة، فهذا عمل يستحقُّ المُباركة، ويستحقُّ مَنْ يعترض عليه تقديمه للمُحاكمة بتُهمة مُعاداة السّاميَّة. إنَّه منطق يهُودي صرْف، على العالم أنْ يقبله شاء أم أبى؟!! دولة تملك كُلَّ أنواع أسلحة الدّمار الشّامل أمر مقبول يستحقُّ التّشجيع، ودولة تُطالب برَفْع الحصار عنها، والذي دام أكثر من عشرة سنوات، وتُطالب الأُمم المُتَّحدة بالتَّصرُّف العادل، والتّحقيق المُنصف إزاء الادِّعاء بامتلاك أسلحة الدّمار الشّامل أمر مرفوض يستحقُّ التّدمير.

بداية المرحلة:

لم يكن للنُّفُوذ اليهُودي في القرار السِّياسي الأميركي، الذي نلمسه - الآن - وُجُود قبل مئة عام. لقد تمتَّع اليهُود ببعض النُّفُوذ في فترات مُتقطِّعة ومُؤقَّتة في حقبات ماضية قبل فترة

رئاسة فرانكلين رُوزفلت. وحتَّى في بداية عهد رُوزفلت؛ كانوا مُقتنعين بتولِّي مناصب هامشيَّة ومُشاركة جانبيَّة في القرار السِّياسي الأميركي، إلاَّ أنَّهم أدركوا - في تلك الفترة - أنَّ الابتعاد عن القرار السِّياسي يضرُّ بمصالحهم، ولا يحترم قضاياهم، لذلك؛ بات إصرارهم على مُمارسة أقصى درجات المُساهمة في النّشاط السِّياسي أكبر همّهم، وشاغلهم الذي استولى على كُلِّ تفكيرهم، رغم أنَّ بعض حُكَمَائهم حذَّر من ذلك الاندفاع، خوفاً من إيقاظ مارد مُعاداة السَّاميَّة، الذي لم يكن غارقاً في سُبات عميق في تلك الفترة. لقد كان هؤلاء الحُكَمَاء يرون أنَّ الاندفاع في هذا المضمار هُو ضَرْب من الحماقة والجُنُون.

إنَّ الاقتناع بمُمارسة النّشاط السِّياسي على أوسع نطاق، والانطلاق إلى دُخُول الحلبة السِّياسيَّة، التي مهَّد لها رُوزفلت، دَفَعَ التَّجمُّعات اليهُوديَّة إلى بذل أقصى درجات العمل؛ للاستفادة من هذه المُبادرة. فخلال تلك الفترة التي سبقت عهد رُوزفلت كما يقول الحاخام المُؤرِّخ آرثر هرتزبرغ Arthur Hertsburg: كان اليهُود محرومون من المُشاركة في الحياة الاجتماعيَّة الأميركيَّة، وكانت تُوضع أمامهم كُلّ أنواع التّفرقة والإقصاء، ولكنْ؛ في فترة الحرب العالميَّة الثّانية فُتحَتْ الأبواب أمامهم، واحتاج المُجتمع الأميركي لنشاطاتهم المُتنوِّعة.

لقد شغل النّشاط السِّياسي حيِّزاً كبيراً من اهتمامات اليهُود في الولايات المُتَّحدة، وأصبحت الغالبيَّة العُظْمَى منهم تُمارس هذا النّشاط بفعَّاليَّة عالية، وتُساهم بشكل فعَّال في العمل السِّياسي. وتُعدُّ الجالية اليهُوديَّة الأميركيَّة أكثر الجاليات نشاطاً في المجال الانتخابي في الولايات المُتَّحدة، وحتَّى الطُّلاَّب اليهُود فإنَّهم يُؤدُّون واجبهم الانتخابي بنسبة تفوق أداء زُملائهم من غير اليهُود، وذلك وفق الاستقصاءات الإحصائيَّة التي يقوم بها سنوياً مكتب الأبحاث في المجلَّة الأميركيَّة للتّربية. ومن ضمن الأبحاث التي يُجريها هذا المكتب دراسة تُفيد بأنَّ اليهُود هُم أكبر مجموعة إثنية (عرْقيَّة) تُمارس النّشاط الانتخابي في الولايات المُتَّحدة، فبينما تبلغ هذه النّسبة مُستويات مُتدنِّية عند المجموعات الإثْنية (العرْقيَّة) غير اليهُوديَّة نجد أنَّ هذه النّسبة تبلغ مُستوى عالياً لا يُعادلها أيَّة نسبة لدى المجموعات الأُخرى. والجدول التّالي يُبيِّن هذه الحقيقة:

الجماعة الدِّينيَّة	النّسبة المئويَّة
الكَاثُوليك الإيرلنديُّون	2.506
البرُوتستانت الإسكندينافيُّون	1.583
الكَاثُوليك السّلافيُّون	1.481
البرُوتستانت الألمان	0.767
الكَاثُوليك الألمان	0.757
الكَاثُوليك الطّليان	0.502
البرُوتستانت الأنكلوساكسُون	0.242
اليهُود	106 .3

مُيُول يساريَّة:

ويقول الحاخام آرثر هرتزبرغ ـ الذي شغل منصب رئيس المُؤتمر اليهُودي الأميركي ـ: إنَّ هُناك نُزُوعاً خاصاً لدى الشّباب اليهُودي إلى الاتِّجاه نحو اليسار، وتأييد اليسار الوَسَط. وتُشير الإحصاءات التي أجراها المجلس الأميركي للتّربية بالتّعاون مع اللّجنة اليهُوديَّة الأميركيَّة بأنَّ اثنَيْن من أصل ثلاثة شبَّان يهُود يتوقَّعان أنْ يُصبحا من اللِّيبراليِّين اليساريِّين عند تخرُّجهما من الجامعة. وتُشير هذه الإحصاءات إلى أنَّ 12٪ من الطُّلاَّب اليهُود من ذوي المُيُول اليساريَّة، وتبلغ هذه النّسبة 3٪ عند الطُّلاَّب غير اليهُود. و52٪ من الطُّلاَّب اليهُود هُم ليبراليُّون، بينما تتدنَّى هذه النّسبة إلى 35٪ عند الطُّلاَّب غير اليهُود. ويُضيف الحاخام هرتزبرغ قائلاً: إنَّ مُيُول الشّباب اليهُودي إلى الاتِّجاه نحو اليسار مَبْعَثُهُ العامل الاقتصادي، وإنْ كان هؤلاء يتتمون إلى أُسَر غنيَّة. وطبعاً؛ لا تتَّجه مُيُول اليساريِّين اليهُود نحو الشُّيُوعيَّة، ولا حتَّى الرّغبة في قراءة كارل ماركس، بل اهتمامهم كُلُّه ينصبُّ على النّظام الذي يتعايشُون معه. إنَّ أكثرهم يُضمرون إحساساً خاصاً من عدم الثّقة بالسُّلطة، وإنَّ سعيهم يجب أنْ يكون الحيلولة دُون رُؤية حُكْم سُلطوي، سواء كانت وراء هذا الحُكْم فئة دينيَّة أو عرْقيَّة. قد يُقدِّس بعضهم

"غيفارا"، أو "هُوتشي منْ"، أو "ماو تسي تُونغ"، إلاَّ أنَّ جميعهم يُؤمنون بالسّعي دُون نجاح أيِّ نظام غير ديمُقراطي.

إنَّ سُلُوك هؤلاء الشّباب لم يَحُلْ أبداً أنْ يتولّى كبار الرّأسماليِّين اليهُود السّيطرة على نشاطهم السِّياسي الخاصّ، وذلك عبر مُساهمة هؤلاء الفعَّالة في تمويل الحملات الانتخابيَّة، ودَعْم المُرشَّحين الذين يرغبون في نجاحهم. فالمال اليهُودي يحتلُّ مكاناً بارزاً في كُلِّ الحملات الانتخابيَّة، التي تتمُّ في الولايات المُتَّحدة، ويتميَّز الذّكاء اليهُودي بأنَّ التَّبرُّعات التي تتمُّ في هذه الحملات تأخذ مساراً يُثير الإعجاب، فبعض هذه التَّبرُّعات تذهب إلى أصحاب المُيُول اليساريَّة، وبعض المُتبرِّعين يحصر تبرُّعاته بالشّخصيَّات التي تُمثِّل الوَسَطَ المُعتدل، الذي يتبنَّى - دائماً - القضايا ذات الاتِّجاه التّقدُّمي، ويجانب هاتَيْن الفئتَيْن من المُتبرِّعين؛ تبرز الأموال التي تذهب إلى اليمين المُحافظ. وهكذا نجد أنَّ طريق المال اليهُودي المُخصَّص للحملات الانتخابيَّة - سواء كانت هذه الحملات مُخصَّصة لأعضاء الكُونغرس، أو لرئاسة الجُمهُوريَّة - لابُدَّ أنْ يُوحي هذا السُّلُوك لكُلِّ مُراقب له إلى الاعتقاد بأنَّ الغرض الوحيد وراء هذه التَّبرُّعات هُو الرّغبة العارمة لدى الجماعة اليهُوديَّة في السّيطرة على القرار السِّياسي، وامتلاك زمام التّأثير على هذا القرار. بل الأمر الذي يبدو مُؤكِّداً أنَّ هذه العطاءات السّخيَّة - التي يمنحها اليهُود للمُرشَّحين - لن تكون - بأيِّ شكل من الأشكال - على سبيل الصَّدَقَة.

فهذا العطاء جُزء لا يُجتزأ من سياسة يهُوديَّة مُتَّفق عليها، فهُو يُؤلِّف جُزءاً من خُطَّة، هَدَفُهَا الوُصُول إلى التّأثير على القرار السِّياسي، ومُحاولة امتلاكه، للوُصُول إلى الهَدَف الأكبر؛ وهُو أمن إسرائيل.

إنَّ هذه التَّبرُّعات ليس كما يُحاول بعض الكُتَّاب المُمالئين لليهُود أنْ يُصوِّروها بأنَّها مُساهمة بريئة للمُشاركة في الحياة السِّياسيَّة، إنَّها - في الواقع - وسيلة من أنجع الوسائل التي تستخدمها المجموعات اليهُوديَّة لتحقيق غاياتها التي تسعى إليها. فالعطاء البريء لا وُجُود له في الواقع السِّياسي، والمُساهمة السّخيَّة بدُون مُقابل لا أثر لها في النّشاط الانتخابي.

ويحلو لبعض المُحلِّلين أنْ يصفوا ظاهرة التَّبرُّعات اليهُوديَّة بأنَّها عمليَّة تُشبه الصّفقات التي تتمُّ مع عصابات المافيا. فالمُساعدة التي تأخذ صفة التَّبرُّع هي - في الحقيقة - رشوة، ومن الطّبيعي أنْ تسود أخلاق الرّشوة، وأنْ تكون أكثر شُيُوعاً في المكان الذي تتمُّ فيه هذه التَّبرُّعات، وأيضاً؛ يظهر من حين، لآخر أشخاص ينفون عن اليهُود المُتبرِّعين صفة الرّشوة والمُطالبين بغنيمة ما لقاءها، ولكنَّ هذا الدّفاع الواهي يدحضه الواقع الملموس، الذي يُشاهده المُواطن الأميركي، ويلمسه.

وفي الحقيقة؛ فإنَّ الهاجس الذي يُسيطر على أذهان اليهُود هُو الخوف من ظُهُور نوع من الرّجال، الذين يُناصبون اليهُود العداء السّافر، ويُطالبون بإقصائهم عن الحياة السِّياسيَّة، وإبعادهم عن أيّ نشاط اجتماعي، كما تمَّ في الماضي في أُورُوبا بشطرَيْهَا الشّرقي والغربي. لذلك؛ فإنَّ تعدُّد أوجه التَّبرُّعات نحو اليمين تارةً، واليسار تارةً أُخرى، والوَسَط أحياناً، ما هُو إلاَّ لتفادي ذلك الهاجس الذي يشغل بال ليس - فقط - يهُود الولايات المُتَّحدة، بل يهُود العالم أجمع. لذلك؛ فإنَّه يُمكن القول بأنَّ الدَّعْم اليهُودي الأميركي لإسرائيل ليس - فقط - لحماية أمن وسلامة إسرائيل، بل - أيضاً - لحماية وأمن اليهُود الأميركيِّين فيما لو تفجَّرت يوماً من الأيَّام صيغة مُرعبة من العداء للسّاميَّة في الولايات المُتَّحدة.

درس من الماضي:

إنَّ مُمارسة القُوَّة والنُّفُوذ السِّياسي كان بالنّسبة ليهُود الولايات المُتَّحدة شيئاً بعيداً عن مُتناولهم. لقد مارسوا في الماضي شيئاً من النُّفُوذ، ولكنْ؛ طوال العديد من الأعوام فقد عاشوا كأقلِّيَّة عديمة السُّلطة نسبيّاً. إلاَّ أنَّه بعد قيام إسرائيل عام 1948، اختلف الدَّور الذي كان قائماً قبل ذلك التّاريخ، وأصبح للُّوبي اليهُودي دور فعَّال في القرار السِّياسي الأميركي المُتعلِّق بقضايا الشّرق الأوسط، وخاصَّة أنَّ نزاعاً مُسلَّحاً نشأ بين العَرَب واليهُود فور قيام الدَّولة اليهُوديَّة على الأرض العَرَبيَّة في فلسطين.

وقد ساعد على بُرُوز هذا النُّفُوذ اليـهُودي التقـاء مصـالح الولايـات المُتَّحـدة مـع مصـالح الدَّولـة العبريَّة والمصـالح الصّهيونيَّـة التـي ترعـى هـذه الدَّولـة، والمدعومـة مـن قبَـل الدَّولتَيْـن الاستعماريَّتَيْن (فرنسا وبريطانيا) اللَّتَيْن كانتا تُسيطران على دُول المنطقة المُحيطة بإسرائيل.

وفي عام 1956، جرَّبت إسرائيل أنْ تُمارس دوراً سياسيّاً يفوق النُّفُوذ الذي كانت تتمتَّع به المجموعات اليهُوديَّة في الولايات المُتَّحدة، فاتَّفقت مع بريطانيا وفرنسا على مُهاجمـة مصـر، بعد تأميم جمال عبد النّاصر لقناة السُّويس. وبعد دُخُول القُوَّات الإسرائيليَّة الأراضي المصريَّـة ووُصُولها إلى الضّفَّة الغربيَّة من قناة السُّويس، أصـدر الرّئيس أيزنـهاور أمراً يقضـي بضـرورة انسحاب هذه القُوَّات، وعودتها إلى حُدُودها التي انطلقت منها. لقد حاولت إسرائيل واللُّوبي اليهُودي المُناصر لها الاعتراض على قرار الرّئيس الأميركي، إلاَّ أنَّ وزير الخارجيَّة جُون فُوستر دالاس هدَّدهم بأنَّه سيرفع الإعفاء الضّريبي الذي يتمتَّع به مشروع النّداء اليهُودي المُوحَّد إذا لم ترضخ إسرائيل إلى هذا الأمر، وسُرعان ما تراجعت إسرائيل إلى حُدُودها السّابقة، وانسحبت من جميع الأراضي المصريَّة التي احتلَّتْهَا.

لقد تعلَّم اليهُود عدم مُمارسة القُوَّة والانحناء أمام العاصفة عند اللُّزُوم، فعندما اشـتدَّت موجة الاعتراضات على رُوزفلت عند زيادة اعتماده عليهم، وتعيـين عـدد منهـم فـي منـاصب حكُوميَّة هامَّة، اعتذروا عن قبول بعض تلك المناصب، تفاديـاً للنّقمـة المُثـارة حـول نشـاطهم. ولكـنْ؛ يبـدو أنَّ عـام 1967، قـد حمـل معـه تحـوُّلاً هامّـاً فـي مُمارسـة نشـاطهم السِّياسـي، واسـتخدام إمكانيَّاتـهم السِّياسـيَّة الهائلـة. إنَّ نتيجـة حـرب الأيَّـام السِّـتَّة فـي حُزيـران / يُونيُـو/ 1967، حَمَلَـتْ إلـى الملايـين مـن الأميركيِّين إحساساً بالإعجاب بـالقُدرة العسكريَّة الإسرائيليَّة، ورسَّخت في عقُول هؤلاء المبهورين بمظاهر ذلـك النّصـر الكبير الـذي حقَّقه بلـد صغير نسبيّاً (إسرائيل) على بلدَيْن عَرَبيَّيْن كبيرَيْن (مصر وسُوريا) اعتقاداً راسخاً في أنَّ العقليَّة اليهُوديَّة عقليَّة مُتميِّزة، وأنَّ القُدرة اليهُوديَّة قُدرة هائلة. وتولَّدت لدى اليهُود الأميركيِّين قناعة بأنَّ إسرائيل الدَّولة الصّغيرة النّاشئة أمكنها إنجـاز مـا عجـزت عنـه مواعـظ أُلـوف الحاخامـات، وملايين الدّعوات. إنَّ هذا النّصر الزّائف وهذا الانبهار الخـادع ولَّـد عنـد اليـهُود شُعُوراً بأنَّـهم أصبحوا قُوَّة لها وزنها، وأنَّ إمكانيَّاتها الهائلة لا حُدُود لها، وبدأت هـذه المشـاعر تتسرَّب إلـى

نُفُوس هؤلاء الجماعة، وبدأت مظاهر الغُرُور والاعتداد بالنَّفْس تُسيطر على سُلُوكها، وتترسَّخ في أعماقها.

إنَّ النّزعة اللّيبراليَّة التي كانت سائدة في الوَسَط اليهُودي الأميركي بدأت تتناقص شيئاً فشيئاً، وإنَّ الاتّجاهات اليمينيَّة المُتطرِّفة أخذت طريقها إلى نُفُوس هذه المجموعة، وبدأت تطفو على سُلُوكها مظاهر يمينيَّة واضحة؛ كالوُقُوف بجانب القوانين المُقترحَة للحَدّ من الحُرِّيَّة الأدبيَّة، ولم يعد ذلك الغُرُور والاعتداد بالنَّفْس - الذي دَفَعَ الكثير من اليهُود إلى الافتخار والمُجاهرة بيهُوديَّتهم - يكفي هؤلاء، بل تجاوز هذا إلى الزَّهْو بالذّات، والدّعوة إلى زيادة الاعتماد على القُوَّة الذّاتيَّة اليهُوديَّة. صحيح أنَّ النّزعة المُحافظة - التي تتَّفق وتنسجم مع الدّيانة اليهُوديَّة كانت - وماتزال - تطفو على سُلُوك وتصرُّفات هذه الجماعة - إلاَّ أنَّ النُّزُوع إلى هذا السُّلُوك قد اشتدَّ بعد عام 1967، وأصبح الفكر اليميني هُو النَّمَط السِّياسي الأكثر تقبُّلاً في الوَسَط اليهُودي الأميركي.

الفصل الحادي عشر:

طُمُوح نحو المزيد من السّيطرة

اتّجاهات يمينيَّة لمزيد من النُّفُوذ:

إنَّ الاتِّجاه نحو اليمين لم يكن شيئاً جديداً في الحياة اليهُوديَّة. ففي تاريخ اليهُود في أميركا محطّات بارزة في السُّلُوك اليميني المُتطرِّف. فمُعظم يهُود الجنوب الأميركي لم يكونوا تقدُّميِّين أو ليبراليِّين، بل - بالعكس - كانوا يتقبَّلون فكرة اقتناء العبيد، ولم يكونوا من المُؤيِّدين لإلغاء قانون العبُوديَّة، ولم يكونوا من ضمن الفئات المُؤيِّدة لقرار المحكمة العُليا، الذي عدَّ التّمييز في المدارس غير دُستُوري، بل وانضمُّوا إلى صفُوف المُعارضين لهذا القرار.

إلاَّ أنَّ اللُّعبة السِّياسيَّة تقتضي - للنّجاح في مُمارستها - الظُّهُور على مسرحها في عدَّة وُجُوه. فرغم الميل لتأييد الحزب الدِّيمُقراطي، إلاَّ أنَّ ذلك لم يمنع من إعطاء نفس الجُرعة من التّأييد للجُمهُوريِّين، الذين يُمثِّلون شركات الأموال الكبيرة، والذين تتَّفق مُيُولهم مع النّزعة اليمينيَّة المُتأصِّلة في النَّفس اليهُوديَّة. ولكنْ؛ يبقى الشّاغل الأهمّ للجماعة اليهُوديَّة هُو التّركيز على احتلال أكبر مساحة في المسرح السِّياسي الأميركي من خلال إظهار الوجه اليهُودي المُباشر، وليس من خلال امتلاك النُّفُوذ السِّياسي المُبطَّن بواجهة غير يهُوديَّة.

لقد تمكَّنت الجماعة اليهُوديَّة - عبر جُهُود مُتواصلة - من تغيير وجهة نَظَر المُجتمع الأميركي نحوها، وعملت عدَّة عوامل خارجيَّة على تحقيق هذا الهَدَف. فبعد أنْ كان هذا المُجتمع في الماضي القريب يرفض التّصويت لأيِّ مُرشَّح يهُودي، ولا يقبل أنْ يتولَّى أيُّ يهُودي منصباً عالياً في الدَّولة، وكان أمراً مرفوضاً قطعاً أنْ يقبل النّاس ترشيح أيّ يهُودي لمنصب رئيس الجُمهُوريَّة، أخذت هذه النّظرة تتغيَّر، وأصبح النّاس أكثر ميلاً للتّعامل مع

اليهُود، والتّصويت لهم، وانتخابهم كَحُكّام للولايات، حتّى في الولايات الجنوبيّة، التي ساد الاعتقاد - لبُرهة من الزّمن - أنّها لا تُصوّت لليهُود، ولا تنتخب أيّاً منهم لحاكميّة الولاية، ولم يعد مُستغرباً أنْ نجد ضمن حُكّام الولايات أحد عشر يهُوديّاً؛ انتُخبوا كحُكّام للولايات حسب إحصاءات 1990. إنّ ضمان نجاح هؤلاء المُرشّحين لم يعد يعتمد على وُجُود جالية يهُوديّة كبيرة لضمان نجاح المُرشّح اليهُودي. لقد أصبح من المألوف أنْ ترى حاكماً يهُوديّاً لولاية جنوبيّة، وفي الوقت نفسه؛ يحتلّ هذا المنصب يهُودي آخر في أقصى الشّمال الغربي، وأصبح أمراً طبيعيّاً أنْ تجد عدداً كبيراً منهم أعضاء في مجلس الشُّيُوخ، أو مجلس النُّوّاب. وتُشير الإحصاءات إلى أنّ التّزايد المُستمرّ للبُرُوز اليهُودي على المسرح السّياسي هُو تزايد ملموس، سواء في عدد حُكّام الولايات، أو أعضاء الكُونغرس. ويعزو بعض المُحلّلين اليهُود (ستيفن د. إيزاكس) أسباب هذا النُّمُوّ في النُّفُوذ السّياسي وإشغال المناصب الحُكُوميّة إلى عدّة أسباب؛ أبرزها:

1 - تمكُّن اليهُود من إثبات حرصهم على إبراز حُسْن المُواطنيّة لديهم، وطَرْح أنفسهم على المُجتمع الأميركي طرحاً خالياً من أيّ نوع من أنواع التّعصُّب الدِّيني أو العرْقي.
2 - ميل أكثر النّاس للتّعامل مع اليهُود؛ لإبعاد صفة مُعاداة السّاميّة عنهم، والرّغبة في إظهار حُسْن النّيّة تجاههم.
3 - رغبة اليهُود في الإيحاء بأنّ الإنجاز الذي يُحقّقونه، ويبرز إلى واجهة الأحداث، هُو غاية اهتمامهم، وأنّ رغبتهم في تحقيق هذا الإنجاز يبقى هُو الأهمّ بالنّسبة لهم.
4 - حرص اليهُود على الحفاظ على سُمعتهم في نَظَر الغير، وسعيهم الدّائم على إبقاء هذه السُّمعة خالية من الشّوائب.

لقد تمكّن اليهُود - بفضل نشاطهم السّياسي - من تحقيق إنجازات ضخمة في نطاق العمل السّياسي، وتمكّنت مجموعاتهم من التّأثير على سُلُوكيّة الإدارة الأميركيّة تجاه عدّة قضايا هامّة؛ منها وَضْع مشروع قانون يتضمّن الضّغط على الاتّحاد السُّوفييتي لتخفيف القُيُود التي فَرَضَها على هجرة اليهُود منه، وإقناع أعضاء الكُونغرس بأنّ الولايات المُتّحدة ستكون عُرضة

للابتزاز العَرَبي، إذا نَجحَتْ الدُّول العَرَبيَّة في تغيير سياسة الإدارة الأميركيَّة إزاء قضيَّة الشّرق الأوسط، وأنَّ أيَّ رد فعْل سلبي أميركي تجاه حظر تصدير النّفط العَرَبي سيُؤدِّي بالعَرَب إلى مرحلة أُخرى من الابتزاز!!! وفي آخر إنجاز لمجموعات الضّغط اليهُودي كان نجاحها مع إدارة الرّئيس بُوش الابن في أنْ تتبنَّى هذه الإدارة كُلَّ الآراء التي وَضَعَتْهَا حكُومة شارون للتّعامل مع الانتفاضة والسُّلطة الفلسطينيَّة، كما نَجحَتْ - أيضاً - في أنْ تتبنَّى الإدارة الأميركيَّة المواقف نفسها التي اتَّخذتها حكُومة شارون إزاء المُبادرة السُّعُوديَّة لتحقيق السّلام في الشّرق الأوسط، ونفس المنهج الذي اعتمدتْهُ في التّعامل مع السُّلطة الفلسطينيَّة.

ورغم كُلَّ الإنجازات التي حقَّقها اللُّوبي اليهُودي الأميركي، فإنَّ السّعي الدّائم لتحقيق أكبر دَعْم لإسرائيل يبقى واجباً تلتزم به كُلُّ فئات المُجتمع اليهُودي، الذي وَضَعَ نُصب عينَيْه، وسخَّر كُلَّ جهُوده لخدمة إسرائيل. إنَّ العطاء اليهُودي في سبيل إسرائيل لا تحدُّه سُقُوف مُعيَّنة، فالباب مفتوح أمام أبسط النّاس اليهُود، وأمام أغناهم، للتَّبرُّع لصالح إسرائيل. ويُذكَر في هذه المُناسبة أنَّه في حرب تشرين الأوَّل / أُكتُوبر / 1973، وفي خلال ثلاثة أيَّام فقط، تمَّ جَمْع ما يزيد عن 100 مليون دُولار لصالح إسرائيل، وتمَّ جَمْع مبلغ بليون دُولار خلال عام 1974. وأذكر أنَّني دُعيتُ لإلقاء مُحاضرة عن الأُصُوليَّة اليهُوديَّة في مُجمَّع يهُودي يُعدُّ من أكبر المُجمَّعات اليهُوديَّة في شمال كاليفورنيا، وقد لَفَتَ انتباهي ظاهرة غير مألوفة بالنّسبة لي، إذ إنَّ كُلَّ شخص يأتي لسماع المُحاضرة يدفع مبلغاً مُعيَّناً من المال كَتَبرُّع لصالح إسرائيل، ولم يستنكف أيُّ واحد من الحُضُور، الذي قارب المئة عن كتابة شيك بالمبلغ الذي يرغب بالتَّبرُّع به. وعندما سألتُ المُشرف الذي يتولَّى إدارة المُجمَّع عن هذه الظّاهرة أجابني: إنَّ ظاهرة التَّبرُّع أمر يُعلِّم العطاء، والتَّثقُّف على العطاء، وهذا شيء لا يُدركه مُعظم النّاس.

ويُعدُّ اليهُود من أبرز المُتخصِّصين بجَمْع التَّبرُّعات، ومن أنشط العاملين في هذا الحقل. وعندما كان "هاري ترومان" مُرشَّحاً للرّئاسة، وحظّه قليل في النّجاح، بسبب عدم توفر الإمكانيَّات المادّيَّة اللاّزمة لحملته الانتخابيَّة، وقف المصرفي اليهُودي "آيب فاينبرغ" إلى جانبه، وقاد حملة ناجحة لجَمْع التَّبرُّعات لمصلحته، أوصلتْهُ - في النّهاية - إلى كُرسي الرّئاسة في البيت الأبيض.

الرّغبة في إبراز المواهب:

يصف المُفكّر اليهُودي "أشعيا برلين" اليهُود بأنّهم أكثر النّاس رغبة في السّعي إلى تكريس كُلّ طاقاتهم ومواهبهم من أجل مهمّة الفَهْم والتّكيُّف. ومن هُنا؛ ينبع لديهم التّطوُّر المُفرط لملَكاتهم، من أجل اكتشاف الاتّجاهات، وتمييز الظّلال والألوان. ومن هُنا - أيضاً - تأتي شدّة فطنتهم، وبصرهم الحادّ. لقد تبيَّن للجماعات اليهُوديّة أنّ مراكز القُوَّة ليست - فقط - في السّيطرة على ميدان المال والاقتصاد، بل لابُدّ - أيضاً - من أنْ تكون في امتلاك وسائل الإعلام، والسّيطرة عليها. فإنْ كانت السّيطرة في المجالات الاقتصاديّة تلعب دوراً هامّاً في ترسيخ النُّفُوذ اليهُودي في المُجتمع الأميركي، فإنّ السّيطرة على وسائل الإعلام أمر لابُدّ منه لتدعيم وترسيخ السّيطرة الماليّة، وامتلاك الرّأي العامّ الأميركي، وتوجيهه الجهة التي تخدم المصالح اليهُوديّة. ومن هذه النّظرة الشّاملة للوسائل التي تُحقّق ثبات النُّفُوذ اليهُودي كان لابُدّ لليهُود من السّعي إلى امتلاك أكبر عدد من المجلاّت، والصُّحُف الأميركيّة، ودُور النّشْر، التي تتولّى نَشْر الكُتُب والدّوريّات، وتُسوّقها في المُجتمع الأميركي. لقد غَدَتْ أكبر الصُّحُف الأميركيّة وأوسعها انتشاراً تحت سيطرة اليهُود، سواء عن طريق المُلكيّة الكاملة، أو الجُزئيّة، أو من خلال رُؤساء التّحرير اليهُود، الذين يتولّون رئاسة تحريرها، أو من خلال مُحرّري الأعمدة، الذين يُمارسون الكتابة بها. وبسبب البُرُوز الواضح للشّخصيّة اليهُوديّة في الصّحافة الأميركيّة؛ بَرَزَتْ بعض الأصوات التي تشكو من هذا البُرُوز، وقاد الكاتب "جيرالد سميث" حملة يُحذّر فيها من السّيطرة اليهُوديّة على دُور النّشْر، وادّعى أنّ ما يزيد عن 50٪ من دُور النّشْر هي بيد اليهُود. وطبعاً؛ قُوبلت هذه الحملة من قبَل الأوساط اليهُوديّة ذات النُّفُوذ الواسع في الوَسَط الإعلامي بأنّها دعوة ضدّ السّاميّة، وأنّ صاحبها من مُحترفي العداء للسّاميّة، وحاولت هذه الأوساط تسفيه آرائه، والإصرار على القول بأنّ دُور النّشْر ليست كما يدّعي "سميث" مُلْكاً لليهُود/ بل أكثرها مملوكة لمسيحيّين، يعمل لديهم عدد قليل من اليهُود. إلاّ أنّ الواقع يُشير إلى أنّ ما ذَهَبَ إليه "سميث" هُو الصّحيح، وهُو الوضع القائم حاليّاً في الوَسَط الإعلامي الأميركي. فعندما تقرأ كُبريات الصُّحُف الأميركيّة مثل: نيُويُورك تايمز، واشنطن بُوست، وول ستريت جُورنال، وكُبريات المجلاّت الأميركيّة؛ مثل نيُوزويك **NewsWeek**،

وتُشاهد قنوات البثّ التّلفزيوني؛ كَمَحطَّة فُوكس و ABC و MBC و NBC، ووالت ديزني، وغيرها، تلمس ممَّا تقرأه أو تُشاهده بصمات يهُوديَّة واضحة. إنَّ الرّغبة في إحكام السّيطرة على وسائل الإعلام دَفَعَتْ الجماعة اليهُوديَّة في الولايات المُتَّحدة إلى السّيطرة على صناعة السِّينما في هُوليُود، وتمكَّنت من امتلاك أكبر شركات الإنتاج السِّينمائي فيها؛ مثل "مترو غُولدين ماير"، و"برامونت"، و"فُوكس للقرن العشرين"، والأُخوة "وارنر ويونيفرسال". لقد استطاعت المجموعات اليهُوديَّة الأميركيَّة تغيير وجه هُوليُود التي كانت في أوائل القرن العشرين بعيدة عن النُّفُوذ اليهُودي، بل كانت تُنتج - من حين لآخر - أفلاماً تتضمَّن نَقْداً لليهُود. ولكنْ؛ وبفضل الجهُود الجبارة والسّعي الدّؤوب الذي مارسته الجماعات اليهُوديَّة والأموال الطّائلة التي وظَّفتها في الحقل السِّينمائي الأميركي؛ تمكَّنت هذه الجماعة من تغيير مسيرة السِّينما الأميركيَّة، وجعلتها أداة جيِّدة من أدوات الدّعاية لها، ولصنيعتها إسرائيل.

وتُنتج هُوليُود - حالياً - ما معدَّله عشرة أفلام سنوياً، كُلُّها تصبُّ في خانة العداء للعَرَب والمُسلمين، وتدعو إلى كراهيَّتهم. وتُعدُّ هذه الأفلام بمثابة شُحنات كبيرة من التَّوجيه الفكري إلى المُشاهد الأميركي وغير الأميركي الذي لا يملك الرُّؤية الصّحيحة للأوضاع في العالم العَرَبي، وخاصَّة تلك الأوضاع المُتعلِّقة بالصّراع العَرَبي - الإسرائيلي.

أمَّا الشّاشات الصّغيرة المملوكة أو المُدارة من قبَل اليهُود؛ فإنَّ عرضها للأفلام التي تُسيء للعَرَب والمُسلمين وتُظهرهم بمظهر مُتخلِّف كان بمُعدَّل 15 - 20 فيلماً كُلّ أُسبُوع، وقد ارتفع هذا العدد بعد أحداث أيلول / سبتمبر/ 2001. وعادت هُوليُود لتزيد من إنتاج الأفلام المُناهضة للعَرَب والمُسلمين، واستغلَّت ما جرى في نيُو يُورك وواشنطن لتزيد من تشويهها لصُورة العَرَبي، وتُصوِّره بصُورة الإرهابي المُتعصِّب، الذي يُصلِّي قبل أنْ يقتل الأبرياء، بعدما كانت تُصوِّره بصُورة تاجر العبيد في الأربعينيَّات، وشيخاً من شُيُوخ البترول، الذي يبحث عن اللّذّة والجنس في الثّمانينيَّات. ويقول الدُّكتُور "جاك شاهين" في كتابه "صُورة العَرَب والمُسلمين في الثّقافة الشّعبيَّة" إنَّ السِّينما الأميركيَّة - اليوم - تُصوِّر العَرَب بأنَّهم شُيُوخ وقحون وغير مُتحضِّرين يُدمِّرون الاقتصاد العالمي، ويخطفون النّساء الغربيَّات، ويُسدِّدُون الأسلحة النَّوويَّة ضدَّ إسرائيل والولايات المُتَّحدة. لقد توقَّفت السِّينما الأميركيَّة عن تقديم اليهُودي على أنَّه جشع وشره، والإيرلندي على أنَّه سكِّير، والهندي الأحمر على أنَّه مُتوحِّش،

وأصبحت هُوليُود تُركِّز على شخصيَّة العَرَبي عامَّة، والفلسطيني بصُورة خاصَّة. ويقول الدُكتُور "جاك شاهين": إنَّ الفلسطيني المُسلم في أجهزة الإعلام الأميركيَّة هُو العدوُّ الأوَّل والحُثالة والإرهابي وسُوسة في قطعة خشب، ويُصوِّر فيلم "أكاذيب حقيقيَّة" الذي أنتجتْهُ هُوليُود عام 1994، وفيلم "القرار التّنفيذي" الذي أنتجتْهُ عام 1996، كُلَّ الفلسطينيِّين على أنَّهم أشخاص يجدون لذَّة في تعذيب الآخرين، وقَتْل الأبرياء، بل إنَّهم يقتلون رجال الدِّين القساوسة.

الجمُوح إلى الهَيْمَنَة على صناعة السِّينما:

عندما قال أفلاطون كلمته: إنَّ الذين يروون القَصَص هُم الذين يحكمون المُجتمع، فإنَّنا يُمكن أنْ نقول - تجاوزاً - إنَّ الذين يصنعون الأفلام في هُوليُود هُم الذين يحكمون المُجتمع الأميركي. ويروي الدُكتُور "جاك شاهين" كيف تطوَّرت صناعة السِّينما في هُوليُود؛ بشكل غَدَتْ فيه وكأنَّها صناعة يهُوديَّة 100٪، غايتها إنتاج أفلام تُظهر فيها العَرَب بشكل سيِّئ، لا يُمكن تَصوُّره، وإظهار فلسطين بأنَّها أرض يهُوديَّة، وأنَّ الشّعب الفلسطيني شعب دخيل. فمُنذُ عام 1949؛ أيْ بعد قيام إسرائيل بعام، سارع اليهُود إلى إنتاج فيلم تحت عُنوان "سيف الصّحراء"، أظهروا فيه فلسطين بصُورة تتَّفق مع الشّعار الصّهيوني الكاذب، الذي نادت به الصّهيونيَّة، وخدعت به العالم، وهُو "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض". وقد بلغ عدد الأفلام التي أنتجتْهَا هُوليُود حول هذا المَوضُوع ما يزيد عن 28 فيلماً، أغلبها صُوِّرَ داخل إسرائيل. وفي عام 1982، قام مُنتجان سينمائيَّان يهُوديَّان؛ هُما "مناحيم غُولان" و"دورام غلُوباس" وأسَّسا شركة تحت اسم كانون Canon، أمطرت العالم وحدها بـ 26 فيلماً، تدعو كُلُّها إلى إبادة العَرَب وكراهيَّتهم. وشارك المُخرج اليهُودي الشّهير "سبيلبرغ" بإخراج عدد من الأفلام، تدور كُلُّها - أيضاً - حول تشويه سُمعة العَرَب، وإظهارهم بمظهر المُتعطِّشين للدّماء، وللقَتْل، وللجنس.

ولكنْ؛ قد يتساءل المرء - أحياناً - كيف استطاع المال اليهُودي أنْ يُسيطر على تلك الشّبكات الهائلة من المحطَّات التّلفزيونيَّة، أو الشّركات السِّينمائيَّة؟! وهل توفَّرت لديه هذه الأموال الطّائلة ليبسط سيطرته على هذه الوسائل الإعلاميَّة الهامَّة؟! ويُمكن أنْ نُعطي مثلاً

واحداً للإجابة عن هذا التّساؤل: لاري تيش Larry Tisch الذي يُدير شبكة CBS للتّلفزيون ذات الـ 24 مليون سهماً بقيمة 66 . 4 بليون دُولار، اشترى هُو وشركته المُساهمة 25٪ من أسهم شركة CBS، ومن المُتعارف عليه أنَّ مَنْ يملك 10 ـ 20 ٪ من أسهم أيَّة شركة كبيرة يكون له الحقّ في الإدارة الكاملة لهذه الشّركة. ثُمَّ حوَّل لاري الشّركة إلى شركة يهُوديَّة، يُديرها طاقم كامل من اليهُود، فقد سمَّى اليهُودي "هوارد سترينجر" رئيساً، و"جيف ساغانسكي" رئيساً لقسم المُنوَّعات، الذي يُقرِّر ما سيُشاهد النّاس كُلّ ليلة من البرامج، التي يُقرِّرها "جيف" نفسه. وأمَّا شركة ABC؛ فيرأسها اليهُودي "ليُونارد غُولدنسن" مع "ستُو بلُومبرغ" المسؤول عن المُنوَّعات، وكذلك NBC، يرأسها اليهُودي "ليُونارد غرُوسمان" مع "إيرفن سيجلستاين" كنائب للرّئيس.

أمَّا هُوليُود؛ فقد أصبحت اليوم تحت السّيطرة الكاملة لليهُود. فالغالبيَّة العُظْمَى من المُنتجين والمُخرجين هُم من اليهُود، وأنَّ أكثر من 70 ٪ من كُتَّاب السِّيناريو هُم يهُود أيضاً. وطبعاً؛ يعقب هذا الأمر أنْ تبقى سيطرة تسويق الفيلم بيد اليهُود، وأنَّ العاملين في الحقل السِّينمائي من غير اليهُود يبقون خاضعين تماماً للسّيطرة اليهُوديَّة. ولذلك؛ فإنَّه عندما اشترت شركة سُوني اليابانيَّة شركَتَيْ "كُولُومبيا" و"تري ستار" كلَّفَتْ يهُوديَّيْن هُما "جُون بيترز" و"بيتر غُوبر" لإدارة الإنتاج في استديُوهاتها.

ورغبة في إبقاء الصّبغة المسيحيَّة على الشّخصيَّة السِّينمائيَّة التي اعتاد النّاس على التّعامل معها، وتقبُّلها وعدم بعث أيّ تحسُّس ديني لدى الذين يرفضون الوُجود اليهُودي المُؤثِّر بينهم، فقد لجأ اليهُود إلى تغيير الأسماء اليهُوديَّة لمُعظم العاملين في الحقل السِّينمائي ذوي الأُصُول اليهُوديَّة وإعطائهم أسماء مسيحيَّة. وفيما يلي عيِّنة من أسماء هؤلاء اليهُود الذين غيَّر المُنتجون أسماءهم:

الاسم اليهُودي الحقيقي	الاسم المسيحي المُستبدَل
وودي الن كوينتغسبرغ	وودي الن
بيتي جوان	لُورين باكال
أرنست أفرُون	أرنست بُورغناين
شارل برُونسُون بُوشنسكي	شارل برُونسُون

تُولا فنكليا	سيد شاريس
تُوني بيرنهارد	تُوني كُورتس
لُوسيل لي	جوان كراوفُورد
إيشور داينلُوفيتشديميسكي	كيرك دُوغلاس
سارة غابُور	زازا غابُور
لاري ليتش	كاري غرانت
جُوديث تُوفيم	جُودي هُوليداي
جُوزيف ليفتش	جيري لويس
شيرلي شريفت	شيرلي وينتر

وهُناك المئات من المُمثِّلين والمُمثِّلات اليهُود الذين يظهرون على الشّاشة بأسماء مسيحيَّة مثل: تُوني راندال - اليانور باركر - إدوارد رُوبنسُون - لي جي كُوب - ريتشارد درايفُوس - هاريسُون فُورد - ريتشارد غير - بيتر فالك (كُولُومبُو) - إيدي فيشر - داستُون هُوفمان - جُورج سيغال - رُود ستايغر - جين سيمُور - بربارة والترز - برُوس ويليس . . . . . . ولا يتَّسع المجال لإدراج كافَّة أسماء هؤلاء، وخاصَّة إذا أردنا أنْ نُضيف إلى هذه اللاَّئحة أسماء المُمثِّلين نصف اليهُود (من أُمّْ يهُوديَّة أو أب يهُودي)؛ مثل جوان كُولينز - بُول نيومان - رُوبير دي نيرُو - جيرالدُو ريفيرا - وغيرهم.

ويجدر الإشارة إلى أنَّ بعض الوُجوه السِّينمائيَّة والمسرحيَّة سُلِّطت عليها الأضواء على أنَّها يهُوديَّة دُون إضفاء أيَّة سمات تمويهيَّة مسيحيَّة على شخصيَّاتها؛ مثل بربارا سترايسند، وتُوني مارتن. إلاَّ أنَّ هوليود حافظت - حتَّى الآن - على سياسة التّمويه تلك إمعاناً في تحقيق أكبر قَدْر من الدُّخُول لأفلامها.

الفصل الثّاني عشر:

الولايات المُتَّحدة والعلاقة الخاصَّة مع إسرائيل

إسرائيل في الاستراتيجيَّة الأميركيَّة:

تعدُّ العلاقة بين الولايات المُتَّحدة وإسرائيل من أكثر العلاقات التي تُثير الرّغبة في تقصّي دوافعها، ومعرفة مدلولاتها، ليس ـ فقط ـ بالنّسبة للدُّول العَرَبيَّة، بل ـ أيضاً ـ بالنّسبة للشّعب الأميركي نفسه. فلو ألقينا جانباً التّأييد السّياسي المُطلَق من قبَل الولايات المُتَّحدة لإسرائيل؛ سواء في مجلس الأمن، أو الجمعيَّة العامَّة للأمم المُتَّحدة، ذلك التّأييد الذي كان يحظى ـ دائماً ـ باستنكار شديد من المُجتمع الدّولي، وخاصَّة؛ عندما تُثار قضيَّة في مُنتهى الوُضُوح والعدالة، وتقف الولايات المُتَّحدة بمُفردها تُعارض إقرار أيّ مشروع قرار بشأنها. ومثال على ذلك ما حَدَثَ في حُزيران/ يُونيُو/ عام 1982، عندما عارضت الولايات المُتَّحدة قرار مجلس الأمن الدّاعي إلى انسحاب الطَّرَفَيْن إسرائيل ومُنظَّمة التّحرير من بيرُوت بعد الغزو الإسرائيلي للُبنان. وكانت أرضيَّة هذا الرَّفْض تعتمد على أنَّ القرار يُمكن أنْ يسمح لمُنظَّمة التّحرير من العيش مُجدَّداً كَمُنظَّمة سياسيَّة، وهذا ما كانت إسرائيل تُحاول عدم تحقيقه عندما غَزَتْ لُبنان، وهُو القضاء على مُنظَّمة التّحرير. وإذا نحَّينا جانباً كُلَّ الدّعم السّياسي الأميركي لإسرائيل في كافَّة المحافل الدّوليَّة، وألقينا الضَّوء على ما تُقدِّمه الولايات المُتَّحدة لإسرائيل من مُساعدات اقتصاديَّة وعسكريَّة لَبَهَرَتْنا الأرقام التي تُشير إلى أنَّ إسرائيل تحظى بنسب عالية تصل إلى 48٪ من مجموع المُساعدات العسكريَّة، و 35٪ من مجموع المُساعدات الاقتصاديَّة لما تُقدِّمه الولايات المُتَّحدة لجميع دُول العالم. ويُقدِّر مكتب المُحاسبة العسكري في البنتاغُون أنَّ نسبة المُساعدات العسكريَّة الحقيقيَّة لإسرائيل تبلغ 60٪ من مجموع هذه المُساعدات. وتجدر الإشارة إلى أنَّ إسرائيل لا تتقيَّد بأحكام المُساعدات العسكريَّة الأميركيَّة، التي تُحظِّر استخدام الأسلحة

الأميركيَّة في شنِّ أيِّ عُدوان على الغير، وكأنَّ إسرائيل مُعفاة من هذه الأحكام، وأميركا سعيدة بعدم التَّقيُّد هذا. وكثيراً ما تُقدِّم الولايات المُتَّحدة لإسرائيل قُرُوضاً بفائدة مُتدنِّيَة، وغالباً ما تكون هذه القُرُوض غير قابلة للسّداد، إضافة إلى لُجُوء الإدارات الأميركيَّة إلى تقديم مُساعدات عسكريَّة إضافيَّة بحُسُومات كبيرة على أسعارها، وهذا ما تلجأ إليه شركات تصدير الأسلحة؛ لتعدَّ هذه الحُسُومات كَنَوع من التَّبرُّعات القابلة للتّخفيض من الضّريبة. وتُقدِّر بعض الإحصاءات أنَّ نصيب الفرد الإسرائيلي من المُساعدات الأميركيَّة يبلغ ما يزيد عن 1000 دُولار سنويّاً.

وقد يُقال إنَّ هذه العلاقة الخاصَّة تخضع - في كثير من الأحيان - للضّغط المحلِّي، الذي يُمارسه اللُّوبي اليهُودي. ويتضمَّن هذا القول حيِّزاً كبيراً من الحقيقة، إلاَّ أنَّه لا يُعبِّر عن الحقيقة بكاملها لسببَيْن: أوَّلاهما أنَّه يُقلِّل من تقدير قيمة مبدأ الدَّعْم الأميركي لإسرائيل، وثانيهما أنَّه يُعظِّم أكثر من اللاَّزم دور اللُّوبي اليهُودي في سياسة الدَّعْم هذه. إنَّ اليمين المسيحي والمُنظَّمات المُتعدِّدة المُناصرة لإسرائيل، بدءاً من اتِّحاد نقابات العُمَّال، وحتَّى مُنظَّمات ضدَّ التّشهير AntiDefamation، كُلُّها تلعب دوراً في تقدير مبدأ الدَّعْم الأميركي. والنّظرة السّائدة الآن في الولايات المُتَّحدة تتَّسم بالبُعْد عن التَّعصُّب العرْقي والتّمييز العُنصُري، ولو كان هذا الأمر ظاهريّاً، وأنَّ النّاس مايزالون يُضمرون الكثير من العداء لليهُوديَّة، إلاَّ أنَّ الجوَّ العامَّ يُوحي بأنَّ كَراهية اليهُود لم تعد سائدة في المُجتمع الأميركي بمُختلف أوجه نشاطه، وهذا ما أتاح لإسرائيل زيادة سعيها داخل الولايات المُتَّحدة، وبذل أقصى جُهُودها لتحسين سُمعتها، وإنشاء العديد من المُنظَّمات التي تعمل كُلُّها تحت شعار واحد "نحنُ ندعم إسرائيل". هذه العوامل كُلُّها تُؤثِّر - بلا شكٍّ - على قرار الدَّعْم، ولكنّ؛ من الخطأ أنْ نُقلِّل من أهمِّيَّة النّظرة الاستراتيجيَّة لمصالح الولايات المُتَّحدة في الشّرق الأوسط. ومهما تعدَّدت الآراء، واتَّجهت لتضخيم التّأثيرات الدّاخليَّة، فإنَّ المصلحة الأميركيَّة العُليا في مُقدِّمة هذه التّأثيرات. وأنَّ أيَّة مجموعة ضغط لا يُمكن أنْ تلعب دوراً مُؤثِّراً في تغيير المبادئ والاستراتيجيَّة التي يجب اتِّباعها لضمان هذه المصالح. وأصدق وَصْف لهذا الموقف وَرَدَ على لسان الكاتب الأميركي "نوعام تشومسكي Noam Chomsky" في كتابه المُثلَّث القاتل The

Fateful Triangle ، يقول "تشومسكي" مُعلِّقاً على مبدأ الدَّعْم الأميركي لإسرائيل ، والعوامل المُؤثِّرة فيه : "إنَّ أيَّة جماعة ضَغْط لا يُمكنها أنْ تُسيطر على الرَّأي العـامّ ، أو تحتفـظ بتـأثير على سياسة صُنْع القرار ، إلاَّ إذا كانت أهداف هذه الجماعة قريبة من أهداف العناصر الذين يملكـون صُنْع القرار" .

وبالرّغم من كُلِّ الاعتبارات المُعطاة لسياسـة دَعْـم أميركـا لإسـرائيل ، فإنَّـه يبقـى العـامل الهامّ الواجب وضعه بعـين الاعتبار عند تقييـم هـذه العلاقـة هُـو مصلحـة الولايـات المُتَّحـدة . فإسرائيل - في الواقـع ، وعلـى المُستقبل المنظـور - مـاتزال أداة أميركيَّـة ، وأنَّ كُـلَّ دَعْـم لـهـا هُـو لتحقيق مصالح أميركيَّة ، وإنْ بَدَتْ في الظّاهر أنَّها مصالح إسـرائيليَّة ، أو مصـالح مُشـتركة بـين البلدَيْن . فمُنذُ قيام الدَّولة اليهُوديَّة كان مُخطَّط الاستراتيجيَّة الأميركيَّة هُـو دَعْـم هـذه الدَّولـة ، ليس - فقط - بسبب حماية مصالحها النّفطيَّة ، واستثماراتها الهائلة في منطقة الخليج العَرَبي ، بل - أيضاً - لإعاقة أيِّ نُمُوٍّ للتيَّار الوطني القومي في المنطقة ، وخاصَّة التَّيَّـار النّـاصري ، الـذي تـأثَّر كثـيراً بشـعارات القوميَّـة العَرَبيَّـة . ومـا الحـرب العُدوانيَّـة التـي خاضتْـهَا إسـرائيل عـام 1956 ، والحلْف الذي أقامتْهُ مع إيران وتُركيا وأثيوبيا عام 1960 ، وتكـرار عُدوانهـا عـام 1967 ، والتَّصدِّي لمُحاولة سُورية تقديم العون للفصائل الفلسـطينيَّة أثنـاء صدامـها مـع النّظام الأُردنـي عام 1970 ، إلاَّ تنفيذاً لهذه الاستراتيجيَّة ، التي تُحاول جاهدة كما يقول الأُستاذ حَسَنين هيكـل في كتابه (حرب من نوع جديد) : "عزل مصر عن العالم العَرَبي ، وقهر إرادتها ، وإعادتـها إلـى دائرة النُّفُـوذ الاستعماري ، وإظهار العَجْز العَرَبـي ، وشَـلّ الإرادة العَرَبيَّـة ، وإبعادهـا عـن أيِّ تفكير في التَّحرُّك" . ويبدو أنَّه تأكَّد للولايات المُتَّحدة - بعد عدَّة مُحـاولات قـامت بـها صنيعتها إسرائيل لتحطيم إرادة القتال لدى الأُمَّة العَرَبيَّة - بأنَّ الوُصُول إلى هذا الهَدَف لن يكون سـهلاً ، وإنَّ نزع هذه الإرادة وأدواتها مايزال هدفاً بعيد المنال .

لقد استخدمت الولايات المُتَّحدة إسرائيل كإسبارطة في الشّرق الأوسط ؛ لسدِّ الطّريق أمام أيِّ تحرُّك عَرَبي مُضادّ للسِّياسة الاستعماريَّة الغربيَّة ، ومنع أيّ تمدُّد للنُّفوذ الشُّيُوعي في المنطقـة . وكذلـك استخدمتْهَا كحصـان طـروادة فـي أفريقيـا لتدعيـم الأنظمـة الدِّيكتاتُوريَّـة فـي أثيوبيـا (هيلاسيلاسـي) ، وأُوغنـدا (عيـدي أمـين) ، وزائـير (مُوبُوتُــو) ، وأفريقيـا الوُسْـطَى (بُوكاسـا) ،

وجنوب أفريقيا التي قدَّمت لها إسرائيل أقصى ما يُمكن من المُساعدات لتثبيت نظامها العُنصُري. وأصبحت إسرائيل - بمُساعدة جهاز المُخابرات الأميركيَّة CIA - المصدر الرَّئيسي للمُساعدات العسكريَّة لجُيُوش العديد من تلك الدُّول، وغيرها من الدُّول الأفريقيَّة. إنَّ هذا الدَّور هُو نفسه الذي لعبته إسرائيل في أميركا اللاَّتينيَّة (نيكاراغوا - السّلفادُور - هندُوراس - كُوستاريكا - غواتيمالا). وعندما وَضَعَتْ خدماتها وخبرتها العسكريَّة تحت تصرُّف الأنظمة الدِّيكتاتُوريَّة هُناك، وَضَعَتْهَا تحت شعار الرّغبة في التّعاون مع تلك الأنظمة للدّفاع عن الدِّيمُقراطيَّة!!!!

الابتعاد عن أُورُوبا:

حتَّى نهاية الحرب العالميَّة الثّانية كانت أُورُوبا هي مركز الثّقل للنّشاط الصّهيوني، وما إنْ شعرت الصّهيونيَّة بثقل مركز الولايات المُتَّحدة، حتَّى سارعت في نقل نشاطها إلى الولايات المُتَّحدة، مركز القُوَّة الجديد في الغرب. وفي البداية؛ كان الدَّعْم العسكري والمالي مُتواضعاً، بينما كان الدَّعْم السِّياسي في أوج مُستواه. فقد اعترفت إدارة الرّئيس "ترومان" بالدَّولة اليهُوديَّة قبل الإعلان رسمياً عن قيامها في 15/ 5/ 1948. وكانت كُلُّ الإدارات الأميركيَّة المُتعاقبة تتسارع في تقديم الدَّعْم السِّياسي والمالي. وبعد ظُهُور الرّغبة الأميركيَّة في إنهاء أيِّ دور للاستعمارَيْن البريطاني والفرنسي في منطقة الشّرق الأوسط، ووراثة هذا الدَّور، واحتكاره، أصبحت الولايات المُتَّحدة أكثر ميلاً إلى المُجاهرة بدَعْم إسرائيل، وإبقاء هذه البُؤرة الاستعماريَّة قلعة متينة، تملك من القُدرات العسكريَّة المُتطوِّرة ما تملكه كُلُّ الدُّول العَرَبيَّة، وتتمتَّع بتفوُّق عسكري هائل لرَدْع أيِّ تفكير بالاعتداء عليها، أو تحطيم هذه القُدرة الفائقة التي وفَّرتْهَا لها أُورُوبا في الماضي (المُفاعل الذَّرِّي الفرنسي، والمُساعدات الماليَّة الألمانيَّة، والمُساعدات البَشَريَّة الرُّوسيَّة)، أم الولايات المُتَّحدة في الوقت الرّاهن. إنَّ العلاقة الأميركيَّة الإسرائيليَّة قَطَعَتْ أشواطاً بعيدة على طريق التّنسيق الاستراتيجي المُتكامل بين البلدَيْن. ففي عام 1981، تمَّ توقيع اتِّفاقيَّة التّعاون الاستراتيجي بينهما، وفي عام 1983، وقَّعت إسرائيل اتِّفاقيَّة جديدة مع الولايات المُتَّحدة للتّعاون الاستراتيجي، وبمُوجبها؛ حَصَلَتْ إسرائيل على مكاسب جديدة من المُساعدات الفنِّيَّة الأميركيَّة، وفي عام 1986، أعلنت

الولايات المُتَّحدة قيام حلف دفاعي مع إسرائيل، يستند إلى مجموعة مُتنوِّعة من الخدمات التي تُوفِّرها إسرائيل للولايات المُتَّحدة.

إنَّ الموقع الجغرافي المُتميِّز لفلسطين جَعَلَ إسرائيل قاعدة مثاليَّة لتمركز القُوَّات الأميركيَّة فيما إذا تهدَّدت مصالح الولايات المُتَّحدة في المنطقة، ومنها؛ تستطيع هذه القُوَّات استخدام كامل الأراضي الإسرائيليَّة للقيام بعمل عسكري مُباشر، أو بعمليَّات إسناد عسكريَّة قد تُضطر لها. ونَظَراً لما تملكه إسرائيل من خبرات عسكريَّة جيِّدة في مجالات فنِّيَّة مُتعدِّدة، فإنَّ الولايات المُتَّحدة يُمكنها الاستفادة من تلك الخبرات، وتوظيفها لخدمة مصالحها الخاصَّة، كما يُمكنها استخدام سلاح الطَّيران الإسرائيلي، لما يتمتَّع به هذا السّلاح من إمكانيَّات عالية كقُوَّة مُساعدة لحماية قُوَّاتها.

لقد ساد الاعتقاد بأنَّ ما تُقدِّمه الولايات المُتَّحدة لإسرائيل من مُساعدات مهما بلغت تبقى أقلّ كلفة فيما لو أرادت الولايات المُتَّحدة الاعتماد على قُوَّة عسكريَّة ثابتة في الشّرق الأوسط. ويقول وزير التّخطيط الإسرائيلي "يعقوب مريدو" إنَّ إسرائيل هي بديل عن عشر حاملات طائرات، يُكلِّف بناؤها خمسين بليون دُولار، عدا نفقات تشغيلها، ونفقة الجُنُود العاملين عليها، والحرج السِّياسي الذي يُسبِّبه وُجُودها. لذلك؛ فإنَّ المُساعدات التي تُقدِّمها الولايات المُتَّحدة تُعدُّ - مُقارنة بهذه الكلفة - رَقْماً بسيطاً، وتبقى إسرائيل - بالنّسبة لأميركا والغرب - مخفراً أماميّاً، وقاعدة عسكريَّة ذات تكلفة بسيطة. ومايزال هذا العقد النّفعي القائم بين الصّهيونيَّة العالميَّة والحضارة الغربيَّة بصُورة عامَّة والولايات المُتَّحدة بصُورة خاصَّة مُجزياً ورابحاً حتَّى الآن. فالقاعدة الاستعماريَّة التي تحتاجها أميركا لخدمة مصالحها الاستراتيجيَّة ماتزال صالحة للاستخدام، وجاهزة لأداء المهامّ المطلوبة منها على أحسن وجه. ويخشى بعض المُراقبين أنْ يطغى الجَشَع اليهُودي على الحُكُومة الإسرائيليَّة يوماً ما، وأنْ تطلب من الولايات المُتَّحدة رَفْع رَقْم مُساعداتها؛ لتتوازى - على الأقلّ - مع تقدير وزير تخطيطها لكلفة عشرة حاملات طائرات أميركيَّة جديدة. إنَّ ما تُقدِّمه الولايات المُتَّحدة من مُساعدات لإسرائيل حسب الأرقام الرَّسْميَّة المُعلَنَة يبلغ ثلاثة مليارات دُولاراً أميركيّاً؛ منها 1.8 مليار دُولار كمُساعدات عسكريَّة، و 1.2 مليار دُولار كمُساعدات اقتصاديَّة، ولكنَّ هذه المُساعدات هي -

في الواقع - لا تُمثِّل سوى نصف المُساعدات الفعليَّة التي تُقدِّمها الولايات المُتَّحدة لإسرائيل، ويُقدِّر الخُبراء في واشنطن أنَّ حجم هذه المعونات يزيد عن 6.3 مليار دُولار. لذلك؛ فإنَّ الخُبراء الاقتصاديِّين يعزون ثبات الاقتصاد الإسرائيلي طيلة مُدَّة الصِّراع العَرَبي - الإسرائيلي إلى ما يرد إلى إسرائيل من معونات ومُساعدات ماليَّة مُباشرة من الولايات المُتَّحدة.

فبفضل هذه المُساعدات تمكَّنت إسرائيل - طوال هذه الفترة - من تغطية نفقات تحرُّكاتها العسكريَّة، واعتداءاتها التي لا تنتهي على العالم العَرَبي، وتغطية النَّفقات الهائلة لحَرَكة الاستيطان البالغة التَّكاليف. ويُشير أحد التَّقارير التي نُشرت عن مقدار المُساعدات المُقدَّمة لإسرائيل حتَّى عام 1993، بمبلغ 78 مليار دُولار، منها 55 مليار دُولار كَمنحة لا تُرَدّ. ويُحاول مكتب الجباية اليهُوديَّة أنْ يُبقي سيل المُساعدات إلى إسرائيل مُستمراً. ويبلغ مقدار ما قدَّمه صُندُوق الجباية هذا حتَّى عام 1993، ما يُقارب عشرين مليار دُولار. وتُعدُّ إسرائيل الدَّولة الوحيدة في العالم التي يعتمد اقتصادها ورفاه شعبها على المعونات الخارجيَّة التي تتلقَّاها وتدفُّق الخبرات البشريَّة التي ترد إليها.

المهمَّة الثَّابتة لخدمة الغرب:

في الأصل؛ لم تخرج مهمَّة إسرائيل عن كونها الحارس الأمين للمصالح الاستراتيجيَّة للغرب. لقد كانت الدُّول الاستعماريَّة الغربيَّة تنظر إلى هذا الكيان بأنَّه عبارة عن جيب استيطاني يضمُّ يهُوداً من مُختلف دُول العالم، مهمَّته حماية مصالح الدُّول الغربية، وتأمين استمراريَّة السَّيطرة على منطقة استراتيجيَّة هامَّة.

ولقد بيَّن الدُّكتُور عبد الوهاب المسيري في كتابه (اليهُود ودولة إسرائيل في الاستراتيجيَّة الغربيَّة) هذا الأمر عندما استشهد بما قاله "ناحوم غُولدمان" رئيس المُنظَّمة الصَّهيونيَّة، والذي شغل هذا المنصب عام 1949 وحتَّى عام 1972، عندما عرض قضيَّة إنشاء الوطن القومي اليهُودي في فلسطين في الخطاب الذي ألقاه في مدينة مُونتريال بكَنَدَا عام 1947، لقد بيَّن "غُولدمان" ذلك الأمر بشكل دقيق وواضح عندما قال: إنَّ الدَّولة الصَّهيونيَّة سوف تُؤسَّس في فلسطين، لا لاعتبارات دينيَّة أو اقتصاديَّة، بل لأنَّ فلسطين هي مُلتقى الطُّرُق بين أُورُوبا وآسيا

وأفريقيا، ولأنَّها مركز القوَّة السِّياسيَّة العالميَّة الحقيقي، والمركز العسكري الاستراتيجي للسّيطرة على العالم.

وقد أدرك هذا الأمر مؤسِّس المؤتمر الصّهيوني الأوَّل "تيودُور هرتزل"، ووافق على أنْ تكون إسرائيل تابعاً للغرب، وحارساً أميناً لمصالحه. إنَّ كُلَّ الزّعماء الغربيّين، بدءاً من "نابليون"، وانتهاء ببلفور، لم تكن دعواتهم لإنشاء وطن قومي لليهُود في فلسطين إلاَّ لتحقيق أهدافهم في إيجاد بُؤرة استيطانيَّة تخدم مصالحهم الاستعماريَّة من جهة، وتعمل - في الوقت نفسه - على جَذْب أكبر عدد من هؤلاء اليهُود إلى هذه البُؤرة، ممَّا يُساعد الدُّول الأُورُوبيَّة على التَّخلُّص من عناصر غير مرغوب تواجدها فيها. وإنَّ هذا السُّلُوك الغربي لم يكن يوماً ما ينطلق من مُنطلق الحُبِّ والاحترام لليهُود، وطبعاً؛ لن يخرج هَدَف تفتيت المنطقة العَرَبيَّة عن المهامّ التي كُلِّفت بها الدَّولة المزروعة في قلب الوطن العَرَبي.

لقد وَجَدَتْ الولايات المتَّحدة في إسرائيل الأداة الجيِّدة الصّالحة للاستخدام، وتأكَّد لها أنَّ هذه المجموعة البشريَّة ذات الطّاقات المُتنوِّعة والمهارات المطلوب توفُّرها لأداء مهمَّة الحراسة والدّفاع عن مصالحها الاستراتيجيَّة جاهزة لتنفيذ هذه المهمَّة. ولا مانع لدى الولايات المتَّحدة من استغلال الدِّين كَمادَّة استعماليَّة، يُمكن توظيفها لصالح الغرب بصُورة عامَّة، وأميركا بصُورة خاصَّة. فطالما أنَّ العُنصُر البشري المُستورد ليست له جُذُور حضاريَّة في المنطقة، ومرفوض فيها، فإنَّه يُمكن استغلاله وضمان ولائه، وبالتَّالي؛ عمالته. إنَّ شعار اللُّورد "شافتيسبري" الذي نادى به (وطن بلا شعب لشعب بلا وطن) يُؤكِّد أنَّ فكرة تجميع يهُود الشّتات كانت تنطلق من هذا التّفكير الاستعماري الهادف إلى توظيف المجموعات اليهُوديَّة لخدمة المصالح الاستعماريَّة للدُّول الكُبرى الرّاغبة في وراثة الإمبراطُوريَّة العُثمانيَّة (رجل أورُوبا المريض).

الظُّرُوف الخارجيَّة المُساعدة:

إنَّ سُقُوط نظام الشّاه في إيران، وخُلُوّ منطقة الخليج من شُرطي الولايات المتَّحدة الإيراني أبرز - لسدِّ هذا الفراغ - ضرورة زيادة الاعتماد على إسرائيل لتنفيذ السِّياسة الأميركيَّة

في الشّرق الأوسط، كما أبرز الحاجة المُتزايدة إلى تمكين إسرائيل من امتلاك طاقات كبيرة من العتاد العسكري؛ لخَلْق نوع من الثّقة بالذّات، والتّأكُّد من إمكانيَّة تنفيذ المهامّ الموكولة إليها دُون أيّ تردُّد، وصاحب هذا السُّلُوك الأميركي مُساندة دائمة للسِّياسة الإسرائيليَّة، ودَعْم كامل لكُلّ إجراءاتها، التي كانت تتمّ دُون إعطاء أيّ اعتبار للرّأي العامّ العالمي، أو مُنظّمة الأُمم المُتَّحدة نفسها. وكانت مسارات التّأييد لهذا السُّلُوك الإسرائيلي تُثير كثيراً من الشّكّ لدى الوَسَط العَرَبي من احتمال وُقُوف الجانب الأميركي إلى صفّ الحقّ العَرَبي في صراعه مع الباطل الإسرائيلي. لقد تبخَّر هذا الحُلم، وبدت صُورته تبهت يوماً بعد يوم. ففي ختام أعمال مُؤتمر الحزب الجُمهُوري، الذي انعقد عقب غزو إسرائيل للُبنان عام 1982، تبنَّى المُؤتمر بياناً مُؤيِّداً لإسرائيل، ومُعرباً في صيغة ممجوجة عن أسفه لوُقُوع ضحايا من الجانبَيْن، ولم تتردَّد إدارة ريغان من تأييد هذا الاجتياح، بل عدَّ ريغان أنَّ عمليَّة الغزو هي من مُؤشّرات معركة هرمجيديون، التي جاء ذكرها في التَّوراة. وفي 27/ 6/ 1982، صَدَرَتْ صحيفة النّيو يُورك تايمز تُشيد بالعلاقات الثُّنائيَّة بين أميركا وإسرائيل، وتملأ صفحتها الأُولى بالمقالات والتّقارير المُؤيِّدة لهذا الغزو البَرْبَري. ويبدو أنَّ هذا النّصر السّريع للجيش الإسرائيلي بقيادة آرييل شارون دَفَعَ عدداً كبيراً من الأميركيّيْن إلى زيادة الإعجاب بالقُوَّة العسكريَّة الإسرائيليَّة، كما رَفَعَتْ مُستويات الغُرُور لدى القادة العسكريّيْن الإسرائيليّيْن بالقُدرة الخارقة لجيش الدّفاع الإسرائيلي، وفات هؤلاء أنَّ حُرُوبهم التي خاضوها مع الجانب العَرَبي (1948 ـ 1956 ـ 1967 ـ 1973) تتّسم كُلّ منها بملامح خاصَّة، تُعطي الجانب الإسرائيلي طاقات هائلة من الميِّزات التي أمَّنَتْهَا له عوامل خارجيَّة خاصَّة، قدَّمت له نصراً سريعاً يصعب حسب العُرْف العسكري أنْ يُطلَق عليه النّصر، الذي يُحقِّق أهدافاً سياسيَّة وعسكريَّة مُطلَقة.

فعدم التّنسيق العسكري، وحشد كُلّ الطّاقات للدُّول العَرَبيَّة التي خاضت حُرُوبها مع إسرائيل، وافتقار القيادات العسكريَّة العَرَبيَّة إلى وَضْع التّقديرات الصّحيحة اللاَّزمة لُمجابهة القُدرة العسكريَّة الإسرائيليَّة، إضافة إلى ضَعْف الأداء في صفُوف القُوّات، وتدنّي مُستواها بشكل يلفت النَّظر أمام أداء القُوَّات المُعادية، ثُمَّ انهيار القيادات أنفسها عند بُرُوز أوَّل بوادر فشل الأداء، يُضاف إلى كُلّ ذلك اعتماد السِّياسات الدّفاعيَّة كاستراتيجيَّة عسكريَّة، دُون البحث عن بديل لهذه السِّياسات غير المُجدية عسكريّاً، ثُمَّ قيام الاتّحاد السُّوفييتي، الذي

كانت بعض الدُّول العَرَبيَّة تعتمد على تزويد قُوَّاتها من مُستودعاته بتجهيز قُوَّات هذه الدُّول بمعدَّات دفاعيَّة فقط، وبكميَّات تُعادل بالكاد ما لدى إسرائيل من مثيلاتها، دُون أنْ يُسمح بالتَّفوُّق عليها، وأخيراً؛ عدم وُجُود خُطَّة ثابتة لقيادة مُوحَّدة تجمع القيادات العسكريَّة كُلَّها، وتصهرها وتُنسِّق بينها في ظلٍّ قيادة مُوحَّدة. كُلُّ تلك الأُمُور جَعَلَتْ النَّصر العسكري الإسرائيلي على القُوَّات العَرَبيَّة نصراً وهمياً، أكثر منه نصراً حقيقيَّاً. ففي حرب 1948، لم تضع الدُّول العَرَبيَّة الخمس مصر وسُوريَّة والأُردن ولُبنان والعراق كُلَّ طاقاتها العسكريَّة، واكتفت كُلٌّ منها بإرسال عدد محدود من قُوَّاتها للاشتراك مع قُوَّات جيش الإنقاذ، التي كانت شُكِّلَتْ بقيادة المُجاهد فوزي القاوقجي؛ لمُحاربة قُوَّات المُنظَّمات اليهُوديَّة، التي تمكَّنت الوكالة اليهُوديَّة أنْ تجعل منها نُواة الجيش الإسرائيلي، وهي قُوَّات "مُنظَّمة الهاغانا"، و"شتيرن"، و"البالماخ". وكانت القيادة العسكريَّة للقُوَّات العَرَبيَّة بيد القيادة الأُردنيَّة، التي عهدت إلى الجنرال الإنكليزي كلُوب بهذه المهمَّة. وكانت الحُكُومة المصريَّة - بتوجيهات الملك فاروق - لا ترغب في الاندفاع في التَّورُّط بهذه المعركة، الأمر الذي أدَّى - في النَّهاية - إلى تخبُّط الجانب العَرَبي، وإبداء رغبته في وَقْف القتال، الذي لم تحترمه إسرائيل، وأدَّى التَّخاذل العَرَبي والتَّآمر الأُردني - في النَّهاية - إلى احتلال إسرائيل أراض عَرَبيَّة في فلسطين أكثر ممَّا مَنَحَهَا قرار التَّقسيم الصَّادر في 29/ 11/ 1947، والذي بمُوجبه أُعطي اليهُود ما مساحته 56٪ من مساحة فلسطين.

أمَّا حرب عام 1956، التي تُعرَف بحرب السُّويس، والتي جَرَتْ بعد تأميم جمال عبد النَّاصر قناة السُّويس، ردَّاً على رَفْض البنك الدَّولي تقديم قَرْض لمصر، لتمويل بناء السَّدِّ العالي، الذي كانت مصر تبني آمالاً عريضة على بنائه، فإنَّها - في الحقيقة - ليست حرباً بالمعيار الأكاديمي لهذه الكلمة. فقد تآمرت إسرائيل مع كُلٍّ من بريطانيا وفرنسا على شنِّ هُجُوم عسكري شامل على مصر، يبدأ بدُخُول القُوَّات الإسرائيليَّة الحُدُود المصريَّة في سيناء، ثُمَّ تتذرَّع الدَّولتان بريطانيا وفرنسا بحُجَّة حماية حُرِّيَّة الملاحة في قناة السُّويس، وتطلب من مصر سَحْب قُوَّاتها التي حَشَدَتْهَا على الضِّفَّة الشَّرقيَّة للقناة لمُواجهة الهُجُوم الإسرائيلي على سيناء. فإسرائيل في حربها هذه التي بدأتها في 29/ 10/ 1956، هي - في الواقع - حرب إسناد لقوى

دولتَيْن عظيمَتَيْن. ورغم كُلِّ الاستعدادات التي رافقت عمليَّة الغزو، فقد باءت القُوَّات المُعتدية بفشل ذريع في بُور سعيد، ومناطق القناة، أمام تصميم المُقاومة المصريَّة على الدّفاع عن أراضي الوطن، وانتهت عمليَّة الغزو بجرِّ ذُيُول الخيبة والخُذلان، إثر التّهديد السُّوفييتي بالتَّدخُّل والإنذار الأميركي بضرورة انسحاب القُوَّات المُعتدية من الأراضي المصريَّة إلى الحُدُود التي كانت عليه قبل العُدوان.

وأمَّا حرب 1967؛ التي يُطلق عليها البعض اسم الخامس من حُزيران/ يُونيُو، والبعض الآخر يُسمِّيها حرب الأيَّام السِّتَّة، فقد كانت - في الواقع - حرباً كارثيَّة بالنّسبة للأُمَّة العَرَبيَّة؛ حيثُ تعرَّضت جُيُوش ثلاث دُول عَرَبيَّة (مصر وسُورية والأُردن) لهزيمة ساحقة لن تمُحَ آثارها من الذّاكرة العَرَبيَّة. وكانت نتيجتها احتلال إسرائيل سيناء والضِّفَّة الغربيَّة وقطاع غزَّة والقُدس وهضبة الجولان السُّوريَّة. وأيضاً؛ يُمكن أنْ نقول إنَّ هذه الكارثة رافقتْهَا ظُرُوف سياسيَّة عالميَّة، تحمل في طيَّاتها علائم المُؤامرة لتحطيم القُدرة العسكريَّة المُتنامية لدى الدُّول العَرَبيَّة؛ وخاصَّة مصر وسُورية، واقتلاع أيّ تفكير لديها في التَّحرُّك لمُعاودة الكفاح المُسلَّح ضدَّ إسرائيل. إنَّ ما حقَّقته إسرائيل في هذه الحرب لم يكن ليتمّ لولا اشتراك جهات مُساعدة قويَّة، مكَّنت من تحقيق هذا الانتصار، وإنْ ساعد على ذلك سُوء تقدير التّعامل مع الظُّرُوف الدّوليَّة السّائدة آنذاك، وكذلك عدم الإدراك الصّحيح للنَّوايا الإسرائيليَّة تجاه العالم العَرَبي.

ورغم ذلك؛ فإنَّ هذا الانتصار الإسرائيلي النّموذجي يُرجعه المُحلِّلون العسكريُّون الإسرائيليُّون إلى الانهيار السّريع والكامل للجُيُوش العَرَبيَّة، وليس إلى كفاءة التّخطيط العسكري، وإدارة العمليَّات الحربيَّة من جانب القيادات الإسرائيليَّة. فالأرض الخالية من أيَّة مُقاومة أطلقت العنان لمُوشيه دايان أنْ يأمر قُوَّاته باحتلال أكبر قَدْر من الأراضي، وقد أشار الفريق مُحمَّد فوزي - وزير الحربيَّة المصري الأسبق - إلى الخَلَل الكبير الذي كان سائداً في أوضاع القيادة المُوحَّدة، التي أُنشئت على عجل؛ لتضمَّ كلاً من سُورية ومصر والأُردن؛ إذْ إنَّ قُوَّات البُلدان الثّلاث لم تكن مُستعدَّة - أصلاً - لخوض أيَّة حرب دفاعيَّة ضدَّ إسرائيل. ورغم هذه الكارثة التي شاءت أجهزة الإعلام أنْ تُسمِّيها بالنّكسة، فقد استطاعت مصر أنْ تُحقِّق إعادة بناء قُوَّاتها المُسلَّحة، وتدخل في حرب استنزاف طويلة الأمد لمُدَّة ثلاث سنوات، كبَّدت

خلالها إسرائيل خسائر فادحة، وكانت الجسر الذي عَبَرَتْ عليه لدُخُول الحرب التّحريريَّة في تشرين الأوَّل / أُكتُوبر/ 1973، التي حقَّقت النّصر الكبير على ما كانوا يُطلقون عليه الجيش الذي لا يُقهَر.

ففي هذه الحرب التي قادتها مصر وسُورية ضدَّ إسرائيل بكفاءة عالية، والتي كادت أنْ تُؤدِّي إلى تحطيم الدَّولة اليهُوديَّة، لولا الجسر الجوِّي الذي أقامته الولايات المُتَّحدة لدَعْم القُوَّات الإسرائيليَّة، فقد غيَّر هذا الدَّعْم والجسر الجوِّي الأميركي صُورة المعركة، وحجَّم الانتصار العَرَبي. وأمَّا حرب لُبنان عام 1982، فقد دَخَلَتْ القُوَّات الإسرائيليَّة لُبنان، ولم يكن أمامها جيُوش عَرَبيَّة، بل بضع مئات من المُقاتلين الفلسطينيِّين، ويُناصرها في غزوها ميليشيات حزب الكتائب، التي ارتكب أفرادها مذابح صبرا وشاتيلا بمُساعدة وإشراف قائد قُوَّات الغزو آرييل شارون.

الفصل الثّالث عشر:

طبيعة التّحالف الأميركي مع الصّهيونيَّة

الصّهيونيَّة في خدمة المصالح الأميركيَّة:

إنَّ نجاح الصّهيونيَّة بتقديم نفسها كَخَادم للمصالح الغربيَّة، والتّقاء مصالح الطّرَفَيْن على إنشاء وطن قومي لليهُود في فلسطين لتكون دولة إسرائيل المركز الاستراتيجي، الذي يُقدِّم للغرب كُلَّ الخدمات اللاَّزمة، التي تُحقِّق رغباته وأطماعه في منطقة الشّرق الأوسط، لم يَحُلْ دُون سعي الصّهيونيَّة إلى مُحاولة تغيير هذه العلاقة التّعاقديَّة، التي ثبَّت أركانها وعد بلفور، والتي سادت حتَّى الآن بينها وبين الغرب. وما المُحاولات العديدة والمُتنوِّعة لتثبيت النُّفُوذ اليهُودي في الدَّوائر الغربيَّة، وفي المُجتمع الغربي نفسه عن طريق الاختراق الإعلامي والتّغلغل الفكري الثّقافي المظهر واستغلال النُّفُوذ الاقتصادي للجماعات اليهُوديَّة والاحتراف الواسع للعمل السِّياسي إلاَّ مظهراً من مظاهر هذا السّعي الدّؤوب للوُصُول إلى الهَدَف المنشود.

ولا شكَّ أنَّ هذه المُحاولات قد حقَّقت للجماعات اليهُوديَّة نجاحات ملموسة ومُتعدِّدة، سواء في أُورُوبا، أو الولايات المُتَّحدة، ولعلَّ تسليط الأضواء على ما أُنجز في الولايات المُتَّحدة يسمح بإلقاء بعض الأضواء الكاشفة على تلك الجُهُود المبذولة.

ـ لقد استطاعت الجماعات اليهُوديَّة أنْ تُثبت أقدامها في المجال الاقتصادي، وأصبحت تُسيطر على عدد كبير من الشّركات الأميركيَّة البارزة، وخاصَّة التي لها تماسٌ مُباشر مع المُستهلك الأميركي، كما تمكَّنت ـ أيضاً ـ من السّيطرة على السُّوق الماليَّة، تلك السُّوق التي تلعب دوراً هامّاً في توجيه النّشاط الاقتصادي بكامله. لقد أثمرت جُهُود اليهُودي الذي كان يجول في أنحاء الولايات حاملاً على كتفَيْه بضاعته، يبحث عن مُشترٍ لها، بأنْ يتحوَّل إلى

صاحب شركة كبيرة، يتربَّع على كُرسي فخم، يبحث دائماً عن استثمارات جديدة لتحقيق مزيد من الرِّبح والثَّروة.

- كما أدركت تلك الجماعات أنَّه لابُدَّ من استخدام السِّياسة لتثبيت مركزها في المُجتمع الأميركي، وَسَعَتْ عبر جُهُود مُضنية إلى اختراق الفيتو الذي كان مفروضاً على أعضائها، واستطاعت أنْ تُحقِّق انتصارات ملموسة في هذا المجال؛ ليُصبح عدد مُمثِّليها في مجلس النُّوَّاب الأميركي في عهد كليتنون 27 نائباً من أصل 435 عدد مجموع النُّوَّاب، وفي مجلس الشُّيُوخ 10 سيناتوراً من أصل 100 عدد أعضاء مجلس الشُّيُوخ.

- أمَّا الإعلام بمُختلف أوجه نشاطه (الصُّحُف - المجلاَّت - دُور النَّشْر - القنوات التّلفزيونيَّة)؛ فقد حقَّقت الجماعات اليهُوديَّة فيه نجاحاً باهراً، جَعَلَ مُعظم أدوات النّشاط الإعلامي تحت السّيطرة اليهُوديَّة (كالواشنطن بُوست، ونيُو يُورك تايمز، وول ستريت جُورنال، ونيُوز ويك، وتايم نيُو يُوركر، والمحطّات التّلفزيونيَّة مثل ABC وMBC و فُوكس نيُوز وNBC).

- ولم تنجُ هُوليُود من سياسة الاستحواذ التي يهواها اليهُود، وَنَظَراً لما تتمتَّع به هذه الصّناعة من قُوَّة دعائيَّة هائلة تسمح بتوصيل أعقد الحملات الإعلانيَّة بأيسر وسيلة وأسهل طريقة، فقد تمكَّنت الجماعة اليهُوديَّة من السّيطرة ليس - فقط - على شركات الإنتاج، بل - أيضاً - على كافَّة عناصر الإنتاج فيها، وأصبحت هُوليُود - الآن - بضاعة يهُوديَّة صرفة، تنقل للعالم كُلّه الأفكار التي ترغبها الجماعة اليهُوديَّة، والتي تأتي في مُقدّمتها كَراهية العَرَب والمُسلمين، وتمجيد إسرائيل، والشّعب اليهُودي، وتصوير كُلّ الثّوابت التّاريخيَّة بشكل مقلوب يخدم أهداف هذه الجماعة. وزيادة في التّضليل والتّقديم الزّائف للنُّجُوم ذوي الجُذُور اليهُوديَّة بقالب مسيحي، فقد قدَّمت هُوليُود عدداً كبيراً من نُجُوم السِّينما اليهُود إلى العالم بأسماء مسيحيَّة. ويُقدِّر البعض أنَّ الرّساميل اليهُوديَّة في صناعة السِّينما الأميركيَّة تزيد عن 85٪ من رأسمال هذه الصّناعة؛ أيْ أنَّ السّيطرة الكاملة على هذه الصّناعة أصبحت بيد يهُوديَّة.

ـ ولم ينسَ اليهُود أجهزة الدَّولة ومُؤسَّساتها، بعد أنْ كانوا لفترة قريبة يخشون الاقتراب منها، خوفاً من حساسيَّة المُجتمع الأميركي المسيحي من رُؤية أيٍّ منهم يحتلُّ منصباً إدارياً عالياً في الحُكُومة ومُؤسَّساتها. واستطاعت المجموعات اليهُوديَّة من تغيير نظرة الأميركيِّين لأفرادها. كما تمكَّنت من التَّغلغل شيئاً فشيئاً في وظائف الدَّولة؛ ليُصبح عدد اليهُود الذين يشغلون مناصب هامَّة وعالية 64 عُضواً في إدارة الرَّئيس بُوش الابن، مع الإشارة إلى أنَّ هذا العدد لا يشمل العديد من اليهُود الذين يشغلون مناصب إداريَّة مُختلفة، ليست بالمُستوى نفسه الذي نحنُ بصدد الإشارة إليه.

وقد بَلَغَ عدد السُّفراء اليهُود في إدارة الرَّئيس بُوش الابن ما يزيد عن 24 سفيراً؛ منهم ثلاث سفُراء في دُول إسلاميَّة هي مصر وتُركيا والمغرب.

قد تُوحي هذه الإنجازات إلى الاعتقاد بالمقولة التي تنطلق على ألسنة العديد من النَّاس بأنَّ اليهُود ـ أو بالأحرى؛ اللُّوبي اليهُودي المُتعاون مع الصَّهيونيَّة المسيحيَّة، والتي يلقى منها الدَّعْم والمُساندة ـ هُو الذي يُدير دفَّة السِّياسة في الولايات المُتَّحدة، ليس ـ فقط ـ لما له من نُفُوذ سياسي واقتصادي ومالي وإعلامي، بل ـ أيضاً ـ لما يتمتَّع به من قُدرة وطاقة انتخابيَّة مُنتظمة، تلعب دوراً كبيراً في تثبيت هذا الدَّور له. وفي الواقع؛ يجب أنْ لا نغفل الحقيقة التي تحتويها هذه المقولة، أو نُنكرها، أو نُقلِّل من أهميَّتها.

لقد كان جواب الرَّئيس "ترومان" للسُّفراء العَرَب الذين جاؤوا لتقديم نوع من العتاب على مُسارعته في إعلان اعترافه بدولة إسرائيل أنْ ردَّ عليهم بالسُّؤال التَّالي: هل يملك العَرَب في أميركا أصواتاً انتخابيَّة؟ ولكنْ؛ هل ـ حقّاً ـ إنَّ الصَّوت اليهُودي والنُّفُوذ الإعلامي والسِّيطرة الماليَّة على بعض أوجه النَّشاط الاقتصادي هي التي تُسيِّر سياسة البيت الأبيض، وتُوجِّه دفَّة الأُمُور نحو تأييد ودَعْم إسرائيل، الهَدَف الذي تسعى إليه المجموعات اليهُوديَّة المُمثَّلة في اللُّوبي اليهُودي؟ لعلَّ من المُفيد أنْ نبدأ بتحليل مقولة الصَّوت اليهُودي، ومدى تأثيره في الانتخابات الرِّئاسيَّة، ومدى التَّهافت على الاستحواذ الكامل عليه.

اللُّوبي اليهُودي والقرار السِّياسي:

أوَّلاً؛ لابُدَّ من الإقرار أنَّ اليهُود هُم أكثر الأقلِّيات في الولايات المُتَّحدة مُمارسة لأداء الدَّور السِّياسي، وأنَّهم أكثر الأقلِّيات مُمارسة لحقِّهم الانتخابي، وبذلك؛ يبقى الصَّوت اليهُودي صوتاً انتخابيَّاً فاعلاً ومُؤثِّراً، وهذا لا شكَّ فيه.، ولكنْ؛ هل يجوز رَبْطُ هذه الإمكانيَّة الهائلة التي يتمتَّع بها الصَّوت اليهُودي باتِّجاهات الرَّئيس المُتربِّع على كُرسي البيت الأبيض؟

إنَّ الوقائع أثبتت أنَّ شدَّة ومتانة الدَّعْم والمُساندة الأميركيَّة لإسرائيل لم تكن - يوماً من الأيَّام - مُرتبطة بعدد الأصوات التي ينالها رئيس البيت الأبيض من اليهُود. فجُورج بُوش الابن مثلاً يعلم تماماً أنَّ 75٪ من الصَّوت اليهُودي ذَهَبَ لخصمه ومُنافسه الدِّيمُقراطي آل غُور. إلاَّ أنَّ تأييده لإسرائيل زاد عن أيِّ تأييد لقيه الإسرائيليُّون من أيِّ رئيس أميركي سَبَقَهُ في تولِّي هذا المنصب. فريتشارد نيكسون لم يحظَ بأكثر من 20٪ من الصَّوت اليهُودي، ولكنَّ التَّأييد الذي قدَّمه لإسرائيل أثناء حرب 1973، والدَّعْم العسكري الهائل الذي أمدَّها به هُو الذي أنقذ هذه الدَّولة من دمار كامل كاد أنْ يلحق بها، نتيجة هزيمتها في الأيَّام الأُولى من الحرب.

وأمَّا القرار السِّياسي الذي يخضع لتوجيهات اللُّوبي اليهُودي؛ فهُو قول فيه الكثير من المُبالغة، وربَّما تكون أجهزة الإعلام الصّهيونيَّة هي التي كانت - وماتزال - تُروِّج لهذه الأُسطُورة المُختَلَقَة. والدّليل على عدم صحَّة هذه المقولة يبرز في المواقف التّالية التي وَقَفَتها الإدارات الأميركيَّة المُختلفة. ففي عهد الرّئيس دوايت أيزنهاور، صَدَرَتْ الأوامر الحازمة بضرورة انسحاب إسرائيل من الأراضي المصريَّة، إلى حُدُودها التي كانت عليها قبل غزوها لمصر في 29/ 10/ 1956. وفي عهد الرّئيس بُوش الأب طُلب من إسرائيل أنْ تنزوي وتبتعد عن أيَّة مُشاركة في التّحالف الذي قادته الولايات المُتَّحدة ضدَّ العراق، إثر غزو الكُويت عام 1990. وتكرَّر هذا الطَّلَب في عهد الرّئيس بُوش الابن عندما قامت الولايات المُتَّحدة بتشكيل التّحالف الدَّولي ضدَّ أفغانستان بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر/ عام 2001.

وكذلك الأمر تمَّ إبعاد إسرائيل عن التّحالف الذي قادته الولايات المُتَّحدة عندما غَزَتْ قُوَّاتها العراق في آذار / مارس عام 2003 .

ويدفعنا ـ نحنُ العَرَب ، أحياناً ـ الوَهمُ بأنَّ القرار الأميركي المُتعلّق بقضيَّة الصّراع العَرَبي ـ الإسرائيلي هُو قرار مُتحيِّز ، يقف وراءه لُوبي يهُودي ، يملك من القُدرات والطّاقات ما يُمكنه من التّأثير على ذلك القرار ، وتوجيهه لصالحه . إنَّ الحقيقة التي يجب أنْ لا تغيب عن أذهاننا أبداً أنَّ سمات الصّراع مع إسرائيل وطبيعة علاقة الولايات المُتَّحدة معها يستند على أُسُس أبرزها :

ـ أنَّ إسرائيل بُؤرة استيطانيَّة ، ومشروع صهيوني عُنصُري ، احتضنه الغرب ، وتبنَّاه ، وساعد على تزويده بكُلِّ أسباب البقاء .

ـ أنَّ الولايات المُتَّحدة ـ وريثة الاستعمار القديم ، ومُحتكرة الاستعمار الحديث ـ قد تبنَّت المشروع الصّهيوني ، الذي هُو في الأساس مشروع استعماري غربي ، يعتمد على مبدأ التّرحيل والاستيطان ، وتفاعلت مع الرُّؤية الإسرائيليَّة ، وانحازت لتحقيق مصالحها الخاصَّة إلى تبنِّي الأفكار الصّهيونيَّة المُرتكزة على مبادئ الرَّدْع والقُوَّة في التّعامل مع الجانب العَرَبي .

ـ أنَّ مصالح الولايات المُتَّحدة لإبقاء المنطقة العَرَبيَّة تحت سيطرتها ، ولاستثمار استغلالها الثّروة البتروليَّة العَرَبيَّة الهائلة وَجَدَتْ في إسرائيل ضالَّتها المنشودة لتحقيق هذا الهَدَف ، الذي تعدُّه هَدَفَاً استراتيجياً هاماً .

ـ أنَّ اندماج مصالح الدَّولة اليهُوديَّة مع مصالح الدَّولة الأميركيَّة أصبح أمراً يصعب التّفريق بينهما ، بسبب تشابه هذه المصالح ، وخاصَّة بعد إعلان الولايات المُتَّحدة حربها على الإرهاب ، إثر حادث تفجير بُرجَيْ التّجارة الدُّوليَّة في نيُو يُورك في 11/ 9/ 2001 ، وتدمير جُزء من مبنى وزارة الدّفاع ؛ بحيثُ غَدَتْ مصالح البلدَيْن وكأنَّها واحدة ، وأصبحت المطالب الأميركيَّة مطلباً إسرائيلياً ، وأصبحت المطالب الإسرائيليَّة مطلباً أميركياً . إنَّ هذا ما توضَّح في موقف الولايات المُتَّحدة المُؤيِّد للحرب الشّرسة التي قادها آرييل شارون ضدَّ السُّلطة

الفلسطينيَّة، وكذلك الإدلاء بتصريحات مفادها أنَّ الولايات المتَّحدة ستُوجِّه بنفسها الضّربة إلى الفلسطينيِّين، إذا لم يرتدعوا، أو يُذعنوا لوَقْف العمليَّات الاستشهاديَّة.

ـ أنَّ انتهاء الحرب الباردة وسقُوط الاتِّحاد السُّوفييتي عام 1990، وبُرُوز رُوسيا كدولة مكسورة الجناح، تحتاج إلى المُساعدة، وبقاء دُول أُورُوبا تحت المظلَّة الأميركيَّة، والسّعي الدّائم لإبعاد الصِّين واليابان عن لعب أيِّ دور على المسرح السِّياسي العالمي أبقى تفرُّد الولايات المُتَّحدة في قيادة العالم كقُوَّة وحيدة، لا تُجاريها أيَّة قُوَّة عالميَّة أُخرى، وأنَّ هذا الموقع المُتفرِّد دَفَعَ الولايات المُتَّحدة إلى أنْ تبقى الرّاعي الأوَّل والحَكَمَ الوحيد الذي تتمركز في يدَيْه الحُلُول، دُون أنْ يتوفَّر لأيِّ طَرَف آخر إمكانيَّة الاعتراض على قراراته. وكانت سُلُوكيَّة هذا الرّاعي وذاك الحَكَم دائماً سُلُوكيَّة مُنحازة إلى الجهة التي وَضَعَ ثقته بها لخدمة مصالحه؛ وهي إسرائيل.

ـ أنَّ إعلان العلاقة الاستراتيجيَّة بين الولايات المُتَّحدة وإسرائيل أكَّد وُجُود تحالف عميق وصلة ثابتة بين الدَّولتَيْن، مفادها ومدلولها السِّياسي هُو اتِّخاذ كُلِّ موقف إيجابي بالنِّسبة لإسرائيل، وسُلُوك كُلِّ ما يُمكن أنْ يُؤدِّي إلى الإضرار بمصالح الدُّول العَرَبيَّة المُعادية لإسرائيل.

ـ أنَّ ما تُوفِّره أجهزة الإعلام الأميركيَّة من موادّ ودعايات لصالح إسرائيل، ومواقف مُعادية للقضايا العَرَبيَّة لابُدَّ أنْ يُوحي بأنَّ العلاقة المتينة بين الولايات المُتَّحدة وإسرائيل هي علاقة استراتيجيَّة، تبنَّتْهَا الإدارات الأميركيَّة، مُنذُ قيام الدَّولة اليهُوديَّة.

ـ أنَّ ما يُطلَق عليه اسم اللُّوبي اليهُودي ودوره الفعَّال في القرار الأميركي مُجرَّد واقع ملموس في الحياة الأميركيَّة بصُورة عامَّة، إلاَّ أنَّه واقع غير محسوس بصُورة خاصَّة، وذلك عندما تطفو مصلحة الدَّولة الأميركيَّة على أيَّة مصلحة أُخرى، وتطغى هذه المصلحة على كُلِّ اعتبار، ففي هذه الحال؛ فإنَّ الولايات المُتَّحدة جاهزة ـ دوماً ـ لتحقيق مصلحتها بأيِّ ثمن، وبأيَّة وسيلة. وقد لا تدَّخر وسعاً بإزاحة كُلِّ مَنْ يقف في طريقها لتحقيق استراتيجيَّتها.

ـ أنَّ الجماعة اليهُوديَّة، مهما أتقنت دورها على مسرح السِّياسة الأميركيَّة، فإنَّ هذا الدَّور لن يخرج من طور دَور التّابع، ولن يصل إلى مُستوى اللاَّعب الأساسي في المسرح الأميركي؛ لأنَّه مايزال اللاَّعب الأميركي يحتكر دَور البُطُولة في كواليس السِّياسة الأميركيَّة.

ـ أنَّ إسرائيل ـ كَدَولة مُصطنعة مدعومة من قبَل قوى خارجيَّة، جاءت إلى المنطقة العَرَبيَّة لتسرق من شعبها أرضه ومُمتلكاته، ولتغرس في المنطقة التي عاش فيها هذا الشّعب الأصلي آلاف السّنين ما يُسمَّى بالمُستوطنات، ويملأها بالمُهاجرين المُغتصبين ـ لابُدَّ أنْ تكون دولة تُؤمن بالاستلاب والسّرقة والنّهب، فهي تسعى إلى الامتلاك عن طريق اللُّصُوصيَّة، وتحرص كُلَّ الحرص على نَهْب وسرقة أكبر ما يُمكن من أراضي الغير كُلَّما سَنَحَتْ الفُرصة، وأُتيح لها ذلك. إنَّ هذا الأُسلُوب في بناء الدَّولة ـ الذي يعتمد على ابتلاع الأراضي والمُمتلكات العَرَبيَّة بصُورة غير شَرْعيَّة ـ لابُدَّ أنْ يدفع بصاحبه إلى الالتجاء الدّائم لحامٍ له، يدفع عنه يد العدالة، التي قد تطاله يوماً بردِّ الحُقُوق إلى أصحابها. لذلك؛ فإنَّ الذّئب الإسرائيلي مُضطَرٌّ إلى الاحتماء بالرّاعي الأميركي، وعدم التَّمرُّد عليه. فالعلاقة هُنا ليست كما يتخيَّلها البعض علاقة نِدِّيَّة بين طَرَفَيْن، أو علاقة خاصَّة، تسمح للطَّرَف اليهُودي أنْ يُملي رغباته على الطَّرَف الأميركي.

ـ أنَّ ما يُثار ـ أحياناً ـ في أجهزة الإعلام ـ التي أغلبها يهُوديَّة، أو تُدار من قبَل اليهُود، أو المُوالين لهم ـ عن قُوَّة النُّفُوذ اليهُودي والتّأثير الكبير الذي يُمارسه على صناعة القرار الأميركي ـ هُو ـ في الحقيقة ـ ترويج باطل لأُكذُوبة، تُريد أجهزة مُعيَّنة أنْ تنطلي على النّاس؛ لتجد الإدارة دوماً تبريراً لسُلُوكها، ولتدع هذه الحقيقة ـ المُبالغ في تقديرها ـ تسري في عقُول الملايين من البشر؛ لتتَّخذها السُّلطة ـ دوماً ـ كَمشجب تُعلِّق عليه أخطاءها، وتُلقي على مَنْ تشاء اللَّوم في حال أيِّ إخفاق تتعرَّض له.

وأخيراً؛ فإنَّه يُمكن القول إنَّ العلاقة بين اللُّوبي اليهُودي والإدارة الأميركيَّة علاقة تتحكَّم فيها عدَّة عوامل، وتتجاذبها عدَّة تيّارات تُؤثِّر في خَلْق شيء من التَّفاعل والتّجاوب أحياناً، وشيء من التَّوتُّر والغضب أحياناً أُخرى، ولا يُمكن أنْ تخرج عن نطاق العلاقة بين

طَرَفَيْن، لكُلٍّ واحد منهما مصالحه الخاصَّة. ولكنْ؛ بكُلِّ الاعتبارات، يجب أنْ لا يقودنا تقييم هذه العلاقة بأنَّها علاقة طَرَفَيْن مُتماثلَيْن، يتمتَّع كُلٌّ منهما بالمُستوى نفسه، وبالقَدْر نفسه من القُوَّة التّفاوضيَّة، التي يُفتَرَض توافرها بين الطَّرَفَيْن المُتعاقدَيْن في الأحوال العاديَّة، بل تبقى علاقة اللُّوبي اليهُودي علاقة تابع، وليست علاقة سيِّد، ويبقى القرار الأميركي - الذي يتعلَّق بالمصلحة الأميركيَّة - قراراً أميركيّاً صرْفاً، لا يتأثَّر بعوامل ضَغْط خارجيَّة مهما كان مصدر هذا الضّغط، وتبقى المهمَّة الموكولة لإسرائيل هي حماية المصالح الأميركيَّة في المنطقة، والقيام بالمهامِّ القذرة، التي لا تُريد الولايات المُتَّحدة تنفيذها بنفسها. ولكي لا يقودنا الوَهْمُ والمظاهر الخادعة إلى الاعتقاد بخلاف ذلك، علينا أنْ نتذكَّر - دوماً - أنَّ صراعنا مع إسرائيل وكُلِّ الجهات الدّاعمة لها من أُورُوبا حتَّى أميركا، هُو صراع حضاري، أبعاده الحضاريَّة تنطلق من مبدأ رَفْض المقولة التي اتَّخذتها الصّهيونيَّة شعاراً لها "شعب بلا أرض لأرض بلا شعب" وصراع مصيري، يأبى السّماح للمشروع الصّهيوني الاستيطاني التَّوسُّعي في بناء قواعد له تحت شعارات دينيَّة زائفة "أرض الميعاد وشعب الله المُختار".

ولكي تكون الرُّؤيا أمامنا أنصع وُضُوحاً؛ ما علينا إلاَّ أنْ نتذكَّر ما قاله "دافيد بنْ غُوريُون" مُؤسِّس الدَّولة اليهُوديَّة في بداية فترة غَرْس هذه البُؤرة في الوطن العَرَبي: "إنَّ الفلسطيني العَرَبي لا يملك أيَّ رابطة انفعاليَّة بالأرض التي يعيش عليها؛ ويقصد فلسطين. إنَّه - بكُلِّ سهولة - يُمكن أنْ ينتقل إلى أيَّة أرض عَرَبيَّة أُخرى، كالأُردن، أو لُبنان، أو أيِّ بلد آخر. فكُلُّ تلك الأماكن هي مناطق قد يكون ارتباطه بها أكثر من ارتباطه بالأرض هُنا".

إنَّ "بنْ غُوريُون" لم يحدْ عن خطِّ التّفكير الذي كان يُنادي به "حاييم وايزمان" الذي بيَّن رأيه قائلاً:

"ليس هُناك صراع بين اليهُود والقوميَّة الفلسطينيَّة؛ لأنَّ الأُمَّة اليهُوديَّة ليست في فلسطين، وإنَّ الفلسطينيِّين ليسوا أُمَّة". وبالجوهر التّعبيري نفسه لهذه المقولة؛ أعلن "مُوشيه دايان" رأيه بصفته النّاطق الرَّسْمي باسم حزب العُمَّال الإسرائيلي قائلاً:

" إنَّ على الفلسطينيِّين (كنصيحة منِّي أنْ يفهموا أو يُقدِّروا) أنَّه من العَبَث أنْ يُؤسِّسوا دولة لهم في المُحيط العَرَبي، وإنَّ من الأنسب لهم أنْ يجدوا مأوى لهم في سُورية، أو الأُردن، أو العراق".

لقد كان "مُوشيه دايان" مثله مثل "بنْ غُوريُون" يعتقد أنَّه حتَّى الفلاَّح الفلسطيني لا يملك أيَّة رابطة بأرضه التي يعيش عليها!! وهذا الفلاَّح العَرَبي لن يُماثل - بكُلِّ تأكيد - الرّابطة التي يملكها اليهُودي، الذي خرج من البلاد مُنذُ أكثر من 2000 سنة. وأيضاً؛ لم تكن هذه الأفكار بعيدة عمَّا كانت تُؤمن به "غُولدا مائير" رئيسة الوُزراء، ومُمثِّلة حزب العمل. لقد بيَّنت "مائير" ما كانت تُنادي به عندما قالت:

" إنَّه لم يكن هُناك ما يُسمَّى بالشّعب الفلسطيني في فلسطين ليعتبروا أنفسهم كَشعب فلسطيني، وإنَّ القول بأنَّنا أتينا إلى فلسطين، ورمينا هؤلاء في البحر، وصادرنا مُمتلكاتهم غير صحيح؛ لأنَّهم - أصلاً - لم يكونوا هُناك، ولم يكن لهم أيُّ وُجُود"!!.

وحتَّى: أبا إيبان: الذي يُعتدُّ من حمائم حزب العمل، كان يُصرُّ في عام 1969، على إبعاد أيِّ دور للفلسطينيِّين في أيَّة مُباحثات للسّلام بين العَرَب وإسرائيل، وأنَّ هذا الموقف الذي اتَّخذه حزب العمل في تجاهله الوُجود الفلسطيني يتطابق مع الموقف نفسه الذي اتَّخذته الأحزاب اليمينيَّة المُعارضة لحزب العمل؛ أيْ أنَّ الكُتلتَيْن الحزبيَّتَيْن الرّئيسيَّتَيْن في إسرائيل حافظتا على وصيَّة "حاييم وايزمان" والتزمتا بآرائه وأفكاره.

الفصل الرّابع عشر:

حُدُود الصّراع

البُعْد الدِّيني للصّراع العَرَبي - الإسرائيلي:

عند الحديث عن موضُوع الصّراع العَرَبي - الإسرائيلي لابُدَّ لنا من الاعتراف بأنَّ حُدُود هذا الصّراع تتعدَّى البُعْد الدِّيني؛ إذْ لا يُمكن أنْ تصل مفاهيمنا لهذا الصّراع بأنّه صراع ديني بين اليهُوديَّة والإسلام، وإنْ مال البعض إلى تبنِّي هذا المفهوم، مُعتمدين في تبنِّيهم هذا على المُنطلقات الدِّينيَّة الضيِّقة ذات المضامين المُتزمِّتة المُتواجدة لدى طَرَفَيْ النّزاع، ولو بنسب مُتفاوتة. ولحُسْن الحظِّ؛ فإنَّ الرّافضين لهذه المقولة - الذين يتمتَّعون برُؤية دينيَّة واضحة - يحتلُّون جُزءاً كبيراً وواسعاً في الوَسَط العَرَبي، وأنَّ التَّحدِّيات التي يُواجهونها من الجانب اليهُودي المُتزمِّت تلقى استيعاباً جيِّداً لديهم. إنَّهم يُؤمنون بأنَّ الإسلام لم يكن - يوماً من الأيّام - ضدَّ الشّريعة اليهُوديَّة، ولم يُحارب الإسلام اليهُود في الماضي إلاَّ دفاعاً عن الذّات، والإسلام تعايش مع اليهُود، وَعَقَدَ مواثيق وتحالفات معهم، والإسلام دين سلام ومُؤاخاة مع الشّرائع السّماويَّة الأُخرى، يُؤمن بها وبرسالاتها وبأنبيائها، وهي جُزء منه. ولعلَّ الإسلام هُو الدِّين الوحيد الذي قدَّم لليهُود - عبر العُصُور - كُلَّ ما كانوا ينشدونه من حماية ورعاية. لقد فَتَحَ لهم بلاده عندما أغلق الآخرون الأبواب أمامهم؛ فبعد سُقُوط الأندلس واضطهاد المسيحيَّة لليهُود، وَجَدَ هؤلاء المطرودون من مُدُنهم وقُراهم ملاذاً آمناً لهم في رُبُوع الإمبراطُوريَّة العُثمانيَّة. وبعد دُخُول ألمانيا الأراضي الفرنسيَّة في بداية الحرب العالميَّة الثّانية، وشُعُور اليهُود بأنَّ الخَطَر النّازي يقترب منهم، ويُلاحقهم، كانت المملكة المغربيَّة البلد الوحيد الذي مدَّ لهم يد العون، فأمر الملك مُحمَّد الخامس بفَتْح أبواب بلاده أمامهم. إذنْ؛ يُمكن

القول بأنَّ حقيقة الصّراع العَرَبي - الإسرائيلي لا يُمكن أنْ تُوصَف بأنَّها صراع بين الإسلام واليهُوديَّة، وإنْ كانت بعض الأحزاب الدِّينيَّة اليهُوديَّة المُتطرِّفة والأحزاب اليمينيَّة المُتحالفة معها تسعى - جاهدة - بأنْ تُوحي في سُلُوكها السِّياسي بأنَّ الصّراع مع العَرَب هُو صراع مع الإسلام، وتذهب في هذا السُّلُوك الذي يستخدم الدِّين كَمَطيَّة لتحقيق نزعاته السِّياسيَّة إلى المُناداة علانيَّة بأنَّ صراعها مع الإسلام هُو صراع على الوُجُود، فالسّاحة لا تتَّسع لشريعتَيْن. ورغم الاقتناع بعدم سلامة هذه المقولة، واستحالة تنفيذها؛ إذْ لا يُعقَل إبادة ملايين من البشر، إلاَّ أنَّ ضيق الفكْر السِّياسي الذي يُؤمن بالعُنصُريَّة من جهة، ويتمسَّح بالدِّين من جهة أُخرى، يدفع قادة هذا التيَّار إلى تأجيج هذا الصّراع، وإطلاق تلك الصِّفة عليه (الصّراع بين اليهُوديَّة والإسلام)، والاستمرار بإطلاق التّصريحات الغوغائيَّة العُدوانيَّة، التي تتَّسم بالكَراهية والحقد، غير آبهين بما تُخلِّفه هذه الأقوال من انطباعات سيِّئة لدى الطَّرَف الآخر.

إنَّ هذه المواقف البشعة التي يتبنَّاها عدد كبير من رجال الدِّين اليهُودي وزُعماء الأحزاب اليمينيَّة المُتحالفين معهم لا يُمكن أنْ تُوحي للطَّرَف الآخر - العَرَبي أو المُسلم على حدٍّ سواء - إلاَّ أنَّه أمام فئة من النّاس تفتقر إلى أدنى درجة من الإنسانيَّة، ويترسَّخ في أذهان هذا الطَّرَف أنَّه يتعذَّر التّعايش مع أمثال هؤلاء المخلوقات ذوي القُلُوب المُتحجِّرة. فعندما يقف رجل دين وزعيم حزب سياسي الحاخام "أُوفيديا يُوسُف" زعيم حزب شاس، ويصف - في مواعظه الدِّينيَّة - الشّعب العَرَبي بأنَّه شعب يستحقُّ الضّرب بالصَّواريخ، والإبادة عن بكْرة أبيه، وأنَّه كالحشرات التي تمتصُّ الدّماء، وعندما يتَّهم هذا الحاخام - المُتعصِّب، والمُغرق في عُنصُريَّته، والرّافض لأيِّ نوع من أنواع التّعايش مع الآخرين أصحاب الأرض الشَّرْعيِّين - رئيس وُزرائه السّابق إيهُود باراك بأنَّه مجنون، وفاقد الأهليَّة، وذلك بسبب ما أبداه من مُوافقة مبدئيَّة على اقتراح الرّئيس الأميركي بيل كلينتون بإعطاء جُزء من القُدْس الشّرقيَّة للفلسطينيِّين، وذلك أثناء المُحادثات التي جَرَتْ في كامب ديفيد في تمُّوز / يُوليُو/ عام 2000، بين الجانبَيْن الفلسطيني والإسرائيلي. ويبلغ التَّطرُّف والتَّعصُّب بهذا الحاخام رجل الدِّين، وزعيم الحزب السِّياسي إلى القول بأنَّ التّلمود يُحرِّم السّلام مع العَرَب، ويكذب على الرَّبِّ عندما يقول: إنَّ الرَّبَّ قد ندم على خَلْق هذه الأُمَّة (الأُمَّة العَرَبيَّة)، كما ندم على ما سبَّب الشّتات لليهُود!!!

إنَّ هذه الأقوال والتّصريحات - التي تحمل أكبر قَـدْر مـن الحقـد والكَراهيـة - هـي - فـي الحقيقـة - تعبير عمَّا يجيش في صُدُور هؤلاء النّاس وأتباعهم الذين ينضوون تحت لوائهم.

أمَّـا عُضـو حزبـه الوزيـر "نديـم دهَّـان" - المُوغـل فـي عُنصُريَّتـه - فإنَّـه يُزايـد علـى رئيسـه، ولا يُؤيِّد أقواله فحسب، بل يزيد عليها عندما يصف المُصلِّين المُسلمين الذين يُؤدُّون الصّلاة في المسجد الأقصى بأنَّهم ثعالب، ارتفعوا درجة، وأصبحوا أفاعي وعقارب.

إنَّ هذه التّصريحات التي تفوح منها رائحة التَّعصُّب والعُنصُريَّة الكريهة، والتي تُصاحبها - بين حين وآخر - تصريحات مـن جـهات سياسيَّة مسـؤولة، بعضـها يدعـو إلـى إقامـة إسـرائيل الكُبْرَى (من الفُرات إلى النِّيل، أرضك يا إسرائيل)، وبعضها (اللِّيكـود بزعامـة شـارون) يُنكـر حقَّ الفلسطينيِّين في إقامة دولتهم المُستقلَّة علـى تُرابهـم الوطنـي وفـق مـا أقرَّتـهُ قـرارات الأُمـم المُتَّحدة، ومنها "رحبام زئيفي" الذي يُطـالب بـالتّرحيل الإجبـاري للعَـرَب مـن كـامل الأراضـي الفلسـطينيَّة، وبعضـها الآخـر مَـنْ يرفـض الخـوض فـي أيِّ حديـث عـن حـقِّ العـودة للأَجئـين الفلسـطينيِّين، الذيـن أُجبروا علـى مُغـادرة بُيُوتـهم وأراضيـهم نتيجـة المجـازر التـي ارتكبتـها العصابـات الصّهيونيَّـة المُسـلَّحة، والجيـش الإسـرائيلي نفسـه، وليـس كمـا يحلـو للدّعايـة الإسرائيليَّة المُضلِّلة التي تُريـد أنْ تُصـوِّر هـذه الـهجرة وذاك النُّزُوح كانـا بسـبب دعـوة الزُّعمـاء العَـرَب والقـادة العسـكريِّين الذيـن دَخَلَـتْ قُوَّاتـهم الأراضــي الفلسـطينيَّة عـام 1948، لطَـرْد اليهُود منها.

لقـد ثبَّـت الحاخـام اليـهُودي "مـايكل لـيرنر" فـي بحـث نَشَـرَهُ فـي لُـوس أنجلـوس فـي 28/ 4/ 2002، هذه الحقيقة، وأشار في بحثه، الذي اعتمد على دراسة قام بها مركز الأبحـاث الإسرائيلي أنَّ الدّافع الذي كان وراء هجرة العَرَب مـن أراضيـهم فـي فلسـطين ليس كمـا تُريـد الأجهزة الإسرائيليَّة أنْ تُثبته فـي أذهـان الـرّأي العـامّ العـالمي بأنَّـه كـان اسـتجابة لنـداء الرُّؤسـاء العَرَب وقادة القُوَّات العَرَبيَّة التـي دَخَلَـتْ فلسـطين عـام 1948، للقضـاء علـى الدَّولـة اليهُوديَّة النَّاشئة، بـل إنَّ هـذه الـهجرة - التـي شـملت مئـات الآلاف مـن الفلسـطينيِّين - كـانت بسـبب المُمارسات الوحشيَّة، والإكراه الذي مارسته عليهم القُوَّات اليهُوديَّة، التي شكَّلت - فيما بعـد -

نواة الجيش الإسرائيلي. فالهجرة الواسعة للسُّكَّان المَدَنيِّين العُزَّل من السّلاح لم تكن إلاَّ بسبب مُمارسة تلك القُوَّات، والفظائع، والمجازر التي ارتكبتْها في عدد كبير من المُدُن والقُرى الفلسطينيَّة. إنَّ الإرهاب الذي ارتكبتْهُ تلك العصابات الإسرائيليَّة لم يكن إلاَّ عملاً مُوحىً به من قادة سياسيِّين يُدركون الأبعاد التي ستنجم عن هذه المُمارسات اللاَّإنسانيَّة.

إنَّ إصرار شريحة كبيرة من رجال الدِّين اليهُودي والسِّياسيِّين المُتمسِّحين بستار الدِّين على إظهار أقصى درجات الكَراهية ضدَّ الفلسطينيِّين خاصَّة، والعَرَب عامَّة، وتصميم هاتَيْن الشّريحتَيْن على إثارة نعرات التَّعصُّب، وتأجيج مشاعر العداء للعَرَب والمُسلمين لابُدَّ أنْ يقود إلى جَعْل مهمَّة التّعايش بين الطَّرَفَيْن المُتصارعين أمراً يصعب تحقيقه.

ويجنح التَّطرُّف - أحياناً - بأحد أطراف هاتَيْن الشّريحتَيْن إلى إنكار حقِّ وُجُود غير اليهُود في أرض إسرائيل، ويذهب الشَّطَطُ بهذا الفريق أنْ يطلب من الحُكُومة الإسرائيليَّة (أفيدور ليبرمان عُضو الكنيست عن حزب إسرائيل بيتنا) ضَرْب السَّدِّ العالي بالصَّواريخ لإغراق الشّعب المصري، كما يُطالب - أيضاً - الحُكُومة الإسرائيليَّة بضَرْب المواقع الرّئيسيَّة في إيران، وهَدْمها فوق رُؤُوس ساكنيها.

إنَّ هذه المواقف المُتطرِّفة - المُوغلة في العُنصُريَّة - هي التي دَفَعَتْ بعض الأقلام اليهُوديَّة الحُرَّة أنْ تُوجِّه أصابع الاتِّهام إلى أصحاب هذه المواقف، وتتَّهمهم بقصر النَّظَر، وتُفنِّد مزاعمهم الباطلة التي يُطلقونها ضدَّ الإسلام. إلاَّ أنَّ هذه الأصوات المُندِّدة بالتَّيَّار العُدواني السّائد الآن في إسرائيل تبقى أصواتاً ضعيفة، لا يلقى صداها الاهتمام الكافي، الذي يستطيع أنْ يُغيِّر الجُنُوح نحو التَّطرُّف المُتحكِّم في السِّياسة الإسرائيليَّة الحاليَّة.

لقد دَفَعَ التَّطرُّف الذي يتبنَّاه اليمين الإسرائيلي المدعوم من قِبَل الأحزاب الدِّينيَّة المُتطرِّفة والمُوغلة في نظرتها التّوراتيَّة الضَّيِّقة المُتشدِّدين الإسلاميِّين إلى تبنِّي شعارات مُماثلة للشّعارات التي يُطلقها التَّيَّار اليميني الإسرائيلي. لقد قاد هذا الأمر - للأسف - إلى ازدياد سُوء الفَهْم المُتبادَل بين الطَّرَفَيْن، وإلى ارتفاع جدار عدم الثّقة بينهما، ويتحمَّل الجانب الإسرائيلي الجُزء الأعظم من مسؤوليَّة هذا الأمر. ولا شكَّ أنَّ المُؤسِّسين الأوائل للدَّولة اليهُوديَّة - في إصرارهم

على استخدام أقصى درجات العُنف والقسوة في التّعامل مع الشّعب الفلسطيني؛ لتفريغ الأرض من أصحابها، وإرهاب هؤلاء، وإلقاء أقصى درجات الرُّعب في قُلُوبهم باستعمال أبشع الوسائل وأحطّها؛ لتثبيت كيان دولتهم ـ كان اللّبنة الأُولى للسِّياسة الإسرائيليَّة، التي آمن بها ليس ـ فقط ـ المؤسِّسون الأوائل، بل مَنْ حَمَلَ بعدهم هذه العقيدة في التّعامل مع الشّعب العَرَبي الفلسطيني. إنَّها سياسة الإيمان بإبراز الإرهاب الدّموي، وارتكاب المجازر اللاَّإنسانيَّة ضدَّ الطَّرَف الآخر، دُون التّفكير بأنَّ هذا الأُسلُوب لن يقود إلاَّ إلى ازدياد الكَراهية والحقد تجاه مُرتكبي هذه الأعمال البَرْبَريَّة. لقد عدَّ الإسرائيليُّون ـ مُنذُ أنْ وطأت أقدامهم الأرضَ العَرَبيَّة المُقدَّسة في فلسطين ـ أنَّ الشّعب الفلسطيني شعب غير جدير بالثّقة والاعتبار، واستبعدوا أيَّة فكرة تدعو إلى التّعاون معه، أو مدّ يد الصّداقة إليه، بل ذهبوا أبعد من ذلك؛ إذْ عدُّوا العَرَب الذين يحملون الجنسيَّة الإسرائيليَّة غُرباء في أرضهم، واستبعدوا شبابهم حتَّى من الخدمة العسكريَّة، التي حصروها ـ فقط ـ في الدُّرُوز العَرَب، الذين ـ وحدهم ـ أُعطُوا هذا الحقّ. لقد أعطى هذا السُّلُوك العُنصُري انطباعاً لدى عَرَب فلسطين بأنَّهم أمام مجموعة من البشر تتفاخر بعُنصُريَّتها، وتتباهى في الدّفاع عن سُلُوكها اللاَّإنساني بالاعتراض على حقّ عودة اللاَّجئين إلى أراضيهم، أو تعويض مَنْ لا يُريد العودة منهم بحُجَّة أنَّ هذه العودة ـ فيما إذا تمَّت، ولو بأيِّ حُدُود كان حجمها ـ ستُهدِّد التّركيب الإثني للدَّولة اليهُوديَّة، وهذا في رأي هؤلاء السّاسة ورجال الدِّين يُشكِّل تهديداً للشّعب اليهُودي وهُويَّته اليهُوديَّة. إنَّ هذا السُّلُوك الذي يتبنّاه المُجتمع اليهُودي ـ بصُورة عامَّة ـ لا ينسجم، بل يُناقض مع ما تسعى إليه دولته من استقدام الملايين من اليهُود من كافَّة أنحاء العالم، وتقديم يد العون لهم، تمهيداً لاستيطانهم في الأراضي العَرَبيَّة؛ لتثبيت مبدأ فَرْض الأغلبيَّة اليهُوديَّة، وَجَعْله حقيقة ثابتة، ولو على حساب الحقّ العَرَبي.

رغم كُلّ الحقائق التي رافقت وقائع الصّراع العَرَبي ـ الإسرائيلي، فإنَّ العَرَب لم يقبلوا أنْ يكون صراعهم مع عدوِّهم الإسرائيلي، الذي حاول جاهداً تحويل هذا الصّراع إلى حرب دينيَّة بين الإسلام واليهُوديَّة أنْ يتحوَّل إلى صراع ديني، ومازالوا يعدُّون أنَّ هذا الصّراع كان ـ ومايزال ـ حرباً دفاعيَّة ضدَّ غاصب يُريد احتلال أراضيهم، ويستوطن بلادهم. ولإثبات

حُسن نيَّتهم إزاء هذا الغاصب، ولكي يُبعدوا هذا الصّراع عن الصّفة التي يُمكن - بسُهُولة - أنْ يلتصق بها، فقد اتَّخذ زُعماءهم - في مُؤتمرهم المُنعقد في أواخر آذار / مارس/ من عام 2002، في العاصمة اللُّبنانيَّة بيروت - أنْ يتقدَّموا بورقة، أُطلق عليها اسم المُبادرة السُّعُوديَّة، تتضمَّن اقتراحاً بإقامة سلام شامل بين الدُّول العَرَبيَّة وإسرائيل، وإنشاء علاقات طبيعيَّة معها، مُقابل انسحابها من الأراضي العَرَبيَّة المُحتلَّة بعد عام 1967، واعترافها بحقِّ الشّعب الفلسطيني بإقامة دولته المُستقلَّة على تُرابه الوطني، والوُصُول إلى حلٍّ عادل لمُشكلة اللاَّجئين.

لقد قُوبلت المُبادرة العَرَبيَّة بالرَّفْض التَّامّ من الجانب الإسرائيلي، وبدلاً من التّرحيب بها لما تضمَّنته من تنازلات واسعة من الجانب العَرَبي، فقد قامت الحُكُومة الإسرائيليَّة برئاسة "آرييل شارون" باكتساح أراضي السُّلطة الفلسطينيَّة في الضّفَّة الغربيَّة وغزَّة، وأعادت احتلال كافَّة الأراضي الفلسطينيَّة التي كانت قد انسحبت منها.

وللأسف؛ فقد وَقَفَتْ الولايات المُتَّحدة الأميركيَّة - التي تُعدُّ الدّاعم الرَّئيسي للكيان الصّهيوني موقفاً سلبيّاً إزاء هذه المُبادرة العَرَبيَّة، ولم تُبد أيَّ حماس لها ولمراميها النّبيلة. ورغم زيارة عدد من الزُّعماء العَرَب لواشنطن والاجتماع بالرّئيس جُورج بُوش الابن لشَرْح المُبادرة، وتوضيح أيِّ استفسار قد ترغبه الإدارة الأميركيَّة حولها، وتبيان حُسْن النِّيَّة لدى الجانب العَرَبي لإنهاء حالة هذا الصّراع، الذي استمرَّ أكثر من خمسين عاماً، إلاَّ أنَّ هذه الجُهُود لم تُثمر في تغيير وُجهة نَظَر الإدارة الأميركيَّة، وإصرارها على تَرْك مَوْضُوع الصّراع العَرَبي - الإسرائيلي، وإبقاء حلّه بيد السُّلطة الإسرائيليَّة، التي تسعى إلى فَرْض الحلِّ الذي ترتأيه أنَّه يخدم مصالحها فقط. إنَّ هذا الموقف الأميركي المُؤيِّد للسِّياسة الإسرائيليَّة والرّافض لاتِّخاذ موقف عادل وإيجابي تجاه هذا الصّراع، شجَّع الجانب الإسرائيلي على التّمادي في استخدام كُلِّ ما يملكه من كافَّة أنواع الأسلحة لضَرْب الشّعب الفلسطيني، واستخدام أقصى درجات العُنف ضدَّ المناطق الفلسطينيَّة، وفَرْض الحصار على مُعظمها.

وعندما بَحَثَ مجلس الأمن الدّولي ما يجري من مذابح وتدمير وقتل عشوائي للسُّكَّان المَدَنيِّين القاطنين في مُخيَّم جنين، والجرائم اللاَّإنسانيَّة التي ارتكبتْهَا القُوَّات الإسرائيليَّة في ذلك المُخيَّم، وفي مدينَتَيْ نابلس ورام الله، رَفَضَتْ الولايات المُتَّحدة قبول الاقتراح الذي قُدِّم

إلى مجلس الأمن، القاضي بتشكيل لجنة تحقيق دوليَّة للتّحقيق في الجرائم التي ارتكبها الجيش الإسرائيلي في تلك المناطق الفلسطينيَّة. وبعد عدَّة مُحاولات ومُساومات قبلت بتشكيل لجنة لتقصِّي الحقائق، وكأنَّ الصُّور الحيَّة التي كانت تنقلها وكالات الأنباء، وتُذيعها القنوات التّلفزيونيَّة لم تكن كافية للولايات المُتَّحدة التي أصرَّت على أنْ تكون مهمَّة اللّجنة هي تقصِّي الحقائق، وليس التّحقيق في الجرائم التي ارتُكِبَتْ بحقِّ سُكَّان مُخيَّم جنين ومدينَتَيْ نابلس ورام الله. ورغم صُدُور المُوافقة على تشكيل هذه اللّجنة؛ فإنَّ إسرائيل تُفاجئ العالم ومجلس الأمن بعدم مُوافقتها على استقبال لجنة تقصِّي الحقائق تلك. وبدلاً من أنْ يجتمع مجلس الأمن لبحث هذا الموقف ومُعالجة التّعامل مع دولة ترفض قراراً دوليَّاً، ولا تأبه بالشَّرْعيَّة الدّوليَّة، فقد لزم الصّمت إزاء إسرائيل، بل وأوعزت الولايات المُتَّحدة إلى الأمين العامّ للأُمم المُتّحدة "كُوفي أنان" بحَلِّ اللّجنة، وطيّ المَوْضُوع.

وعندما قامت القُوَّات الإسرائيليَّة بقَتْل ثلاثة من مُوظَّفي هيئة الأُمم المُتَّحدة العاملين في الضّفَّة الغربيَّة، وتدمير مخازن الموادّ الغذائيَّة التّابعة لبرنامج الغذاء العالمي في غزَّة، تقدَّمت سُورية بمشروع قرار يدين إسرائيل بسبب هذا العمل الإجرامي. وقد حظي المشروع بمُوافقة الدُّول الأربع ذات العُضويَّة الدّائمة في مجلس الأمن، ونال القرار - أيضاً - مُوافقة بقيَّة أعضاء المجلس ما عدا دولتَيْن امتنعتا عن التّصويت هُما بلغاريا والكاميرُون، إلاَّ أنَّ الولايات المُتَّحدة استخدمت حقَّ النّقض (الفيتُو) وحالت دُون إصدار مجلس الأمن قرار الإدانة هذا.

إنَّ تعميق سُوء التّفاهم بين جانبَيْ الصّراع وزيادة فجوة عدم الثّقة المُتبادلة بين الطَّرَفَيْن (العَرَبي والإسرائيلي) مهمَّة يحمل لواءها عدد كبير من المسؤولين الأميركيِّين اليمينيِّين، ذوي المُيُول الصّهيونيَّة، الذين يتولُّون وَضْعَ المفاهيم الجديدة للاستراتيجيَّة الأميركيَّة، يُساندهم في مهمَّتهم كتاب يعملون على تأمين أفكار هؤلاء ونَشْرها في كُبْرَى الصُّحُف الأميركيَّة وقنوات البثّ التّلفزيوني المُنتشرة في كافَّة أنحاء الولايات المُتَّحدة الأميركيَّة. ولا تخلو السّاحة من أقلام يهُوديَّة حُرَّة وشريفة تنتقد وتُعارض السِّياسة الإسرائيليَّة، وتُهاجم السِّياسة الأميركيَّة التي تُؤازر الظُّلم والعُدوان الإسرائيليِّين؛ أمثال الدُّكتُور ألفريد ليلينتال، نُوعام تشُومسكي، هنري سيجمان، أنتوني لويس، والحاخام ألمر بيرغر، والحاخام جُوناثان ساكس كبير حاخامات

بريطانيا، الذي انتقد مُمارسات الجيش الإسرائيلي مع الشّعب الفلسطيني، وَوَصَفَهَا بأنّها تصرُّفات تتناقض مع القيَم اليهُوديَّة الحقَّة.

وهُناك العديد من رجال الدِّين اليهُود الذين يُعارضون السِّياسة الإسرائيليَّة، ويرفضون أنْ تقوم إسرائيل على الأفكار الصّهيونيَّة، بل يعدُّون الصّهيونيَّة خطراً على الدّيانة اليهُوديَّة. وقد تطابقت هذه المواقف مع النّظرة العَرَبيَّة المُتحرِّرة من الاعتبارات الدِّينيَّة المُتزمِّتة، التي تتبنّاها بعض المجموعات الإسلاميَّة المُتشدِّدة، وباتت تسود في الوَسَط العَرَبي نظرة عدم اعتبار كُلّ يهُودي صهيوني، وأنَّه ليس بالضّرورة أنْ يكون كُلُّ يهُودي هُو عدوٌّ للإسلام، وأنْ إمكانيَّة التّعايش مع اليهُود مقبولة لدى الطَّرَف العَرَبي، وأنَّ مقولة التّعايش بين الإسلام واليهُوديَّة مقولة قابلة للتّحقيق. وقد وَضَعَتْ مُؤتمرات القمَّة أُسُس هذا التّعايش مُنذُ شهر أيلول / سبتمبر/ من عام 1982، عندما أقرَّ المُؤتمر المُنعقد في فاس بوُجُوب العمل على إحلال السّلام في الشّرق الأوسط بكُلِّ الوسائل السِّلْميَّة المُمكنة. وبعد تعثُّر المُفاوضات مع الجانب الإسرائيلي حاول القادة العَرَب أنْ يُؤكِّدوا لهذا الجانب في مُؤتمرهم المُنعقد في القاهرة عام 1996، أنَّ السّلام هُو الهَدَف الاستراتيجي للدُّول العَرَبيَّة. وفي نهاية شهر آذار / مارس/ من عام 2002، عقد الزُّعماء العَرَب مُؤتمرهم في بيروت، وأقرُّوا فيه مُبادرة جديدة للسّلام، اشتُهرت باسم مُبادرة الأمير عبد الله بن عبد العزيز.

إنَّ هذه المُنطلقات التي أخذت طريقها إلى الوَسَط العَرَبي تُعَدُّ مُؤشِّرات إيجابيَّة لنَزْع فتيل الصّراع الطَّويل، الذي ساد المنطقة لُمدَّة تزيد عن الخمسين سنة. وكان يُمكن أنْ تترسَّخ فكرة التّعايش العَرَبي - الإسرائيلي، وتُحقِّق نجاحات فعَّالة لدى الطَّرَفَيْن، لو أنَّ الطَّرَفَ الإسرائيلي بادر باتِّخاذ مواقف تُساعد على تثبيت حُسْن النِّيَّة، والرّغبة الحقيقيَّة في السّلام لديه. إنَّ المُواطن العَرَبي مايزال يحمل في ذهنه فكرة الاغتصاب اليهُودي للحقِّ العَرَبي، ومايزال يعتقد أنَّ الأطماع التَّوسُّعيَّة في احتلال أكبر قَدْر من الأرض العَرَبيَّة ماتزال موجودة لدى الطَّرَف اليهُودي. لذلك؛ فإنَّ القيام ببعض الإجراءات العَمَليَّة ذات الاتِّجاهات السِّلْميَّة لا شكَّ بأنَّها ستُساعد على إزالة مُعظم الأفكار التي ماتزال راسخة في ذهن المُواطن العَرَبي، الذي تصدمه المُمارسات اللاَّإنسانيَّة اليوميَّة، التي يُشاهدها أمام عينَيْه تجاه إخوانه في فلسطين.

إنَّنا نعتقد أنَّ بوادر حُسْن النِّيَّة التي يُمكن أنْ تهدم جدار عـدم الثِّقـة بين الجانبَيْن العَرَبي والإسرائيلي لابُدَّ أنْ تأتي من الجانب الإسرائيلي. فلو قبلت الحُكُومة الإسرائيليَّة المُبادرة العَرَبيَّة التي تقدَّمت بها الجامعة العَرَبيَّة في آذار من عام 2002، وأبدت تفهُّماً إيجابيَّاً لها لكان ذلك القبول تعبيراً عن حُسْن نوايا هذا الجانب، ولو أنَّ أيَّة حُكُومة إسرائيليَّة رشيدة - إثباتاً للنَّوايا الطَّيِّبة تجاه العَرَب - أعلنت أنَّها ضدَّ إنشاء أيَّة مُستعمرات غير قانونيَّة على الأرض العَرَبيَّة المُحتلَّة، وقاومت - فعلاً - هذا النَّشاط الاستيطاني غير الشَّرْعي لعُدَّ هذا السُّلُوك سُلُوكاً يُعبِّر عن احترام حقِّ الطَّرَف العَرَبي في أرضه. ولكنْ؛ للأسف، لم يُبد الجانب الإسرائيلي أيَّة بادرة تنمُّ عن الرَّغبة في القيام بأيَّة خُطوة إيجابيَّة تجاه صراعه مع الطَّرَف العَرَبي، بل، بالعكس من ذلك تماماً، فهُو يزداد تصلُّباً وتشدُّداً كُلَّما أبدى الجانب العَرَبي مزيداً من التَّساهلات في التَّعامل معه. فالأصوات المُتطرِّفة السَّائدة فيه - والتي تُهاجم - علانيَّة - العُرُوبة والإسلام - تزداد يوماً بعد يوم، والقوانين العُنصُريَّة التي تجعل من المُواطنين العَرَب المُقيمين في إسرائيل، والذين يزيد عددهم عن المليون، مايزالون محرومين من حقِّ المُواطنيَّة والمِيْزات التي يتمتَّع بها المُواطن اليهُودي، رغم حَمْلهم الجنسيَّة الإسرائيليَّة، ومازال كُلُّ الحُكُومات الإسرائيليَّة تبتعد عن قبول حُدُود مُعيَّنة لدولتها مُبيَّنة صراحة في دُستُورها، رغم علْمها بأنَّ التَّغاضي عن هذا هُو دليل ناصع على الأطماع والأحلام التَّوسُّعيَّة التي تختفي وراء هذا السُّلُوك.

إنَّ هذه الخُطوات فيما لو اتُّخذت لابُدَّ من أنْ تُوحي بأنَّ إسرائيل اليهُوديَّة تهتمُّ - فعلاً - بالسَّلام والتَّعايش مع جيرانها العَرَب، وأنَّها ليست دولة مُعادية للعُرُوبة والإسلام. أمَّا الإصرار على السُّلُوك العُدواني، والتَّمسُّك بضرورة التَّفوُّق العسكري على جميع الدُّوَل العَرَبيَّة، والإصرار على التَّمسُّك ببرنامجها النَّووي، وعدم القبول بإخضاعه إلى أيِّ نوع من أنواع الرَّقابة الدُّوليَّة، وامتناعها عن التَّوقيع على مُعاهدة عدم نَشْر الأسلحة النَّوويَّة، وعدم الاعتراف بحقِّ الشَّعب الفلسطيني، والإصرار على إظهار العداء السَّافر للأُمَّة العَرَبيَّة، وبَذْل كُلِّ الجهُود لتفرقتها، والتَّآمر عليها، وتشويه سُمعتها، والحطِّ من كرامتها في المحافل الدَّوليَّة، ونعتها بأقذع الشَّتائم والمُواصفات المُنحطَّة؛ فإنَّ هذا السُّلُوك - للأسف - لن يجد حصيلة له إلاَّ العداء السَّافر لإسرائيل، ذلك العداء الذي لابُدَّ أنْ يقود إلى مُساواة إسرائيل باليهُوديَّة،

واعتبار الطَّرَفَيْن وجهاً واحداً لعُملة واحدة غير مقبولة من الجانب العَرَبي والمُسلم على حَدٍّ سواء.

العَرَب والصّهيونيَّة:

قد يصعب الإجماع على قبول نظريَّة الشّخصيَّة اليهُوديَّة التّقليديَّة الواحدة، بمعنى أنْ تكون هُناك وحدة في تكوين العناصر الماديَّة في الشّخصيَّة اليهُوديَّة، تمنح اليهُودي صفة خاصَّة واحدة، يحملها كُلُّ يهُود العالم المُتواجدين في كُلِّ أركانه شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً. لذلك فإنَّ توصيف كُلِّ يهُود العالم بصفة عامَّة واحدة فيه تجاوز غير مقبول لنواح عدَّة سيكُولُوجيَّة واجتماعيَّة وجَغرافيَّة. فاختلاف البيئة، وتباين العادات، وتباعد الكيانات، لابُدَّ أنْ يجعل وحدة الصّفات والتّكوين أمراً مُتعذَّراً.

كما أنَّ عدم وُجُود شعب يهُودي واحد يُمثِّل تُراثاً وامتداداً لشعب يهُودي قديم، وعدم وُجُود سُلطة مركزيَّة تجمع سائر يهُود العالم، بعد أنْ حطَّم "تيتوس" الرُّوماني الهيكل في القرن الأوَّل الميلادي، وبدء مراحل الشّتات اليهُودي مُنذُ تلك الحقبة المُغرقة في القدَم، تجعل قبول هذه النّظريَّة - الشّخصيَّة اليهُوديَّة الواحدة - صعبة القبول. ولكنْ؛ يُمكن الاتّفاق على قبول الطَّرْح الذي يقول بأنَّ الشّخصيَّة اليهُوديَّة قد تأثَّرت - خلال مسيرتها عبر التّاريخ - بعدَّة عوامل لابُدَّ أنْ تكون قد لعبت دوراً هاماً في تكوينها. ولعلَّ أبرز هذه العوامل هُو الشُّعُور بالاضطهاد والمَهَانة والاحتقار، ثُمَّ الميل إلى العيش في مناطق مُنعزلة فيما يُعرَف "الغيتو، أو حارة اليهُود"، مع الرّغبة الشّديدة في الانتقام من الآخرين.

إلاَّ أنَّ العامل الذي أعطى هذه الشّخصيَّة صفات مُميَّزة اتَّسمت بملامح خاصَّة يتعذَّر تواجدها في بقيَّة أصناف الجنس البشري هُو ما قدَّمته الحَركَة الصّهيونيَّة لها.

لقد جاءت الصّهيونيَّة لتُعطي اليهُوديَّة نَمطاً جديداً من التّفكير، وأُسلُوباً جديداً من التّعامل مع الآخرين، ولعلَّ أبرز الأُسُس التي سَعَتْ الصّهيونيَّة إلى إدخالها في الفكْر اليهُودي هُو:

1 - رَفْض الاندماج في الشُّعُوب الأُخرى، والإصرار على إنهاء حالة الشّتات، ورَفْض فكرة المُجتمع اليهُودي المُنعزل (الغيتو).

2 - رَفْض الأفكار الدِّينيَّة التّقليديَّة، وقبول المنطق العلمي والأفكار العلمانيَّة التي قدَّمتها الصّهيونيَّة لحلِّ المُشكلة اليهُوديَّة.

3 - بَعْث الرُّوح العُدوانيَّة الموجودة في التُّراث الدِّيني اليهُودي، وتأجيج الشُّعُور لدى الشّعب اليهُودي بأنَّ الأخطار التي كانت تُحيط به في الماضي قبل إنشاء دولته ماتزال مُحيطة به، حتَّى بعد بُرُوز هذه الدَّولة إلى حيِّز الوُجود.

4 - إزْكَاء الفكر الإسبارطي لدى الشّعب اليهُودي، وتشجيع النّاس على تمجيد هذا الفكر، الذي يتَّسم بالقُوَّة والقسوة والتَّأهُّب الدّائم لُممارسة العُنف.

5 - الإصرار على أنَّ للشّعب اليهُودي خُصُوصيَّة لا تتواجد لدى شُعُوب العالم، ويتمتَّع بعبقريَّة مُتميِّزة لا تتوفَّر لدى الشُّعُوب الأُخرى، إضافة إلى أنَّه شعب فريد من نوعه في تماسكه ووحدته ووطنيَّته، وأنَّه حافظ على هذه الميِّزات بعد كُلِّ العُصُور، وفي كُلِّ زمان ومكان.

6 - إنماء الشُّعُور القومي بإمكانيَّة إخضاع العالم، وفرض الهيمنة الصّهيونيَّة على دُوله.

7 - إنَّ الدّعوة إلى الهجرة إلى فلسطين هي دعوة إلى العودة إلى أرض الأجداد لاستئناف التّاريخ اليهُودي، وبناء الكيان اليهُودي الخالص.

إنَّ هذا النَّمَطَ من التّفكير يتَّفق مع أفكار المُؤسِّسين الأوائل للحَرَكَة الصّهيونيَّة، وينسجم مع توجُّهاتهم السِّياسيَّة، التي رافقت مساعيهم لإبراز الكيان اليهُودي، الذي كانوا يسعون إلى إخراجه بالاتِّفاق مع الدَّولة التي كانت تُسيطر على فلسطين (بريطانيا). ولقد سعى المُؤسِّسون الأوائل إلى التّركيز على زَرْع عقدة الاضطهاد ضدَّ اليهُود، وبثّها في نُفُوس الجماعات اليهُوديَّة؛ لتسهيل مهمَّتهم في إنشاء الكيان اليهُودي في فلسطين. لقد كانت الحَرَكَة الصّهيونيَّة تأمل أنْ تحظى بأكبر قَدْر من التّعاطف مع قضيَّتها من دُول أُورُوبا. وقد سَعَتْ - جاهدة - إلى

بُلُوغ هذا الـهَدَف، مُضحيَّة بمئات الآلاف من أبنائها. وقصَّة التّآمر الصّهيوني مع الجستابو معروفة، فقد رَفَضَتْ الحَرَكَة الصّهيونيَّة العرض الذي قدَّمه الجستابو القاضي بنَقْل اليهُود الأُورُوبيِّين إلى إسبانيا إذا تخلّوا عن مُمتلكاتهم في فرنسا وألمانيا، شريطة أنْ لا يُغادر هؤلاء المُبعدون إسبانيا إلى فلسطين، بل إلى الولايات المُتَّحدة والمُستعمرات البريطانيَّة بتأشيرات دُخُول نظاميَّة، يُؤمِّنها لهم اليهُود المُقيمون في تلك البلاد، على أنْ تدفع الوكالة اليهُوديَّة مبلغ 1000 دُولار عن كُلِّ عائلة يهُوديَّة عند دُخُولها الحُدُود الإسبانيَّة، وذلك بمُعدَّل 1000 عائلة يوميّاً، إلاَّ أنَّ القادة الصّهيونيِّين رَفَضُوا هذا العرض رَفضاً قاطعاً، مُعتمدين على أسباب هزيلة؛ أهمّها أنَّ فلسطين يجب أنْ تُعَدَّ الـهَدَف النّهائي لهؤلاء المُبعدين، مُتناسين أنَّ هؤلاء اليهُود الأُورُوبيِّين سيتعرَّضون - في حال رَفْض الوكالة اليهُوديَّة هذا العرض - إلى أشدِّ أنواع العذاب، وربَّما الموت. وبالفعل؛ فقد ضحَّى الصّهاينة بهؤلاء الأبرياء في سبيل تحقيق الدّعوة التي يسعون إلى تحقيقها؛ إذْ إنَّ أُورُوبا في حال انتصار الحُلفاء ستتعاطف مع القضيَّة اليهُوديَّة، وخاصَّة بعد أنْ يذهب هؤلاء اليهُود إلى المحرقة، ويدفع الشّعب اليهُودي في أُورُوبا ثمن الاضطهاد النّازي. لقد كان مفهوماً وواضحاً أمام القادة الصّهيونيِّين أنْ رَفْضَ عرض الجستابو هُو دَفْع أعداد هائلة من اليهُود إلى غُرف الغاز. ورغم ذلك؛ فقد ضحَّى هؤلاء ببني جنسهم ودينهم، في سبيل تحقيق المُخطَّط الذي كانوا يسعون إلى تنفيذه.

لقد تكرَّر هذا السُّلُوك وهذا الإصرار على هذا الموقف المُتَّسم بعدم المُبالاة بأرواح اليهُود الهنغاريِّين عام 1944، عندما عرض الجستابو عرضاً مُماثلاً لعرضه الأوَّل، ولكنْ؛ أيضاً، رَفَضَتْ الحَرَكَة الصّهيونيَّة هذا العرض، الذي كان يُمكنه إنقاذ جميع اليهُود الهنغاريِّين من الموت.

وإمعاناً في التَّشدُّد والمُعاندة رَفَضَتْ الحَرَكَة الصّهيونيَّة عرضاً اقترحتْهُ مجموعة من أعضاء البرلمان البريطاني بأنْ يُهاجر 500 ألف يهُودي من يهُود أُورُوبا إلى المُستعمرات البريطانيَّة، وذلك بعد أنْ تمكَّنت الحُكُومة البريطانيَّة من إقناع الحُكُومة الألمانيَّة بذلك، ولكنْ؛ أيضاً، أصرَّ القادة الصّهيونيُّون على أنْ تكون الجهة التي يُوافقون على الهجرة إليها

هـي فلسطين فقـط، وفشـلت المُحادثـات، وبقـي هـؤلاء المسـاكين فـي أُورُوبـا ينتظـرون مصيرهم المشؤوم.

وبعد أنْ وافقت الحُكُومة البريطانيَّة على منح 300 حاخام يهُودي مع عائلاتـهم تأشيرة دُخُول إلى مُستعمرة مُوريشيُوس، قامت الحَرَكَة الصّهيونيَّة بإحباط هـذه الخُطَّة، وحالت دُون سَفَر هؤلاء، مُدَّعية بأنَّ هؤلاء الحاخامات الثّلاثمئة، الذين حَصَلُوا على تلـك التّأشيرات غير مُوالين للفكر الصّهيوني، ويجب إعدامـهم مع عائلاتـهم فـي غُـرف الغـاز. لقـد كـان "حاييم وايزمان" Chaim Weizmann (أوّل رئيس دولـة فـي إسرائيل) يُردِّد - دائماً - بأنَّ النُّخبة من اليهُود هُم - الآن - في فلسطين، وأنَّ اليهُود الذين يعيشون في خارجها ليست لهم أيَّـة قيمـة!!! وأمَّا زميله "غرين بُوم" Green Baum؛ فقد كان يُضيف على هـذا القـول عبـارة: إنَّ بقـرة فـي فلسطين تُعادل كُلَّ يهُود أُورُوبا!!!

إنَّ هـذا السُّلُوك الـذي مارسـه هـؤلاء القـادة الصّهاينـة مـن مُنطلـق تعصُّبـهم الأعمـى، ونزعتهم العسكريَّة الكريهة، وعـدم اكتراثـهم بحياة ملايين اليهُود الضُّعفاء، الذيـن وجدوا أنفسهم في غياهب مُعسـكرات الاعتقـال ينتظـرون المـوت بالغـاز، دُون أنْ يتحـرَّك ضمير بني جلدتهم، بسبب نظرة أُولئكَ المحدودة، وأُفقهم الضّيِّق، الذي أبعد عن بصيرتهم العميـاء سُوء ما ارتكبـوه بحقِّ هـؤلاء الضُّعفـاء، فلقـد كـان بالإمكـان إنقـاذ هـؤلاء المسـاكين لـو قبـل القـادة الصّهاينة قبول هجرة اليهُود لأيِّ مكان، وعدم الإصرار على فلسطين حَصْراً.

ومُنذُ نشأتها الأُولى؛ قامت الصّهيونيَّة على بَـذْر التَّعصُّب العُنصُـري والدِّينـي فـي نَفْس الشّعب اليهُودي، إذا جاز إطلاق لقب شعب على المجموعـات اليهُوديَّـة المُتعـدِّدة. ولـم تكتـف بزَرْع عُقْدة الاضطهاد في نُفُوس هذه الجماعات لتسهيل تحقيـق أهدافـها فـي بنـاء الكيـان الـذي كانت تسعى إلى إيجاده بالتّآمر مع الدَّولة المُنتدبة (بريطانيا)، بل سَعَتْ إلى إثارة رُوح الكَراهيـة في نُفُوس كُلِّ الجماعات اليهُوديَّة، التي دفعتْهُم إلى الهجرة إلى فلسـطين، والتّمركـز فـي هـذه البُقعة الاستراتيجيَّة الهامَّة في منطقـة الشّـرق الأوسـط، مُستغلَّةً توافـق مصلحـة الإمبراطُوريَّة البريطانيَّة مع مصالحها في إيجاد هذا التَّجمُّع الغريب، الذي كانت تسعى إليه لحَشْد أكـبر عـدد من يهُود العالم في هذه المنطقة العَرَبيَّة، وتوظيفه لخدمة الغرب ومصالحه الاستعماريَّة.

لقد أرادت الصّهيونيَّة من وراء زَرْع عُقدة الاضطهاد في نُفُوس الجماعات اليهُوديَّة، وإزكاء رُوح الكَراهية فيها ضدَّ العَرَب عامَّة، والفلسطينيِّين خاصَّة، أنْ تُحوِّل المُجتمع اليهُودي الإسرائيلي إلى مُجتمع إسبارطي، تُسيطر عليه فكرة ضرورة بقاء جاهزيَّة القتال عنده، وإزكاء رُوح العُدوانيَّة فيه، مُجتمع مُتحفِّز مُتأهِّب دائماً لُممارسة القُوَّة والعُنف، تُذكِّره ـ دائماً ـ الأخطار التي كانت تُلاحقه ليس ـ فقط ـ قبل إنشاء دولته، بل حتَّى بعد بُرُوزها لحيِّز الوُجود، وتملُّكها ترسانة هائلة من السّلاح. ويبدو أنَّ المُجتمع اليهُودي قد تقبَّل وآمن بتوجُّهات المُؤسِّسين الأوائل للحَرَكَة الصّهيونيَّة، التي كانت أفكارهم كُلُّها تصبُّ في خانة العداء للعَرَب، وعدم الرّغبة في التّعايش معهم. ففيلسوف الفكر الصّهيوني "فلاديمير جابُوتنسكي" Vladimir Jabotinsky كان يرفض إلاَّ أنْ تكون أكثريَّة يهُوديَّة في الأراضي الفلسطينيَّة، وكان يربط ـ دائماً ـ فكرة العداء للسّاميَّة بوُجُود أقلِّيَّة يهُوديَّة. لقد كان "جابُوتنسكي" يُصرُّ على القول بأنَّه لا يُوجد سُوء تفاهم بين العَرَب واليهُود، بل يُوجد صراع فقط، لذلك يجب أنْ لا يتمَّ أي اتِّفاق بين العَرَب واليهُود، لأنَّ العَرَب كانوا سيقبلون الصّهيونيَّة عندما يجدون أنفسهم أمام حائط حديدي، ويتحقَّقون من عدم وُجُود أيَّة بدائل أمامهم، بل مُستوطنة يهُوديَّة فحسب. أمَّا تعليقه على احتلال الأرض العَرَبيَّة؛ فكان يُردِّد مقولته "إنَّ العَرَب لديهم أراضٍ كثيرة، أمَّا اليهُود؛ فلا يملكون شيئاً".

إنَّ استعراضاً سريعاً لمسيرة القادة الذين تربَّعوا على كراسي الحُكْم في إسرائيل مُنذُ إنشائها عام 1948، وحتَّى الآن (بنْ غُوريُون ـ شامير ـ رابين ـ نتينياهُو ـ باراك ـ شارون) والُممارسات التي سَلَكَتْهَا حُكُوماتهم المُتعدِّدة تتَّصف كُلُّها بصفات واحدة تتَّفق مع أفكار المُؤسِّسين الأوائل للحَرَكَة الصّهيونيَّة، كما تبرز حقيقة هامَّة، وهي أنَّ المُجتمع الإسرائيلي مايزال يحلم بتحقيق الأفكار المُتطرِّفة، التي حاول قادته الأوائل زَرْعَهَا وترسيخها في ذهنه، والتي تدعو إلى عدم الإيمان بإمكانيَّة التّعايش السِّلْمي مع العَرَب. ولعلَّ أبرز دليل على إثبات هذه الحقيقة هُو إخفاق أيِّ مُرشَّح يدعو إلى التّعايش وإنهاء الصّراع مع الفلسطينيِّين. فشيمون بيريز، رغم أنَّه ركب موجة التَّطرُّف والعَنْجَهَة الإسرائيليَّة، وقاد حملة عناقيد الغضب ضدَّ لُبنان، وأمر بقَصْف مركز الأُمم المُتَّحدة في قانا، الذي التجأ إليه المَدَنيُّون اللُّبنانيُّون، الذين

فرُّوا من قَصْف الطّائرات الإسرائيليَّة لأراضيهم، ونَتَجَ عن هذا القصف الوحشي ما يزيد عن مئة قتيل مِمَّن التجؤوا إلى هذا المركز لم ينلْ رضا النّاخب الإسرائيلي. ولم يتمكَّن "بيريز" - أيضاً - من استغلال الاتِّجاه السِّلْمي، الذي سعى إليه إسحاق رابين، الذي كان يدعو - في الماضي - إلى سياسة تكسير عظام الشّباب الفلسطيني، الذي كان يُقاوم جنُود الاحتلال بالحجارة. وبعد أنْ آمن "رابين" أنَّ سياسة تكسير العظام لن تُخضع الشّعب الفلسطيني لمشيئة الدَّولة الغاصبة حاول أنْ يُقدِّم لشعبه مفهوماً مُغايراً للمفاهيم التي غَرَسَهَا رُوَّاد الصّهيونيَّة الأوائل المُتقدِّمون والمُتأخِّرون، وقَبلَ الدُّخُول في عمليَّة السّلام في مُحاولة منه لإنهاء هذا الصّراع. إلاَّ أنَّ هذه المُحاولة سرعان ما فشلت على يد المُتطرِّف اليهُودي "إيغال أمير" الذي تولَّى نيابة عن هذا المُجتمع اغتيال صاحب هذه المُحاولة. وحتَّى التّنازلات السّطحيَّة التي قدَّمها "إيهُود باراك" في كامب ديفيد لم تُعجب النّاخب الإسرائيلي، الذي فضَّل التّصويت لآرييل شارون، الذي يرفع شعارات تتناسب وتتَّفق مع مُيُول هذا المُجتمع. لقد بات واضحاً أنَّه مُنذُ اغتيال "إسحاق رابين" بدأت قُوَّة المُعتدلين في التّراجع، وبدأت مظاهر تزايد قُوَّة الأحزاب الدِّينيَّة تطفو على سطح النّشاط السِّياسي في إسرائيل. وَغَدَتْ التَّكتُّلات الدِّينيَّة تأخذ دوراً أكثر تأثيراً في الحياة السِّياسيَّة، وأصبح الحزب السِّياسي المُتطرِّف "شاس" الذي يقوده الحاخام "عُوفيديا يُوسُف" ثالث حزب في الكنيست بعدد أعضائه عام 1999. وبدا واضحاً - أيضاً - أنَّ المُجتمع الإسرائيلي يتَّجه بخُطى سريعة ومُتنامية نحو اليمين المُتطرِّف. وكان تصويت النّاخب الإسرائيلي لصالح "شارون"، والتَّخلِّي عن "باراك" دليلاً بيِّناً على أنَّ البرنامج الانتخابي المُتطرِّف الذي يرفعه "شارون" (عدم إزالة المُستوطنات - عدم القبول بحقِّ العودة - عدم التّنازل عن القُدْس - عدم قبول قيام دولة فلسطينيَّة كاملة السِّيادة - . . .) يحظى بقبول واسع لدى الجُمهُور الإسرائيلي، الذي يبدو أنَّه بات أكثر ميلاً للعُنف، وأكثر رغبة في استخدام السّلاح، والقَتْل الجماعي، والاغتيالات السِّياسيَّة ضدَّ الشّعب الفلسطيني، ويُؤيِّد تأييداً مُطلَقاً تدمير البنية التّحتيَّة لهذا الشّعب.

وفي الانتخابات الأخيرة للكنيست التي جَرَتْ في 28/ 1/ 2003، فشل زعيم حزب العمل "عمرام متسناع" في الحُصُول على ثقة النّاخب الإسرائيلي؛ لأنَّه قدَّم لهذا النّاخب

برنامجاً انتخابياً يدعو إلى العودة إلى طاولة المُفاوضات مع الفلسطينيِّين لإنهاء هذا الصّراع الطّويل، الذي دفع الجانبان العَرَبي والإسرائيلي ثمناً غالياً له، والذي يُدرك الحُكَمَاء في الطَّرَفَيْن أنَّ تحقيق القضاء المُبرم على الطَّرَف الآخر لن يتحقَّق، مهما تنوَّعت أساليب القَمْع، أو القَتْل.

لقد فَقَدَ حزب العمل 6 مقاعد، فبعد أنْ كان له في الكنيست السّابق 25 مقعداً، لم يفزْ في الانتخابات الأخيرة إلاَّ بـ 19 مقعداً فقط، وهذا يُعدُّ أسوأ نتيجة انتخابيَّة يُسجِّلها في تاريخه. بينما حقَّق اللِّيكود نصراً جديداً؛ إذْ أصبح الحزب الأوَّل في الكنيست الحالي، وأصبح عدد المقاعد التي يشغلها فيه 37 مقعداً، مُقابل 19 مقعداً في الكنيست السّابق. وقفز عدد مُمثِّلي الحزب العلماني (شينوي) الذي يُمثِّل وسط اليمين إلى 15 مُمثِّلاً، بعد أنْ كان له في الكنيست السّابق 6 مُمثِّلين فقط، وبذلك يُصبح هذا الحزب ثالث حزب من حيثُ عدد الأعضاء في الكنيست الحالي.

صحيح أنَّ الانتخابات الأخيرة قد أثمرت عن تراجع حزب شاس (الدِّيني المُتشدِّد)؛ إذْ حَصَلَ على 11 مقعداً فقط، وخسر 6 مقاعد، ولكنَّ النّتيجة الإجماليَّة للانتخابات الإسرائيليَّة تُشير إلى أنَّ الأحزاب التي تُمثِّل اليمين المُتطرِّف الذي يرفض إقامة الدَّولة الفلسطينيَّة وإخلاء المُستوطنات وإعادة القُدْس الشّرقيَّة وحقّ عودة اللاَّجئين إلى أراضيهم قد نالت أكثر من 70٪ من مقاعد الكنيست.

لقد ساورت أحلام إمكانيَّة سَحْق الانتفاضة شريحة كبيرة من الإسرائيليِّين، وجاء "شارون" ليُؤكِّد هذا الحُلم، ويعد بتحقيقه خلال مئة يوم. ولكنْ؛ سُرعان ما تبدَّد هذا الحُلم، رغم بقاء "شارون" في الحُكْم سنتَيْن، لم يستطع خلالهما من تحقيق الأمن الذي وَعَدَ به مُواطنيه. فها هُو ينال ثقة النّاخب الإسرائيلي، الذي مايزال يعيش في متاهات حُلم سَحْق الانتفاضة والشّعب الفلسطيني بكامله. لقد سارع هذا النّاخب إلى إعطاء صوته لشارون وحزبه، وأيَّد كُلَّ المُمارسات الوحشيَّة، التي مارسها هذا المُتعطِّش للدّماء، والسّاعي إلى التّدمير والقتل، ولم يمنح ثقته لمَنْ أراد أنْ يُقدِّم له حلاً عادلاً ومنطقيَّاً للمشاكل التي يُعانيها

المُجتمع الإسرائيلي، والتي تُعَدُّ الأكثر حدَّةً والأكثر أهمِّيَّة، ألا وهي تسويَّة النّزاع العَرَبي الإسرائيلي، والأوضاع الأمنيَّة والاقتصاديَّة المُتدهورة.

ورغم تيقُّن الإسرائيليِّين - بمُختلف فئاتهم - أنَّ العَرَب عامَّة، والفلسطينيِّين خاصَّة، لا ينوون إبادتهم، ولا يتشدَّدون في صراعهم معهم سوى الوُصُول إلى حلٍّ سلْمي، يضمن حُقُوقهم المشروعة، وإقامة الدَّولة الفلسطينيَّة المُستقلَّة، جنباً إلى جنب مع الدَّولة الإسرائيليَّة، وفق ما أقرَّتهُ الشَّرْعيَّة الدُّوليَّة (قرارات مُنظَّمة الأُمم المُتَّحدة)، إلاَّ أنَّه - للأسف - مايزال هذا الطَّرْح العَرَبي مرفوضاً من قبَل شريحة كبيرة من المُجتمع الإسرائيلي، الذي أصبح التَّطرُّف والتَّعصُّب والغُرُور يُسيطر على تفكيره. إنَّه يُصرُّ على التَّخلُّص من أصحاب الأرض الشَّرْعيِّين، وإبعادهم خارج أراضيهم بأيٍّ شكل، وبأيٍّ ثمن، ويرفض قبول مُبادراتهم السِّلْميَّة مهما رافقها من تنازلات.

بعد أنْ فشل حُلم سَحْق الانتفاضة، وكَسْر إرادة الشّعب الفلسطيني، وبعد أنْ رَفَضَ المُجتمع الإسرائيلي الاعترافَ بحقِّ الطَّرَف الآخر بإقامة دولته المُستقلَّة، التي حدَّدتْهَا له القرارات الصّادرة عن الأُمم المُتَّحدة، وَرَفَضَ - بإصرار وعناد - تقديم أيَّة تنازلات لتحقيق حلٍّ عادل وسلْمي للصّراع العَرَبي - الإسرائيلي عبر مُفاوضات تجري بين الطَّرَفَيْن، بدا وكأنَّ هذا المُجتمع يعيش في حالة من حالات عدم التَّوازن. إنَّه يُريد حلاً يتَّفق مع غرائزه وطُمُوحاته الأُسطُوريَّة، ويرفض أنْ يسير في طريق الحلِّ، الذي ينسجم مع الحقِّ والعدالة، ويُحقِّق المصالح المشروعة للطَّرَفَيْن. إنَّه يُؤيِّد بناء أسوار حول المُدُن والمُستوطنات، علَّها تحول دُون دُخُول أيِّ فدائي إلى الأراضي التي اغتُصبت منه، والانتقام من مَن شرَّدوه وعائلته، ويرفض هذا المُجتمع أيَّ حلٍّ آخر يُؤدِّي إلى بناء الثِّقة لدى الفلسطينيِّين بأنَّه ينشد السّلام والتّعايش مع الآخرين، ولا يسعى للتّدمير والخراب والقتل والتّشريد. إنَّه يدعم أيَّ زعيم يرفع شعارات مُتطرِّفة تدعو إلى تهجير الفلسطينيِّين، واعتبار كامل الأراضي الفلسطينيَّة أراضٍ يهُوديَّة، لا حقَّ للفلسطينيِّين في العيش فيها، ويخذل أيَّ سياسي يدعو إلى العقل والمنطق للخُرُوج من هذا النَّفَق المُظلم، ويُقدِّم حلاً مقبولاً، بُغية التَّوصُّل إلى حلٍّ يتَّفق مع الشَّرْعيَّة الدّوليَّة.

وهكذا جاءت الانتخابات الأخيرة التي جَرَتْ في إسرائيل في 28/ 1/ 2003، لتُؤكِّد ميل المُجتمع الإسرائيلي إلى الاستمرار في تأييد السِّياسة العُنصُريَّة المُتطرِّفة، وسياسة العُنف والقتل التي يُمارسها "آرييل شارون". وهذا يُعَدُّ مُؤشِّراً واضحاً على أنَّ النّاخب الإسرائيلي ازدادت مُيُوله إلى تأييد التَّطَرُّف السِّياسي، الذي يقوده رئيس اللِّيكود، وابتعد عن المُرشَّحين الذين يُبدون أيَّ ميل لسياسة الاعتدال تجاه الصّراع العَرَبي ـ الإسرائيلي.

وقد تكون الخَلْفيَّة الدِّينيَّة قد أعطت المُجتمع الإسرائيلي الشُّعُور بحقِّ التَّفوُّق على الآخرين، وأدخلت الوَهْمَ إليه بأنَّه الجدير بالسِّيادة على الأرض وفق ما أوحت إليه نُصُوص التَّوراة.

وقد يكون الدَّعْم الأميركي اللاَّمُتناهي قد أضاف إلى هذا الشُّعُور مزيداً من الغُرُور، وميلاً شديداً للتّعالي، والاعتداد بالذّات.

وقد يكون الموقف العَرَبي المُتخاذل الفاقد للرُّؤية البعيدة لحُدُود الصّراع قد زاد في الرّغبة بإمكانيَّة تحقيق الحُلم الأُسطُوري (أرضك يا إسرائيل من الفُرات إلى النِّيل)،

وقد تكون هُناك عوامل أُخرى قد شجَّعت على اختزان شُحنات هائلة من الكَراهية، إلاَّ أنَّ ما أبعد هذا المُجتمع على التّفكير بأنَّ الغُرُور والكَراهية والاستعلاء والشُّعُور بالتَّفوُّق لن يُحقِّق له السّلام، بل يُحقِّق له ـ بالتّأكيد ـ المزيد من الكَراهية والرّغبة المُتفجِّرة في الصّدام معه.

إنَّ مشاعر الغُرُور والتّفوق والكَراهية لن تُؤدِّي إلاَّ إلى فُقدان المقاييس السّليمة للسُّلُوك الصّحيح، وإنَّ السّلام العادل هُو الذي يحول دُون الرّغبة في الثّأر التي تعتمل في صُدُور الشّعب الفلسطيني المقهور، الذي يتعايش كُلّ يوم مع القَتْل والتّدمير والاغتيال.

وتبقى مسؤوليَّة الجانب الإسرائيلي هي إدراك طبيعة هذا الصّراع، وفَهْم أبعاده الحقيقيَّة، والتَّيقُّن من أنَّ صراعه مع الجانب العَرَبي ما هُو إلاَّ بسبب القناعة المُترسِّخة لدى الطَّرَف العَرَبي أنَّه أمام قوى غاشمة تحالفت مع الاستعمار العالمي، وَوَضَعَتْ كُلَّ إمكانيَّاتها وطاقاتها في خدمة الغرب الاستعماري، الذي مايزال يطمع في استعادة سُلطته وجبروته. إنَّ العَرَب لن يقبلوا بفَرْض واقع استيطاني مُدجَّج بالسّلاح، لفَرْض سياسة الأمر الواقع عليهم، ولن يقبلوا مهما طال أمد الصّراع إلاَّ بحلٍّ عادل، يضمن حُقُوقهم، ويُبعد عن مُخيِّلة النّاس الدُّخلاء

الوافدين مقولة "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"؛ لأنّها مقولة باطلة، تدحضها الحقائق التّاريخيَّة، ويرفضها المنطق السّليم.

أضواء على طبيعة الصّراع:

وأمَّا المسؤوليَّة المُلقاة على الجانب العَرَبي لمُجابهة صراعه مع الطَّرَف الآخر؛ فهي ضرورة وَضْع استراتيجيَّة جديدة وشاملة لتحديد الأُسُس الصّحيحة لهذا الصّراع المصيري، الذي يبدو أنّه يتَّجه نحو فَرْض سيادة مُطلَقة للجانب الإسرائيلي، مُقابل خُنُوع الجانب العَرَبي. ومن المُفيد أنْ تُؤخذ بعين الاعتبار الحقائق التّالية إذا حلُمنا بالوُصُول إلى إجماع عَرَبي لمثل هذه الاستراتيجيَّة:

1 ـ إنَّ مُحاولات الدّعاية الصّهيونيَّة خَلَق انطباع لدى الرّأي العامّ العَرَبي أنَّ هُناك خَلْفيَّة دينيَّة يهُوديَّة لعدد كبير من مُفكّري العالم (سيغمُوند فرويد ـ كارل ماركس ـ ألبرت أنشتاين ـ بنديكيت سبينُوزا ـ . . .) قد حقَّقت مقاصدها في فترة التَّخلُّف الذي ران على المنطقة العَرَبيَّة لمُدَّة طويلة من الزّمن، وانطلت هذه الدّعاية على عدد كبير من النّاس، ولكنَّ اتِّساع إدراك زيف هذه الدّعاية بدأ يتَّضح في الوَسَط العَرَبي، وبدأ الجميع يكتشفون أنَّ الذي أبرز هؤلاء العباقرة اليهُود ليس انتسابهم لليهُوديَّة، بل وُجُودهم وترعرعهم في وَسَط حضاري، ساعدهم على إبراز مواهبهم ومُؤهّلاتهم، ولو كان عامل الدِّين وراء هذه العبقريَّة، لكان من المفروض أنْ تظهر مثل هذه العبقريَّة ـ على الأقلّ ـ في واحد من يهُود الحبشة، أو اليمن، أو أميركا اللاتينيَّة، ولكنَّ عامل البيئة الحضاريَّة التي كان هؤلاء يتواجدون فيها هُو الذي هيَّأ لهم بُرُوز هذه المواهب، ولنا مثال حيّ للتّدليل على أثر عامل البيئة ما تمَّ للدُّكتُور العالم المصري أحمد زويل، الذي حَصَلَ على جائزة نُوبل في الكيمياء لعام 1999، فبسبب وُجُود هذا العالم في وَسَط حضاري مُتقدِّم، استطاع إبراز قُدراته العلميَّة، التي لم يكن باستطاعته إبرازها في مُحيط يفتقر إلى الإمكانيَّات العلميَّة الهائلة، التي توفَّرتْ له في الولايات المُتَّحدة الأميركيَّة. فعبقريَّة هذا العالم العَرَبي المُسلم ظهرت، ليس بسبب دينه، بل بسبب الظُّرُوف التي تهيَّأت له، وإضافة إلى عامل البيئة والتَّقدُّم الحضاري، فإنَّ هؤلاء العباقرة اليهُود كانوا مُلحدين،

يُنكرون الدِّين أصلاً، وكانوا يفتخرون بانتمائهم إلى المُجتمعات التي كانوا يتواجدون فيها أكثر ممَّا كانوا يُولُون أهمِّيَّة لانتمائهم الدِّيني.

2 ـ إنَّ تركيز أبواق الإعلام الصّهيوني والأجهزة العميلة له على قُوَّة اللُّوبي الصّهيوني اليهُودي المُتحالف مع اللُّوبي الصّهيوني المسيحي، وتصوير هذا اللُّوبي بأنَّه وراء صنْع القرار الأميركي، هُو ـ في الحقيقة ـ مقولة فيها الكثير من التّزييف. صحيح أنَّ هذا اللُّوبي له من التّأثير ما لا يُمكن إنكاره، وله من النُّفُوذ على صانعي القرار من خلال أنصاره والمُتحالفين معه الباع الطَّويل، ولكنْ؛ صحيح ـ أيضاً ـ أنَّ قُوَّة هذا اللُّوبي تنطلق من عدَّة حقائق؛ أبرزها تبعيَّته التَّامَّة لتوجُّهات أصحاب القرار أنفسهم، والتقاء مصالح هؤلاء الأخيرين مع مصالح وتوجُّهات هذا اللُّوبي. ومُؤخَّراً؛ عندما اتَّهم النّائبُ الدِّيمُقراطي جيمس مُوران اليهُودَ بأنَّهم المسؤولون عن دَفْع الولايات المُتَّحدة الأميركيَّة إلى الحرب مع العراق، ويقصد بهذا الاتِّهام جماعة ريتشارد بيرل، وبُول وولفيتز، قامت ضجَّة كُبْرَى ضدَّه، تُندِّد بهذه الاتِّهامات، وكان أعضاء حزبه الدِّيمُقراطيُّون هُم أوَّل مَنْ ندَّد بهذه الأقوال. ورغم ما تُثيره أجهزة الإعلام الصّهيونيَّة من ضجَّة مُفتعلة حول الخلفيَّة الدِّينيَّة اليهُوديَّة لكُلٍّ من "بُول وولفيتز" نائب وزير الدّفاع، و"ريتشارد بيرل" رئيس مجلس سياسات وزارة الدّفاع، و"إليوت أبرامز" مسؤول الشّرق الأوسط في مجلس الأمن القومي، و"لويس ليبي" رئيس هيئة المُوظَّفين التّابعين لنائب الرّئيس، لإبراز هؤلاء على أنَّهم هُم الذين خطَّطوا سياسة الولايات المُتَّحدة، وهُم الذين وضعوا الدّراسات الطَّويلة المُتضمِّنة الاستراتيجيَّة الأميركيَّة المُعاصرة، وخاصَّة بالنّسبة للحرب مع العراق، فإنَّنا نعتقد أنَّ الإقرار ـ بهذا الزَّعْم وهذا الطَّرْح ـ المقصود به إضفاء هالة كبيرة على دور اللُّوبي اليهُودي في صنْع القرار الأميركي قد يُؤدِّي بنا إلى استنتاجات خاطئة. ولعلَّ من الأصوب الإقرار بأنَّه لا يُعقَل في بلد كالولايات المُتَّحدة أنْ يتحكَّم في سياستها وصنْع قرارها حفنة من الخُبراء، مهما بَلَغَتْ نظريَّاتهم واستراتيجيَّاتهم وخبراتهم. ولكنْ؛ من المعقول جداً القول بأنَّ تطابُق نظريَّات وأفكار هؤلاء مع الرُّؤية الاستراتيجيَّة لصانعي القرار هُو الذي حدا بأصحاب القرار إلى تبنِّي وُجهات نَظَر هؤلاء المُخطِّطين الاستراتيجيِّين. لذلك؛ فمن الأصوب القول بتواجد انسجام في الرُّؤية بين هؤلاء الخُبراء وصانعي القرار. إنَّ مصدر التّجاوب هُنا ليس قُوَّة اللُّوبي

اليهُودي، بل انسجام الفكرة مع الرُّؤية السّائدة في أذهان أصحاب القرار أنفسهم. فاتّخاذ القرارات الاستراتيجيَّة في دولة عُظْمَى كالولايات المُتَّحدة لا يتمّ بالبساطة والعفويَّة التي يتصوَّرها البعض. وتعود أسباب صُعُوبة القرار إلى وُجُود عدد كبير من التيَّارات المُتصارعة داخل المُجتمع الأميركي، وتواجد مصالح مُتضاربة وضُغُوط مُتعدِّدة، تُمارسها قوى تملك العديد من أدوات الضّغط. وتجدر الإشارة هُنا إلى "بيرل" ومجموعته من اليهُود النُّشطاء، الذين يعملون في إدارة الرّئيس "جُورج بُوش" الابن هُم من الخُبراء الذين استدعاهم "بُوش" للعمل معه، ولم يفرضهم اللُّوبي اليهُودي على الإدارة الأميركيَّة.

3 ـ تقودنا المقولة السّابقة إلى ضرورة الإشارة إلى حقيقة قد تخفى عن البعض، ولكنْ؛ أدركها العديد من المُفكِّرين العَرَب. وهذه الحقيقة هي أنَّ الولايات المُتَّحدة نفسها ترغب في تسويق مقولة قُوَّة اللُّوبي الصّهيوني اليهُودي في الوَسَط العَرَبي؛ وخاصَّة عند كُلِّ خُطوة تتَّخذها لصالح إسرائيل. إنَّ إطلاق هذه المقولة يُعطي المسؤولين العَرَب المُرتبطين بالولايات المُتَّحدة فُرصة مناسبة لتسويق مقولات مشبوهة، واتِّخاذ مواقف غير وطنيَّة. بل، وتحت مظلَّة قُوَّة اللُّوبي الصّهيوني اليهُودي يُمكن لهؤلاء المسؤولين الدّفاع عن ارتباطاتهم المشبوهة، والارتكاز على هذه المقولة، ليس ـ فقط ـ لتبرير خُنُوعهم للسِّياسة الأميركيَّة، بل ـ أيضاً ـ للدّفاع عن هذه السِّياسة المُجحفة بحقِّ الأُمَّة العَرَبيَّة جمعاء؛ من مُحيطها، إلى خليجها.

4 ـ إنَّ الإيمان بقُوَّة ونُفُوذ اللُّوبي اليهُودي في الوَسَط الأميركي، والإقرار بنُفُوذ الأخطبوط اليهُودي، الذي استشرى في مُختلف الإدارات الأميركيَّة، والذي تمكَّن من فَرْض وُجُوده في عدد كبير من أوجه النّشاط السِّياسي والاجتماعي والاقتصادي والإعلامي، والذي استطاع أنْ يحتلَّ عشرة من أعضائه مقاعد في مجلس الشُّيُوخ، وخمس وعشرون من أعضائه ـ أيضاً ـ مقاعد في مجلس النُّواب، وأنْ يشغل عدد كبير من أبنائه مناصب رفيعة في الإدارات الأميركيَّة؛ كَوزارات الخارجيَّة، والدّفاع، والماليَّة، ويعمل مُستشارون منهم لهم دورهم الهامّ في مجلس الأمن القومي والبيت الأبيض. إنَّ كُلَّ هذه الإنجازات الملموسة للجالية اليهُوديَّة يجب أنْ لا تحجب عنّا الرُّؤية، وأنْ تُبعد عنّا الحقيقة، التي تُشير إلى أنَّ الدَّور الصّهيوني اليهُودي مايزال تابعاً للإمبرياليَّة العالميَّة المُتمثّلة ـ الآن ـ في الولايات المُتَّحدة، يرتبط بها،

وينصاع لرغباتها. ورغم أنَّ الجماعات اليهُوديَّة تطمح في أنْ تلعب دوراً هامَّاً على مسرح السِّياسة الدّوليَّة، وأنْ تظهر بمظهر ينمُّ عن حجم أكبر من حجمها، كإصرار إسرائيل على إقصاء أُورُوبا من لعب أيِّ دور فيما يتعلَّق بقضيَّة الصّراع العَرَبي ـ الإسرائيلي، إلاَّ أنَّ أبعاد هذا الدَّور تبقى في حُدُود ما تسمح لها الدَّوائر التي ترتبط بها تلك الجماعات. ففي الصّراع العَرَبي ـ الإسرائيلي أميركا نفسها لا تُريد أنْ تدع أُورُوبا تتدخَّل في موضُوع هذا الصّراع. فهي تُريد أنْ تُبقي كافَّة خيُوط اللُّعبة في يدَيْها وحدها؛ لتحقيق استراتيجيَّتها الخاصَّة، ورغبتها العارمة في التَّفرُّد في تلك المنطقة الهامَّة، التي تسعى إلى إبعاد كُلِّ مُنافسيها عنها. وحتَّى اليابان؛ فإنَّ كيسينجر أعلمها بضرورة الابتعاد عن التَّدخُّل في هذا المَوضُوع، وذلك عندما أرادت هذه الدَّولة الكُبْرَى أنْ تُبدي أيَّة مُساهمة للتَّوصُّل إلى حلٍّ لمَوضُوع الصّراع العَرَبي ـ الإسرائيلي.

5 ـ إنَّ التّأييد المُطلَق لإسرائيل هُو ـ في الحقيقة ـ ليس مظهراً من مظاهر قُوَّة اللُّوبي اليهُودي والصّهيوني، بقَدْر ما هُو ـ في الواقع ـ نتيجة الرّغبة في تثبيت النُّفُوذ الأميركي، وإبقائه في المنطقة العَرَبيَّة. وما إطلاق شعار الضّغط الصّهيوني اليهُودي على الإدارة الأميركيَّة إلاَّ لتغطية السُّلُوك العدائي للإدارة الأميركيَّة تجاه الأُمَّة العَرَبيَّة. إنَّ الجسر الجوِّي الذي أقامته أميركا عام 1973، لنصرة إسرائيل، وقلب ميزان الحرب المُشرِّفة، التي قادها المصريُّون والسُّوريُّون كان مبعثه رغبة أميركيَّة لإفشال الاتِّحاد السُّوفييتي، ومنعه من الفوز بأيِّ نُفُوذ في المنطقة. وقد قام الرّئيس نيكسُون بهذه المُبادرة، رغم كُرهه لليهُود، ودُون انتظار أيِّ ضغط من اللُّوبي المُشار إليه. وما الحرب التي بدأتها الولايات المُتَّحدة في العشرين من آذار / مارس 2003، ضدَّ العراق، الذي انصاع بالكامل لقرارات الأمم المُتَّحدة، إلاَّ تأكيداً لهذه الرّغبة الاستعماريَّة في إبقاء المنطقة العَرَبيَّة تحت السّيطرة الأميركيَّة. وتجدر الإشارة إلى القول بأنَّه عندما تتعارض المصلحة الأميركيَّة مع النُّفُوذ القوي للوبي اليهُودي فإنَّ المصلحة الأميركيَّة تأتي في المُقدِّمة. ولنا في موقف الولايات المُتَّحدة من التّحالف الذي ضمَّ كُلاًّ من إسرائيل وفرنسا وبريطانيا عام 1956، مثالاً حيَّاً للبُرهان على ذلك. وقد عارضت أميركا دُخُول إسرائيل في أيِّ تحالف مع غيرها؛ لأنَّها رأت أنَّ هذا السُّلُوك من إسرائيل سيضرُّ بمصالحها. وعندما رأت أنَّ مصالحها الاقتصاديَّة ستتضرَّر من جرَّاء إنتاج الطّائرة العسكريَّة (لافي) في إسرائيل،

أمرت إسرائيل بالتّوقّف عن إنتاج هذه الطّائرة. لقد كان قرارها ينبع من النّظرة إلى مصلحتها الخاصّة، التي تأبى أنْ تخضع لأيّ ضغط. فالقرار والمرجعيّة النّهائيّة هي المصلحة الأميركيّة فقط.

إنّ السّلُوك الذي اتّبعته الجماعات اليهُوديّة لتغيير نظرة المُجتمع الأميركي تجاه اليهُود يجب دراسته بعناية؛ ليكون للطّرَف العَرَبي منارة يُمكن الاسترشاد بها لتحقيق نوع من إثبات الوُجود العَرَبي في الوَسَط الأميركي. إلاّ أنّ هذا الهَدَف، الذي لا شكّ بأنّه يصطدم بعقبات عدّة؛ أهمّها تشرذم الجانب العَرَبي، وعدم تواجد رابطة قويّة تضمّ صفُوفه، وعدم وُضُوح الرُّؤية الصّحيحة لحقيقة وأبعاد الصّراع العَرَبي - الإسرائيلي لدى العديد من القادة العَرَب المسؤولين عن القيام بوَضْع الخُطُوط العامّة لهذه الدّراسة، نقول إنّه من الواجب الاستفادة من التّجربة اليهُوديّة، وأخذ ما يُمكن من دُرُوس وعبَر منها. ومن الأفضل أنْ لا ننسى في مُحاولتنا هذه أنْ نتذكّر أنّ الجماعات اليهُوديّة نفسها تُعاني - أيضاً - مثلها مثل أيّة جماعات دينيّة وعرْقيّة أُخرى - من انقسامات واختلافات كبيرة في وُجهات النّظَر بين مجموعاتها المُتعدّدة. ومن الطّبيعي جداً أنْ نرى في مسيرة هذه الجماعات بُرُوز المصلحة الاقتصاديّة، واعتبارها أكثر أهمّيّة من الرّابطة الدّينيّة، وذلك وُفق ما تمّ عندما عارضت الجالية اليهُوديّة الأميركيّة هجرة أبناء جلْدتهم من اليهُود الوافدين من أُورُوبا الشّرقيّة. فهؤلاء اليهُود الأميركان الأثرياء كانوا لا يرغبون في رُؤية يهُود سُلاف يتكلّمون اليديشيّة، ذوي عقيدة مُتزمّتة أرثُوذُوكسيّة، وينتمون إلى طبقة فلاّحيّة، يعدّنها دُونهم مكانة. ولا شكّ إلى أنّ عدم هجرة يهُود الولايات المُتّحدة إلى إسرائيل دليل آخر على أنّ موضُوع الرّابطة الدّينيّة يأتي بعد عدّة اعتبارات، ولا يحتلّ المقام الأوّل عند هؤلاء اليهُود. لذلك؛ فإنّ ما تُعانيه المُجتمعات العَرَبيّة من عوامل التّفرقة وعدم التّماسك الوثيق نجد مثله لدى المُجتمع اليهُودي نفسه. فاليهُود السُّوفييت لو خُيّروا بين الهجرة إلى إسرائيل، أو الهجرة إلى الولايات المُتّحدة، لفضّلوا الهجرة إلى الأخيرة، وتهرّبوا من الهجرة إلى إسرائيل.

وأخيراً؛ لابُدّ من القول بأنّ الجانب الإسرائيلي - الذي رَفَضَ المُبادرة السّلْميّة التي قدّمها الجانب العَرَبي في آذار / مارس 2002 - يتحمّل مسؤوليّة موقفه العدائي، إذا أتت الاستراتيجيّة العَرَبيّة الجديدة، والتي لابُدّ أنْ ترى النُّور يوماً ما، مُخالفة لكُلّ توقُّعات المُتفائلين فيه، وخيّبت

آمال الفئات المُعتدلة، التي ترفض السِّياسة العُدوانيَّة، التي تُمارسها حكُومات مُتطرِّفة؛ كالحكُومة التي يرأسها آرييل شارون.

لقد أثبتت حَركَات التَّحرُّر الوطني في العالم أجمع أنَّ إرادة الشُّعُوب وتصميمها على التَّحرُّر من أيِّ نوع من أنواع السّيطرة يُمكن أنْ تدحر أيَّة قوى غاشمة، مهما امتلكت هذه القوى من أدوات التّدمير والفَتْك، وأنَّ الرّغبة الكامنة لدى تلك الشُّعُوب هي التي ستحظى بالنّصر مهما حاول حُكّامها المُتآمرون عليها إبعاد هذا النّصر عنها.

قد يكون من المُهمّ في موضُوع الصّراع العَرَبي - الإسرائيلي تحديد ماهيَّة هذا الصّراع:

- هل هُو صراع ديني بين الإسلام واليهُوديَّة..؟

- هل هُو صراع مع قوى طامعة في الأرض العَرَبيَّة، تدعمها قوى استعماريَّة حاقدة على العُرُوبة والإسلام..؟

- هل هُو صراع مع قوى، هَدَفها تفتيت العالم العَرَبي، واستنزاف طاقاته، ونهب ثروات، والحيلولة دُون وحدته؛ بخَلْق كيان ثابت في وسطه، يحول دُون ترابط الصّلة الجَغرافيَّة بين أراضيه ودُوله..؟

- هل هُو صراع مع قوى تسعى - بكُلّ طاقاتها وإمكانيَّاتها - للحيلولة دُون أنْ يُعيد التّاريخ سيرته، ويقود العالم العَرَبي الحضارة الإسلاميَّة، التي لابُدَّ وأنْ تنافس بقيَمها الحضارة الغربيَّة السّائدة في العالم الآن..؟

- كُلُّ هذه التّساؤلات قد تكون الإجابة عنها بنعم صحيحة، ولكنْ؛ يبقى الأهمّ من ذلك هُو معرفة الطّريق الواجب سلُوكه لمُجابهة هذه الهجمة الاستعماريَّة الغاشمة.

موفَّق صادق العطَّار

الملاحق التَّوضيحيَّة

1 ـ تعريف لبعض المُصطلحات اليهُوديَّة التي وَرَدَتْ في الكتاب.

2 ـ أبرز الوقائع التّاريخيَّة التي تمَّ فيها أحداث مُعاداة السّاميَّة.

3 ـ أسماء رُؤساء الولايات المُتَّحدة الأميركيَّة ، ومواقف كُلٍّ منهم من اليهُود.

4 ـ عدد اليهُود في دُول الاتِّحاد الأُورُوبي في 2000/1/1.

5 ـ عدد اليهُود خارج دُول الاتِّحاد الأُورُوبي في 2000/1/1.

6 ـ عدد اليهُود في دُول أُورُوبا الشّرقيَّة في 2000/1/1.

7 ـ التَّوزيع الجَغرافي لليهُود في العالم في 2000/1/1.

8 ـ عدد أتباع أبرز الدّيانات في العالم في 2000/1/1.

9 ـ وقائع تسترعي الانتباه في حادثَيْ اغتيال أبراهام لنكولن ، وجُون كينيدي.

10 ـ الأحزاب الإسرائيليَّة المُتمثِّلة في الكنيست ، واتِّجاهاتها.

11 ـ مراجع الكتاب ، المصادر العَرَبيَّة والأجنبيَّة.

مُلحق رَقْم (1):

تعريف لبعض المُصطلحات اليهُوديَّة التي وَرَدَتْ في الكتاب

1 ـ التّناخ أو المقرا: كتاب اليهُود المُقدَّس الذي يتضمَّن: 1 ـ التَّوراة، أو أسفار مُوسى الخمسة، 2 ـ أسفار الأنبياء: "تسعة أسفار للأنبياء المُتقدِّمين، واثنا عشر سفْراً للأنبياء المتأخِّرين"، 3 ـ كُتُب الحكْمة والأناشيد "ثلاثة عشر سفْراً".

ويُطلق المسيحيُّون اسم العهد القديم على كتاب اليهُود المُقدَّس. وقد عدَّ المسيحيُّون الإنجيل الذي أطلقوا عليه اسم العهد الجديد مُتمِّماً لكتاب العهد القديم، وَجَمَعُوا الكتابَيْن في كتاب واحد، أطلقوا عليه اسم الكتاب المُقدَّس.

2 ـ التّلمود: وهُو الكتاب الذي يتضمَّن التّفسير الذي وَضَعَهُ الحاخامات لكتاب العهد القديم، ويحوي هذا الكتاب مجموعة القواعد والوصايا والشّرائع والتّعاليم الدِّينيَّة الشّفويَّة التي أُنزلت على مُوسى عليه السلام. ويُطلق عُلماء التّلمود عليه اسم التَّوراة الشّفويَّة، ويُعطون تعاليمه التي يُوعزُونها إلى الله، والتي أوحى بها إلى مُوسى عليه السلام، ويُطلقون عليها الشّريعة الشّفويَّة قداسة مُساويَّة للشّريعة السّماويَّة المكتوبة (التَّوراة). ويُشير دارسو التّلمود إلى أنَّ كتابته استغرقت عدَّة مئات من الأعوام، واشترك في كتابة نُصُوصه من شرح وتعليق وإضافات ما يزيد عن ألف حاخام. ويعدُّ اليهُودُ التّلمودَ كتاباً مُقدَّساً، يأتي مُباشرة في المقام الثّاني بعد التَّوراة، ويُشكِّل معها جُزءاً لا يُجتزأ من الشّريعة اليهُوديَّة. وتبلغ قداسة هذا الكتاب عندهم مكانة عالية، تصل لمُستوى يفوق في المكانة مُستوى التَّوراة؛ بحيثُ أصبح الإيمان به من صُلب العقيدة اليهُوديَّة، ويُكَفِّر حاخاماتُهُم مَنْ لا يُؤمن به، أو يرفضه.

وللتّلمود نُسختان مُختلفتان: الأُولى يُطلق عليها اسم التّلمود البابلي، الذي تولّى أحبار بابل كتابته. وتلقى هذه النُّسخة اهتماماً وتقديراً أكبر من النُّسخة الثّانية، التي تُسمَّى

باسم التّلمود الأُورشليمي، الذي تولّى البدء بإعداده الحاخام يهُوذا القدّيس، وأتمّ أحبار أُورشليم عمليّة التّدوين، وذلك في القرن الخامس الميلادي.

ويعتمد التّلمود البابلي على الكتابات التي دوّنها أحبار بابل في كتاب "الجماره". أمّا التّلمود الأُورشليمي؛ فيعتمد على كتابات أحبار أُورشليم المُدوّنة في كتاب "المشناة". والمشناة هي المتْن التّلمودي الأساسي، وهي واحدة في التّلمودَيْن الأُورشليمي والبابلي. أمّا الجماره، التي هي شُرُوحات للمشناة؛ فتختلف في التّلمودَيْن، وهي ليست واحدة فيهما، ويعود ذلك إلى اختلاف البيئتَيْن (أُورشليم وبابل)، واختلاف الظُّرُوف المعاشيَّة، التي كانت كُلّ مجموعة يهُوديَّة تعيش فيها.

3 ـ القبالة: أيْ علم التّأويل الباطني، أو ما يُعرَف باسم التُّراث الصُّوفي اليهُودي. والقبالة في التُّراث اليهُودي تُمثّل قمّة التّفكير الأُسطُوري في الدّيانة اليهُوديَّة. ويعتمد القباليُّون في سلُوكهم النّظري على المعرفة الباطنيَّة والتّأويل.

أمّا في سلُوكهم العملي؛ فيعتمدون على السِّحْر، واستخدام رمُوز الأحرف والأرقام. ويُقدّس القباليُّون كتاب "الزُّوهر"؛ أيْ الإشراق أو الضّياء، الذي كَتَبَهُ الحاخام سمعان بن يُوحان. ويحوي الكتاب الشّعائر الصُّوفيَّة، وما فيها من أحكام وأسرار. وتنطلق القبالة من الاعتقاد بأنّ الله قد خَلَقَ العالم عن طريق الفيض الإلهي، بما يعني وُجُود وحدة بين الخالق والمخلوق؛ بحيثُ يصبح الإله ومخلوقاته هُما الشّيء نفسه.

4 ـ الهاسكالا: وتعني الاستنارة أو التّنوير. وهي الحَرَكَة التي انتشرت بين أعضاء الجماعات اليهُوديَّة في أُورُوبا في مُنتصف القرن الثّامن عشر، والتي كانت تدعو إلى الإيمان بالعقل؛ باعتباره مصدراً أساسيّاً للمعرفة. لقد كان سائداً في الأوساط اليهُوديَّة أنّ دراسة التّلمود هي الدّراسة الوحيدة الجديرة بالاهتمام والمُتابعة، وأنّ كُلّ دراسة غيرها تبقى ثانويَّة، ولا أهميَّة لها. وقد ساعدت التّحوُّلات التي كان المُجتمع الغربي يخوضها، والتي كان الاتّجاه نحو العلمنة أبرز معالمها دُعاة حَرَكَة التّنوير اليهُود على إدخال العقلانيَّة على الدّيانة اليهُوديَّة، بعد أنْ خنقتْهَا الدّراسات التّلموديَّة والأفكار القباليَّة. ويُعدُّ مُوسى مندلسون (1729 ـ 1786)

من أبرز مُفكّري حَرَكَة التّنوير، التي حَمَلَتْ رياح التّغيير إلى الحياة الثّقافيَّة اليهُوديَّة، وَجَعَلَتْهَا تتأثّر بالأفكار العلمانيَّة. وتذكر بعض المراجع بأنَّ مندلسون قد تأثّر كثيراً بأفكار مُوسى بن ميمون، الذي وُلد في قُرطبة بالأندلس عام 1135، والذي يُعدُّ من الفلاسفة العظام الذين تركوا أثراً عميقاً على الحَرَكَات الإصلاحيَّة اليهُوديَّة، التي تمكّن دُعاتها من إبعاد المُجتمع اليهُودي عن الأفكار التّعليميَّة الرّجعيَّة والمفاهيم التّقليديَّة، وإدخال التّحديث والتّبشير بثقافة جديدة، تُؤيِّد استخدام العلم، والحثّ على الانطلاق نحو حضارة إنسانيَّة عالميَّة، ونبذ المفاهيم المُتخلّفة.

لقد كان يُطلَق على دُعاة الاستنارة اسم (المسكليم)، الذين جُوبهوا بمُعارضة شديدة من قِبَل الجماعات اليهُوديَّة المُحافظة (الحسيديم).

وتُعدُّ حَرَكَة التّنوير - التي رَفَضَتْ فكرة انتظار المسيح (العهد المسيحاني)، الذي سيأتي بالخلاص، والتي نادت بأنَّ على اليهُود الحُصُول على الخلاص بأنفسهم، دُون انتظار قُدُوم المسيح - مسؤولة - بشكل ما - عن ظُهُور الصّهيونيَّة، التي تبنَّت الأفكار نفسها، التي كانت حَرَكَة التّنوير تدعو لها، وخاصَّة المُتعلّقة بمَوضُوع العودة إلى الأرض المُقدَّسة.

5 - اليديشيَّة: اللُّغة الألمانيَّة القديمة، التي تبنَّتهَا الجماعات اليهُوديَّة، التي كانت مُتواجدة في أُورُوبا الشّرقيَّة ورُوسيا. وهذه اللُّغة خليط من لُغات ثلاث: الألمانيَّة والسّلافيَّة والعبريَّة، ولكنَّ أساسها اللُّغوي والرّئيسي هُو الألمانيَّة. وماتزال هذه اللُّغة سائدة حتَّى الآن. وقد حاولت الصّهيونيَّة القضاء عليها؛ لإحلال العبريَّة بدلاً عنها، إلاَّ أنَّ أكثر المدارس التّلموديَّة في إسرائيل حريصة على إبقائها حيَّة. ويعتمد هذه اللُّغة كثير من الفرَق اليهُوديَّة المُناوئة للصّهيونيَّة؛ مثل النّيتُوري كارتاه (حُرَّاس المدينة)، وكذلك أكثر اليهُود الأشكيناز الوافدين من أُورُوبا الشّرقيَّة.

6 - الدُّونمة: طائفة يهُوديَّة من أتباع شبتاي زيفي (1626 - 1676)، اليهُودي التُّركي الجنسيَّة، الذي ادَّعى أنَّه المسيح المُنتَظَر عام 1648، وتبعه عدد كبير من اليهُود، حتَّى غدا أمر دعوته مُثيراً لقَلَق الحُكُومة العُثمانيَّة، وقامت سُلطاتها في القُدْس باعتقاله وترحيله إلى إسطنبول؛

لمقابلة السُّلطان مُحمَّد الرَّابع، الذي هدَّده بالقَتْل إنْ لم يتخلَّ عن دعوته الزَّائفة. وأمام هذا التّهديد؛ أعلن شبتاي توبته، وأشْهَرَ إسلامه، وسمَّى نفسه مُحمَّد عزيز أفندي، وأصبح أتباعه يُعرَفون باسم الدُّونمة، الذين أشهروا إسلامهم تنفيذاً لأوامر شبتاي نفسه، ولكنْ؛ بقوا على يهُوديَّتهم، يُمارسون طُقُوسها في السِّرِّ، وعُرفوا - بعد ذلك - باسم يهُود الدُّونمة. ويهُود الدُّونمة الذين ارتدُّوا عن دينهم اليهُودي، واعتنقوا الإسلام، أُسوة بما قام به زعيمهم شبتاي زيفي، لم يُجبَرُوا على ذلك من قبَل السُّلطات العُثمانيَّة كما كان الحال مع يهُود المارانوس الإسبان، الذين أُكرهوا على الدُّخُول في المسيحيَّة، والتَّخلِّي قَصْراً عن ديانتهم اليهُوديَّة.

7 - المارانوس: وهُم اليهُود الإسبان والبُرتغاليُّون الذين اعتنقوا المسيحيَّة ظاهريَّاً، وتراجعوا عن ديانتهم أمام تهديد الإسبان والبُرتغال بطَرْدهم من شبه الجزيرة الإيبيريَّة إذا أرادوا الاحتفاظ بدينهم. وقد أصبح هؤلاء اليهُود مسيحيُّون ظاهريَّاً، واستمرُّوا يُمارسون طُقُوسهم الدِّينيَّة اليهُوديَّة في الخفاء. وقد شُكِّلَتْ محاكم التّفتيش لتعقُّبهم؛ للتّأكُّد من إيمانهم. ويُشار إلى هؤلاء اليهُود بكلمة السّفارديم، على اعتبار أنَّهم من شبه الجزيرة الإيبيريَّة، وقد اختفى أثرهم في إسبانيا، وانخفض عددهم في البُرتغال؛ بحيثُ أصبح في مطلع القرن العشرين لايتجاوز 10.000 شخصاً.

8 - الأشكيناز: هُم يهُود أُورُوبا الشّرقيَّة ورُوسيا، الذين يتكلَّمون اليديشيَّة، ومُعظم هؤلاء اليهُود لا يتكلَّمون العبريَّة. ويُشكِّل الأشكيناز غالبيَّة يهُود العالم. وقد ركَّزت الصّهيونيَّة على هؤلاء اليهُود؛ لحَمْلهم على الهجرة إلى فلسطين، وَجَعَلَ هذا التّركيز عدد اليهُود الأشكيناز في فلسطين يزيد عن 77٪ من عدد اليهُود، وهُم - بحكُم ثقافتهم الغربيَّة - أصبحوا النُّخبة القائدة للمُجتمع الإسرائيلي، واحتلُّوا أبرز المراكز السِّياسيَّة والاجتماعيَّة فيه.

ويذكر أكثر المُؤرِّخين (بنيامين فريدمان - آرثر كُوستلر) أنَّ 92٪ من اليهُود في كافَّة أنحاء العالم هُم من سُلالة مملكة الخَزَر، التي كانت تقع بين البحر الأسود وبحر قزوين، والتي كانت تضمُّ أكبر كُتلة بشريَّة من المُنتمين إلى اليهُوديَّة. وبعد سُقُوط مملكة الخَزَر في مطلع القرن الحادي عشر على يد القائد المغولي جنكيز خان، تشتَّت شعبها في أقاليم شرق أُورُوبا، ولا

سيما رُوسيا. فهؤلاء الأشكيناز ذوو الأُصُول الآسيويَّة ليسوا من أُصُول ساميَّة، ولا ينتمون إلى القبائل التَّوراتيَّة، التي قطنت منطقة البحر الأبيض المُتوسِّط.

9 - السَّفارديم: اليهُود الذين تحدَّروا من شبه الجزيرة الإيبيريَّة، وهؤلاء اليهُود كانوا يتكلَّمون اللُّغة العَرَبيَّة، وذلك بعد فَتْح العَرَب للأندلس عام 711. ولكنْ؛ بعد سُقُوط الأندلس بيد الإسبان اندمجوا مع المُجتمع الإسباني، وأخذوا يتكلَّمون اللُّغة الإسبانيَّة، وعدُّوا هذه اللُّغة لُغتهم التَّقليديَّة. وعندما فُرِضَتْ عليهم المسيحيَّة من قِبَل الإسبان والبُرتغال؛ خَرَجَ الذين رَفَضُوا المسيحيَّة من إسبانيا، وهاجروا إلى البلاد التي فَتَحَتْ أبوابها أمامهم؛ كَشمال أفريقيا، ودُول الشَّرق الأوسط، وتُعرَف لُغتهم - التي مايزالون يتكلَّمون بها - بلُغة السَّفارديِّين (اللأَّدينو) وهي لُغة إسبانيَّة قديمة، وأصبحوا يُعرَفون مع يهُود البلاد العَرَبيَّة باليهُود الشَّرقيِّين (السَّفارديم)، ويشكو هؤلاء اليهُود السَّفارديم من تسلُّط اليهُود الأشكيناز، واحتكارهم السُّلطة والمناصب العُليا في إسرائيل.

10 - صهيون: وهُو مُرتفع يقع جانب مدينة القُدْس. وقد احتلَّ الملك داود هذا التَّلَّ، الذي كان بيد اليبوسيِّين الكنعانيِّين العَرَب، سُكَّان مدينة القُدْس، عاصمة مملكتهم اليبوسيَّة، قبل ظُهُور مُوسى عليه السلام بما لا يقلُّ عن ألفَيْ عام. وجاء ابنه سُليمان، وبنى في هذا المكان بيتاً للرَّبِّ، اشتُهر باسم هيكل سُليمان، ونفَّذ رغبة أبيه داود في إقامة بناء ثابت بدلاً من الخيمة المُتنقِّلة التي كانت تُستخدم للعبادة.

وقد استغلَّت الصَّهيونيَّة هذا الحَدَثَ، وأطلقت على نفسها اسم الصَّهيونيَّة؛ تمجيداً للمكان الذي بُني فيه الهيكل، لإعطاء فكرتها السِّياسيَّة قالباً دينياً يُمكن تسويقه في نُفُوس بقيَّة يهُود العالم. إنَّ رَبْطَ الفكرة السِّياسيَّة بالمُعتقَد الدِّيني ساعد الصَّهيونيِّين على تسويق أفكارهم في الوَسَط اليهُودي والمسيحي بآن واحد. إلاَّ أنَّ التقاء مصالح الدُّول الاستعماريَّة الغربيَّة مع مصالح الصَّهيونيَّة ساعد على تحقيق مزيد من النَّجاح الظَّاهري للصَّهيونيَّة اليهُوديَّة، وأوجد رديفاً آخر لها يحمل نفس الأفكار الاستعماريَّة تحت اسم الصَّهيونيَّة المسيحيَّة.

11 ـ الفرِّيسيُّون: وتعني هذه الكلمة المُنشقِّين، وهُم أُولئكَ الأحبار الذين أخذوا على عاتقهم كتابة العهد القديم (الكتاب المُقدَّس اليهُودي) وُفق الإطار المُحافظ، الذي أرادوا صبغ الحياة اليهُوديَّة به. وانسجاماً مع نظرتهم لطبيعة اليهُود المُستقبليَّة وتحرُّقهم لإعداد شعبهم لفكرة كَراهية الغير، وحُبّ الانتقام، والانعزال وعدم الاندماج، فقد جاءت النُّصُوص الدِّينيَّة وما حَوَتْهُ من تحريفات وأساطير مُنسجمة مع أفكار هؤلاء الفرِّيسيِّين، الذين بدأت كتاباتهم تنطلق مُنذُ السَّبي البابلي، الذي تمَّ على يد نبوخذنصر عام 586 ق. م.

ويجزم أكثر الدّارسين لكتاب العهد القديم أنَّ الفرِّيسيِّين اختلقوا أُمُوراً كثيرة أضافوها إلى أسفار العهد القديم؛ لتثبيت وُجهة نَظَرهم في التّاريخ اليهُودي، ولكي يفرضوا على المُجتمع اليهُودي سُلُوكاً خاصّاً، وحياة تنظيميَّة مُعيَّنة، تجعله ـ دائماً ـ تحت رحمة رُؤسائه الرُّوحيِّين.

وقد يكون السَّيِّد المسيح هُو أوَّل مَنْ رأى خُطُورة هؤلاء الكَتَبَة، وكذلك "بُولُس" أحد حواري السَّيِّد المسيح، الذي قال عنهم: إنَّهم عازمون على مَنْع كلمة الحقّ عن النّاس. لقد كان الفرِّيسيُّون يعتقدون أنَّهم ـ هُم وحدهم ـ العالمون بالشّريعة المُوسويَّة، والمُتعمِّقون بها، لذلك؛ نصبوا أنفسهم حُماة لها، وبالغوا في الوُقُوف عند ظاهر النُّصُوص، وتبنُّوا كثيراً من التّقاليد التي تناقلها النّاس عبر العُصُور، رغم ما فيها من انحرافات، وعدُّ هذه الأحكام المُتوارثة بمثابة الشّريعة المكتوبة.

12 ـ اليهُوديَّة الأرثُوذُوكسيَّة: كلمة أرثُوذُوكس مُصطلح مسيحي تعني ـ حسب المفهوم الدِّيني لها ـ (الاعتقاد الصّحيح المُجمَع عليه)، واليهُوديَّة الأرثُوذُوكسيَّة تنطلق من عقيدة دينيَّة ثابتة، تتشدَّد في الدّفاع عنها كُلُّ المجموعات المُنطويَّة تحت هذا العُنوان. ومفاد هذه العقيدة أنَّ التَّوراة هي كلام الله الذي أوحى به إلى مُوسى عليه السلام. والتَّوراة حسب التَّصوُّر الأرثُوذُوكسي ذات قيمة خالدة، لا يجوز التّلاعب بمعانيها، وعلى اليهُود كافَّة اتّباع تعاليمها، حتَّى يأتي وحي سماوي جديد. ويسود هذه المجموعات عدَّة اتِّجاهات، تجعل التّباين واضحاً في مواقفها وسُلُوكها، وتتمحور هذه الاختلافات حول مساحة المفهوم الدِّيني، وقداسته، كالإيمان بالتَّوراة فقط، أم بكُلِّ الكُتُب الدِّينيَّة المُقدَّسة كالتّلمود وغيره، الموقف من الصّهيونيَّة

إبداء العداء السّافر لها، أم رَفْض التّعامل معها فقط، وكذلك الحال بالنّسبة للدّولة اليهُوديَّة التّعاون معها، أم استنكار وُجُودها؟

وتحتلُّ اليهُوديَّة الأرثُوذُوكسيَّة مكاناً بارزاً في الحياة الدِّينيَّة في إسرائيل، فهي تُسيطر على دار الحاخاميَّة الرّئيسيَّة، وتتمتَّع بنفُوذ قوي في الوَسَط السِّياسي، ولها عدَّة أحزاب تنطق باسمها؛ كَحزب شاس، التَّوراة المُتَّحد، الوطني الدِّيني (المفدال)، و أغودات إسرائيل. ويُشار - عادةً - إلى اليهُوديَّة الأرثُوذُوكسيَّة بكلمة الأُصُوليَّة اليهُوديَّة، تلك الأُصُوليَّة التي ترفض بمُختلف مجموعاتها أيَّ حوار مع المسيحيَّة أو الإسلام، كما تُهاجم اليهُوديَّةَ الإصلاحيَّةَ، التي تتَّهمها بأنَّها تأثَّرت بالمبادئ العلمانيَّة، وَحَمَلَتْ أفكاراً من خارج المفاهيم اليهُوديَّة. ولعلَّ أقدم هذه المجموعات الأُصُوليَّة هي مجموعة الهاريديم (الذين يخشون الله)، وهي الحَرَكَة التي انتشرت في أُورُوبا الغربيَّة إثر النُّزُوح الكبير للجماعات اليهُوديَّة من رُوسيا، والدُّول التّابعة لها، نتيجة للاضطهاد الذي تعرَّضت له هذه الجماعات إثر اغتيال القَيْصَر إلكسندر الثّاني عام 1881. وتُنادي هذه الحَرَكَة بضرورة المُحافظة على الهُويَّة اليهُوديَّة القديمة، وعدم اندماج اليهُود في المُجتمعات الأُورُوبيَّة المُعاصرة، وتُندِّد باليهُود الذين انخرطوا بالحياة الغربيَّة، وتُنادي بضرورة العودة إلى صهيون لتأمين الأمان والاستقرار لليهُود. ويُعدُّ حزب التَّوراة المُتَّحد (المُؤلَّف من حزبَيْ أغودات إسرائيل وديجيل هاتوراه) وحزب شاس، أبرز الأحزاب الدِّينيَّة التي تُعبِّر عن آراء هذه الحَرَكَة.

أمَّا المجموعة اليهُوديَّة الأرثُوذُوكسيَّة، التي تُعرَف باسم الحسيديم (المُتَّقين)، التي أسَّسها الحاخام "بعل شم توف" في القرن الثّامن عشر في منطقتَيْ بُولُونيا وأُوكرانيا، والتي انتشرت سريعاً في رُوسيا والمجر ورُومانيا، حتَّى أصبحت عقيدة مُعظم يهُود أُورُوبا الشّرقيَّة؛ فتُعدُّ من أبرز الجماعات اليهُوديَّة الأرثُوذُوكسيَّة، التي لعبت دوراً هاماً في الحياة اليهُوديَّة. لقد تمكَّنت هذه الحَرَكَة من مُجابهة الهُجُوم العنيف الذي قادته المُؤسَّسة الحاخاميَّة المُحافظة ضدَّها، واستطاعت الصُّمُود والمُقاومة، بل اتَّسع نشاطها، وعزَّزت مواقعها، ليس - فقط - في أُورُوبا، بل - أيضاً - في الولايات المُتَّحدة، التي انتقل إليها عدد كبير من أنصارها إثر مُلاحقة النّازيَّة لحَركتهم.

وقد عانت الحَرَكَة من مظاهر الفرْقة والانقسام، بعد وفاة زعيمها الحاخام "شالوم دوف بير"، وَظَهَرَ في صفُوفها عدد من المجموعات المُنشقَّة عنها، وأبرز هذه المجموعات مجموعتا "اللُّوبافيتش" و"السّتمار". وتُعدُّ المجموعة الأُولى من أكثر الجماعات الحسيديَّة نشاطاً في الوَسَط اليهُودي، وهي على عكس مجموعة "السّتمار" بالنّسبة لإسرائيل، فبينما تُعدُّ مجموعة "السّتمار" من أكثر الحَركَات انغلاقاً على الذّات، وابتعاداً عن إسرائيل، التي تعدُّ وُجُودها غير شَرْعي، وتُهاجم الصّهيونيَّة إلى حَدِّ اتّهامها بمسؤوليَّتها عن كارثة الهُولُوكُوست، فإنَّ مجموعة "اللُّوبافيتش" تُعدُّ من أكثر الحَرَكَات اليهُوديَّة الأرثُوذُوكسيَّة انفتاحاً على إسرائيل.

وتأتي حَرَكَة النّيتوري كارتاه (حُرَّاس المدينة) في مُقدّمة الحَرَكَات اليهُوديَّة الأرثُوذُوكسيَّة المُناهضة للصّهيونيَّة وإسرائيل. وهي ماتزال تُندِّد بسياسات الكيان اليهُودي في فلسطين، وترفض الاعتراف بهذا الكيان؛ لأنَّه باعتقادها قد قام على يد بعض الكَفَرَة، الذين خرقوا أوامر الله، وخالفوا مشيئته، التي بينَّها في التَّوراة. وتُؤمن النّيتوري كارتاه بقُدْسيَّة التَّوراة، وتعتقد بأنَّه لا يحقُّ لأيَّة سُلطة مهما كانت مكانتها أنْ تُعدِّل أحكام القوانين المُقدَّسة، التي جاءت بها التَّوراة، أو الاقتراب من المساس بقابليَّة سريانها. فهذه القوانين هي قوانين إلهيَّة إلزاميَّة لكُلِّ فَرْد يهُودي، كما هي إلزاميَّة للدَّولة اليهُوديَّة نفسها. أمَّا موقف الحَرَكَة من الصّهيونيَّة؛ فهُو الرَّفْض التَّامُّ، فهي تُهاجم الصّهيونيَّة، التي تعدُّ مسؤولة عن القوانين التي تسنُّها إسرائيل، والتي تُقلِّل من شأن التَّوراة، وتحدُّ من سُلطة الكتاب المُقدَّس، وهي ترى أنَّ الدَّولة اليهُوديَّة يجب أنْ تقوم وُفق ما نصَّت عليه التَّوراة، وليس كما نفَّذته الصّهيونيَّة. وتُندِّد الحَرَكَة بالصّهيونيَّة لاغتصابها الاسم المُقدَّس (صهيون)، ويُحزنها جداً ادِّعاء الصّهيونيَّة أنَّها تُمثِّل اليهُود، وتنطق باسمهم، وتدَّعي أنَّ لها الحقَّ بالتَّصرُّف نيابة عنهم. فالحَرَكَة ترفض هذه المواقف، وتعدُّ أنَّ الصّهيونيَّة هي الكُفْر والإلحاد، وأنَّ الصّهيونيِّين يكرهون الدِّين، ولا يحترمون التَّوراة.

والنّيتوري كارتاه قد تكون الحَرَكَة الوحيدة من ضمن الحَرَكَات اليهُوديَّة الأرثُوذُوكسيَّة التي لم تستطع الصّهيونيَّة أنْ تجذبها إلى صفُوفها، وتضمن التّعاون معها. لقد بقيت هذه

الحَرَكَة بمنأى عن المصيدة الصّهيونيَّة، التي استطاعت جَذْبَ أكثر المجموعات اليهُوديَّة الأرثُوذُوكسيَّة إلى صفُوفها، ونَجَحَتْ في صَهْيَنَة مُعظمها.

أمَّا حَرَكَة الاستيطان اليهُوديَّة المُسمَّاة "غُوش أمُونيم (كُتلة الإيمان)"، والتي تُعدُّ الذّراع العسكري للحزب الوطني الدِّيني (المفدال)؛ فتتميَّز عن بقيَّة الحَرَكَات اليهُوديَّة الأرثُوذُوكسيَّة الأُخرى بأنَّها تهتمُّ بإعداد المُنتسبين إليها إعداداً عسكريّاً؛ للاعتماد عليهم في قتال الفلسطينيِّين، دُون الحاجة للاستعانة بالجيش الإسرائيلي. وهي تُعدُّ من أكثر المجموعات اليهُوديَّة الأرثُوذُوكسيَّة ميلاً لاستخدام العنُف. لقد أصبحت هذه الحَرَكَة تتمتَّع بنُفُوذ قوي في الوَسَط السِّياسي، وتلقى تأييداً مُتزايداً في صُفُوف مُختلف الأحزاب السِّياسيَّة داخل إسرائيل. وبعد أنْ انضمَّ إليها الكثير من الشّباب اليهُودي المُتديِّن؛ أصبحت تعدُّ نفسها الصَّوت المُعبِّر، ليس - فقط - عن سُكَّان المُستوطنات، بل - أيضاً - عن المُجتمع الإسرائيلي بكامله. وتسعى الحَرَكَة جاهدة إلى استبدال الأفكار الصّهيونيَّة بأفكار دينيَّة يهُوديَّة جديدة، تعتمد - أساساً - على الفكر الصّهيوني.

وبصُورة عامَّة؛ يُمكن القول بأنَّ اليهُوديَّة الأرثُوذُوكسيَّة هي - في فكرها الأُصُولي المُغرق في رجعيَّته - تُمثِّل مُنتهى التَّزمُّت الفكري والتَّعصُّب الدِّيني المقيت في الدّيانة اليهُوديَّة. لقد رأى الأُصُوليُّون اليهُود أنَّ العمل الإجرامي الذي قام به اليهُودي المُتعصِّب الطّبيب "باروخ غُولدشتاين" الذي ينتمي للجماعة الأُصُوليَّة التي يقودها الحاخام "مائير كاهانا" عندما اقتحم المسجد الإبراهيمي في مدينة الخليل، وَفَتَحَ النّار على المُصلِّين، الذين كانوا يُؤدُّون الصّلاة فجر ذلك اليوم في 25/ 2/ 1994، وَحَصَدَ ما يزيد عن 50 قتيلاً وجريحاً، عملاً يستحقُّ التّمجيد والتّقديس، بل أعلن الكثير من أعضاء هذه الجماعات الأُصُوليَّة تأييدهم لهذا العمل الوحشي اللاَّإنساني، وذهبوا إلى اعتبار هذا المُجرم قدِّيساً وشهيداً يستحقُّ الثّناء.

13 - الدّيسابُورا: وتعني بالعَرَبيَّة الشّتات. فاليهُود - بعد أنْ فقدوا الأرض، وفقدوا مملكتهم - انتشروا في كافَّة بقاع العالم بما يُطلقون عليه اسم الشّتات، وانطلقت جماعات منهم تسعى للاندماج بالمُجتمعات التي تواجدوا فيها، ولكنَّ مُعظمهم رَفَضُوا الاندماج، وأبقوا على

حالة الانعزال (الجيتو)؛ أيْ الحي اليهُودي المُنغلق على أبناء الدّيانة اليهُوديَّة. وغالباً ما يُضاف إلى كلمة الشّتات (الدّيسابُورا) كلمة العودة، وذلك للتّعبير عن رُؤية يهُوديَّة للتّاريخ والكون تنطلق من أنَّ الشّتات هُو ابتعاد عن أرض الميعاد، وهذا أمر إلهي ينفرد اليهُود وحدهم به، وأنَّ حالة الشّتات هذه ستستمرُّ إلى أنْ يجيء المسيح المُخلّص، ويقود شعبه إلى أرضه المُقدَّسة. ومن هُنا؛ تأتي مُعارضة بعض الفرَق اليهُوديَّة (الأرثُوذُوكسيَّة) للصّهيونيَّة على اعتبار أنَّ العودة التي تمَّت ليست عودة مسيحانيَّة، وأنَّ اليهُود لا يحتاجون لإسرائيل للاستيطان بها، بل يحتاجون لها لتكون مركزاً رُوحياً لليهُوديَّة.

وتطرح الصّهيونيَّة رُؤيا للتّاريخ مُغايرة تماماً للنّظرة اليهُوديَّة الأرثُوذُوكسيَّة. إنَّها تُصرُّ على أنَّ الشّتات هي حالة مُؤقَّتة، وأنَّ العودة إلى الأرض لابُدَّ منها.

وتُشكّل الولايات المُتَّحدة تحدِّياً خطيراً لمفهوم الدّيسابُورا. فأغلب يهُود العالم يتمركزون فيها، وينظر اليهُودي الأميركي إلى وطنه الجديد (أميركا)، وكأنَّه وطنه القومي، الذي لا يُريد أنْ يتخلَّى عنه، ويَرفض أنْ يُطلق كلمة المنفى على الولايات المُتَّحدة؛ لأنَّه يعدُّها وطنه النّهائي، وليس المُؤقَّت.

14 ـ الصّهيونيَّة المسيحيَّة: يُوحي مضمون هذا المُصطلح بوُجُود رابطة أو صلة عامَّة بين المسيحيَّة والصّهيونيَّة، ولكنَّ هذا الأمر لا ينطبق على الواقع، وذلك بسبب انعدام وُجُود هذه الرّابطة بشكل عامٍّ. فالكَنيستان الكَاثُوليكيَّة والأرثُوذُوكسيَّة، إضافة إلى عدم وُجُود أيَّة صهيونيَّة مسيحيَّة في الشّرق العَرَبي، بل بالعكس، فهُناك عداء تامٌّ بين المسيحيَّة والصّهيونيَّة، فقد قاد مسيحيُّون عَرَب ـ ومايزالون ـ صراعاً مريراً ضدَّ الصّهيونيَّة. ويُمكن القول إنَّ استخدام هذا المُصطلح (الصّهيونيَّة المسيحيَّة) مرغوب فيه (يهُوديّاً) لإضفاء صفة العالميَّة على الصّهيونيَّة، والإيحاء بأنَّ هُناك تأييداً مسيحياً مُطلَقاً لها.

وتعود جُذُور الصّهيونيَّة المسيحيَّة إلى الدِّيباجة البرُوتستانتيَّة المُتطرِّفة المُتعلِّقة بعودة اليهُود إلى فلسطين، والتي تُعدُّ جُزءاً هاماً في فكر حَركَة الإصلاح الدِّيني، لقد آمنت البرُوتستانتيَّة بالأفكار التي وَرَدَتْ في التَّوراة، وتحدثت عن أنَّ الألف عام السّعيدة ـ التي يحكم فيها المسيح

العالم - لا تكون إلاَّ بعد تجميع يهُود العالم في أرض فلسطين، وإعادة بناء هيكل سُليمان. لذلك؛ فقد بات الصّهيونيُّون المسيحيُّون يعتقدون أنَّ تأييد عودة اليهُود إلى وطنهم واجباً دينيّاً. وقد ترسَّخت هذه الأفكار في أذهان عدد كبير من رُؤساء الجمهوريَّة في الولايات المُتَّحدة الأميركيَّة (رُونالد ريغان - جيمي كارتر)، وأصبح دَعْم إسرائيل، والتّحالف مع الصّهيونيَّة، من أبرز معالم السِّياسة الأميركيَّة تجاه العَرَب عامَّة، والفلسطينيِّين خاصَّة، وأصبح المسيحيُّون الصّهيونيُّون الأميركيُّون من البرُوتستانت وغيرهم يُشكّلون قطاعاً واسعاً وهامّاً في الإدارات الأميركيَّة. وكذلك أصبحت كلمة إسرائيل تعني - بالنّسبة للمسيحيِّين الصّهيونيِّين - شيئاً مُقدَّساً، وأنَّ الدَّولة اليهُوديَّة هي دولة مُستمدَّة من التّشريع الإلهي، وأنَّ قيامها يرتكز على نُبُوءات شَرْعيَّة دينيَّة، وأنَّ الالتزام بتأييدها هُو ترجمة للإرادة الإلهيَّة.

وتتمركز الصّهيونيَّة المسيحيَّة في الولايات المُتَّحدة الأميركيَّة التي تستقطب الحَرَكَات الصّهيونيَّة المُعاصرة التي تُشكّل الكَنيسة الإنجيليَّة الأميركيَّة أبرز دعائمها يُؤيِّدها عدد كبير من الكَنائس المسيحيَّة الأُخرى.

ويصعب حَصْرُ المُنظَّمات المسيحيَّة التي تنطوي تحت مظلَّة الصّهيونيَّة المسيحيَّة، وذلك بسبب تنوُّعها، وتعدُّدها، ولكنْ؛ يُمكن ذكْر أبرزها وأكثرها نشاطاً وفعَّاليَّة (لزيادة الاطِّلاع انظُرْ كتابنا "الأُصُوليَّة في الشّرائع السّماويَّة الثّلاث" صفحة 151):

1 - البعثة العبريَّة نيابة عن إسرائيل.

2 - المُنظَّمة الفيدراليَّة المُوالية لفلسطين.

3 - المصرف الأميركي المسيحي لأجل إسرائيل.

4 - وُسطاء لأجل إسرائيل.

5 - مُؤسَّسة جبل المعبد.

6 - القيادة الوطنيَّة المسيحيَّة لأجل إسرائيل.

7 - المسيحيُّون المُتَّحدون لأجل إسرائيل.

8 ـ رابطة الصّداقة الإسرائيليَّة الأميركيَّة.

9 ـ البرُوتستانت البيض الأنكلُوساكسُون.

10 ـ الاتِّحاد المسيحي من أجل سلامة أميركا.

11 ـ مُنظَّمة الأغلبيَّة الأخلاقيَّة.

12 ـ مُنظَّمة السُّفارة المسيحيَّة الدّوليَّة.

13 ـ مُنظَّمة المُؤتمر القومي للقيادات المسيحيَّة من أجل إسرائيل.

ويُقدَّر عدد المُنظَّمات الصّهيونيَّة المسيحيَّة العاملة في الولايات المُتَّحدة الأميركيَّة بما يزيد عن 250 مُنظَّمة. وقد ساعدت الدَّوافع الاقتصاديَّة والمصالح الاستراتيجيَّة الجديدة لأميركا ـ التي برزت بعد الحرب العالميَّة الثّانية ـ إلى اتِّساع مساحة ونُفُوذ هذه المُنظَّمات.

15 ـ الغُوييم: وتعني الأغيار. وهُم ـ بالنّسبة لليهُود ـ كُلُّ الشُّعُوب والأُمم التي لا تدين باليهُوديَّة. وقد حَمَلَ التّلمود على هؤلاء النّاس الغُرباء، وشبَّههم بالحيوانات، التي خُلقَتْ على هيئة بشر، وأنَّ الله أوجدهم ليكونوا مُسخَّرين لشعب الله المُختار، لذلك؛ كان التّلمود مصدر متاعب وإشكالات لليهُود طوال فترة طويلة من الزّمن، لما تضمَّنه من مزاعم وافتراءات وتلفيقات ضدَّ الآخرين، وخاصَّة المسيحيِّين. وبسبب التّهجُّم الوقح على المسيحيَّة، فقد قادت الكَنيسة حملات كثيرة ضدَّ التّلمود، وأمرت بإحراقه، وتحريمه، والحدِّ من انتشاره. وفي التّوراة؛ نجد العُنصُريَّة اليهُوديَّة واضحة تجاه الغير، فهي تسمح بالتّعامل بالرّبا معه، بينما تُحرِّمه بين اليهُود، وتذهب إلى حَدِّ السّماح بالزّنا مع النّساء غير اليهُوديّات. وغدا التّعامل مع الغير ـ وُفق الشّريعة اليهُوديَّة ـ يختلف ـ تماماً ـ عمَّا يجب أنْ يكون سائداً بين اليهُود أنفسهم. وتُبرز النُّصُوصُ التّوراتيّةُ الإصرارَ على إظهار الاستعلاء اليهُودي على كُلِّ الشُّعُوب الأُخرى غير اليهُوديَّة "الأغيار أو الغُوييم".

إنَّ هذا التّمييز (بين اليهُودي وغير اليهُودي) نجده واضحاً في الكيان الصّهيوني (إسرائيل)، فهُناك نجد تمييزاً قانونياً وإدارياً واجتماعياً وثقافياً ضدَّ الفلسطينيِّين، حتّى الذين

يحملون الجنسيَّة الإسرائيليَّة. فالفلسطيني محروم من الحُصُول على نفس الاستحقاقات التي ينالها اليهُودي. وهُناك مناطق مُعيَّنة لا يحقُّ للفلسطيني الإقامة فيها.

ثُمَّ إنَّ البلديَّات ذات الطَّابع العَرَبي محرومة من الاستفادة من نفس مقدار المُساعدات المُخصَّصة في المُوازنة للبلديَّات اليهُوديَّة. وهُناك قوانين تُحظِّر على أيِّ عَرَبي أنْ يعيش في أيِّ مُستوطنة يهُوديَّة، أو أنْ يحقَّ له استئجار أرض من يهُودي..

إنَّ هذا التَّطبيق العملي لمفهوم الأغيار - الذي يسري في مُختلف مظاهر الحياة في إسرائيل - يفضح كُلَّ الادِّعاءات الزَّائفة، التي تُحاول إسرائيل الإيحاء بها إلى أنَّها دولة ديمُقراطيَّة تحترم حُقُوق الإنسان (الغَيْر وحُرِّيَّته).

16 - برُوتُوكُولات حُكَمَاء صهيون: وهُو الكتاب الذي ظَهَرَ عام 1905، في رُوسيا القَيْصريَّة، وَحَمَلَ اسم مُؤلِّفه (سيرجي نيلوس). ويتحدَّث هذا الكتاب بإسهاب عن مُخطَّط يهُودي يرمي إلى السَّيطرة على العالم؛ باستخدام عدد كبير من الأساليب الشَّيطانيَّة، بالتَّعاون مع الماسُونيِّين والعلْمانيِّين والمُلحدين؛ لإقامة إمبراطُوريَّة عالميَّة، تخضع لسُلطان اليهُود، تُديرها حُكُومة عالميَّة مقرُّها القُدْس. وسيتمُّ تنفيذ هذا المُخطَّط عن طريق تقويض دعائم الأُسرة، وإشاعيَّة الإباحيَّة، وتخريب المسيحيَّة، والإيقاع بين الدُّول، وتحطيم المُؤسَّسات الدِّينيَّة والسِّياسيَّة. ومُنذُ ظُهُور الكتاب الذي تنسجم أفكاره العامَّة مع المذهب الميكيافيلي (كُلّ شيء مُباح من أجل الهَدَف) قامت ضجَّة كبيرة حول حقيقة مُؤلِّفه، والجهة التي كانت وراء نَشْره. ويعتقد أكثر المُحقِّقين أنَّ هذا الكتاب هُو من وَضْع البُوليس السِّرِّي الرُّوسي لتبرير موجة اضطهاد اليهُود التي سادت رُوسيا في تلك الفترة. ورغم ما تضمَّنه الكتاب من شطحات وأحلام طُوباويَّة ترغب اليهُوديَّة في تحقيقها، فإنَّ إضفاء هذه الهالة الكبيرة على قُدرة اليهُود ومُخطَّطاتهم هُو ما ترمي الصَّهيونيَّة إلى تثبيته في أذهان النَّاس البُسطاء، رغم علْمها استحالة تنفيذ مُخطَّطاتها الجُهنَّميَّة البعيدة عن العقلانيَّة والمنطق.

ويسود الاعتقاد في الأوساط العلْميَّة التي قامت بدراسة كتاب البرُوتُوكُولات إلى أنَّ هذا الكتاب لا يُمكن أنْ يكون من صنْع وتأليف (حُكَمَاء) بني صهيون؛ لعدَّة أسباب؛ أبرزها:

1 ـ إنَّ النُّسخة الأصليَّة للكتاب ظَهَرَتْ باللُّغة الرُّوسيَّة، ولو كانت من تأليف الجماعة اليهُوديَّة لكانت صَدَرَتْ باللُّغة اليديشيَّة، أو العبريَّة، أو حتَّى الآراميَّة.

2 ـ إنَّ ما تضمَّنه الكتاب من هُجُوم على الكَنيسة الكَاثُوليكيَّة هُو ـ في الحقيقة ـ تعبير عمَّا تكنُّه الأرثُوذُوكسيَّة السّلافيَّة تجاه الكَاثُوليكيَّة، وهذا يدل على أنَّ الخلفيَّة الدِّينيَّة السّلافيَّة هي التي كانت وراء هذه الكتابات.

3 ـ إنَّ الإيحاء بامتلاك كامل المعرفة وكامل القُدرة على سَيْر الأحداث التّاريخيَّة فيه الكثير من المُبالغة، التي تصل ـ أحياناً ـ إلى درجة الأُسطُورة. فنجاح "داروين"، و"ماركس"، و"نيتشه"، والثَّورة الفرنسيَّة، والادّعاء بأنَّ كُلَّ هذه الأُمُور هي من ترتيب اليهُود (الصّهيونيَّة) هُو ـ في الحقيقة ـ شطحة لا يُمكن أنْ تصدر عن حكيم صاحب فكْر سليم؛ لأنَّه مهما بلغت السّذاجة والتَّهوُّر في فكْر أيٍّ (حكيم)، فإنَّه لايُمكن أنْ يُصرِّح (أنَّ أسرار تنظيم الثَّورة الفرنسيَّة معروفة لنا جيِّداً، لأنَّها من صُنْع أيدينا، ونحنُ ـ من ذلك الحين ـ نقود الأُمم قُدُماً من فشل إلى فشل، حتَّى أنَّهم سوف يتبرَّؤون منَّا)، (إنَّ لنا طُمُوحاً لا يُحَدُّ، وشَرَهاً لايشبع، ونقمة لا ترحم، وبغضاء لا تُحَسُّ، إنَّنا مصدر إرهاب بعيد المدى، وإنَّنا نُسخِّر في خدمتنا أُناساً من جميع المذاهب والأحزاب)، (حينما يأتي الوقت للقضاء على الفاتيكان، فسوف تنقضُّ الشُّعُوب التي تقودها الأيدي غير المرئيَّة على هذا القصر، وسوف يكون ملك إسرائيل رئيس الكَنيسة العالميَّة).

ورغم أنَّ زُعماء اليهُود والصّهيونيَّة يدفعون عن أنفسهم تُهمة إعداد هذا الكتاب، بل نظروا إليه على أنَّه كإنجيل جديد لأعداء السّاميَّة، لما فيه من نزعات شرِّيرة مُختَلَقَة ضدَّهم، فقد تبنَّى كثير من السِّياسيِّين الأُورُوبيِّين سياسة تتَّصف بالعداء للسّاميَّة، وازدادت، واتَّسعت موجة الكَراهية لليهُود، وخاصَّة بعد الحرب العالميَّة الأُولى، استناداً للوقائع التي تضمَّنها هذا الكتاب.

إنَّ الاتِّجاه السّائد إلى تثبيت النَّفْي القاطع أنْ يكون مُؤلِّفو الكتاب هُم حُكَمَاء صهيون، إلاَّ أنَّ السُّلُوك الذي تُمارسه الصّهيونيَّة في فلسطين لا يُمكن أنْ يكون بعيداً عن المنهج الذي تضمَّنه كتاب البرُوتُوكُولات.

مُلحق رَقْم (2):

أبرز الوقائع التّاريخيَّة التي تمَّ فيها أحداث مُعاداة السّاميَّة

السّنة	عُنوان الواقعة التّاريخيَّة
القرن الثّالث ق . م .	بدء النُّزُوح من مصر، ومُوسى عليه السلام يقود بني إسرائيل فراراً من اضطهاد فرعون .
19 ب . م .	الإمبراطُور تيبريوس Tiberius يأمر بطَرْد اليهُود من رُوما وإيطاليا .
438 ب . م .	الإمبراطُور الرُّوماني الشّرقي تيُودُوسيُوس الثّاني Theodosius II يُقرُّ قانون اضطهاد اليهُود .
535 ب . م .	الإمبراطُور جُوستنيان الأوَّل Justinian I يُصدر مجموعة قوانين مُناهضة لليهُود .
612 ب . م .	الملك سيسبوت Siesbut الإسباني يُدشّن سياسة إكراه اليهُود على تغيير ديانتهم .
624 ب . م .	إجبار يهُود خَيْبَر على الخُرُوج من أرض الحجاز في المملكة العَرَبيَّة السُّعُوديَّة .
632 ب . م .	الإمبراطُور البيزنطي هرقل Heraclius يُصدر قانوناً بإجبار تعميد يهُود الإمبراطُوريَّة البيزنطيَّة .
694 ب . م .	مَنْع الدّيانة اليهُوديَّة في إسبانيا، واعتبار كُلّ اليهُود كعبيد، ومُصادرة كُلّ مُمتلكاتهم .

1012 ب. م. الإمبراطُور الألماني هنري الثّاني ينفي اليـهُود مـن منطقـة مينز Mainz، ويُعدُّ هذا التّاريخ بداية حملة اضطهاد اليهُود في ألمانيا.

1096 ب. م. المذبحة اليهُوديَّة فـي راينلانـد Rhineland أثنـاء بدايـة الحملـة الصّليبيّـة الأُولى.

1144 ب. م. بداية بُرُوز قصَّة هدر الدّم المسيحي في نُورويتش في إنكلترا.

1182ب. م. الملك فيليب أُوغســت الفرنسـي يُصـدر أمـراً بطَـرْد اليـهُود مـن مملكتـه، ومُصادرة أملاكهم.

1190ب. م. مذبحة لليهُود في مدينة يُورك في إنكلترا.

1215 ب. م. إجبـار اليـهُود علـى وَضْـع إشـارة مُعيَّنـة علـى ألبسـتهم؛ لتمييزهم مـن الآخرين.

1235 ب. م. تكرار هدر الدّم المسيحي في مدينة فُولدا الألمانيَّة.

1242 ب. م. حَرْق التّلمود في باريس.

1255 ب. م. ظُهُور جديد لحادثة هدر الدّم المسيحي في لينكولن في إنكلترا.

1290 ب. م. طَرْد اليهُود من إنكلترا. ويُعدُّ هذا الطَّرْد أكبر طَـرْد جمـاعي لليـهُود فـي العُصُور الوُسْطَى.

1298 ب. م. مذابح لليهُود في 146 منطقة في ألمانيا.

1306 ب. م. فرنسا تُجدِّد طَرْدَ اليهُود منها.

1348 ب. م. قَتْلُ عدد كبير من اليهُود فـي إسـبانيا وفرنسـا وألمانيـا والنّمسـا لاتِّهامـهم بأنّهم سمَّموا المياه، وسبَّبوا الطّاعون.

1389 ب. م. مذبحة في براغ (بُوهيميا) لليهُود المُقيمين فيها.

1399 ب . م . حادثة هَدْر دم جديدة تظهر في مدينة بُوذنان Boznan .

1421 ب . م . اضطهاد اليهُود في فيينَّا وضواحيها، ومُصادرة أموالهم، ثُمَّ طَرْدهم من كُلِّ أنحاء النّمسا .

1452 ب . م . تحريض على اضطهاد اليهُود، وطَرْدهم من كُلِّ المُدُن الألمانيَّة .

1473 ب . م . مذبحة ليهُود المارانو الإسبان في قُرطبة ومُدُن إسبانيَّة أُخرى .

1483 ب . م . طَرْد اليهُود من مدينة وارسو في بُولُونيا .

1490 ب . م . حادثة هَدْر دم مسيحي تظهر في مدينة غارديا في إسبانيا، زُعم أنَّ ضحيَّتها راهب مسيحي .

1492 ب . م . طَرْد اليهُود من جزيرة صقلية .

1495 ب . م . طَرْد اليهُود من ليتوانيا .

1496 ب . م . طَرْد اليهُود من البُرتغال .

1506 ب . م . مذبحة ليهُود المارانو في ليشبونة .

1510 ب . م . طَرْد اليهُود من مدينة براندنبرغ في ألمانيا .

1516 ب . م . بدء التَّجمُّع اليهُودي في أُورُوبا في مدينة فينيسيا ضمن أحياء خاصَّة (الجيتو) .

1532 ب . م . محاكم التّفتيش تبدأ أعمالها في البُرتغال .

1542 ب . م . طَرْد اليهُود من مملكة نابولي الإيطاليَّة، وكذلك مدينة براغ التّشيكيَّة .

1544 ب . م . مارتن لُوثر الإصلاحي البرُوتستانتي يشنُّ حملة شعواء على اليهُود، وحَظْر بابوي على تداول التّلمود .

1550 ب . م . طَرْد اليهُود من جنوا في إيطاليا .

1551 ب. م. طَرْد اليهُود من بافاريا في ألمانيا.

1553 ب. م. حَرْق كتاب التّلمود في رُوما، ومُراقبة الكُتُب اليهُوديَّة في عُمُوم إيطاليا بأمر من السُّلطات البابويَّة.

1567 ب. م. طَرْد جديد لليهُود من مدينة جنوا.

1569 ب. م. البابا بيُوس الخامس Pius V يأمر بطَرْد اليهُود من الدَّولة البابويَّة.

1593 ب. م. طَرْد لليهُود المُقيمين في إيطاليا وبافاريا.

1614 ب. م. هُجُوم على اليهُود في فرانكفورت، وإجبارهم على مُغادرة المدينة.

1648 ب. م. مذبحة لليهُود في أُوكرانيا، يذهب ضحيَّتها 100.000 يهُودي.

1650 ب. م. اليهُود في تُونُس يُقيمون أحياء خاصَّة لهم، فيما عُرِفَ - بعدُ - باسم (الحارة).

1655 ب. م. مذابح لليهُود أثناء الحرب بين بُولُونيا ورُوسيا.

1670 ب. م. ظُهُور حادثة جديدة لهَدْر الدّم المسيحي في مدينة ميتز في فرنسا.

1712 ب. م. هَدْر دم مسيحي في ساندُوميرز في بُولُونيا يُفضي إلى طَرْد اليهُود منها.

1715 ب. م. البابا بيُوس السّادس يُصدر أمراً بتجديد كُلّ ما صَدَرَ عن الفاتيكان من تعليمات ضدّ اليهُود.

1745 ب. م. تكرار طَرْد اليهُود من براغ.

1768 ب. م. مذبحة لليهُود في مدينة هيداماكس في بُولُونيا.

1790 ب. م. هَدْم كُلّ المُجمَّعات اليهُوديَّة في مراكش.

1791 ب. م. تحديد أماكن إقامة يهُود الخَزَر النّازحين إلى رُوسيا، ومَنْعهم من الإقامة خارج هذه الأماكن.

1805 ب . م . مذبحة لليهُود في الجزائر .

1819 ب . م . انتشار كَراهية اليهُود في جميع دُول أُورُوبا الشّماليَّة : ألمانيا ، بُولُونيا ، الدّانمارك ، لاتفيا ، وبُوهيميا .

1827 ب . م . إجبار اليهُود الذين تقلُّ أعمارهم عن 18 سنة للخدمة العسكريَّة في رُوسيا .

1840 ب . م . حادثة هَدْر دم مسيحي جديدة تظهر في دمشق - سُورية - اشتُهرت باسم الأب تُوما .

1853 ب . م . تكرار لهَدْر دم مسيحي جديد في رُوسيا .

1878 ب . م . أدُولف ستُوكر Adolf Stoecker الرّاهب الألماني المُعادي للسّاميَّة يُؤسِّس حزب العُمَّال الاشتراكي ، الذي يُعدُّ بداية حَركَة العداء للسّاميَّة في ألمانيا .

1882 ب . م . حادثة هَدْر دم جديدة تظهر في هنغاريا تُثير الرّأي العامّ الهنغاري ، وعقد أوّل مُؤتمر ضدّ السّاميَّة في مدينة درسدن في ألمانيا .

1882 ب . م . قيصر الثّالث في رُوسيا يُصدر (قوانين مايس) ، التي بمُوجبها تمَّ وَضْعُ سياسة عُنصُريَّة مُنظَّمة ضدّ اليهُود .

1885 ب . م . طَرْد ما يزيد عن 10.000 لاجئ يهُودي رُوسي من ألمانيا .

1891 ب . م . حالة جديدة من هَدْر الدّم تظهر في مدينة إكسانتن Xanten في ألمانيا .

1891 ب . م . طَرْد اليهُود من مدينة مُوسكُو .

1893 ب . م . تشكيل الحزب المسيحي الاشتراكي المُناهض للسّاميَّة في فيينَّا .

1894 ب . م . مُحاكمة الضّابط اليهُودي ألفريد درايفُوس في باريس .

1899 ب . م . هَدْر دم جديد في بُوهيميا ، وأُشتهرت بقضيَّة هيلسنر .

1905ب . م . مذابح لليهُود في رُوسيا؛ أبرزها كان في مدينة أُوديسا، وظُهُور كتاب برُوتُوكُولات حُكَمَاء صهيون.

1909 ب . م . مُقاطعة التّعامل مع اليهُود في بُولُونيا.

1911 ب . م . مُحاكمة مناحيم ماندل المُتَّهم بحادثة هَدْر دم في كييف.

1917 ب . م . مذابح لليهُود في أُوكرانيا وبُولُونيا.

1919 ب . م . مذابح لليهُود في هنغاريا.

1920 ب . م . هنري فُورد الأوَّل يبدأ بنَشْر سلسلة مقالات ضدّ السّاميَّة، استناداً على كتاب برُوتُوكُولات حُكَمَاء صهيون.

1924 ب . م . مُقاطعة اقتصاديَّة لليهُود في بُولُونيا.

1933 ب . م . أدولف هتلر مُستشار ألمانيا يدعو الألمان إلى مُقاطعة اليهُود اقتصادياً.

1937 ب . م . تشريع قوانين في رُومانيا ضدّ السّاميَّة، وتمييز عُنصُري ضدّ اليهُود في الجامعات البُولُونيَّة.

1938 ب . م . النّمسا تُصدر عدَّة تشريعات ضدّ السّاميَّة، ومذبحة لليهُود في فيينَّا.

1938 ب . م . الرّاهب الكَاثُوليكي شارلز كُوغلين Charles E . Coughlin يبدأ أوَّل برنامج إذاعي أُسبُوعي ضدّ السّاميَّة في الولايات المُتَّحدة.

1938 ب . م . (ليلة الكريستال)؛ أيْ تحطيم المحلاَّت اليهُوديَّة، وحَرْق المعابد، وإرسال اليهُود إلى مُعسكرات الاعتقال تبدأ في النّمسا وألمانيا (9 و10 / 11/ 1938).

1938 ب . م . تشريعات عُنصُريَّة تُصدرها إيطاليا ضدّ اليهُود، وتشريعات اقتصاديَّة ضدّهم في هنغاريا.

1939 ب . م . صُدُور قوانين ضدّ اليهُود في تشيكُوسلُوفاكيا.

1939 ب. م. الجيش الألماني يغزو بُولُونيا (1/ 9/ 1939)، وبداية محارق الهُولُوكُوست.

1940 ب. م. تشكيل مناطق لليهُود (الجيتو) في بُولُونيا، ومذابح جماعيَّة ضدَّ اليهُود.

1941 ب. م. حَمْلَة عامَّة ضدَّ اليهُود في دُول البلطيق وسلُوفاكيا ورُومانيا بعد دُخُول الجيش الألماني إلى تلك المناطق.

1941 ب. م. شغب واعتداءات على اليهُود في العراق، بعد ثورة رشيد علي الكيلاني.

1942 ب. م. مُؤتمر قُرب برلين؛ لإنجاز نَقْل جماعي ليهُود بلجيكا وهُولندا إلى مُعسكرات الموت (أُوشُويتز).

1943 ب. م. إعلان ألماني بضرورة إخلاء اليهُود من كُلِّ أُورُوبا، ونَقْلهم إلى مُعسكرات الموت، وإنهاء كُلّ مناطق الجيتو فيها.

1944 ب. م. إبادة اليهُود في هنغاريا.

1945 ب. م. استسلام ألمانيا في 8/ 5/ 1945، وتقدير ضحايا اليهُود بـ 5.820.960 يهُودي.

1946 ب. م. مذابح في مدينة كيلز Kielce في بُولُونيا.

1948 ب. م. قَمْع الثّقافة اليهُوديَّة في الاتِّحاد السُّوفييتي.

1948 ب. م. مذبحة لليهُود المُقيمين في ليبيا.

1952 ب. م. مُحاكمات في براغ، وقَتْل المُثقَّفين اليادیش في رُوسيا، واختفاء عدد من اليهُود، وإرسال الآخرين إلى مُعسكرات العمل.

1956 ب. م. هجرة لليهُود من مصر.

1967 ب. م. أوَّل ترجمة عَرَبِيَّة لكتاب بروتوكولات حُكَمَاء صهيون تصدر في مصر.

1968 ب. م. هجرة حديثة ليهُود بُولُونيا بعد بُرُوز موجة جديدة لمُعاداة السّاميَّة فيها.

1970 ب. م. مُحاكمات لليهُود السُّوفييت في لينينغراد؛ فيما أُطلق عليه (مُحاكمات الضّمير).

1980 ب. م. استمرار مُحاكمات اليهُود السُّوفييت التي بدأت في السّبعينيَّات، وحتَّى الثّمانينيَّات.

مُلحق رَقْم (3):

أسماء رُؤساء الولايات المُتَّحدة الأميركيَّة حتَّى عام 2002

1 ـ جُورج واشنطن (1789 ـ 1797) George Washington .

2 ـ جُون آدامز(1797 ـ 1801) John Adams .

3 ـ تُوماس جيفرسُون (1801 ـ 1809) Thomas Jefferson .

4 ـ جيمس ماديسُون (1809 ـ 1817) James Madison .

5 ـ جيمس مُونرُو (1817 ـ 1825) James Monroe .

6 . جُون كوينسي آدامز (1825 ـ 1829) John Quincy Adams .

7 ـ آندرُو جاكسُون (1829 ـ 1837) Andrew Jackson .

8 ـ مارتن فان بيُورن (1836 ـ 1841) Martin Van Buren .

9 ـ ويليام هنري هاريسون(*) (1841 ـ) William Henry Harrison .

10 ـ جُون تايلر (1841 ـ 1845) John Tyler .

11 ـ جيمس نُوكس بُولك (1845 ـ 1849) James knox Polk .

12 ـ زاكري تايلر(**) (1849 ـ 1850) Zachary Tayler .

(*) وليم هنري هاريسُون أمضى أقصر فترة رئاسيَّة لرئيس أميركي ؛ إذْ لـم تـدم رئاسـته سـوى 32 يومـاً ؛ بسـبب وفاتـه المُفاجئة في مكتبه، عن عُمر يُناهز 62 عاماً.

(**) زاكري تايلر انتُخب في 5/ 3/ 1849 ، وتُوفّي في 9/ 7/ 1850 ، وعند تشريح الجُثَّة تبيَّن وُجُود موادّ سامَّة في المعدة .

13 ـ ميلارد فيلمُور (1850 ـ 1853) Millard Fillmore .

14 ـ فرانكلين بيرس (1853 ـ 1857) Franklin Pierce .

15 ـ جيمس بُوكانان (1857 ـ 1861) James Buchanan .

16 ـ أبراهام لينكولن(*) (1861 ـ 1865) Abraham Lincolin .

17 ـ أندرُو جُونسُون (1865 ـ 1869) Andrew Johnson .

18 ـ يُوليسيس سيمبسون جرانت (1869 ـ 1877) Ulysses Simpson Grant .

19 ـ رُوذيرفُورد بيركارد هيز (1877 ـ 1881) Rutherford Birchard Hayes .

20 ـ جيمس أبراهام جارفيلد(**) (1881 ـ) James Abraham Garfield .

21 ـ شيستر آلان آرثر (1881 ـ 1885) Chester Alan Arthur .

22 ـ جرُوفر كليفلاند (1885 ـ 1889) Grover Cleveland .

23 ـ بنجامين هاريسُون (1889 ـ 1893) Benjamin Harrison .

24 ـ جرُوفر كليفلاند (1893 ـ 1897) Grover Cleveland .

25 ـ وليم ماكينلي(***) (1897 ـ 1901) William MaKinley .

26 ـ تيُودُور رُوزفلت (1901 ـ 1909) Thedore Roosevelt .

27 ـ ويليام هوارد تافت (1909 ـ 1913) William Howard Taft .

28 ـ وودرو ويلسُون (1913 ـ 1921) Woodrow Wilson .

(*) أبراهام لينكولن أوّل رئيس للولايات المتّحدة الأميركيّة يتمّ اغتياله بإطلاق النّار عليه بتاريخ 15/ 4/ 1865 .

(**) جيمس أبراهام جارفيلد ثاني رئيس أميركي يتمّ اغتياله في 19/ 9/ 1881 ، وكان يبلغ من العمر 49 سنة و105 يوماً ، ودامت رئاسته مُدّة 199 يوماً فقط .

(***) ويليام ماكينلي ثالث رئيس أميركي يتمّ اغتياله بتاريخ 14/ 9/ 1901 .

29 ـ وارن جاماليل هاردينج (1921 ـ 1923) Warren Gamaliel Harding

30 ـ كالفن كُوليدج (1923 ـ 1929)Calven Coolidge .

31 ـ هيربرت كلارك هُوفر (1929 ـ 1933) Herbert Clark Hoover . .

32 ـ فرانكلين ديلانُو رُوزفلت (1933 ـ 1945) Franklin Delano Roosevelt .

33 ـ هاري س . ترُومان (1945 ـ 1953) Harry S. Truman .

34 ـ دوايت ديفيد أيزنهاور(*) (1953 ـ 1961) Dwight David Eisenhower .

35 ـ جُون فيتزجيرالد كينيدي(**) (1961 ـ 1963) John Fitzgerald Kennedy .

36 ـ ليندُون بينز جُونسُون (1963 ـ 1969) Lyndon Baines Johnspn .

37 ـ ريتشارد ميلُوز نيكسُون (1969 ـ 1974) Richard Milhous Nixon .

38 ـ جيرالد رُودُولف فُورد (1974 ـ 1977) Gerald Rudolph Ford .

39 ـ جيمي كارتر (1977 ـ 1981) Jimmy Carter .

40 ـ رُونالد ويلسون ريغان(***) (1981 ـ 1989) Roland Wilson Reagan .

41 ـ جُورج هيربرت واكر بُوش (1989 ـ 1993) George Herbert Walker Bush .

42 ـ ويليام جيفيرسُون كلينتون (1993 ـ 2001) William Jefferson Clinton .

43 ـ جُورج واكر بُوش (2001 ـ) George W. Bush .

(*) دوايت أيزنهاور أوّل رئيس أميركي يتّخذ موقفاً صارماً ضدّ إسرائيل، بعد العُدوان الثُّلاثي الذي قامت به بالاشتراك مع فرنسا وبريطانيا ضدّ مصر عام 1956 .

(**) جُون كينيدي رابع رئيس أميركي يجري اغتياله بإطلاق الرّصاص عليه أثناء زيارته لمدينة دالاس بتاريخ 22/ 11/ 1963 .

(***) رُونالد ريغان جرت مُحاولة لاغتياله في نيُو يُورك بتاريخ 30/ 3/ 1981 ، ولكنّه نجا من تلك المُحاولة .

مُلحق رَقْم (4):

يهُود أُورُوبا الغربيَّة في 2000/1/1

آ ـ الاتّحاد الأُورُوبي:

الدَّولة	مجموع عدد السُّكَّان	عدد السُّكَّان اليهُود	نسبة اليهُود لكُلّ 1000 مُواطن
فرنسا	59.114.000	521.000	8.8
بريطانيا	59.062.000	276.000	4.7
ألمانيا	82.220.000	92.000	1.1
بلجيكا	10.161.000	37.700	3.1
إيطاليا	57.298.000	29.600	0.5
هُولندا	15.786.000	26.500	1.7
السُّويد	8.910.000	15.000	1.7
إسبانيا	39.630.000	12.000	0.3
النّمسا	8.211.000	9.000	1.1
الدّانمارك	5.293.000	6.400	1.2
اليُونان	10.645.000	4.500	0.4
فنلندا	5.176.000	1.100	0.2
أيرلندا	3.730.000	1.100	0.3
اللُّوكسمبورغ	431.600	*0.600*	*1.4*
المجموع العامّ	375.542.000	1.026.700	2.7

مُلحق رَقْم (5):

يهُود أُورُوبا الغربيَّة في 2000/1/1

ب ـ الدُّول خارج الاتِّحاد الأُورُوبي:

الدَّولة	مجموع عدد السُّكَّان	عدد السُّكَّان اليهُود	نسبة اليهُود لكُلّ 1000 مُواطن
سويسرا	7.386.000	18.000	2.4
النّرويج	4.465.000	1.200	0.3
جبل طارق	25.000	600	24.0
دُول أُخرى	852.000	100	0.1
المجموع العامّ	12.728.000	19.900	1.6

ملحق رَقْم (6):

يهُود أُورُوبا الشّرقيَّة في 2000/1/1

الدَّولة	مجموع عدد السُّكَّان	عدد السُّكَّان اليهُود	نسبة اليهُود لكُلِّ 1000 مُواطن
رُوسيا	146.934.000	290.000	2.0
أُوكرانيا	50.456.000	100.000	2.0
هنغاريا	10.036.000	52.000	5.2
بيلارُوسيا	10.236.000	26.600	2.6
تُركيا(*)	66.591.000	19.000	0.3
رُومانيا	22.327.000	11.500	0.5
لاتافيا	2.357.000	8.600	3.6
مُولدُوفيا	4.380.000	6.500	5 .1
ليتوانيا	3.670.000	4.400	2 .1
بُولُونيا	38.765.000	3.500	0.1
سلُوفاكيا	5.387.000	3.300	0.6
التّشيك	10.244.000	2.800	0.3

(*) أُدخلت تُركيا في عداد دُول البلقان.

بلغاريا	8.225.000	2.600	0.3
استوانيا	1.327.000	2.000	1.5
كرواتيا	4.473.000	1.300	0.3
دُول أُخرى	18.582.000	2.300	0.1
مجموع اليهُود		536.400	

ملحق رقم (7):

التوزيع الجغرافي لليهود في العالم في 2000/1/1

المنطقة	العدد الإجمالي	التوزيع حسب المناطق	التوزيع الفرعي للمناطق
1 - يهود العالم	500 .191 .13	-	-
آ - إسرائيل	-	4.882.000	-
ب - يهود الشتات	-	8.309.500	-
2 - يهود الشتات	500 .309 .8	-	-
القارة الأميركية	-	6.483.900	-
آ - أميركا الشمالية(*)	-	-	6.062.000
ب - أميركا الوسطى	-	-	52.800
ج - أميركا الجنوبية	-	-	369.100
أوروبا	-	1.583.000	-
آ - الاتحاد الأوروبي	-	-	1.026.700
ب - دول أوروبية أخرى	-	-	19.900
ج - روسيا(**)	-	-	438.100
د - دول البلقان(***)	-	-	98.300

(*) أميركا الشمالية، وتتضمن: الولايات المتحدة 5.700.000 + كندا 362.000.

(**) روسيا، وتتضمن الدول التي كانت تابعة لها ضمن ما كان يدعى بالاتحاد السوفييتي، وهي:
أوكرانيا - بيلاروسيا - لاتافيا - مولدوفيا - ليتوانيا - أستونيا.

(***) دول البلقان: يدخل ضمن هذه المجموعة كل من:
تركيا - هنغاريا - بلغاريا - رومانيا - التشيك - كرواتيا - بولونيا - ودول الاتحاد اليوغسلافي سابقاً.

آسيا(*)	-	50.900	
آ - دُول آسيا الوُسْطَى(**)	-	-	30.000
ب - بقيَّة الدُّول الآسيويَّة	-	-	20.900
أفريقيا	-	89.800	-
شمال أفريقيا	-	-	7.700
جنوب أفريقيا	-	-	82.100
أوقيانوسيا(***)	-	101.900	
		8.309.500	

(*) آسيا ما عدا إسرائيل؛ لوُرُود هذه الأخيرة في بند مُستقلٍّ.

(**) آسيا الوُسْطَى، وتتضمَّن: الدُّول الآسيويَّة التي كانت ضمن مجموعة الاتِّحاد السُّوفييتي.

(***) أُوقيانوسيا، وتتضمَّن: أُوستراليا - نيُوزيلندا - وجُزُر الباسفيك.

مُلحق رَقْم (8):

أتباع أبرز ديانات العالم حسب القارَّات لعام 2000

الدِّيانة	أفريقيا	آسيا	أُورُوبا	أميركا اللاَّتينيَّة	أميركا الشَّماليَّة	أُوقيانوسيا	المجموع
المسيحيَّة	360 . 232 . 0	312 . 849 . 0	559 . 643 . 0	481 . 102 . 0	260 . 624 . 0	25 . 110 . 0	1 . 999 . 560
أنجليكان	42 . 542 . 0	0 . 727 . 0	26 . 637 . 0	1 . 090 . 0	3 . 244 . 0	5 . 409 . 0	79 . 649 . 0
أُورثُوذُوكس	35 . 304 . 0	14 . 113 . 0	158 . 105 . 0	0 . 558 . 0	6 . 342 . 0	0 . 706 . 0	215 . 128 . 0
برُوتستانت	89 . 001 . 0	49 . 967 . 0	77 . 529 . 0	48 . 132 . 0	69 . 978 . 0	7 . 392 . 0	341 . 999 . 0
كَاثُوليك	120 . 386 . 0	110 . 487 . 0	285 . 978 . 0	461 . 220 . 0	71 . 035 . 0	8 . 228 . 0	1 . 057 . 327
الإسلام	317 . 374 . 0	832 . 879 . 0	31 . 566 . 0	1 . 672 . 0	4 . 450 . 0	0 . 301 . 0	1 . 188 . 242
الهندُوسيَّة	2 . 351 . 0	805 . 120 . 0	1 . 416 . 0	0 . 768 . 0	1 . 327 . 0	0 . 355 . 0	811 . 337 . 0
البُوذيَّة	0 . 134 . 0	354 . 651 . 0	1 . 547 . 0	0 . 647 . 0	2 . 701 . 0	0 . 301 . 0	359 . 981 . 0
اليهُوديَّة	0 . 214 . 0	4 . 429 . 0	2 . 527 . 0	1 . 142 . 0	6 . 024 . 0	0 . 097 . 0	14 . 433 . 0
الكُونفُوشيَّة	-	6 . 264 . 0	0 . 011 . 0	-	-	0 . 024 . 0	6 . 299 . 0

المصدر: كتاب التَّقويم العالمي لعام 2002، صفحة 684، وقد ثبَّتْنَا أرقام الكَاثُوليك في أميركا اللاَّتينيَّة وُفْق ما وَرَدَتْ في الكتاب، والمُعتَمَدَة على أرقام الموسوعة البريطانيَّة لعام 2001.

الأرقام الواردة في الجدول هي مُقدَّرة بالمليون.

مُلحق رَقْم (9):

وقائع تسترعي الانتباه، عند مُقارنة حادثَيْ اغتيال جُون كينيدي وأبراهام لينكولن

جُون كينيدي	أبراهام لينكُولن
1 - انتُخب لعُضويَّة الكُونغرس في عام 1946	انتُخب لعُضويَّة الكُونغرس في عام 1846
2 - كان كينيدي الابن الثّاني في أُسرته	كان لينكولن الابن الثّاني في أُسرته
3 - انتُخب كَرئيس للجُمهُوريَّة عام 1960	انتُخب كَرئيس للجُمهُوريَّة عام 1860
4 - اغتيل في يوم الجُمعة	اغتيل في يوم الجُمعة
5 - القاتل كان من الجنوب	القاتل كان من الجنوب
6 - قُتل بحُضُور زوجته	قُتل بحُضُور زوجته
7 - الطّلقة كانت من الخلف، وفي الرّأس	الطّلقة كانت من الخلف، وفي الرّأس
8 - نَجَحَ بأصوات الجنوبيِّين	نَجَحَ بأصوات الجنوبيِّين
9 - خَلَفَهُ في منصبه شخص يُدعَى جُونسُون	خَلَفَهُ في منصبه شخص يُدعَى جُونسُون
10 - ليندُون جُونسُون وُلد في عام 1939	أندرُو جُونسُون وُلد في عام 1839
11 - القاتل لي هارفي أُوزولد وُلد في عام 1939	القاتل جُون ويلكس بُوث وُلد في عام 1838
12 - يحمل اسم كينيدي سبعة أحرف	يحمل اسم لينكولن سبعة أحرف
13 - يحمل اسم ليندُون جُونسُون 13 حرفاً	يحمل اسم آندرُو جُونسُون 13 حرفاً
14 - يحمل اسم لي هارفي أُوزولد 15 حرفاً	يحمل اسم جُون ويلكس بُوث 15 حرفاً

15 ـ يحمل اسم لي أوزولد 9 حُرُوف
يحمل اسم جُون بُوث 9 حُرُوف

16 ـ عُرِفَ عنه مواقفه المُناصرة لحُقُوق الإنسان
عُرِفَ عنه مواقفه المُناصرة لحُقُوق الإنسان

17 ـ فَقَدَتْ زوجته طفلاً أثناء فترة الرِّئاسة
فَقَدَتْ زوجته طفلاً أثناء فترة الرِّئاسة

18 ـ اسم سكرتير كينيدي كان لينكُولن
اسم سكرتير لينكُولن كان كينيدي

19 ـ سكرتير كينيدي نَصَحَهُ بعدم الذّهاب إلى دالاس ؛ حيثُ تمَّ الاغتيال
سكرتير لينكُولن نَصَحَهُ بعدم الذّهاب إلى المسرح ؛ حيثُ تمَّ الاغتيال

20 ـ الشّخص الذي أطلق النّار على كينيدي أطلقه من مُجمَّع لبَيْع الملابس ، ثُمَّ فرَّ إلى المسرح المُجاور
الشّخص الذي أطلق النّار على لينكُولن أطلقه من المسرح ؛ ثُمَّ فرَّ إلى مُجمَّع لبَيْع الملابس

مُلحق رَقْم (10):

جداول الانتخابات الإسرائيليَّة لعامَيْ 1999 و 2003

جدول رَقْم 1		جدول رَقْم 2	
الأحزاب التي فازت في انتخابات الكنيست السّادس عشر (2003)		الأحزاب التـي فـازت فـي انتخابـات الكنيست الخامس عشر (1999)	
اسم الحزب	عدد المقاعد	اسم الحزب	عدد المقاعد
1 ـ اللّيكود	37	1 ـ العمل	26
2 ـ العمل	19	2 ـ اللّيكود	19
3 ـ شينوي	15	3 ـ شاس (الأُصُولي المُتطرِّف)	17
4 ـ شاس	11	4 ـ ميريتس (اليسار العلماني)	10
5 ـ الاتِّحاد الوطني	7	5 ـ يسرائيل بعاليا	4
6 ـ ميريتس	6	6 ـ حزب الوَسَط	6
7 ـ الوطني الدِّيني	5	7 ـ شينوي	6
8 ـ التَّوراة المُتَّحد	5	8 ـ الوطني الدِّيني NRP	5
9 ـ آم إيهاد	4	9 ـ التَّوراة المُتَّحد	5
10 ـ القائمة العَرَبيَّة المُوحَّدة	9	10 ـ القائمة العَرَبيَّة المُوحَّدة	7
11 ـ يسرائيل بعاليا	2	11 ـ الوطني المُتَّحد	3
		12 ـ يسرائيل بيتنا	4

		13 ـ حداش (الحزب الشيُوعي)	3
		14 ـ حزب الوطن الواحد	2
		15 ـ حيروت	1
		16 ـ الاختيار الديُمُقراطي	2
	120		120

ملحق رَقْم (10):

جدول رَقْم 3				
تطوُّر اتِّجاهات الأحزاب الإسرائيليَّة المُمثَّلة في الكنيست				
تكتُّل اليمين	59	57	54	67
1 - اللِّيكود				
2 - تسُوميت				
3 - الوطني الدِّيني				
4 - شاس				
5 - التَّوراة المُتَّحد				
6 - الاتِّحاد الوطني				
7 - حيروت				
8 - يسرائيل بيتنا				
9 - يسرائيل بعاليا				
تكتل اليسار والوَسَط	61	63	66	53
1 - العمل(*)				
2 - شينوي				
3 - ميرتس				
4 - حاداش				
5 - القائمة العَرَبيَّة المُتَّحدة				
6 - آم إيهاد (الهيستدروت)				

(*) إنَّ النّزاعات الدّاخليَّة في حزب العمل، ونُزُوح عدد كبير من عُضويَّته بسبب فقدانه صفته الاجتماعيَّة العُمَّاليَّة، وتعاونه مع الأحزاب اليمينيَّة، قد أدَّت إلى تدنِّي عدد مُمثِّليه في الكنيست الحالي إلى 19 مُمثِّلاً، بعد أنْ كان عددهم (44) عام 1992، و (34) عام 1996، و (26) عام 1999. أمَّا نجاح شارون، الذي يُمثِّل اليمين الإسرائيلي بهذه النّسبة العالية؛ فإنَّه يعود إلى عدَّة أسباب؛ أهمّها أنَّ النّاخب الإسرائيلي أصبح أسير طُرُوحات شارون العدائيَّة، وسياسته اللاَّإنسانيَّة في التّعامل مع الانتفاضة، وقناعة هذا النّاخب بعدم وُجُود بديل للسّياسة الشّارونيَّة، وخاصَّة فيما يتعلَّق بمسألة الأمن، ثُمَّ نجاح شارون في شلِّ حَرَكَة الدُّول العَرَبيَّة المُجاورة لإسرائيل، التي هي - أصلاً - في حالة ركُود

مُلحق (11):

المراجع والمصادر

آ ـ المصادر العَرَبيَّة:

1 ـ القُرآن الكريم.

2 ـ الكتاب المُقدَّس.

3 ـ اليهُود افتراء على الله وظُلم للعباد، مُحمَّد متولِّي الشّعراوي.

4 ـ هلاك ودمار أميركا المُنتظَر، هشام كمال عبد الحميد.

5 ـ الحَركَة الصّهيونيَّة والصّراع العَرَبي الإسرائيلي، د. عبد الوهاب المسيري.

6 ـ الجماعات الوظيفيَّة اليهُوديَّة، د. عبد الوهاب المسيري.

7 ـ اليهُود ودولة إسرائيل في الاستراتيجيَّة الغربيَّة، د. عبد الوهاب المسيري.

8 ـ برُوتُوكُولات حُكَمَاء صهيون، د. عبد الوهاب المسيري.

9 ـ طبخة أُوسلُو، ممدوح نوفل.

10 ـ كلام في السِّياسة، مُحمَّد حسنين هيكل.

11 ـ العرُوش والجيُوش، مُحمَّد حسنين هيكل.

12 ـ حرب من نوع جديد، مُحمَّد حسنين هيكل.

13 ـ الصّهيونيّة العالميّة وإسرائيل، د. حسن ظاظا، د. عائشة راتب، د. مُحمَّد فَتْح الله الخطيب.

14 ـ اليهُوديَّة بين حضارة الشّرق الثّقافيّة وحضانة الغرب السِّياسيَّة، عفيف فراج .

15 ـ الحُرُوب العَرَبيَّة الإسرائيليَّة، مُحمَّد عبد السّلام.

16 ـ حكُومة عُمُوم فلسطين في ذكراها الخمسين، مُحمَّد خالد الأزعر.

17 ـ كيف زيَّفَ اليهُودُ التَّوراة، مُوسى الزُّعبي.

18 ـ القُرآن والتَّوراة أين يتَّفقان وأين يفترقان؟ حسن الباش.

19 ـ اليهُود المُعتدون ودولتهم إسرائيل، مُحمَّد الغزالي.

20 ـ نَقْد التَّوراة، أحمد حجازي السَّقَّا.

ب ـ المصادر الأجنبيّة:

1 - Stephen D . Isaacs, The jews and the American policy.

2 . Noam Chomsky The fateful Triangle : The USA ، Israel and The Palestinians.

3 . Noam Chomsky What Uncle Sam Really Wants.

4 . Noam Chomsky 9 / 11

5 . Paul Findly. Delibrate Deceptions : facing the facts about the USA. Israeli relationship.

6 .
lobby.

7 . Norman Lawrance, Israel : Jewish population and immigration.

8 . Stephen Green, Living by the sword.

9 . George Lenczowski, American presidents and the Middle East.

10 . Joseph Nathan Kane, Facts about the presidents.

11 . Walter Laqueur, A history of Zionism.

12 . Encyclopedia of Associations and Organizations, The Jewish organizations in USA.

لمحة مُوجزة إلى حياة المُؤلِّف

ـ من مواليد دمشق عام 1931 .

ـ بعد حُصُوله على شهادة البكالُوريا عام 1949 ، تابع تحصيله الجامعي في مصر ، ونال شهادة البكالُوريوس من كُلِّيَّة التّجارة والاقتصاد ، جامعة القاهرة ، عام 1953 .

ـ يحمل إجازة في العلُوم الاقتصادية من معهد الدّراسات المالية في باريز ، عام 1964 .

ـ ساهم في أبحاث مُؤتمرات المُحاسبين القانونيِّين العَرَب في كُلٍّ من القاهرة والجزائر وبغداد والكُويت وتُونُس .

ـ شغل منصب رئيس تحرير الصّفحة الاقتصاديَّة في جريدة الأيَّام الدّمشقيَّة خلال الفترة ما بين 1958 ـ 1963 .

ـ شغل عدَّة مناصب رئيسية في مُؤسَّسات الدّولة في سُورية .

ـ أصدر في عام 2000 ، مُعجماً لترجمة كلمات القُرآن الكريم باللُّغة الإنكليزية ، وذلك حسب المفهوم القُرآني للكلمة القُرآنية .

ـ يُقيم في الولايات المُتَّحدة ، ويُمارس نشاطه الثّقافي فيها مُنْذُ عام 1989 ، وله عدد من المُؤلَّفات حول الأُصُوليَّة في الشّرائع السّماويَّة الثّلاث ، والصّراع العَرَبي الإسرائيلي من خلال القراءة التوراتيَّة .

صَدَرَ للمؤلّف :

ـ كلمات القُرآن الكريم مُترجمة إلى اللُّغة الإنكليزيَّة حسب المفهوم القُرآني

The English translat eis of the

ـ الأجوبة في الشّرائع السّماويَّة الثّلاث :

اليهُوديَّة ـ المسيحيَّة ـ الإسلام إلى أين ؟

جدول الخطأوالصواب

الصواب	الخطأ	السطر	الصفحة
Haggi Hag	Hag Haggi	14	37
Malachi Mal	Mal Malachi	1	38
Psalms Ps	PsPsalms	7	38
Esther Es	Es Esther	7	39
Daniel Da	Da Daniel	10	39
التعامل	التعاون	10	111
3.106	106.03	10	219
13.191.500	500.191.13	4	308
8.309.500	500.309.8	7	308
Paul Findly, They dare to speak. out people and institutions Israel's lobby.	lobby	8	318
The English translat ios of the words of the holy Qur'an according to the qur'anie unders tanding..	The English translat	2	320
الأصولية في الشّرائع السّماويّة الثّلاث	الأجوبة في الشّرائع السّماويّة الثّلاث	3	320

منشورات الأوائل للنشر والتوزيع

1) خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام ، ويلسون براين كي ـ ترجمة: مُحَمَّد الواكد ، 2005

ما هُو الهدف من الاستغلال الإعلامي الجنسي؟ هذا الكتاب غير العادي يكشف كُلَّ الطُّرُق التي تقوم بها كُلٌّ من المجلاَّت والصُّحُف والأقنية التلفزيونيَّة والأفلام والمُوسيقى الشَّعبيَّة ، والتي تقوم على مبدأ الاغتصاب والاستغلال الفكْري للشَّعب . بعد قراءته ؛ لابُدَّ أنَّكَ ستنظُر ، وتُنصت ، وتُدرك ، ولكنْ ؛ بطريقة جديدة تماماً . ـ لا تدعهم يضعون السِّتار أمام عينَيْكَ وأُذنَيْكَ وفمكَ وأنفكَ وحواسِّكَ كُلِّها... أيُّها المُشتري ؛ كُنْ حريصاً! كُنْ حريصاً! أوَّلاً من أنَّ الإعلان مُصمَّمٌ من أجل أنْ يضعكَ في عالم الخيال ، تلك هي رسالة الاستغلال الإعلامي الجنسي... ما هي الرُّمُوز المخفيَّة في وسائل الإعلام الأمريكيَّة؟ ما هي كيفيَّة قيام تلك الرُّمُوز ببَرْمَجة وتكييف عقلنا الباطن؟ إنَّه كَشْفٌ مُثير لعواقب الإغواء اللاَّشعُوري ؛ لأنَّ وسائل الإعلام تَعلَم كُلَّ شيء عن مُخيِّلاتكَ ، ومخاوفكَ ، وعاداتكَ المُتأصِّلة والعميقة ، فهي تعلم ـ إذاً ـ كيف تستغلُّ مشاعركَ وسُلُوككَ الشِّرائي ـ كيفيَّة قيام إعلانات الحلوى بإزالة مخاوفكَ من زيادة الوزن ـ كَشْفُ أنَّ مجلاَّت مثل "بلاي جير" و "فيفا" المُخصَّصة للنِّساء ، هي ـ في الواقع ـ تستهدف الرِّجال ـ كيفيَّة قيام إعلانات السَّجائر بإزالة مخاوفكَ من الإصابة بالسَّرَطان ـ كيفيَّة قيام الأفلام بابتكار طُرُق تعذيب جديدة من أجل إيلامكَ ، ومن أجل زيادة أرباحها ـ كيفيَّة قيام إعلانات الأزياء بالتَّوجُّه إلى السُّحاقيَّة المُستَتِرَة ـ كيفيَّة نجاح مُوسيقى الرُّوك الشَّعبيَّة السَّاحق في ترويج المُخدِّرات ـ كيفيَّة قيام صُور الأخبار بقَوْلَبة وصياغة آرائكَ ـ كيفيَّة تَضْمين وإخفاء كلمة من أربعة أحرف في صُور طعامكَ وفي صُور ملابسكَ من أجل إثارة الرَّغبة الجنسيَّة ـ كيفيَّة قيام كُلِّ ذلك ـ وأكثر من ذلك بكثير ـ بإثارتكَ ، واستعبادكَ ، ومن دُون أدنى علم حسِّيٍّ بذلك! (صدمة مُدهشةٌ!) (سحْرٌ شديدٌ!) (الأمرُ يتطلَّب أقصى درجات الحِرْص!) .

2) لُصُوص في مناصب مرموقة لقد سَرَقُوا بلدَنَا وعلينا أنْ نستعيدَهُ ، هأي تاوير ، ترجمة: مُحمَّد الواكد ، 2005

يتحدَّث الصُّحُفي الأمريكي الشَّهير في كتابه هذا ، الذي أَحْدَثَ ضجَّة كبيرة في الولايات المُتَّحدة عن أُمَّة الكليبتوقراطيَّة (كُتلة من الشَّعب مُدارة من قِبَل لُصوص) . . ويُدلِّل على أنَّ حكُومة أمريكا هي حكُومة تتَّسم بعمليَّة نَقْل وتحويل الأموال والسُّلطة من الأغلبيَّة إلى الأقلِّيَّة ، وأنَّ نُخبة من المُشرِّعين المُرْتَشين تغتصب الحُرِّيَّة والعدالةَ والاستقلالَ ، وحُقُوق أُخرى من الشَّعب ، ويدعو ـ بكُلِّ قُوَّة ـ لإصلاح أمريكا ، ويتحدَّث عن شركات بُوش في نَزْع السِّلاح ، ويُدلِّل أنَّ الحادي عشر من أيلول وصدَّام حُسَيْن كانا قد أَضْفَيَا تغطيةً مُسهبة وتبريراً للتَّكتُّل العديم الشَّفقة لرجال بُوش في سُلطة الحكُومة ، ويُثبت أنَّ بُوش ـ رجل النِّفط ـ أعطي صفقة حميدة في هاركين إنيرجي ، وأنَّ الذين أعطوه شراكة جوهريَّة في تكساس رانجيرز لم يُحضروه إلى المجلس لقُدراته العقليَّة أو لفطنته القياديَّة ، بل لأنَّهم اشتروا رئيساً صُوريّاً ذا اسم مقبول على مُستوى البُنُوك . . ما هي حقيقة الضرائب في أمريكا؟ كيف يتمُّ التَّلاعب بالقوانين في أمريكا؟ ما هي حقيقة إمبراطُوريَّة المعايير المُزدَوَجَة للملك جُورج دبليُو بُوش؟! ما هي تعاليم بُوش؟ لقد أكلتْ إدارة بُوش كُلَّ شيء . . ما هي الويليقراطيَّة (سياسة التَّذبذب)؟ أمريكا المُحتمَلَة . . حُرُوب النِّفط . . أمريكا الجميلة . . كيف نهزم الشَّيطان؟ الطَّريق إلى السِّرِّيَّة . . المصارف . . الشَّركات الاحتكاريَّة . . و . . و . . بُوب يُرشِّح نفسه للرِّئاسة . . و . .

3) نظرية التَّأويل في الفلسفة العربيَّة الإسلاميَّة ، د. عبد القادر فيدوح ، 2005

ما هي جُذُور وفلسفة التَّأويل في الفكْر الشِّيعي؟ ما التَّأويل في قراءته الكلاميَّة (السَّلَف ومرجعيَّة النَّصِّ...)؟ ـ التَّأويل بين النَّقْل والعقل ـ ما التَّأويل البياني؟ وما الجَدَل الكلامي؟ التَّأويل وتحصيل البُرهان ـ التَّأويل الفلسفي ومقاصد الشَّريعة ـ المعراج الصُّوفي والتَّأويل الذَّوقي... و... هل استطاع العقل العربي في منظوره ـ الذي أسهمت الفلسفة في تحريره ـ أنْ يقوم بالدَّور الفعَّال المُستمرِّ في معرفة الوُجُود بما هُو موجود؟ أَمْ أنَّ مفهومه لم يتجاوز العقل العملي المُكتسَب من وصايا الثَّوابت؟ وهل استطاعت الفلسفة العربيَّة الإسلاميَّة ـ في نظرتها التَّأويليَّة ـ أنْ تُميِّز بين المعقول واللاَّمعقول في تطوير الفكْر الإسلامي تباعاً؟ وقبل كُلِّ ذلك ؛ هل نستطيع الحديث عن الفلسفة العربيَّة الإسلاميَّة بمعزل عن العقيدة؟ وإلى أيِّ مدى استطاع هذا العقل أنْ يُراهن على تحليل النَّصِّ؟ وأيِّ نصٍّ؟

4) المسيح عند اليهود والنَّصارى والمُسلمين وحقيقة الثَّالوث ، د. عبد المُنعم جبري ، 2005

الكتاب بحث مُوسَّع للتَّعريف بعقائد النَّصارى واليهُود من خلال العهد القديم والأناجيل المُعتمَدَة لدى المرجعيَّات الكَنَسيَّة ، اعتمد فيه الباحث على التَّلمود والأسفار والأناجيل ، فعرَّف بكُلِّ طائفة من طوائفهم ومرجعيَّاتهم وأناجيلهم ، قديماً وحديثاً ، مُبيِّناً معنى المسيح في القواميس اللُّغويَّة ؛ العبريَّة والعَرَبيَّة والمعاجم اللاَّهوتيَّة ، ومُعرِّفاً بالمذاهب النَّصرانيَّة القديمة كالبيلاجُوسيَّة والنَّسطوريَّة والمَلَكيَّة واليعقوبيَّة والكاثُوليكيَّة ، مُرُوراً بالمارونيَّة والأرثُوذكسيَّة ، ثُمَّ البرُوتستانتيَّة وشُهُود يَهْوَه ، وحاول أنْ يُثبت أنَّه ـ ومُنذُ غياب المسيح ـ أخذ اليهُود يخترعون الآلهة لأُمم

المسيح، ثمَّ استعرض المسيح في قَصص الأنبياء وعند المُسلمين، كما تحدَّث عن المسيح الدَّجَّال. الكتاب بانوراما تفصيليَّة تحليليَّة لما يعنيه المسيح عند اليهُود، وعند النَّصارى، وعند المُسلمين..

5) أضواء على بروتوكولات حكماء صهيون، (النُّصوص الكاملة) دراسة تحقيقيَّة تاريخيَّة معاصرة
رجا عبد الحميد عرابي، 2005

ما هي الجُذور القديمة لليهوديَّة؟ فرية الشَّعب المُختار... الوعد وأرض الميعاد - الفطير المُقدَّس. ما هي النُّصوص الكاملة لبروتوكولات حكماء صهيون؟ ومَنْ واضعها؟ اليهُود والإمبراطوريَّة العُثمانيَّة - ما هي الأهداف الهامَّة للبروتوكولات؟ ما هي مُنظَّمات اليهُود وحَركاتهم؟.. الصّهيونيَّة المسيحيَّة - اللَّجنة اليهُوديَّة الأمريكيَّة - بنَاي بريت - كيف تمَّ تسخير الدُّول العُظمى لخدمة اليهُود - بريطانيا - الاتِّحاد السُّوفيتي سابقاً - ألمانيا - فرنسا - الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة. تنظيم القاعدة وحرب أفغانستان - زلزال 11 أيلول 2001 - لماذا احتلال أفغانستان؟! لماذا احتلال العراق؟ الدَّولة الكُرديَّة ومشروع (إسرائيل) لتفجير الشَّرق الأوسط - حرب الخليج الثَّالثة - اليهُود ومُحاولة السَّيطرة على العالم - الدَّولة اليهُوديَّة العالميَّة - العراق يُنهَبُ ويُعرَض للبَيْع - (إسرائيل) استثمار أمريكيٌّ - ماذا تحقَّق من أهداف البروتوكولات؟ وماذا لم يتحقَّق بَعْدُ؟ مسيرة الانحدار بدأت عند اليهُود..

6) القرآن بين اللُّغة والواقع، سامر إسلامبولي، 2005

لقد جاء هذا البحث يدعو الأمَّة لكي تقوم بدراسة النَّصِّ القُرآني بحواسِّها لا بحواسِّ غيرها، لكي تنشر وعياً جديداً وثقافة إيمانيَّة جديدة، مُعتمدة على الماضي بما يُناسب الحاضر، مُكملة - من خلال ما سبق - ما يُناسب الحاضر والمُستقبل قدر الإمكان، وبذلك تكون الأمَّة قد قامت بدور فعَّال ومُنتج مُشيِّدة جسراً من التَّواصل بين الماضي والحاضر والمُستقبل (سيرورة وصيرورة)، وقد تحوَّلت من موقع الأخذ والتَّلقِّي إلى موقع العطاء والتَّرقِّي، وحينئذ ستشعر الأمَّة بأنَّها موجودة فعلاً وفكراً لا جسداً ورَقْماً. على أنْ يكون كُلُّ ذلك تحت سُلطان الأدلَّة والبراهين، قال تعالى: (قُلْ هاتوا بُرهانكم إنْ كُنتُم صادقين).

7) قراءة حول مصير النَّبي مُوسى عليه السَّلام: هل مات أم قُتل؟! بديع السَّيوفي، 2005

ضبابيَّة، مجهولة، غامضة، هكذا تبدو نهاية النَّبي مُوسى، مَنْ هُو إبراهيم الخليل؟ قصَّته بالتَّفصيل مع هاجر وسارة وهجرته، هل كان يعقوب يهُودياً؟ وما هي أصل تسمية اليهُود باليهُود؟ ولادة ونشأة مُوسى عليه السَّلام، ما هي ديانة أخناتون التَّوحيديَّة؟ مَنْ هُو أخناتون؟ مُوسى الكاهن والقائد، عودة مُوسى من الحبشة، مُوسى القاتل، مُوسى في أرض مدين، مُوسى والعودة إلى مصر، خُرُوج مُوسى من مصر، قصَّة خُرُوج بني إسرائيل، عودة مُوسى من الحبشة وأحداث مصر والخُرُوج. مَنْ هُو مُوسى؟! مُوسى لم يك إسرائيلياً، هل كان مُوسى يهُودياً؟ كيف ظهرت اليهُوديَّة؟ الغُمُوض في موت مُوسى، وفاة مُوسى أم اغتيال مُوسى. مُوسى والمُوسويُّون - اليهُوديَّة والصّهيونيَّة - الصّهيونيَّة حركة سياسيَّة - العبريَّة واليهُوديَّة، والتَّوراة - الصّهيونيَّة واليهُوديَّة - الشَّعب اليهُودي. باختصار: الكتاب يُثبت أنَّ النَّبي مُوسى لم يك عبرانيَّاً.. ولا إسرائيلياً.. ولا يهُودياً.. إنَّما كان صاحب دعوة دينيَّة خاصَّة اسمها المُوسويَّة، ويُسمَّى أتباعه بالمُوسويِّين.

8) الـ سي. آي. إيه و/11/ أيلول 2001 والإرهاب العالمي ودور أجهزة الاستخبارات
أندرياس فون بولوف - ترجمة: د. عصام الخضراء - سُفيان الخالدي، 2005

ماذا جرى من أكاذيب وخدَع وآثار زائفة في 11 أيلول 2001؟ كيف بيَّن المُؤلِّف أنَّ الإسلاميِّين كانت آثارهم واضحة في أحداث 11 أيلول؟ وكيف أنَّ آثارهم هذه تلاشت حين التَّأمُّل والتَّدقيق بتلك الآثار على انفراد؟ خبير الاستخبارات ووزير الاتِّحاد السَّابق يُشكِّك بالرِّواية الرَّسميَّة عن هَجَمَات 11 أيلول 2001 - أليس مُمكناً أنْ تكون الهجمات جاءت مُواتية جداً للحكُومة الأمريكيَّة؟! آثار وأدلَّة كثيرة تقود إلى شبكة الاستخبارات، وفي مُقدِّمتها سي آي إيه... الهُجُوم الرُّباعي في صباح 11/ 9/ 2001 - نظرة إلى الوراء - أثر الإرهاب - رفاق قُدامى، 19 مُهاجماً في تحضير سرّيٍّ - تكهُّنات قبل الهَجَمَات، أُسامة بن لادن والأثر الإسلامي - الوَصْف الرَّسمي لأحداث 11 / 9 / 2001 - مَنْ كان في الطَّائرات؟ آثار تدعو إلى الاستغراب - تناقضات لا نهاية لها - أحداث نيُو يُورك - جهاز الحُكُومة الأمريكي: هل هُو أعمى؟ أم غبيٌّ؟ أم على علم؟ أجهزة الاستخبارات في عمليَّة مُسترة - إمكانيَّة التَّحكُّم بالطَّائرات من خارجها - ماذا جرى مع الرِّحلة / 77 / ؟ ما هُو سرُّ العمارة / 7 / من مركز التِّجارة العالمي؟ ماذا يعرف جهاز الاستخبارات الإسرائيلي الموساد؟ كيف استغلت حكُومة بُوش الفُرصة؟ اللُّعبة الكبيرة للسَّيطرة على العالم. الكتاب من أهمِّ الكُتب التي صَدَرَتْ، والتي تُعالج، وتُفنِّد، وتُحلِّل هَجَمَات 11 أيلول2001.

9) التّوراة اليهوديّة مكشوفةً على حقيقتها رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصُوصها المُقدّسة على ضوء اكتشاف علم الآثار، أ. د إسرائيل فنكلشتاين، فيل أشر سيلبرمان، تر: سعد رستم، 2005

الكتاب مهمٌّ جداً جداً؛ لأنّه إقرار على لسان مُحقّقَيْن يهوديَّيْن؛ إسرائيلي وأمريكي، صاحبَيْ خبرة طويلة في التّقنيات الآثاريّة، وعلم الآثار، بأنَّ التّوراة الحاليّة ليست كلُّها كلمة الله، فجاء كتابهما هذا مثيراً جداً، واستفزازياً جداً لليهود؛ حيثُ أثبتا أنَّ التّوراة الحاليّة قد كَتَبَهَا كَهَنَةُ يهود في عهد الملك المُستقيم (يوشيا) ملك يهوذا في القرن السابع ق. م، فيبدأ كُلُّ فصل من فُصُول الكتاب بعرض الرّواية التّوراتيّة، ثُمَّ يُعقّب بذكر ما تقترحه المُكتشفات الآثاريّة، فكانت النّتائج التي وصل إليها المؤلّفان العلمانيّان طعنة نجلاء في صميم المُعتقدات اليهوديّة التّقليديّة، وتحطيماً للرّمُوز الدّينيّة التّقليديّة لليهود. ولعلّ أهمّ نُقاط الكتاب:

1- لا تُؤيّد الأدلّة الآثاريّة رواية الخُرُوج الجماعي من مصر بالشّكل والأعداد والطّريقة التي تذكرها التّوراة العبريّة. 2- لم يقم يشوع بن نُون بحملة غزوات مُوحّدة لفتح أرض كنعان. 3- داود سُليمان وُجدا تاريخيّاً، لكنْ؛ كانا أقرب إلى رئيسَيْ عشيرة منهما إلى مَلِكَيْن، كما أنَّ سُليمان لم يبن أيَّ هيكل (معبد) هائل. 4- لم يكن هُناك دينٌ يهُودي مُوحّد في أغلب تاريخ يهُوذا (إسرائيل القديمة). 5- ليس هُناك دليل علمي على الوُجُود الحقيقي لشخصيّات مثل إبراهيم أو إسحق أو يعقوب. إنَّ قُوّة وإفادة هذا الكتاب هُو بُطلان الدّعاوى الصّهيونيّة في أرض فلسطين استناداً لتواجدهم القديم فيها، أو أنّها أرض الميعاد، على لسان اثنَيْن من كبار عُلمائهم أنفسهم، اللّذَيْن أكّدا أنَّ فلسطين كانت - وظلّت دائماً - مسكونة من عدّة شُعُوب تتالوا عليها كاليبوسيّين والكنعانيّين، والفلسطينيّين، والعماليق، والعَرَب، وأنَّ الإسرائيليّين لم يكونوا إلاَّ مجموعة هامشيّة فوضويّة نَمَتْ وسيطرت لفترة قصيرة على منطقة محدودة من المُرتفعات والتّلال المركزيّة في فلسطين، في حين كانت بقيّة فلسطين مسكونة من الكنعانيّين والفلسطينيّين وغيرهم.

10) حُدود الصراع تاريخيّة وخفايا الصّراع العَرَبي واليهُودي الصّهيوني الإسرائيلي، مُوفّق صادق العطّار، 2005

إنَّ النُّصُوص الواردة في التّوراة والمُستخدمة لتبرير الطّبيعة العُدوانيّة والرّغبة الكامنة لدى الشّعب اليهُودي بالقتل والعُدوان الانفصال عن الآخرين من مُنطلق عُنصُري باعتباره المزعوم بأنّه شعب الله المُختار قد أيّدتْهَا كتابات التّلمود، التي تُعدُّ كتابات مُقدّسة عند مُعظم الفرَق اليهُوديّة. يبدأ الكتاب بتعريف كتاب العهد القديم، ثُمَّ التّوراة، وأسفار مُوسى الخمسة، ثُمَّ يُلقي أضواء على النّصّ التّوراتي (من ناحية المُعتقد والإله)، ثُمَّ يتحدّث عن تشويه العقيدة (الخلفيّة الدّينيّة - النّصّ التّوراتي - الإطار العامّ للنّصّ المُقدّس - الإصرار على تحريف العقيدة - اليهُود والإسلام)، ثُمَّ يُفصّل في الصّهيونيّة والصّراع العَرَبي الإسرائيلي (حقيقة النّصر - استغلال الحَدَث - أبعاد الموقف الإسرائيلي - الادّعاءات الباطلة)، ثُمَّ القُرآن الكريم والتّوراة - الغرب والصّهيونيّة - اللّعنة الإلهيّة - المسيح اليهُودي الصّهيوني - الولايات المُتّحدة واليهُود - اللاّساميّة كسلاح يهُودي للتّشهير - مُعاداة السّاميّة - طُمُوح نحو المزيد من السّيطرة - الجُمُوح إلى الهيمنة على صناعة السّينما - الولايات المُتّحدة والعلاقة الخاصّة مع (إسرائيل) - طبيعة التّحالف الأميركي مع الصّهيونيّة - حُدُود الصراع (البُعْد الدّيني للصّراع العَرَبي الإسرائيلي - العَرَب والصّهيونيّة - أضواء على طبيعة الصّراع) أسماء رُؤساء الولايات المُتّحدة، عدد اليهُود في دُول الاتّحاد الأورُوبي - وعددهم خارج دُول الاتّحاد الأورُوبي، وعددهم في دُول أورُوبا الشّرقيّة - التّوزيع الجغرافي لليهُود في العالم - عدد أتباع أبرز الدّيانات في العالم - الأحزاب الإسرائيليّة المُتمثّلة في الكنسيت واتّجاهاتها.

11) الخبر بالبُرهان والدّليل على أنَّ النّبي يعقوب غير إسرائيل، سُويد الأحمدي، 2005

استند المُؤلّف في هذا الكتاب إلى أدلّة من القُرآن الكريم وكُتُب الأحاديث (السّنّة ومُسند الإمام أحمد)، ففحص الآيات، ودقّق في الأحاديث، ثُمَّ جمع أدلّة وشهادات أضافها إلى بحثه من التّوراة السّامريّة، وإنجيل برنابا، وكذلك ما يُسمّى الكتاب المُقدّس بعهدَيْه القديم والجديد، وممّا كُتب عن التّلمود، ثُمَّ ما كتبه كُلُّ الدّارسين والباحثين والمُؤرّخين والعُلماء في التّاريخ والآثار. من موضوعات الكتاب:

قابيل وهابيل - قابيل وشيث في المصادر الإسلاميّة - بنو قابيل وبنو شيث - إدريس - نُوح - الذين آمنوا مع نُوح - إسرائيل - يعقوب - مواقف من اسم إسرائيل - السّبط واليهود الذين هادوا في اللّغة العَرَبيّة - الإسلام وانشقاق اليهود والنّصرانيّة - عزرا اليهود وبُولُس النّصارى - أدلّة القُرآن الكريم على أنَّ يعقوب غير إسرائيل - نهاية بني إسرائيل - آية وإشكاليّة - حلّ الإشكاليّة عند ابن كثير - أدلّة الحديث الشّريف - أدلّة التّوراة السّامريّة - أدلّة العهد القديم - أدلّة إنجيل برنابا - أدلّة العهد الجديد - أدلّة التّلمود - أدلّة مخطوطات قمران (البحر الميّت) - أدلّة وثائق إيبلا - أدلّة التّاريخ المصري - مصر وبنو إسرائيل - ست والهكسوس - التّاريخ والسّامريُّون - تحليل لمدلولات لُغوية - شهادات الباحثين والمُؤرّخين وعلماء الآثار - إسرائيل الاسم والمعنى والأصل - الشّجرة الملعونة في القُرآن. بإيجاز: (بعد قراءة هذا البحث المُهمّ جداً جداً) نفهم عن بني إسرائيل أنّهم ليسوا من ذُرّيّة نُوح، وليس لهم أيُّ علاقة بذُرّيّة إبراهيم أو يعقوب، فنفهم - بالتّالي - سبب إفسادهم في الأرض، فهُم من ذُرّيّة مُحدّدة من بين جميع البشر، والشُّعُوب من ذُرّيّة أخرى.

12) عالية الهاشميَّة ملكة العراق سيرة وأحداث 1934 . 1950 مُحَمَّد حمدي صالح الجَعفري ، 2005

ولادة عالية ونشأتها - رحيلها من الحجاز واستقرارها في بغداد - زفافها وزواجها من الملك غازي - ولادة ابنها البكر - مصرع زوجها - كيف تلقَّت نبأ مصرع زوجها؟ - روايات مَقتَله - نشاطها السِّياسي والاجتماعي والثَّقافي - عالية وحرب فلسطين 1948 - هل كانت عالية رائدة النَّهضة الاجتماعيَّة العراقيَّة؟ - كيف كَتَبَت مُذكَّراتها؟ - مَرَضُها - ساعاتُها الأخيرة - وفاتها - النَّصُّ الَّذي ألقاه الوصيُّ - تقرير الأطبَّاء عن وفاة الملكة عالية - كلمة الوصيِّ عبد الإله التَّأبينيَّة - بعض ما قيل في رثاء الملكة - برقيَّات التَّعزية - صُوَر ووثائق مُهِمَّة تُنشَر للمرَّة الأولى. الكتاب بانوراما تفصيلية تأريخيَّة دقيقة لحياة الملكة عالية ، ولتاريخ العراق في عهدها .

13) نُوري السَّعيد وبريطانيا خلاف أم وفاق؟! مُحَمَّد حمدي صالح الجَعفري ، 2005

نُوري السَّعيد شغل النَّاس في العراق والمنطقة العربيَّة ردحاً من الزَّمن ، فمُنذُ بُرُوزه فوق المسرح السِّياسي ، لَفَت أنظار السَّاسة العرب والأجانب طيلة نصف قرن ، لمَا تمتَّع به من ذكاء وقَّاد وفطنة عالية ، وقُدرة على المُناورة والخداع ، وقد انتبه له البريطانيُّون ، وكسبوه إلى صفِّهم ، مُنذُ قَدِمَ إلى العراق عام 1920 ، واستقرَّ بمنصبه كمُدير للشُّرطة العامَّة في الحُكُومة العراقيَّة الجديدة ، وبعدها كرئيس لأركان الجيش ، ثُمَّ كوزير للدِّفاع ، ورئيس للوُزراء لعدَّة مرَّات ، وبقي مُخلصاً لبريطانيا ، وفيَّاً لها حتَّى ساعة انتهاء نُفُوذها عام 1958 . يبحث المُؤلِّف نُشُوء العلاقة وتطوُّرها بين نُوري السَّعيد وبريطانيا ، نُوري السَّعيد النَّشأة والتَّكوين - اتِّصاله بالسَّاسة البريطانيِّين - السَّعيد وحُكُومة سُوريا العربيَّة - السَّعيد والحُكُومة العراقيَّة المُؤقَّتة 1920 ، السَّعيد ومهمَّة حماية المصالح البريطانيَّة - السَّعيد والموقف البريطاني من قَضيَّة فلسطين - السَّعيد والمهمَّة الإقليميَّة في الخمسينيَّات - مشاريع الدِّفاع عن الشَّرق الأوسط - السَّعيد والإصلاح - السَّعيد واتِّفاقيَّة النِّفط - السَّعيد والتَّلويح بالخطر الشُّيُوعي - السَّعيد وتعديل مُعاهدة 1930 - السَّعيد وسياسة الأحلاف في الخمسينيَّات - أزمة السُّويس والتَّحالف البريطاني العراقي ، وإجراءات نُوري السَّعيد - الاعتداء الثُّلاثي على مصر وبداية السُّقُوط البريطاني - إجراءات السَّعيد ومُناورته خلال العُدوان الثُّلاثي - نُوري السَّعيد وانضمام الكُويت إلى العراق ، والتَّآمر على سُوريا - نُوري السَّعيد والتَّقارب مع أُسرة آل الصَّبَاح - بريطانيا والحلُّ العراقي الكُويتي - السَّعيد والمشروع البريطاني لحلِّ الخلاف - آراؤه لانضمام الكُويت إلى العراق - السَّعيد والتَّآمر على عرش سُوريا - الثَّورة في العراق ونهاية نُوري السَّعيد والنُّفوذ البريطاني - إعلان الثَّورة وسُقُوط النِّظام المَلَكي في العراق - السَّاعات الأخيرة من حياة نُوري السَّعيد - موقف بريطانيا من الثَّورة في العراق - تدابير الحُكُومة العراقيَّة الجديدة - موقف دُول حلف بغداد من الثَّورة - اجتماع لندن والاعتراف بالحُكُومة العراقيَّة الجديدة - نُوري السَّعيد... باختصار ...

14) الفكر والسِّياسة لدى الجمعيَّات والمُنتديات والأحزاب العَرَبيَّة حتَّى نهاية الحرب العالميَّة الأُولى

زهير عبد الجبَّار الدُّوري ، 2005

ما هي الأوضاع السِّياسيَّة في الشَّرق العَرَبي في النِّصف الثَّاني من القرن التَّاسع عشر حتَّى بداية القرن العشرين؟! ما طبيعة حُكم السَّلاطين العُثمانيِّين الأوائل؟ ما هي جمعيَّة الاتِّحاد والتَّرقي؟ وكيف استلمت الحُكم؟ ما هي فلسفة العُثمانيِّين للتَّعامل مع العَرَب مع بداية القرن العشرين؟ ما الأوضاع السِّياسيَّة في المشرق العَرَبي في النِّصف الثَّاني من القرن التَّاسع عشر حتَّى بداية القرن العشرين؟ ما هي الأوضاع السِّياسيَّة في كُلٍّ من سُورية ولُبنان واليمن والحجاز ومصر والعراق؟ كيف نشأت الجمعيَّات والنَّوادي والأحزاب الفكريَّة والسِّياسيَّة في الوطن العَرَبي؟ ما هُو أثر الفكر السِّياسي المصري في الفكر السِّياسي المشرقي؟ كيف انتقل الفكر السِّياسي من مصر إلى المشرق العَرَبي؟ ما هي جُذُور نشأة الجمعيَّات والنَّوادي الفكريَّة والسِّياسيَّة في المشرق العَرَبي؟ بعض الجمعيَّات مثل الجمعيَّات الصَّغيرة : جمعيَّة النَّهضة العَرَبيَّة - جمعيَّة الإخاء العَرَبيَّة - الجمعيَّة القحطانيَّة - المُنتدى الأدبي - جمعيَّة العهد ، الجمعيَّات الكبيرة : الجمعيَّة العَرَبيَّة الفتاة - حزب اللاَّمركزيَّة - مُؤتمر باريس .

15) تاريخ مدينة دمشق وعُلماؤها خلال الحُكْم المصري ، خالد أحمد مفلح بني هاني ، 2005

تتناول هذه الدِّراسة فترة تاريخيَّة هامَّة ، نُظر إليها على أنَّها من أهمِّ فترات التَّاريخ الحديث لبرِّ الشَّام . بدأ الباحث دراسته بالعُلماء والأعيان الدِّمشقيِّين ، وشُيُوخ الطُّرُق الصُّوفيَّة ، والأشراف ، والعسكر ، والحرفيِّين ، والعامَّة ، والملاَّكين ، والفلاَّحين ، ثُمَّ تحدَّث عن دمشق قُبيل الحُكم المصريِّ ، وعن الفتنة الدَّاخليَّة (1831 م) وعن المسيحيِّين والمُسلمين ، كما تحدَّث عن الإصلاحات المصريَّة في برِّ الشَّام (الإدارة ، والقضاء ، والزِّراعة ، والصِّناعة ، والتِّجارة ، والتَّعليم ، وعن المُتغيِّرات الرُّوحيَّة والاجتماعيَّة) وبحث - بالتَّفصيل - موقف العُلماء والأعيان في دمشق من الحُكم المصريِّ ، ورُدُود الفعل والمواقف المحلِّيَّة الدِّمشقيَّة ، ثُمَّ تناول أساليب الحُكم المصريِّ في التَّعامل مع العُلماء والأعيان ، ثُمَّ دَرَسَ نهاية الحُكم المصريِّ ، وآثاره السِّياسيَّة ، والاقتصاديَّة ، والاجتماعيَّة ، وكيف انسحب المصريُّون ، ثُمَّ أورد مُقارنة لتقييم أحكام بعض المُؤرِّخين لآثار الحُكم المصري لبرِّ الشَّام .

16) كشف الحال في وصف الخال، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق محمد عايش، 2005

يُعدُّ هذا الكتاب من روائع ذخائر تراثنا العربي الجميل، الذي لم يسبق له أنْ نُشر في العصر الحديث، وقد بقي مئات السنين مُنتظراً مَنْ يُخلّصه من ذلك الغبار المتراكم عليه على مرّ العصور. في هذا الكتاب يبسط المؤلّفُ الكلامَ عن الخال في اللّغة، ثُمَّ الشّامة، ثُمَّ الحسنة، وذلك مع إيراد الشّواهد الشّعريّة وأقوال أهل اللّغة، ثُمَّ ينتقل إلى حقيقة الخال وسبب ظهوره، وتفسير الحكماء لذلك، ثُمَّ يُورد كلام أبقراط، ثُمَّ يُترجم الصّفدي لعدد من الأعلام مِمَّن كان به شامة، ويُورد ما يتعلّق بذلك من النُّقول والأشعار والحكايات. وكانت النّتيجة: جنّة ضمّت أزهار الأشعار، التي قيلت في الخال ـ وفي وصف مَنْ كان به خال أو شامة، مُرتّبة حسب القافية من الألف إلى الياء.

17) العلم العسكري، الفريق الركن الدكتور محمد فتحي أمين، 2005

يتحدّث هذا الكتاب المُهمُّ عن مفهوم العلم العسكري، ثُمَّ ينتقل إلى بعض العلوم التّطبيقيّة وتطبيقاتها في القوّات المُسلّحة كعلوم الإدارة السّياسيّة والاقتصاد والقوانين والاجتماع والنّفس والإنسان والجغرافيا والمناخ والتّاريخ، ثُمَّ يتحدّث عن بعض العلوم التّطبيقيّة وتطبيقاتها في القوّات المُسلّحة كعلوم الحاسبات وبحوث العمليّات واللّيزر والألياف الضّوئيّة والإحصاء والتّجفير (التّشفير)، ثُمَّ يُفصّل في العلم العسكري، مفهومه، علم الحروب والصّراعات، النّظريّة العسكريّة، نظريّة الحرب، السّياسة العسكريّة، قوانين الحرب، علم المعرفة السّوقية (الاستراتيجيّة)، علوم الكيمياء والأحياء والذّرّة وعلم المتفجّرات وعلم المقذوفات. . .

18) موسوعة أنواع الحروب . الفريق الركن الدكتور محمد فتحي أمين ، 2005

يبحث هذا الكتاب المُهمّ في الحروب التي يجري فيها القتال المُسلّح فعلاً؛ كالحرب البرّيّة والجوّيّة وحرب الدّبّابات وحرب الصّواريخ والحرب النّوويّة، إلخ، ثُمَّ يتحدّث عن صفات تلك الحروب، مثل التّقليديّة والشّاملة والمحدودة والنّظيفة، ثُمَّ علاقة الحروب بالسّياسة، وهل هُناك شيء اسمه الحروب السّياسيّة مثل الحرب الاستعماريّة وحرب الاستقلال والحرب الأهليّة والحرب الثّوريّة والحرب الشّعبيّة، ثُمَّ يُفصّل في الحروب التي لها تأثير على فكر الإنسان وروحه المعنويّة والنّفسيّة مثل الحروب الفكريّة كحرب الإذاعة والأعصاب والإعلاميّة والعقل والحرب النّفسيّة وحرب المعلومات، ثُمَّ ينتقل إلى الحروب العلميّة والاقتصاديّة مثل حروب الإشعاعات والتّقنية وحرب النّجوم، والحرب الاقتصاديّة، وحرب الغذاء. الغاية من هذا الكتاب اطّلاع أفراد وضبّاط وقادة الجيوش وكذلك المدنيّين على الحروب كافّة، والتي يكاد يبلغ عددها أكثر من 110 لتكوين صورة عن هذه الحروب.

19) الغزو المغولي لديار الإسلام، الفريق الركن الدكتور محمد فتحي أمين، 2005

يبحث هذا الكتاب في حالة المغول العامّة وعصر جنكيز خان، وحالة البلاد الإسلاميّة قبل غزو المغول، وما هي أعمال جنكيز خان، ثُمَّ ينتقل إلى هولاكو وحملاته الأوّليّة، ثُمَّ احتلال بغداد ـ ومعركة عين جالوت، ويتحدّث عن تعاون الفرنجة مع المغول. والكتاب مُدعّم بالصّور والخرائط المُهمّة.

20) الإنسان ولغته من الأصوات إلى اللّغة (الكلام)، مارسيل لوكان ـ ترجمة: د. ماري شهرستان، 2005

كيف تطوّرت الجُمجمة عند البشر ـ تسلسل الأحداث التّاريخيّة العامّة للجنس البشري ـ ما هي المناطق الحسّيّة والحواسّيّة، والمناطق المُحرّكة المُرتبطة بالسّمع؟ هجرات الإنسان الماهر والمُنتصب والعاقل ـ مَنْ هُو الإنسان؟ ما هي الذّاكرة البيولوجيّة؟ ثغثغة الطّفل وذاكرته اللّغويّة ـ توازي التّطوّر واللّغة ـ الخيال التّطوّري الطّوطمة ـ البشر في الماضي ـ الإرث اللّغوي القَبْتاريخي (قبل التّاريخ) ـ بداية العصر الجليدي المُعاصر ـ نتائج بُركان هائل ـ أوائل البشر المُتكلّمين ـ أقدم إنسان عُرف حتّى الآن ـ كيف تطوّرت اللّغات وتنوّعت؟ ما هي مصادر اللّغة؟ أصداء نموذجيّة أصليّة في الكلام ـ أصوات الكلام النّموذجيّة الأصليّة للإنسان المُنتصب، ثُمَّ العاقل ـ المُساعدات الصّوتيّة ـ بدايات النّموّ ـ هكذا تكلّم الإنسان المُنتصب قبل حوالي مليون سنة ـ ازدياد السّكّان وتنوّع اللّغات ـ هجرات ولغات أحفاد آدم ـ أحفاد حوّاء ـ هجرات العرب ـ مَنْ هُم العيلاميّون؟ نُشوء العدّ والصّناعة ـ نُشوء الفنّ وتطوّره ـ نهاية ما قبل التّاريخ ـ بدايات الاتّصال بين المُدن ـ من اليد إلى اللّسان ـ بُنية الأُذن وتطوّرها ـ حواسّنا الخمسة ـ التّسلسل التّاريخي الحديث للّغات المحكيّة والمكتوبة ـ تطوّر اللّغة وإبداعيّتها ـ من التّصوّر العقلي المجازي إلى المفهوم ـ نماذج المجاز ـ اتّصال، وعي، ثقافات، طُرق انتقال المعرفة ـ التّكييف الاجتماعي باللّغة ـ طقوس غنائيّة ـ ما هُو مُستقبل اللّغات؟ ومَنْ هُو الإنسان النّاطق في المُستقبل؟ رؤية مُستقبليّة.

21) الوعي والعالم السيكولوجي والباراسيكولوجي، د. صلاح الجابري، 2005

الكتاب من أدقّ وأمتع ما كُتب ـ علمياً ـ في مجال الدّراسة العلميّة الفلسفيّة لمجالات ساي اللاّانفصاليّة، ما هي لاانفصاليّة الوعي والعالَم؟ ما هُو البُعد التّاريخي التّقليدي للمُشكلة؟ ما هُو قُصور الرّؤية الانفصاليّة في العلم؟ العلم وإعادة حضور الوعي في المُستوى الفيزيائي الدّقيق، ما هُو المُستوى الفيسيولوجي؟ ما هُو الأساس العلمي للنّظريّة الثّنائيّة؟ ما هُو المُستوى السّيكولوجي؟ وما هُو المُستوى الباراسيكولوجي؟ ما تأثير الجسم

على النَّفس؟ ما تأثير النَّفسي على الجسم؟ ما الحالات المُتبدِّلة للوعي؟ ما التَّغذية الاسترجاعيَّة الحَيويَّة؟ ما هُو الإدراك فوق الحسِّي؟ ما هُو التَّخاطر؟ ما هُو الاستشفاف؟ ما هُو الإدراك المُسبَق؟ ما هي باراسيكُولُوجيَّة الوعي؟ ما هُو المُستوى الصُّوفي أو الاستشفافي؟ هل الإنسان مُعادلة كونيَّة مُتعدِّدة الأطراف؟ ما هُو التَّزامن؟ ما هُو مجال ساي؟ ما هُو قانون السِّلسلة؟ ما هي علاقة التَّزامن والباراسيكُولُوجي؟ ما هي التَّفسيرات البديلة للتَّزامن؟ ما هي السَّببيَّة التَّراجعيَّة؟ ما هُو البُعْد الفلسفي لحُضُور الوعي؟ ما هُو المُستوى الفلسفي لاكتشاف بُعْد ساي (الباراسيكُولُوجي)؟ الباراسيكُولُوجي بين الميتافيزيقيا والرُّؤية المادِّيَّة . . . ابن سينا . . الشِّيرازي ، ما هي التَّجربة الصُّوفيَّة؟ ما هُو التَّصوُّر الميتافيزيقي الحديث للعَالَم؟ ما هُو التَّحديد الإيستمُولُوجي للمُعطَى المُوفي لساي؟ ما هي الظَّواهر الباراسيكُولُوجيَّة والمبادئ الأساسيَّة الحدِّيَّة؟ العقل والخُلُود في ضوء مجال ساي ، ما هي الوسائط الرُّوحيَّة؟ ما هي الوساطة الذِّهنيَّة؟ أسئلة هامَّة ، نجد إجابات عنها في ثنايا هذا الكتاب العلْمي جداً ، والسَّهل جداً ، والشَّيِّق جداً . .

22) **العجيب والغريب في كُتُب تفسير القُرآن تفسير ابن كثير أُنمُوذجاً ، وحيد السَّعفي ، 2005**

لنُبادر إلى طَمْأنَة القارئ ، فهُو مُقبل على قراءة كتاب شيِّق يتعلَّق - لا محالة - بعلْم التَّفسير ؛ وهُو علْم يقتضي الإلمام به معارف دقيقة ، إلاَّ أنَّه - بكُلِّ تأكيد - ليس كتاباً في التَّفسير يُضاف إلى التَّفاسير التي يضعها عُلَماء الدِّين . هُو كتاب يستعصي على التَّصنيف بحسب المعايير المَدْرسيَّة ، ولعلَّنا لا نتعسَّف عليه تعسُّفاً كبيراً إنْ اعتبرنا أنَّه أقرب ما يكون إلى الإناسة التَّاريخيَّة . وهُو - إلى جانب ذلك - مكتوب بلُغة أنيقة راقية مُمتعة تشدُّ القارئ شدّاً ، وتُحلِّق به - برفق وأناة - في دُنيا الظَّنِّ والأُسطُورة مثلما تجول به في قضايا الفكْر والمُجتمع ومجالات العقائد والمشاعر ، وتنتقل به - من حيثُ لا يتوقَّع - في الزَّمان والمكان ، من فترة البدايات إلى عصر المُفسِّرين ، وبين بيئات العَرَب ، واليهُود ، واليُونان ، والهنُود ، وغيرهم ، ثُمَّ هُو كتابٌ طريفٌ من حيثُ رَبْطُه بين عناصر مُستقلٍّ في الظَّاهر بعضها عن بعض ؛ حيثُ يطَّلع عليها قارئ التَّفسير الغُرّ ، والذي ليست له هواجس وحيد السَّعفي المعرفيَّة وسَعَة اطِّلاعه على تُراث الشُّعُوب ، وعلى اتِّجاهات البحث المُعاصر ومناهجه .

23) **القُربان في الجاهليَّة والإسلام ، وحيد السَّعفي ، 2005**

ما هي القرابين البشريَّة؟ الأُنثى قُربان الجاهليَّة ... الذَّكَر قُربان الإسلام ... ابن الذَّبيحَيْن - القُربان الأُنمُوذج - الإله القُربان وابنه المصلوب - القرابين البديلة - الكبش الكبش - الهَدْيُ البُدْنُ - الإسلام والنَّسج على المُنوال - وجاء الإسلام ينشر الأضاحي - كتاب الأضاحي - هذا القُربان لكَ يا عَبْدي ، فكُلْ واشربْ على نخبي . ها نحنُ ندرس القُربان في الجاهليَّة والإسلام ، من خلال أخبار المُسلمين والقُرآن ، وما حفَّ بالقُرآن من عُلُوم الدِّين ، لا غاية لنا غير تَتَبُّع مظاهر السُّنَّة الثَّقافيَّة في هذا الدِّين ، ومظاهر السُّنَّة الثَّقافيَّة في هذا الدِّين عالم من الفكْر والخيال لشعب مُختلف الأمصار ، مُتعدِّد الأوطان ، عاش في كثير من الأزمان ، فجاء فكْره والخيال فُسيفُساء ، سُبحان مَنْ ضمَّ أشتاتها ، فبدتْ واحدة . ذاك هُو عملنا ، فُسيفساء ؛ فاجْمَع الأشتاتَ ، ورَتِّبْ ، تقف على رحلة في عالم النَّاس ء أردناها جميلة كالفُسيفُساء ، ترسم خُيُوطاً تشدُّ النَّاس إلى الإله ، تربط بينهم وبينه ، ولا تُفرِّق . وكانت تلكم الخُيُوط موؤودة وهدياً وأُضحيَّة ونذراً قرَّبوها للإله ساعة أيقنوا أنَّ الإله لا يُعطي إلاَّ بحساب ، وأنَّ الدِّين حمْل يُثقل كاهل الإنسان ، وإنْ اشتدَّ عُوده أو غَلُظَ . قُمنا إلى تلك الخُيُوط الرَّابطة بين الرَّبِّ والعبد ، نبحث لها عن أصل في عالم القرابين والنَّحر والذَّبح ، ونرسم خُطُوط عرضها والطُّول ، لعلَّنا نفوز بما تستَّرت عليه من أُمُور تُقرِّبها من التَّفكير الميثي حيناً ، فتُجهِّز نفسها لنَقْضه ، وتجذرها في أرضها حيناً ، فتسعى إلى تجاوزها ، وتُحلِّق في أمصار النَّاس من غير جنسها ، وفي الثَّقافات على اختلافها ، والأديان على تنوُّعها ، وتستوي كَونيَّة لا تعرف الحُدُود .

24) **المرأة عبر التَّاريخ البشري الحضارات القديمة - العبرانيُّون - التَّوراة - الفراعنة - الشَّرق الأقصى - البُوذيُّون - الصينيُّون - اليونانيُّون - روما القديمة - المسيحيُّون - الجاهليُّون - الإسلام - د. عبد المُنعم جبري ، 2005**

لعلَّ هذا الكتاب هُو الأشمل والأدقُّ في بحث مُهم كبحث المرأة... استعرض فيه مُؤلِّفه تطوُّر حُقُوق المرأة عبر التَّاريخ البشري ، بدءاً من الحضارات القديمة ، مُرُوراً بالعُصُور الوُسطى في أُوروبا والجاهليَّة والإسلام ، ثُمَّ تحدَّث عن أنَّ المرأة ، هل هي الَّتي تُحدِّد مصير العالم؟... ومَنْ هي المرأة في أُنوثتها الأُولى والمُراهقة ، وسنِّ النُّمُوِّ العقلي والجسدي؟ ثُمَّ عرَّج إلى المرأة في حضارات الشَّرق الأوسط (بابل - التَّوراة - الفراعنة - الكَهنُوت...) ثُمَّ المرأة في حضارات الشَّرق الأقصى (اليابان - الصِّين) ، (اليُونان - رُوما القديمة . .) المسيحيَّة والمرأة - عداء الكَهَنَة للمرأة - تحرير المرأة في نظام العائلة البَلْشفي الشُّيوعي الرُّوسي - المرأة الفارسيَّة - المرأة في عصر النَّهضة - الطَّبيعة والتَّاريخ في حقِّ المرأة - واقع المرأة عبر العُصُور - المرأة العربيَّة - (البداوة والإسلام وعصر النَّهضة)... البغاء ودوافعه - اللُّواط - السُّحاق - المرأة المُسلمة عبر التَّاريخ - المُساواة بين المرأة والرَّجل (قانونيّاً)... وغيرها من الموضوعات المُهمَّة جداً جداً .

25) انتبهوا... الدَّجَّال يجتاح العالم، مُحمَّد مُنير إدلبي، 2005 ط 3

دراسة تحليليَّة علميَّة موثُوقة تُثبت بُطلان الزَّعم القائل بأنَّ الدَّجَّال إنسان واحد. وتُثبت - في الوقت نفسه - أنَّ ما يُسمَّى بالأعور الدجَّال قد ظهر في الأرض وأنَّه يجتاح العالم، ويعيث فيه فساداً!!! ما تفسير الحديث الشَّريف: تغزون جزيرة العَرَب، فيفتحها الله؟ ثُمَّ تغزون فارس، فيفتحها الله؟ ثُمَّ تغزون الرُّوم، فيفتحها الله؟ ثُمَّ تغزون الدَّجَّال فيفتحها الله؟

26) الحجاز في نَظر الأندلسيِّين والمغاربة في العُصُور الوُسطى، أ. د. إبراهيم أحمد سعيد، 2004

حظيت منطقة الحجاز وما يليها حتَّى العقبة على البحر الأحمر باهتمام بالغ من قِبَل مغاربة وأندلسيِّين كُثُر، فوصفوا - بدقَّة عجيبة - كُلَّ ما رأوه. يتناول هذا الكتاب وَصْفَ ابن جُبَير والعبدري وابن بطُّوطة والبلوي والقلصادي لمنطقة الحجاز، هذا الوصف الذي شمل كثيراً من المظاهر الجغرافيَّة المُهمَّة، فقد نقلوا إلينا بدقَّة المُلاحظة العلميَّة المُجرَّبة كثيراً من معالم الأسطح وتنوُّعها وطُرُق المُواصلات ومحطَّاتها، وأماكن الرَّاحة والتَّزوُّد بالماء والطَّعام، وخصائص بعض المُدُن التي مرّوا بها، والمُنتجات وأسواق التَّصريف والأسواق المُتنقِّلة ونمط الحياة الاقتصاديَّة، إلخ، وبذلك يكون الكتاب من أجمل الكُتُب وأوفاها من حيثُ مُحتواه لمعلومات قيِّمة ونادرة، قلَّما نجدها في مُؤلَّف آخر، من حيثُ الشُّمُوليَّة وإطاره الزَّمني الواسع، الذي غطَّى نحواً من أربعة قُرُون مُتواصلة.

27) سِفْر التَّاريخ اليهُودي اليهُود تاريخهم عقائدهم فرقهم نشاطاتهم سُلُوكيَّاتهم الحركة الصَّهْيُونيَّة والقضيَة الفلسطينيَّة، رجا عبد الحميد عُرابي، 2004

تزعم - دار الأوائل - أنَّه الكتاب الأشمل في ما أُلِّف عن اليهُود؛ حيثُ يتحدَّث المُؤلِّف فيه عن تاريخ اليهُود وتشتُّتهم وانتشارهم في العالم، وعن كُتُبهم الدِّينيَّة وعقائدهم وفرقهم وطوائفهم قديماً وحديثاً، وعن تعاليم حُكَمائهم، وعن نشاطاتهم السِّياسيَّة، وعن سُلُوكيَّاتهم وأخلاقيَّاتهم، كما يتحدَّث عن الحركة الصَّهْيَوْنيَّة والقضيَّة الفلسطينيَّة. ممَّا يتناوله المُؤلِّف: جنَّة عَدَن في التَّوراة، وفكرة الفردوس عند السُّومريِّين، وآدم وجنَّته، مصادر التَّاريخ القديم لليهُود، النَّظريَّة السَّاميَّة، العبْريَّة والعبْرانيُّون، القُرآن والعبْريَّة، إبراهيم، العبْرانيُّون والإسرائيليُّون والموسويُّون واليهُود، أسباب انحراف اليهُود، الخَلْطُ بين اليهُود وبني إسرائيل، يعقوب والرَّحيل، الهكسُوس، مُوسى، أخناتون والتَّوحيد، مُوسى والتَّوحيد، بُرهان أنَّ مصر هي مصران الجزيرة، الأمر بغزو فلسطين، تابوت العهد وخيمة الاجتماع، يُوشع بن نُون، عهد القُضاة، عهد المُلُوك، داود، سُليمان، بلقيس، سبأ، انقسام المملكة اليهُوديَّة، مملكة دمشق الآراميَّة، الأسباط العشرة، التَّوراة، السَّبي البابليّ، الفُرْس الإخمينيُّون، اليهُود والرُّومان، تشتُّت اليهُود، انتشار اليهُود في العالم، الخَزَر، اليمن، الجزيرة العَرَبيَّة، الحبشة، الأشكناز، السَّفارد، الدِّيانة اليهُوديَّة، ترجمة التَّوراة، التَّلمُود، القرَّاءون، السَّنهدرين، الكَتَبَة، السَّامريُّون، الصَّدوقيُّون، الفرِّيسيُّون، الإسينيُّون، المسيح المُنتظَر، الدُّوغة، الصَّهْيَوْنيَّة، الأحزاب الدِّينيَّة اليهُوديَّة، الهسكالا، برُوتُوكُولات حُكماء صهْيَوْن، الماسُونيَّة، بِنَاي بريت، إله اليهُود، اللاَّساميَّة، حاخامات اليهُود، هرتزل، ألمانيا وفرنسا واليهُود، إسرائيل وفلسطين بالتَّفصيل الدَّقيق، العلاقة الأمريكيَّة الإسرائيليَّة، وغيرها من المعلومات المُهمَّة التي لا غنى عنها لكُلِّ عَرَبيٍّ ومُسلم وغير يهُوديٍّ.

28) الفرق والمذاهب الإسلاميَّة مُنذُ البدايات النَّشأة - التَّاريخ - العقيدة - التَّوزُّع الجغرافي، سعد رُستُم، 2004

عرض تاريخيٌّ تحليليٌّ لقصَّة نُشُوء الفرَق والمذاهب الإسلاميَّة، وأسباب انقسامها، مع شرح أهمِّ العقائد التي ميَّزت كُلَّ فرقة، ويُبيِّن التَّوزُّع الجغرافيَّ لأتباعها، والأسباب الحقيقيَّة الكامنة وراء انفصالها، وأسرار انقساماتها، مع التَّعرُّف - بدقَّة وموضوعيَّة - إلى أهدافها ونواحيها، والوُقُوف على عقائدها الحقيقيَّة التي تميَّزت بها، بروح موضوعيَّة علميَّة ومُتجرِّدة، أوَّل اختلاف بين المُسلمين، الخوارج، مأساة كربلاء، الانقسامات الكلاميَّة والفقهيَّة ضمن أهل السُّنَّة، المُعتزلة، الحشويَّة، الحنابلة، الأثريَّة، والأشاعرة، الماتريديَّة، النِّزاع بين الرَّأي والحديث، المذاهب: الحنفيّ، المالكيّ، الشَّافعيّ، الحنبليّ، التَّصوُّف، الإباضيُّون، الشِّيعة: اليزيديُّون، الإماميَّة الاثنَي عشريَّة (الجعفريَّة)، الشِّيعة الجعفريُّون العلويُّون، الشِّيعة الإسماعيليَّة، الحوشبيَّة، الخلفيَّة، الفاطميُّون، الصّليحيُّون، المُستعلية، النِّزاريَّة، المُوحِّدون (الدُّرُوز)، الآغا خانيَّة، القاديانيَّة (الجماعة الإسلاميَّة الأحمديَّة) جمعيَّة أهل القُرآن (أصحاب الفَهْم العصريّ للقُرآن ورَفْض السُّنَّة والحديث)، وغيرها من الموضوعات التي تُؤكِّد أنَّ جُلَّ المذاهب والفرَق الإسلاميَّة لا تعدو وُجهات نَظَر مُختلفة في فَهْم الإسلام، وكُلُّها نابعة من الإسلام الحنيف، تتحرَّك فيه، وتتمسَّك بأُصُوله، حسب فَهْمها، وترجع إليه، الكُلُّ مُسلمون ينتمون لأُمَّة واحدة هي أمَّة مُحمَّد بن عبد الله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، ويعبدون إلهاً واحداً هُو الله الواحد الأحد، الفَرْد الصَّمَد، الذي لم يلِدْ، ولم يُولَدْ، ولم يكنْ له كُفُواً أحد، ويُؤمنون بكتاب واحد هُو القُرآن الكريم، ويستقبلون قبلة واحدة هي بيت الله الحرام.

29) الفرَق والمذاهب المسيحيَّة منذُ ظهُور الإسلام حتَّى اليوم ، سعد رُستم ، 2004

الآرْيُوسيَّة - النَّساطرة - اليعاقبة - الملكانيَّة - الخلاف بشأن تقديس الأيقونة والتَّماثيل والصُّور - الانشقاق المسيحيُّ الكبير إلى كنيستَيْن : اليُونانيَّة الشَّرقيَّة الأرثُوذُكسيَّة والرُّومانيَّة الغربيَّة الكاثُوليكيَّة - الشَّتات الأرثُوذُكسيُّ والبعثات التَّبشيريَّة - الفُرُوقات الرَّئيسيَّة بين الأرثُوذُكسيَّة والكاثُوليكيَّة - فترة الانقسام البابويِّ - الإصلاح والحركة المُضادَّة - التحوُّل الهامُّ لموقف الكنسية الكاثُوليكيَّة تجاه الإسلام في المجمع الفاتيكانيِّ الثَّاني - الحوار الإسلاميُّ المسيحيُّ بعد المجمع الفاتيكانيِّ الثَّاني - الرَّهبانيَّات والحركات التَّبشيريَّة الكاثُوليكيَّة - مُنظَّمات الفُرسان الرُّوحيَّة - فُرسان القدِّيس يُوحنَّا - فُرسان الهيكل - الفُرسان التِّيوتُونيُّون - حركة الإصلاح الدِّينيِّ ونشأة الكنائس البرُوتستانتيَّة - مارتن لُوثر - أولريخ زفينغلي - جان كالفن - الفرَق والحركات التي انشقَّت عن البرُوتستانتيَّة : الأنابابْتيست - المنيونيُّون - السُّوسيانيَّة - الأرمينيانيُّون - الكنيسة اللُّوثريَّة - المنهجيَّة - المشيخيَّة والمُصلَحة - التَّطهُّريَّة البيُوريتانيَّة - حركة الإصلاح المُضادُّ للكنيسة الكاثُوليكيَّة في نضالها مع البرُوتستانتيَّة : مجمع ترينت - اليسُوعيُّون - الفرَق والشِّيَع المسيحيَّة الغربيَّة الحديثة : المعمدانيَّة - الألفيُّون - السَّبتيُّون - شُهُود يَهْوَه - جماعة أصدقاء الإنسان - المُورمون - الشَّفائيُّون - الأنطونيُّون - المسيحيَّة العلميَّة - الأخت غايا - حركات اليقظة أو الصَّحوة المسيحيَّة - الإخوة بلايموث - الرَّسُوليَّة - الرَّسُوليَّة الجديدة - جمعيَّة الأصدقاء الهزَّازين - جيش الخلاص - العنصرة - الكنائس الكاثُوليكيَّة الصَّغيرة - رابطة توحيد المسيحيَّة في العالم - الصَّهيَونيَّة المسيحيَّة الأصوليَّة - مذهب الألفيَّة السَّابقة البريطاني والصَّهيونيَّة المسيحيَّة - مُنظَّمة المائدة المُستديرة الدِّينيَّة - مُؤتمر القيادة المسيحيَّة الوطنيَّة لأجل (إسرائيل) - المسيحيُّون المُتَّحدون من أجل (إسرائيل) - المصرف المسيحيّ الأمريكيّ لأجل (إسرائيل) - و . . . الكتاب ليس مُناظرة دينيَّة ، أو مُجادلة كلاميَّة ، أو لاهوتيَّة لبيان الحقِّ من الباطل ، وإنَّما هُو عرض تحليليٌّ ، تاريخيٌّ ، دينيٌّ ، اجتماعيٌّ ، سياسيٌّ ، للفرَق المسيحيَّة جميعها ؛ بدءاً من بُزُوغ فجر الإسلام حتَّى الآن ، يُبيِّن فيه المُؤلِّف تاريخ نشأة كُلِّ فرقة ، والأسرار الكامنة وراء انقساماتها ، وترجمة مُؤسِّسيها ، مع شرح ما يُميِّز كُلَّ فرقة من عقائد ، أو طُقُوس ، أو مبادئ وأهداف ، وطريقة تنظيم وإدارة ، مع الإشارة - ما أمكن - إلى التَّوزُّع الجغرافيِّ لأبناء كُلِّ فرقة ، والعدد المُقدَّر لأتباعها .

30) نساء في قصُور الحكَّام (ومن الجنس ما قتَلَ) ، مازن النَّقيب ، 2004

بعض الرجال - سياسيِّين كانوا أم أُدباء ، مُلُوكاً أم رؤساء ، عُلماء أم من العامَّة .... لا يستطيعون مُقاومة عيُون النِّساء ، ولا دَلَعهنَّ ، ولا أصواتهنَّ ، ولا ... ولا ... ، حكَّام ونساءٌ من الشَّرق والغرب ، بعضهم رحل وأصبح في عالم النِّسيان ، وبعضهم مازال يقف على الشُّطآن ، يحلم بأنْ يكون إنساناً ، ليصطاد حُوريَّة من البحر ، يَتعرَّض الكتاب إلى عيِّنة من البشر تخلَّت عن المبادئ والقيَم والعادات والأخلاق والتَّقاليد من أجل لحظة فساد ونشوة عابرة ، فمَنْ منَّا لا يذكر الملك فاروق وناريمان ، وقَصَص بيل كلينتون ، والأميرة ديانا ودُودي الفايد ، وجُون كينيدي وزوجته ومارلين مُونرُو ، وشاه إيران مُحمَّد رضا بهلوي ، والمُشير عبد الحميد ، والرَّئيس ميتيران ومازارين ، والملك إدوارد الثَّامن وأليس سيمبسُون ، والملكة أليزابيث الثَّانية ، والأمير فيليب ، والأميرة مارغريت وعاشقها المُطلَّق ، والأمير آندرو وسارة ، وجواهر لال نهرو واللَّيدي مُونتباتن ، وياناظير بُوتُو وزَرَادي ، وأُوناسيس وجاكلين كينيدي ، والأميرة كارولين وفينسان ليندُون ، والأميرة مارتا وآري بين ، . . . ، يربط الكتاب بين قَصَص حُبٍّ وعشق هؤلاء مع الخفايا والأسرار التي كانت تُحاك خلف أسوار القُصُور والمنازل ، وعلاقة ذلك كُلِّه - في النِّهاية - بالسِّياسة .

31) لماذا الاغتيالات السِّياسيَّة؟! مازن النَّقيب ، 2004

الاغتيال السِّياسيُّ موضوع هامٌّ شغل ألباب المُفكِّرين على مرِّ العُصُور ؛ حيثُ كَتَبَ عنه عُلماء النَّفس والاجتماع والسِّياسة والدِّين ، ما هي النَّظريَّات العلميَّة في تفسير الاغتيال السِّياسيِّ؟ ما هُو الاغتيال السِّياسيُّ للدَّولة؟ اليهُوديَّة الصَّهيُونيَّة والاغتيال السِّياسيُّ . القصَّة الحقيقيَّة لكيفيَّة اغتيال (أبُو جهاد ؛ خليل الوزير) . اغتيال الشَّهيد زُهير مُحسن . اغتيال د. فتحي الشِّقاقي مُؤسِّس الجهاد الإسلاميِّ . اغتيال (أبُو علي مُصطفى ، علي حسن سلامة ، وفاء إدريس ، وغيرهم من شُهداء فلسطين) . كيف تمَّت اغتيالات : حُسني الزَّعيم ، سامي الحنَّاوي ، أديب الشِّيشكلي ، عدنان المالكي ، الملك عبد الله الأوَّل ، هزَّاع المجالي ، وصفي التَّلِّ ، نُوري السَّعيد ، الملك فيصل الثَّاني ملك العراق ، أنور السَّادات ، أنطُون سعادة ، رشيد كرامي ، كمال جُنبلاط ، عبَّاس الموسوي ، رينيه مُعوَّض ، بشير الجميِّل ، إيلي حبيقة ، إسحق رابين ، رحبعام زائيفي ، مُحمَّد بُو ضياف ، المهدي بن بركة ، مُحمَّد فرح عيديد ، عبد الفتَّاح إسماعيل ، إبراهيم الحمدي ، جُون كينيدي ، باتريس لُومُومبا ، د. مارتن لُوثر كينج ، تشي غيفارا ، أنديرا غاندي ، شهبور بختيار ، بعض السُّفراء الأتراك ، المُونسينيُور دُوراتي .

32) تشنيف السَّمْع في انسكاب الدَّمْع (من جميل تُراثنا) صلاح الدِّين خليل بن أيبك الصَّفدي ، تح : مُحمَّد عايش ، 2004

كتابٌ فريدٌ في بابه ، وليس له نظير ، فهُو الوحيد الذي يُفصِّل القَوْل في الدَّمْع ، من ناحية لُغويَّة ونَقْليَّة وعَقْليَّة وأدبيَّة ، ويربط بينها بصيغة منطقيَّة ، ويُشكِّل الكتاب حلقة وَصل بين دواوين مفقودة لكثير من الشُّعراء ، بل هُو يُضيف بعض الشِّعر إلى دواوين مطبوعة . إنَّه - بحقٍّ - دُرَّة من دُرَر تُراثنا .

33) التّقاليد والعادات الدّمشقيّة خلال عهود السّلجوقيّين ـ الزّنكيّين ـ الأيّوبيّين د. فراس سليم حياوي السّامرّائي ، 2004

إنّ دراسة المجتمع العربيّ الإسلاميّ في هذه المدّة يُعدّ من أكثر الدّراسات تعقيداً؛ لأنّ في دمشق طوائف متعدّدة. دَرَسَ الباحث ـ بداية ـ جغرافيّة دمشق، وأهمّ التّطوّرات السّياسيّة، ثُمّ عرّج على دراسة فئات المجتمع الدّمشقيّ (حكّام، رجال دين، أرباب الفكر والعلماء، تجّار، أصحاب الفنون الجميلة، وغيرهم) ثُمّ فصّل في الطّعام، والشّراب، والملابس، والحمّامات، والخانات، والصّحّة العامّة، والأسواق، ووسائل الرّكوب، ومستوى المعيشة، والأسعار، والأعياد، والمناسبات، ووسائل التّسلية، والعائلة الدّمشقيّة، ومفرداتها، وعلاقاتها بغيرها، وأوصاف قصور الأمراء والميسورين، و. . . .

34) مسارات وحدة الوجود في التّصوّف الإسلامي الله الإنسان العالَم ، محمّد الرّاشد . 2004

لماذا خلق اللهُ الإنسانَ والعالمَ!؟ كيف تمّ الخَلْقُ الأوّل!؟ ما دور الحُبّ في عمليّة الخَلْق وحكمته الماورائيّة!؟ وبالتّالي؛ ما السّبيل إلى تحقيق إنسانيّة الإنسان على هذا الكوكب الموشّح بالأحزان!؟وأخيراً؛ ما الطّريق إلى الخروج من مأزق الحياة الدّنيا ومأساويّتها، وصولاً إلى الفردوس الموعود!؟هذه بعض التّساؤلات التي عَمَدَ حَمَلَة لواء وحدة الوجود في التّصوّف الإسلامي إلى تقديم إجابات حاسمة عنها، دون إلغاء الآخرين، وبعيداً عن مصادرة آرائهم وعقائدهم وتوجّهاتهم، وبذلك استطاعوا تحقيق ضَرْب من التّماس مع البشريّة جمعاء، وصاغوا قواسم مشتركة مع كلّ الفلسفات والمذاهب والأديان، وولّدوا تعاطفاً بين الزّماني والأزلي، بين النّهائي واللاّنهائي، بين الله والإنسان والعالَم. هذا ما حاول المؤلّف رَصْدَه لدى فريق من أساطين التّصوّف الإسلامي بموضوعيّة حملت طابعاً حياديّاً، دون أنْ تفوته الإشارة ـ بين حين وآخر ـ إلى بعض الثّغرات والإشكاليّات التي انزلقوا فيها، وعلى رأس الهَرَم منها: الانسحاب من المجتمع ـ جدليّة العلاقة بين الخالق والمخلوق ـ لوائح القيَم ومشكلة الثّواب والعقاب... لكنّما أكّد المؤلّف ـ بالوقت نفسه ـ على توجّه الصّوفي تلقاء المطلق، وتوقير الذّات الإلهيّة، ونَسْج خيوط التّسامي والحبّ والصّفاء في العالم.

35) العبادات في الدّيانات القديمة المصريّة ـ العراقيّة ـ الرّومانيّة ـ الهندوسيّة ـ البوذيّة ـ الصّينيّة ـ الزرادشتيّة ـ الصّابئيّة ، عبد الرّزّاق الموحي ، 2004

عبادة قرص الشّمس عند المصريّين القدماء، ودعوة أخناتون إلى التّوحيد وصيام الكهنة ـ ربّ الأرباب عند العراقيّين القدماء (أنو إله السّماء، وأنليل سيّد الرّيح العاصفة) ـ الدّيانة اليونانيّة القديمة والفلسفة والإشراك، وصيامهم ـ الرّومان القدماء وآلهتهم وصيامهم ـ الهندوس والبوذيّون والصّينيّون والزّرادشتيّون والصّابئيّون وصلاتهم وصيامهم وزكاتهم وحجّهم و ......

36) العبادات في الدّيانة اليهوديّة ، عبد الرّزّاق الموحي ، 2004

الله في الفكر اليهودي ـ النّبوّة عند اليهود ـ الصّلاة (الطّهارة الوضوء) صلاة الصّباح ـ صلاة المساء ـ الصّلاة الجماعيّة ـ صلاة الظّهيرة أو العصر ـ صلاة المغرب ـ صلاة الغفران ـ صلاة القمر ـ صلاة السّبت ـ صلاة عيد شعوت ـ صلاة عيد المظال ـ صلاة العشاء الخاصّة بالافتتاح بيوم الغفران ـ الزّكاة ـ الصّدقة ـ الصّوم (فرديّ وجماعي) صوم الصّمت ـ الحجّ (إلى بيت المقدس) ـ الأعياد: الفصح ـ المظال ـ الأسابيع (العنصرة) ما هو رأي الإسلام في العبادات اليهوديّة ؟ وما هو تأثير الدّيانات القديمة على العبادات اليهوديّة ؟ وما هي التّأثيرات الإسلاميّة في العبادات اليهوديّة متمثّلة بالصّلاة؟ وغيرها من الموضوعات التي يجهلها عامّة النّاس.

37) العبادات في الدّيانة المسيحيّة ، عبد الرّزّاق الموحي ، 2004

الألوهيّة والنّبوّة ـ الصّلاة (عقليّة فرديّة ـ لفظيّة جماعيّة) ـ صلاة المساء وصلاة الصّبح وصلاة الظّهيرة ـ التّسابيح ـ صلوات الاستغاثة والثّقة والحمد ـ مزامير التّعليم ـ الزّكاة ـ الصّيام (صوم الصّمت ـ الصّوم عن أنواع الطعام) الصّيام عند الكاثوليك ـ الصّيام في الكنيسة الأرثوذكسيّة الشّرقيّة ـ صوم الأربعين ـ صوم الميلاد ـ صوم العنصرة ـ صوم العذراء ـ صوم نينوى ـ صيام طائفتَيْ الأرمن والقبط ـ الحجّ ـ أثر الدّيانات القديمة على العبادات المسيحيّة ـ ومقارنة بين السّيّد المسيح وبوذا ـ أوجه التّشابه بين المسيحيّة وعَبَدَة بَعْل ـ تأثّر الدّيانة المسيحيّة بالدّيانة الميثريّة ـ العبادات المسيحيّة الواردة في القرآن الكريم ورأي الإسلام فيها.

38) الهجرة على مدار الحَمَل (رواية) ، رزان نعيم المغربي ، 2004

اللّقاء كُلّه لم يَعُدْ يعني لي شيئاً، فقط؛ أخذتُ أمضغ شعوري بالغيرة منها، لأوّل مرّة وجنون أصابني، وأنا أتبادل معها الأدوار، وبأنّها نعمتْ بكلّ ما أطمح إليه من عمر الآن، وأريد أنْ أناله بقوّة، بينما هي فاقدة ـ وإلى الأبد ـ كلّ ما حلمتُ به، وحصلتُ عليه من هذا الرّجل... الّذي

تقاسمنا حياته. كان جنُوناً غير مُبرَّر، والأصحُّ، لو قُلت إنَّه رجل يدفع بي إلى ذلك الجنُون، ورغم ذلك أُغرم به... أُحبُّه، أملك قلبه، وتملك هي اسمه، تملك الماضي الَّذي قدَّمه بفخر لها، ولم تُحافظ عليه. بينما أمتلك - الآن - أوقاتاً سرِّيَّة أخشى عليها، كيف لي أنْ أُعيد ترتيب أوراق أيَّامنا من جديد؟!. لكنَّ تفاؤلي يعكس لي قصَّة حبِّنا في مرآتي، فتشعُّ منها ابتسامته الصَّافية، وعيناه مملوءتان خوفاً وحناناً عليَّ، أسأله دُون كلام، مُمتدَّة يديَّ إلى وجهه، مُحاولة الإمساك به، لأُقبِّله، فيختفي. أُناديه من خلف غبش الذِّكرى، حبيبي، أين أنتَ يا عُمر؟...

39) الاستبداد والمرجعيَّة في الخطاب الإسلاميِّ دراسة الحالة المُعاصرة

أ. د. خالد مدحت أبُو الفضل، تر: مُحمَّد سفر عيد، تقديم: أنور إيمان، 2004

بمَوْت الرَّسول الكريم أصبح المُسلمون وحدهم، مُتفردين بأنفسهم، فقد كان الرَّسول الكريم الصِّلة الوحيدة المُباشرة بالله، حينها؛ لم تتحطَّم الولاءات السِّياسيَّة فحسب، بل تحطَّمت - أيضاً - تلك الرَّابطة الفريدة والضَّروريَّة بالمشيئة الإلهيَّة، ومن ثمَّ؛ بدأ علم الشَّريعة. إنَّ سياسات إبراز الهُويَّة هبطت بالشَّريعة إلى مُستوى الشِّعار السِّياسيِّ، وكان الأحرى أنْ ترتفع بها إلى مُستوى المكانة الثَّقافيَّة الرَّفيعة التي تبوَّأتها في عُهُود أسلافنا الفُقهاء المُشرِّعين. ما هي إشكاليَّة السُّلطة؟ النَّصُّ والسُّلطة، الفتوى، حديث أنس حول الوُقُوف، حديث مُعاوية، علم منهج الحديث وحديث السُّجُود، بنية الاستبداد بالرَّأي.

40) تاريخ الخطِّ العربيِّ وغيره من الخُطُوط العالميَّة، آن زالي وآني بيرثييه، تر: سالم سُليمان العيسى، 2004

لقد جمع هذا الكتاب أسمى الصَّفَات المُبدعة للخطِّ العربيِّ الذي يفتخر به كُلُّ العرب، وخُطُوط بلاد ما بين النَّهرَيْن، ومصر، والصِّين، وأمريكا قبل العهد الكُولُومبي، وإفريقية، وتحدَّث مُؤلِّفاه فيه عن الحضارة الغربيَّة وعن خطِّ بلاد ما بين النَّهرَيْن / المسماريِّ و .../ وعن القُدرة السِّحريَّة للخطِّ، وعن خطِّ الفراعنة، والأبجديَّة الهيرُوغليفيَّة وخطِّها الخطِّ الدِّيمُوطيِّ والقبطيِّ، وأساطير ولادة الأحرف الصِّينيَّة وأحرفها، مُرُوراً عبر فيتنام، واللُّغة اليابانيَّة المُعقَّدة، ومدينة الأزتيك اللاَّمعة، ومصير الخُطُوط المُدوَّنة قبل تأسيس كُولُومبيا، وإفريقية من الكلام فيما يتعلَّق بالرَّسْم إلى الخطِّ، وُصُولاً بالقارئ إلى ثورة الأبجديَّة، بدءاً بالفينيقيَّة ونُقُوشها، ومُرُوراً بالآراميِّين وهُم النَّاشرون للأبجديَّة، وُصُولاً إلى الخُطُوط في العربيَّة الجنوبيَّة، وفي الحبشة، ووُصُولاً إلى القُرآن، وبيان أنَّ الخطَّ العربي ارتقى من الفينيقيَّة عن طريق الآراميَّة مُتخلِّلاً بين الفارسيَّة والهندو أُورُوبيَّة (مثل التُّركيَّة). وكيف وصل الخطُّ إلى الهيلِّينيِّين، وابتكار الأحرف الصَّوتيَّة، وكيف وُلدت من الأبجديَّة اليُونانيَّة، ومُرُوراً من اليُونانيَّة، ووُصُولاً إلى اللاَّتينيَّة، وبيان أنَّ الخطَّ هُو مرآة الكلام. كتاب جدير بالقراءة. هذا أقلُّ ما يُمكن أنْ يُقال عنه.

41) الإسلام ونُبُوءات المسيح والقرن الحادي والعشرون، عبد الوهاب نُوشاد، 2004

يبحث المُؤلِّف في نُبُوءات المسيح المذكورة في العهد الجديد، ومُقارنة هذه النُّبُوءات مع الواقع، ومعرفة مقدار ما تحقَّق منها. الإنجيل وأعمال المسيح، نُبُوءة المسيح عن مَلَكُوت السَّموات، نُبُوءة المسيح عن المُعين رُوح الحقِّ، نُبُوءة المسيح عن عودته من السَّماء. كما تمَّ في هذا البحث الاستعانة بالنُّبُوءات الموجودة في العهد القديم (التَّوراة)، لتوضيح نُبُوءات المسيح بشكل دقيق.

42) أساطير وكالة الاستخبارات المركزيَّة الأمريكيَّة، فيليب آجي وآخرون، تر: حمدي الصَّاحب، 2004

يبحث هذا الكتاب الهامُّ جداً في كيفيَّة انشقاق بعض زُمر مُوظَّفي وكالة الاستخبارات المركزيَّة الأمريكيَّة على مدى سنين عديدة، وخاصَّة بعد حرب فيتنام؛ حيثُ ترك العديد منهم هذه الوكالة وهُم ساخطون. وبدلاً من الانشقاق والذَّهاب إلى الاتِّحاد السُّوفيتيِّ فَعَلوا الأخطر؛ وهُو إبلاغ أسرارهم إلى العالم أجمع؛ وخاصَّة إلى الشَّعب الأمريكي. بدأ بكيفيَّة تحديد مكان الجاسُوس، وكيفيَّة هَتْك أسرار الـ سي آي إيه، ومَنْ هُم رُؤساء المركز. ومَنْ هُو الجاسُوس السُّوبر (كُوردمير). والـ سي آي إيه في البُرتغال والتَّغييرات فيها. ثُمَّ انتقل إلى نُقطة التَّحوُّل ومسألة ريتشارد ويلتسن، وُصُولاً إلى أثينا وبيان مُنظَّمة 17 نُوفمبر الثَّوريَّة. وماذا تفعل الـ سي آي إيه في أُورُوبة الغربيَّة. إسبانيا بعد فرانكو. عمليَّات الاستخبارات في اليُونان. العامل الأمريكيُّ في اليُونان. مُونتغمري. إيطاليا ومارتشيني. الاستخبارات في فرنسا. في ألمانية الغربيَّة. وكيف تنتزع أموالُ الـ سي آي إيه أسنانَ الإشتراكيَّة البريطانيَّة، وكيف تدعم الـ سي آي إيه السُّوق المُشتركة. كيف تصنع الـ سي آي إيه الأخبار. سويسرا. ثُمَّ يُختتم الكتاب بمقاييس معنويَّات الـ سي آي إيه، ثُمَّ الـ سي آي إيه الجديدة. كتاب جدير جداً بالقراءة والتَّدبُّر، وُصُولاً إلى مُحاولة استشفاف ما بين السُّطُور أكثر ممَّا على السُّطُور.

43) لُورنس والقضيَّة العربيَّة 1888 - 1935، حسام علي مُحسن المدامغة، 2004

حفلت المنطقة العربيَّة في فترة الحُكم العُثمانيِّ بنشاط من الرَّحَّالة والمُستشرقين الأُورُوبيِّين والأمريكان الذين اختلفوا في مغزى نشاطهم، فمنهم مَنْ جاء بحثاً عن معلومات جديدة تُغني معرفته، وتُرضي فُضُوله، ومنهم مَنْ جاء بناءً على توجيه من حكُومته لأهداف استخباريَّة يقصد من

ورائها جَمْعَ معلومات سياسيَّة أو عسكريَّة . وتُوماس إدوارد لُورانس من الذين عملوا في المنطقة العَرَبيَّة بتوجيه خارجي ، فتحدَّث المُؤلِّف عن وَلادته ونشأته الأُسريَّة وصفاته الشَّخصيَّة ، وكيف انخرط لُورنس في الجيش البريطانيّ عند اندلاع الحرب العالميَّة الأُولى ، وكيفيَّة عمله في عمليَّات الثَّورة العَرَبيَّة . اعتمد المُؤلِّف ـ فضلاً عن الوثائق العَرَبيَّة والإنكليزيَّة غير المنشورة والمنشورة ـ على الكثير من المصادر العَرَبيَّة والأجنبيَّة وفي مُقدِّمتها مُؤلَّفات لُورانس نفسه ، والتي أهمّها (أعمدة الحكْمة السَّبعة) ممَّا جعل الكتاب غنيَّاً جداً بمصادره وتحليلاته واستنتاجاته .

44) اليهُوديَّة والغَيْريَّة غير اليهُود في منظار اليهُوديَّة ، ألبيرتو دانزول ، تر: د. ماري شهرستان ، 2004

ألبيرتو دانزول كاتبٌ فرنسيٌّ ذُو خلفيَّة ثقافيَّة علمانيَّة ، وهُو ـ في هذه الدّراسة ـ يرمي إلى إلقاء الضّوء على هيكليَّة خفايا التّفاسير اليهُوديَّة والتّلمُود ، ويُعرِّي دور التّلمُود الآثم في بناء شخصيَّة اليهُودي ، حتَّى غدا اليهُودي أشدَّ المخلوقات عداوة لبني البشر ، كما أنَّه وضَّح البنى الذّهنيَّة للأحبار والحاخامات ودأبهم المُستمرّ لتكريس انعزال وانغلاق اليهُودي وتكبُّره وتغطرُسه ، ممَّا أدَّى إلى عدم تفاعله مع المُجتمعات الإنسانيَّة قاطبة ؛ فالذي اعتمده اليهُودي هُو الكنيس والتّوراة المنحولة والتّلمُود ، وهُم وطن اليهُودي وقضاء يَهْوَه وأوامره على الأرض من قَتْل وإبادة جماعيَّة . هُناك بشر غير قادرين على مُقاربة الله : إنَّهم نوع البشر الذين ليس لديهم أيُّ مُعتقد دينيٍّ ولا علميٍّ ولا تقليديٍّ مثل آخر الأتراك في أقصى الشّمال ، والزّنُوج في أقصى الجنوب والذين يُشبهونهم في مناخاتها . هؤلاء يُعدُّون مثل حيوانات غير عاقلة : فأنا لا أُصنِّفهم في مُستوى البشر ؛ إذْ إنَّهم من بين الكائنات الحيَّة صنفٌ أدنى من البشر وأعلى من القرد . بما أنَّ لديهم وجه وملامح الإنْسان وفطنة أعلى من القرد ، هذا ما قاله ابن ميمُون ، وهُو عَلَمٌ من أعلام اليهُوديَّة الحاخاميَّة . فلنُبحر معاً لاستكشاف ما خفي .

45) مُناهضة السَّاميَّة تاريخها وأسبابها ، برنار لازار ، تر : د. ماري شهرستان ، 2004

يُشكِّل هذا الكتاب مُساهمة أساسيَّة في سعة مراجعه ومنهجيَّته . وإنَّ تغييب هذا النّصّ وعدم معرفته تُشكِّل ـ بحَدِّ ذاتها ـ فضيحة . قال اليهُود عنه ـ وهُو يهُودي أيضاً ـ إنَّ لازار مُناهض للسّاميَّة . لكنَّه يقول : اقرؤوا ، وستجدوا أنّي كتبتُ بتجرُّد ـ بحياديَّة ـ دراسة تاريخيَّة اجتماعيَّة . تحدَّث فيه المُؤلِّف عن أسباب مُناهضة السّاميَّة الحقيقيَّة مُنذُ القديم حتَّى العصر الحديث . فتكلَّم عن الهكسُوس والرّواقيّين وروُما وأنطاكية واصطدام الدّيانة الرُّومانيَّة باليهُوديَّة ، ومن ثَمَّ بالمسيحيَّة ، ثُمَّ اصطدام الكنيسة في القرن الثّامن باليهُوديَّة ، ثُمَّ تحدَّث عن محاكم التّفتيش ، عن اليهُود وتعذيبهم وقتْلهم ردَّاً على ما كانوا يفعلون من جرائم ، لعلَّ أبسطها تسميم المياه كي يموت المسيحيُّون في الغرب... ثُمَّ فصَّل في الأدب المُناهض لليهُوديَّة ، ثُمَّ تحدَّث عن الثّورة الفرنسيَّة والثّورة الرُّوسيَّة وأثر اليهُود فيهما... وفصَّل المُؤلِّف في حديثه عن العرْق اليهُوديّ وعن القوميَّة ومُناهضة السّاميَّة وعن الرُّوح الثّوريَّة في اليهُوديَّة وعن اليهُود وتحوُّلات المُجتمع... وختَمَ بالحديث عن مصير مُناهضة السّاميَّة (إنَّه كاتب يهُوديٌّ حياديٌّ يفضح اليهُوديَّة) .

46) خارقيَّة الإنسان الباراسيكولُوجي من المنظور العلمي ، د.صلاح الجابري ، 2004

مُنذُ القرن السّابع عشر وحتَّى بدايات القرن العشرين فَقَدَ العلمُ شفافيَّته ، وراح ينأى مُبتعداً عن كُلِّ همسة رُوحيَّة أو لمسة شاعريَّة للكون ، والتصق ـ أكثر فأكثر ـ بأقسى جوانب الطّبيعة صلابة ، وبأكثر قوى العقل البشريّ بُعْداً عن المواهب الحدسيَّة النّافذة إلى صميم الأشياء . كان لتلك الرُّؤية نتائج فلسفيَّة وخيمة على الإنسانيَّة ؛ لأنَّها جمَّدت عواطف الإنسان ، وأغلقت منافذه الرُّوحيَّة بجُدُر صلبة ، فأفقدتْهُ طابعه الإنسانيَّ الحقيقيَّ ، فكان لذلك انعكاسات نَفْسيَّة سُلُوكيَّة ، نما في إطارها الدّافع العُدواني المدفوع بمُيُول حُبِّ الذّات المُوجَّهة باقتصاديَّات السُّوق ، وحُبِّ الثّراء السّريع على حساب القيَم الرُّوحيَّة التي بدأت تتراجع مكانتها في نَفْسيَّة الإنسانيَّة ، وحلَّت محلَّها قيَم اللّيبراليَّة ، التي تفتقر إلى أيِّ أسلوب أو آليَّات لمُعالجة الانحراف الإنساني وإيقاف قَتْل الإنسان لأخيه . علم السّاي من العُلُوم الجديدة التي ظهرت حديثاً على السّاحة العلميَّة ، والاسم الشّائع لهذا الحقل هُو الباراسيكولُوجي ، ويُسمِّيه بعضهم السّيكوترُونيك ، والقُوَّة الأساسيَّة التي يُفترض أنَّها تُسبِّب ظواهره تُسمَّى قُوَّة ساي Psi . تظهر قُوَّة ساي بأشكال مُتعدِّدة ، ففي بعض الأحيان تتَّخذ شكل قُوَّة إدراكيَّة ـ تخاطر ، جلاء بصريّ (استشفاف) ، تنبُّؤ بالمُستقبل ـ وأحياناً ؛ تتَّخذ شكل التّأثير على الأشياء المادّيَّة بكُلِّ أشكالها . والقُوَّة الإدراكيَّة لـ ساي هي نوع من الاتّصال بين الأحياء على شكل تخاطر ، أو بين الأحياء والبيئة على شكل استشفاف (جلاء بصريّ) ، وقد يأتي التّخاطر والجلاء البصريُّ على شكل تنبُّؤ بالأحداث قبل وُقُوعها . يهدف الكتاب إلى إيضاح طبيعة الدّليل الذي يُقدِّمه الباراسيكولُوجي لإثبات واقعيَّة ظواهر ساي ، ويُؤكِّد ـ علميَّاً وفلسفيَّاً ـ أنْ ليس كُلُّ المُتنبِّئين موهُوبين حقيقة ، بل يدخل ضمنهم المُشعوذُون والدَّجَّالون والسَّحرَة ، علماً أنَّ السِّحْر لا يدخل في إطار القوى أو المَلَكَات الباراسيكولُوجيَّة ، وأنَّ الباراسيكولُوجي ـ كأيِّ علم آخر ـ انتزع نفسه من رُكام هائل من الظّواهر المُختلفة وأعمال السِّحْر والكَهَانة بفضل الطّريقة العلميَّة والتّحقُّق التّجريبيّ .

47) القتل من أسفار اليهود وبروتوكولات حكماء صهيون إلى فارس بلا جواد ، مازن النقيب ، 2004

من نُقطة التفريق بين أمٍّ يهوديَّة تحمل طفلاً يهُوديّاً بريئاً ، رفض حافظ (مُحمَّد صُبحي) في مُسلسل فارس بلا جواد أنْ يُفجِّر مكاناً اجتمع فيه حاخامات اليهُود ؛ لأنَّ فيه طفلاً بريئاً ، من هذه النُّقطة وُلدت فكرة الكتاب ، يشرح الكتاب - بشيء من التفصيل - القتل ، العنصريَّة ، سَلْب حُقُوق وأرواح غير اليهُود ، من خلال الغوص في التَّوراة ، والتَّلمُود ، وبرُوتُوكُولات حكماء صهيُون ، فاليهُود - وحدهم - بشر ، والشُّعُوب الأُخرى حيوانات مُسخَّرة لخدمتهم ، ولا يترتَّب أيُّ عقاب على يهُوديٍّ يقتل غير يهُوديٍّ ، قَسَمُ اليهُوديِّ لغير اليهُوديِّ غير مُلزم ، ألم يقل شارون يوماً : أُمنيتي احتلال القاهرة ودمشق ، وأتنزَّه - عسكريّاً - في لُبنان ، الفلسطينيُّون من السَّهل مُحاصرتهم وإبادتهم ، إنَّهم في فمنا ، أمَّا المصريُّون والسُّوريُّون فمازالوا خارج أيدينا ، ويجب أنْ يكونوا في أيدينا أوَّلاً ، ثُمَّ في فمنا ثانياً ، بعدها ؛ يُمكن أنْ نقول (إسرائيل) قد حقَّقت أمنها؟ يقولون : إنَّ الصَّهاينة لديهم 24 برُوتُوكُولاً ، نفَّذوا منها 19 برُوتُوكُولاً ، انتهت بأحداث 11 أيلول في الولايات المُتَّحدة ، كما يتعرَّض الكتاب إلى البرُوتُوكُولات ويشرحها - بشيء من الاختصار - ويُقارن بينها وبين مدى مُطابقتها لما قد تحقَّق منها خلال القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين .

48) نهاية التَّاريخ في الفكر الإسلامي الحديث ، علي سكيف ، 2004

هل وصل سكَّان الأرض إلى حضارة تفوق حضارتنا الحاليَّة؟ هل شهد كوكب الأرض حضارة مُتقدِّمة أكثر من حضارتنا الحاليَّة اندثرت نتيجة حرب كونيَّة ؟ هل هُناك مخلوقات بشريَّة على كواكب أُخرى؟ هل صحيح أنَّ الكون يتمدَّد ويتوسَّع : وما هي نهاية هذا التَّوسُّع؟! هل كان أصحاب الكهف في عصر الرُّومان؟ وهل كان الكهف على هذا الكوكب أم كان خارج الأرض؟! هل الخُلُود في الجنَّة والنار أبديٌّ؟ هل صحيح أنَّ يعقوب بن إسحاق هُو إسرائيل وذُرِّيَّته من بعده هُم بنو إسرائيل؟! هل هُناك علامات عن قُرب يوم القيامة لسُكَّان هذا الكوكب؟ هل نشأت المخلوقات البشريَّة على هذا الكوكب أم جاءت وافدة من كواكب أُخرى؟ هل عرف العالم قبلنا الاستنساخ بكافَّة أشكاله وأنواعه؟ هل كان نُوح يعيش في العصر الحجري؟ أم كان عالماً مُتخصِّصاً بعلم الاستنساخ؟ هل هُناك - فعلاً - جنٌّ وشياطين وأبالسة غير مرئيِّين؟ أم أنَّ هذَيْن المُصطلحَيْن يُعبِّران عن مُصطلحات توراتيَّة .

49) نزع فتيل الإرهاب الدَّولي إسلام السَّلام وأمان العالم ، مُحمَّد مُنير إدلبي ، 2004

من تاريخ الاضطهاد الدِّيني ؛ دم المسيح ، عذابات وآلام الشُّهداء المسيحيِّين ، التَّعذيب عبر العُصُور ، محاكم التَّفتيش ، دم مُوسى ، إرهاب أرباب الحضارة الحديثة ، الهُنُود الحُمر ، إفريقيا ، .... ، فرعون والمُسلمون ، النَّبيّ سُليمان ، المسيح وحواريُّوه ، دعوة الإسلام إلى أُخُوَّة عالميَّة حقَّة غير مشروطة بالدُّخُول فيه ، لا إكراه في الدِّين ، قَتْل المُرتدِّ جريمة حرَّمها الإسلام ، الجهاد الحقُّ في الإسلام ، البُرهان على عدم جواز فَرْض الشَّريعة الإسلاميَّة بالقُوَّة كقانون دولة ، حقيقة فناء جهنَّم ، خَلْق الله جميعهم يدخلون الجنَّة ، الخلاص ليس حكْراً على المُسلمين ، ما هي دولة الإسلام؟ الإرهاب المُوجَّه ضدَّ العَرَب والمُسلمين من أتباع مُحمَّد ، من وقائع الإرهاب الإسرائيلي في وعي الوُجدان العالميِّ ، بشارة التَّوراة(فلسطين للعَرَب) خطأ "إسرائيل" العقائدي القاتل ، "إسرائيل" ذبيحة الله في فلسطين ؛ هذا هُو وعد التَّوراة ، الإرهاب الدَّوليُّ بين مُعضلة التَّعريف وواقع المُمارسة ، فلسطين وسُؤال الدَّم .

50) مُؤامرة الصَّمت ختان الذُّكُور والإناث عند اليهُود والمسيحيِّين والمُسلمين الجَدَلُ الدِّينيُّ الطِّبِّيُّ الاجتماعيُّ القانونيُّ ، د. سامي الذِّيب ، تقديم : د. نوال السَّعداوي ، 2003

تعريف الختان وأهمِّيَّته - الجَدَل الدِّينيُّ - الختان في الفكر الدِّينيِّ اليهُوديِّ - في الفكر الدِّينيِّ المسيحيِّ - في الفكر الدِّينيِّ الإسلاميِّ - الختان والجَدَل الطِّبيُّ - الآلام النَّاتجة عن ختان الذُّكُور والإناث - الأضرار الصِّحِّيَّة لختان الجنسَيْن - المضارُّ الجنسيَّة لختان الجنسَيْن - الفوائد الصِّحِّيَّة المزعومة لختان الجنسَيْن - الختان والجَدَل الاجتماعيُّ - الختان والجَدَل القانونيُّ - مع الختان بين المُثُل والإمكانيَّات . تقول الدُّكتورة نوال السَّعداوي في تقديمها لهذا الكتاب : هذا الكتاب من الكُتُب الضروريَّة للمكتبة العَرَبيَّة . لهذا ؛ أودُّ أنْ يُنشَر في بلادنا العَرَبيَّة . وأنْ يكون في مُتناول الشُّبَّان والشَّابَّات والتَّلاميذ والتِّلميذات في المدارس والجامعات . إنَّه أحد الأسلحة في مجال الثَّقافة العامَّة ؛ حيثُ تُحرم الأغلبيَّة السَّاحقة من الثَّقافة الحقيقيَّة ؛ حيثُ يفشل نظام التَّعليم في تدريب الشُّبَّان والشَّابَّات على تشغيل عُقُولهم . تُؤدِّي الهزيمة العقليَّة إلى هزيمة سياسيَّة وعسكريَّة واقتصاديَّة . إنَّ الثَّقافة غير مُنفصلة عن السِّياسة أو الدِّين أو الحرب ، والعقل هُو الذي يُوجِّه اليد التي تُمسك السَّيف أو البُندقيَّة .

51) العراق أوَّلاً حرب إسرائيل الخاطفة على نفط الشَّرق الأوسط عمليَّة (شيخينا)

جو فيالز ، تر : مروان سعد الدِّين ، 2003

إنَّ فكرة سرقة المخزون النِّفطيِّ لشعب آخر ليست ابتكاراً إسرائيليّاً ، بل ربَّما تعود إلى عام 1941 ، عندما فرض رُوزفلت حظراً كاملاً على تزويد اليابان بالنِّفط خلال (الحرب على الإرهاب الأمريكيَّة الأُولى) ، ويأتي هذا الكتاب ليفضح عمليَّة « شيخينا » التي خطَّطت لها (إسرائيل) لتُسيطر

على نفط العراق، وَسَعَتْ لتحقيقها، لولا الهجمات على مركز التِّجارة العالمي في أيلول 2001، وذلك بعد أنْ عقدت (إسرائيل) العزم على شنِّ اعتداء مُباغت على جنوب العراق، لإحكام السَّيطرة على حُقُوله النَّفطيَّة الجنوبيَّة، ومن ثَمَّ استخدام خطِّ أنابيب نقل النَّفط العَرَبيِّ الموجود سابقاً (التّابلاين) لضخِّ النَّفط إلى مصافيها في حيفا، كما يُوضِّح الكاتب الأمريكيُّ بأنَّه من أجل تنفيذ هذا المُخطَّط سعت (إسرائيل) إلى التَّسلُّل إلى جنوب العراق وشمال السُّعُوديَّة، وكيف مَنَحَتْ بعض المُسلمين الشِّيعة - دُون أنْ يدروا بأنَّ (إسرائيل) وراء هذا التَّخطيط - ممرّاً مجّانيّاً إلى بُلدان أُخرى، بعيداً عن عدوِّهم صدَّام حُسين، ويُبرز الأمريكي فيالز كيف تمَّ التَّخطيط لما سُمِّي بعمليَّة «حُرِّيَّة العراق»، وهي الجُزء الثّاني من عمليَّة «شيخينا»، وكيف سيتمُّ قَطْعُ رأس صدَّام حُسين وتعيين جي غارنر الذي هُو عُضو في المعهد اليهُوديِّ لشُؤُون الأمن القوميِّ، ليكون حاكماً عسكريّاً للعراق، ثُمَّ سيأتي دور أحمد الشَّلبي كإداريٍّ مُؤقَّت للعراق، على أنْ يتمَّ - فيما بَعْدُ - إبدال الرَّئيس السُّوريِّ بشّار الأسد بالأخ الأصغر لأحمد الشَّلبي، وإذا رفضت سُوريَّة هذا، فإنَّه سيجري تدميرها وإعادتها إلى العصر الحجريِّ، ولكنْ؛ لم تسر الأُمُور كما خُطِّط لها. . . تفاصيل دقيقة ومُثيرة وسرِّيَّة يكشفها الكاتب الأمريكيُّ جُو فيالز في ثنايا هذا الكتاب المُدعَّم بالصُّور والخرائط اللّازمة.

52) الحُكْمُ بالسِّرِّ التّاريخ السِّرِّيُّ بين الهيئة الثُّلاثيَّة والماسُونيَّة والأهرامات الكُبرى

مَنْ يحكم أمريكا والعالم سرّاً؟ جيم مارس، تر: مُحمَّد مُنير إدلبي، ط1و2، 2003 ط3، 2004

في هذا الكتاب المُذهل يقوم الكاتب الأمريكيُّ المشهور وكاتب صحيفة نيُويُورك تايمز والمبيعات الحائزة على أفضل المبيعات جيم مارس باستكشاف وتمحُّص أكثر أسرار العالم خفاء. وذلك بكَشْف الأدمغة المُسيطرة المُختبئة، من خلال مُحاولة للوُصُول إلى جُذُور الحقيقة؛ حيثُ يقوم بإماطة اللِّثام عن البراهين بأنَّ أصحاب الأمر الحقيقيِّين ومُحرِّكي الأحداث في العالم هُم الذين يتمكَّنون - عادةً - من التَّسبُّب باندلاع الحُرُوب وإيقافها. كما يتحكَّمون بأسواق الأسهم الماليَّة ونسب الفوائد على العُملات، كما يُحافظون على تفوُّقهم الفئويِّ، حتَّى إنَّهم يُسيطرون على الأخبار اليوميَّة. وهُم يقومون بذلك كُلِّه تحت رعاية وأنظار مجلس العلاقات الخارجيَّة الأمريكيِّ والهيئة الثُّلاثيَّة، والمُخابرات الألمانيَّة والـ CIA، وحتَّى الفاتيكان. من خلال تقصِّيه للبراهين التّاريخيَّة، ومن خلال بحثه المُحكَم، يقوم مارس - بعناية - بتقصِّي الألغاز التي تربط بين هذه المُؤامرات المُعاصرة لنا بالتّاريخ القديم للبشريَّة. والنَّتيجة المُذهلة هي تحليل رائع لمُعطيات تاريخيَّة (كثير منها كان مخفيّاً عن جُمهُور النّاس) وهي تُلقي ضوءاً على المُنظَّمات السِّرِّيَّة التي تحكم شُؤُون حياتنا. من الأشياء المُثيرة في الكتاب: ما هي مُنظَّمة الهيئة الثُّلاثيَّة السِّرِّيَّة. ما هي مُنظَّمة المعهد المَلكيِّ البريطانيِّ. ما هي مُنظَّمة الإليوميناتي. ما مُنظَّمة دير صهيَوْن. ما هي علاقة اليهُود وأساطين عائلاتهم المصرفيَّة الثَّريَّة بهذه المُنظَّمات. وما هي الماسُونيَّة، وما علاقتها بهذه المُنظَّمات. ومَنْ يحكم - فعليّاً - أمريكا. ما هي مُنظَّمة مجلس العلاقات الخارجيَّة الأمريكيِّ. آل رُوكفلر. آل مُورغان. آل رُوتشيلد. أسرار المال ونظام الاحتياط الفيدراليِّ. المعهد المَلكيُّ للشُّؤُون الدّوليَّة (المائدة) المُستديرة، رُوديس ورَسكين، ما هُو جبل الحديد، الخليج العَرَبيّ والحُرُوب للسَّيطرة عليه، حرب الخليج 1991، وأسبابها الحقيقيَّة. بُوش الجَدُّ وبُوش الأب وبُوش الابن والنَّفط. فيتنام. كينيدي وأسباب اغتياله، الحرب الكُوريَّة. النّازيَّة. برُوتُوكُولات حُكماء صهيَوْن. هتلر. اليابان. الحرب العالميَّة الثّانية. الحرب العالميَّة الأُولى. الثَّورة الرُّوسيَّة. برُوز الشُّيُوعيَّة. الحرب بين الولايات الأمريكيَّة. مُنظَّمة الفُرسان السِّرِّيَّة. الماسُونيَّة. الثَّورة الفرنسيَّة. اليعقُوبيُّون، الجيمسيُّون. فرانس بيكُون وأتلانتيس الجديدة. الثَّورة الأمريكيَّة. الإليُوميناتي (المُستنيرون). الماسُونيَّة ضدَّ المسيحيَّة. الرُّوزيكروشيُّون. فُرسان الهيكل المُقدَّس. الحشّاشُون. مصرفيُّو وبُناة فُرسان الهيكل. الكاثاريُّون. الحرب الصَّليبيَّة. مُنظَّمة دير صهيَوْن. الميرُوفنجيُّون. الطَّريق إلى رُوما. القَبَالاة. الغنُوسطيَّة. الإيسيُّون. الأسرار والألغاز القديمة. التَّناسُخ في العالم القديم (زمن نُوح). أصل الإنسان. مُوسى. كُلُّ الطُّرُق تُؤدِّي إلى سُومر. الأناكيُّون. الطُّوفان والحُرُوب و. . و. هذا الكتاب (الحُكم بالسِّرِّ) - بما فيه من طبيعة مُقلقة ومُثيرة وحافزة بشدَّة ومُجبرة على التَّفكير - يُقدِّم لنا رُؤية عالميَّة فريدة بإمكانها أنْ تُفسِّر لنا حقيقة عالمنا، وما هي أُصُولنا؟ وإلى أين نتَّجه؟ . .

53) الماسُونيَّة والمُنظَّمات السِّرِّيَّة ماذا فعلَتْ؟ ومَنْ خدمَتْ؟ عبد المجيد همّو، ط1 2003. ط2 2004

الكَهَنُوت الأعلى في طيبة - القُوَّة الخفيَّة اليهُوديَّة - جماعة الآلهة ميترا وعباداتها - الغنُوصيَّة العرفانيَّة - الحشّاشُون - النُّورانيُّون - البابيَّة - البهائيَّة - فُرسان الهيكل - الغاردُونا - جماعة الصَّليب الورديِّ - الفحّامون - أحباب الملاك الحارس - الخصّاؤن - الماسُونيَّة: أصلها - نُشُوءها - تعريفها - من أين اسمها؟ - محافلها - وأسماء ماسُونيَّة عالميَّة وعَرَبيَّة - اليمين التي يُقسمها المُنتسب للماسُونيَّة - ما الامتحانات؟ وما الاختبارات التي يخضع لها؟ الماسُونيَّة والسِّياسة - التَّجنيد لصالح اليهُود - علاقة الماسُونيَّة بالقبَالة وبالتَّلمُود - مُحاربة الأديان - التَّوراة ولا شيء غيرها - مُحاربة الأُمم - كيف سقطت الإمبراطُوريَّة الرُّوسيَّة - كيف تفجَّرت الثَّورة الفرنسيَّة - إعادة اليهُود إلى فلسطين - بناء الهيكل - الماسُونيَّة والتَّنظيم - الماسُونيَّة الرَّمزيَّة - كيف أُقيم أوَّل محفل - محافل أُورُوبة - محافل أمريكا - محافل البلاد العَرَبيَّة - مشاهير الماسُونيِّين من الشَّرق والغرب - اللُّوثريَّة - اليُوريتانيَّة -

أحبَّاء صهيَوْن ـ شهُود يَهوَه ـ الرُّوتاريَّة ـ بَنّاي بَريت ـ الدُّونمة ـ الاتّحاد والتّرقّي ـ العلْمانيَّة ـ الاشتراكيَّة العلميَّة ـ الاتّحاد اليهُوديّ العامّ ـ الرّيڤُورم ـ بلُوتُو ـ أنَوشيت ـ ثْرُويد رست. كتاب يجمع مُعظم المُنظَّمات السِّرِّيَّة العالميَّة، ويشرح كيف يتمُّ الانتساب لهذه الجمعيَّات. كتاب يسدُّ فجوة في المكتبة العَرَبيَّة، ويُعرِّي ويفضح اليهُود الذين كانوا السّبب الأهمَّ وراء تأسيس مثل هذه المُنظَّمات السِّرِّيَّة.

54) دراسات توراتيَة، حنَّا حنّا، 2003

يُميط الكاتبُ اللِّثامَ عن بعض القضايا الوثَنيَّة السُّوريَّة القديمة، منها مازال راسخاً في سماويَّات اليوم، كالحيَّة والقُربان والصّليب، ومنها ما اندثر... ثُمَّ يغوص الكاتب ليُعرِّيَ عيُوب وفضائح شعب الله المُختار الذي تتبارك في نسله جميع الأُمم دُون استثناء. وبعدها؛ يربط المُمارسات الصِّهيَونيَّة من قتْل وإبادة واحتقار الأغيار بآيات توراتيَّة، يعمل اليهُود على تحقيقها إلى الآن... اليهُود وعبادة الأصنام (التّرافيم) ـ البُخور ـ القُربان، الخصاء والرَّهبَنَة، الدّيَر، الجنس في التّوراة، طقُوس جنسيَّة وعلاقات زواج، عشتار ربَّة الجنس، نشيد الإنشاد (نجوى حُبٍّ في هيكل الرّبّ)، القمر وعباداته، الثّالُوث المُقدَّس، الصّليب، القرن، الثّور المُجنَّح (الكيروب)... الإله رامون، جنَّة عَدن، أساطير التّكوين، الطُّوفان، قايين وهابيل، الشّيطان، صفات إله العبرانيِّين، الأسفار السّاقطة، المسيح والعذراء، بعض الأخطاء الواردة في التّوراة، أخطاء نَسَب المسيح، بابل وسقُوطها، وغيرها من الموضوعات التي تدحض وتُفنِّد وتُعرِّي كتاباً اسمه التّوارة.

55) الحقيقة بين النّبُوءة والسّياسة التّوراة الأناجيل نوستراداموُس القرآن الكريم، مُحمَّد نضال الحافظ، 2003

هل كان انهيار بُرجَيْ مركز التّجارة العالمي نُبُوءة؟ ما مصير مَنْ دعا إلى ضرب مكَّة المُكرَّمة بقُنبلة نوويَّة؟ ما هي العلاقة بين العراق الآن وبابل زمن نبُوخذ نصَّر؟ ما قصَّة النُّبوءات في آخر الزّمان؟ ما هي تلك النُّبوءات الإنجيليَّة والتّوراتيَّة والقُرآنيَّة؟ وما علاقتها بالسّياسة العالميَّة؟ ماذا يفعل اليهُود والمسيحيُّون والمُسلمون تجاه نُبُوءاتهم؟ كيف تبدو نهاية اليهُود و(إسرائيل) من خلال التّوراة والتّلمُود والأناجيل ونُوستراداموُس والقرآن الكريم؟ العراق وبابل واليهُود ونُوستراداموُس، هل نسي اليهُود كيف أسرهم نبُوخذ نصَّر وسباهم إلى بابل؟ هل يُحاول اليهُود (أمريكا ـ بريطانيا) الانتقام من العراق؟ هل من المُمكن أنْ تكون هُناك ضربة نوويَّة للعراق؟ المسيحيَّة الصّهيَونيَّة ـ نشأتها ومشاهيرها، برُوتُوكُولات حُكماء صهيَوْن، السّياسيُّون الأمريكيُّون ونُبُوءات التّوراة والأناجيل ونُوستراداموُس، مَعركة هرمجدون والحرب العالميَّة النّوويَّة الثّالثة، المُؤامرات اليَهُوديَّة الأمريكيَّة، فلسطين واليهُود والتّوراة والتّلمُود ونُوستراداموُس، هل بدأ يوم القيامة؟! لنتعرَّف الحقيقة المُذهلة من خلال كتاب الحقيقة بين النُّبُوءة والسّياسة.

56) الفقه السّياسيّ الإسلاميّ، د. خالد الفهداوي، 2003

في هذا الزّمن وفي هذا الوقت بالذّات غدت الحاجة مُلحَّة جداً جداً من أجل وضع قواعد لتأسيس فقه سياسيٍّ إسلاميٍّ، بعد أنْ أُشبع الفقه العادي إنْ صحَّ التّعبير؛ أيْ فقه المُعاملات وفقه العبادات، تأسيساً ومنهجيَّة. يتناول الباحث ـ تاريخيّاً ـ السّياسة الإسلاميَّة مُنذُ عُمَر بن الخطّاب، مُرُوراً بأبي حنيفة وابن خلدون والشّاطبي وابن تيميَّة والماوردي والغزالي، وُصُولاً إلى المدرسة التّجديديَّة المُعاصرة. ويُعلِّل لماذا الحاجة إلى قواعد فقه سياسيٍّ إسلاميٍّ. ثُمَّ يُوضِّح ما هي أسباب تعطيل الفقه السّياسيِّ الإسلاميِّ ومظاهره. ويُعرِّج على العلمانيَّة والاستشراق والخلافة والمُلك وإلى دَور الجامعات الإسلاميَّة في إغناء الفقه السّياسيّ. كما يرتدُّ الباحث إلى بحث فقه السّياسة عند الأنبياء نُوح وإبراهيم ومُوسى وعيسى، ويبحث في نحو قواعد مُؤصِّلة للتّفسير السّياسيّ للقرآن الكريم. ومن ثَمَّ يصل إلى فقه هذه المرحلة التي نعيشها؛ أيْ قواعد الحرب والسّلام. ويبحث في مُصطلحات عديدة مثل: الجهاد ـ القتال ـ السّلام ـ الحرب ـ وكيفيَّة ضبط كُلٍّ من هذه المُصطلحات في القُرآن والسُّنَّة. كما يتطرَّق ـ بشيء من التّفصيل ـ إلى قواعد السّلام والحرب في مرحلة الاستضعاف (مثال السّلام مع الكيان الصّهيَوْني بين الشّرع والواقع). ويصل إلى بحث قواعد الحرب والسّلام في مرحلة العالميَّة، ويبحث في الدّيمُقراطيَّة والمجالس النّيابيَّة وحُقُوق الإنسان والسّلام العالمي من ميزان الفقه السّياسيّ الإسلاميّ. ويُعرِّج إلى قواعد الحرب والسّلام في ضوء المُتغيِّرات السّياسيَّة، ويُبيِّن قواعد الفقه السّياسيِّ الإسلاميِّ بين الثّوابت والمُتغيِّرات. ويتناول العولمة والآخر، وهل ما يحدث الآن هُو حوار حضارات أم صدام حضارات؟ كما يبحث في المُجتمع المدنيِّ والإرهاب والمُنظَّمات الدّوليَّة والفقه السّياسيّ والسُّلطات الثّلاث، مُفصِّلاً في الخلافة والإمامة والسُّلطان والملك، وأهل الحلِّ والعقد ومجلس الشُّورى والنّظام الوراثي، والطّائفيَّة والأُمَّة ودولة المُؤسَّسات والمرأة والحُقُوق السّياسيَّة والدُّستور وولاية الفقيه وفقه الدّولة وفقه الفَرْد، والنّظام القَبَلي والحوار القوميّ الإسلاميّ والحرب الحضاريَّة والحُرِّيَّات العامَّة والتّعدُّديَّة السّياسيَّة ومعالم النّظام الإسلاميِّ العالميّ، والدّين والسّياسة. ثُمَّ يُعدِّد القواعد التي ارتآها تصلح لتأسيس فقه سياسيٍّ إسلاميٍّ.

57) نزار قبّاني وقصائد كانت ممنوعة في الدّين السّياسة الجنس ، نضال نصر الله ، 2003

نزار قبّاني طفل بردى. طفلُ البساتين التي نَشَرَتْ وردها وعطرها ذات يوم بين سُور الصّين ومدريد. / سُليمان العيسى/ - إنَّ عُمَر بن أبي ربيعة شاعر من قافلة شُعراء التّاريخ العَرَبي؛ لكنَّ نزار قبّاني هُو مدرسة الشّعر العَرَبيّ الحديث، يعيش على رُوحها آلاف الشُّعراء وأجيال من الشّباب المُثقّف. / سميح القاسم/ . هذا الكتاب يضمُّ بينَ دفّتَيْه قصائد مُنعت لنزار قبّاني حين نَظَمَهَا، ثُمَّ تحت ضغط الجماهير العَرَبيَّة وحبّها لهذه القصائد أُجيزت، كما يحكي هذا الكتاب قصَّة المَنْع أو المُصادرة وقصَّة الإجازة؛ من هذه القصائد: خُبز وحشيش وقمر - هوامش على دفتر النّكسة - المُهرولُون - المُستحمَّة - مُحاكمة غير شرعيَّة - بلقيس - وغيرها... فمنها قصائد مُنعت بحُجَّة الأخلاق، ومنها بحُجَّة الدِّين، ومنها بحُجَّة المُجتمع والسِّياسة و...

58) لوعة الشّاكي ودمعة الباكي (من جميل تُراثنا)،

المنسوب لصلاح الدّين خليل بن أيبك الصّفدي، تح: مُحمَّد عايش، 2003

العشق والغرام وما يُصاحب ذلك من الوله والهُيام. هذه هي المادَّة الأساسيَّة للكتاب الذي جمع فيه مُؤلّفه كُلَّ مُفردات الحُبّ والعشق والغرام وما يتعلّق بها بأُسلُوب السّجع المُوسيقيّ الجميل، مُستخدماً من ذلك الألفاظ البليغة والمُعبّرة للحالة التي يصفها. ثُمَّ يُلخّص ذلك بأبيات من الشّعر التي لا تخلو من البراعة ومن مُحسّنات الشّعر وفُنُونه. يحكي المُؤلّف ذلك كُلّه من خلاله قصَّة يرويها تبدأ بنظرة، وتنتهي بلقاء، ولكنْ؛ ما بين النّظرة واللّقاء آهات وأشجان وزفرات وعبرات وأحداث ومُجريات، ووصف بليغ وصادق لكُلّ ما يُحيط بالقصَّة يشدُّ القارئ، ويجعله يستمتع بالقراءة. ذلك هُو كتاب: لوعة الشّاكي ودمعة الباكي الذي يُعَدُّ صورة واضحة لواقع الأدب في ذلك العصر. تقول ذلك لأنَّ المُؤلّف الصّفدي - فضلاً عن كونه مُؤرّخاً وهُو ما اشتهر به من خلال كتابه: الوافي بالوفيات - فقد كان شاعراً وأديباً رقيقاً، فقد وُصف من قبل بعض مَنْ ترجم له بأنَّه: أديب الزّمان والشّاعر المُجيد، وغير ذلك من الألقاب.

59) سيرة السّلطان النّاصر صلاح الدّين الأيّوبي (النّوادر السّلطانيَة والمحاسن اليُوسفيَّة)

بهاء الدّين ابن شدّاد، تح: د. أحمد ايبش، 2003

تبقى سيرة البطل الخالد صلاح الدّين الأيُّوبي وجهاده وحُرُوبه مع الصّليبيّين، وانتصاره الأكبر في حطّين، وفَتْحه للقُدس، تبقى واحدة من أنصع صفحات تاريخنا العَرَبيّ الإسلاميّ الوضّاء. في هذا الكتاب الرّائع «النّوادر السُّلطانيَّة والمحاسن اليُوسفيَّة» ينقل لنا المُؤلّف بهاء الدّين ابن شدّاد صُورة حيَّة ورواية مُباشرة عن حياة بطلنا الكبير وأعماله وبُطُولاته.. ويُصوّر لنا، كشاهد عيان ثَبْت صادق، مشاهد مُؤثّرة وعِبَراً بليغة عن المزايا العظيمة التي تحلّى بها السُّلطان النّاصر صلاح الدّين الأيُّوبيُّ، حتّى احترمه الأعداء، بَلْهَ الأصدقاء، فارتفع اسم صلاح الدّين عالياً، ليقترن بأمجاد جهاده، وليقترن بالقُدس الشّريف، وليغدو صاحبه - بكُلّ جدارة - واحداً من أعظم الشّخصيّات التي أنجبَتْهَا أُمّتنا العَرَبيَّة الإسلاميَّة، لا، بل البشريَّة جمعاء على امتداد تاريخها. وكفى سُلطاننا صلاح الدّين فخراً أنَّ الشّهادة بفضله ونُبله وتسامحه، فضلاً عن شجاعته وقُوَّته وحكمته، كانت قد صدرت عن أعدائه قبل أصدقائه وأتباعه. إنَّ سُلطاننا النّاصر صلاح الدّين واحد من الذين يُقال فيهم: إنَّهم نسيج وحدهم.

60) السّيف الأحمر دراسة في الأُصُوليَّة اليهُوديَّة المُعاصرة، د. جمال البدري، 2003

الصّهيَوْنيَّة انعكاس لليهُوديَّة، و(إسرائيل) انعكاس للصّهيَوْنيَّة. - الأحزاب الدّينيَّة الإسرائيليَّة هي القاسم المُشترك بين اليهُوديَّة والصّهيَوْنيَّة و (إسرائيل).. - إنَّ الوظيفة القوميَّة لهذه الأحزاب تجسيد لجوهر الرُّؤية اليهُوديَّة الصّهيَوْنيَّة، وليس - هُناك - فرق استراتيجيٌّ بين اليسار / اليميني / الوسط، فكلُّها تتبنّى الرُّؤية التّلمُوديَّة. - ما هي السّمات والاتّجاهات التّاريخيَّة للدّيانة اليهُوديَّة؟ - ما هي السّمات الأساسيَّة للفكر الدّينيّ الإسرائيليّ؟ - ما هي الاتّجاهات اليهُوديَّة الحديثة قبل الحركة الصّهيَوْنيَّة؟ - نشأة وتطوُّر الأحزاب الدّينيَّة الإسرائيليَّة. - نشأة الحركة الصّهيَوْنيَّة في أُورُوبا. - التّطبيقات الإيديُولُوجيَّة للأحزاب الدّينيَّة الإسرائيليَّة. - حركة غوش ايمُونيم الثّيوقراطيَّة والدّيمُقراطيَّة الصّهيَوْنيَّة. - ما هي الوظيفة القوميَّة للأحزاب الدّينيَّة الإسرائيليَّة في إطار الصّراع العَرَبيّ الصّهيَوْنيّ؟ - التّهجير والاستيعاب - الوظيفة الأمنيَّة والعسكريَّة.. - تعداد الشّخصيات الدّينيَّة الرّئيسيَّة اليهُوديَّة الإسرائيليَّة. - المُنظّمات الدّينيَّة الجديدة وصُعُود العُنصُر الدّينيّ بعد 1967. - توسُّع الجيش الإسرائيليّ في تجنيد المُتطرّفين اليهُود. - تعداد أحزاب الكيان الصّهيَوْنيّ التي تخوض انتخابات الكنيست.

61) مثلّث الدّم شارُون أمس، اليوم، غداً، د. جمال البدري، 2003

إنَّ اريك شارُون أو اريل أو ارئيل بقدر ما هُو فَرْد واحد في المُؤسَّسة الإسرائيليَّة الحاكمة، فهُو - أيضاً - رمز لهذه المُؤسَّسة؛ رمزٌ سلبيٌّ بالنّسبة لنا، ورمزٌ إيجابيٌّ « ماشيح » بالنّسبة لهم. - الماشيح اليهُوديُّ، والعصر الماشيحانيُّ. - المجموعة الماشيحانيَّة « مُواطنو الدّرجة الأُولى ».. - حاييم

وايزمن - إسحاق بن زڤي - زالمان شازار - افرام كاتزر - إسحاق نافون - حاييم هيرتزوغ - ديفيد بن غُوريُون - مُوشي شاريت - ليفي أشكُول - غُولدا مائير - إسحاق رابين - مناحيم بيغن - إسحاق شامير - شيمُون بيريز - نتنياهُو - براك - اريل شارُون - اريل شارُون من الوحدة 101 حتَّى الكيلو 101 - شارُون فوق القانون !! - شارُون و(إسرائيل) الكُبرى - الظَّاهرة الشَّارُونيَّة ومُستقبل (إسرائيل).

62) هندسة القُرآن دراسة فكريَة جديدة في تحليل النَّص، د. جمال البدري، 2003

القُرآن هُو صوت الله الخالد الذي يُلائم الطَّبائع البشريَّة المُتَّزنة مع الحياة، وإنَّ وُجُود القُرآن استمرار للنُّبُوَّة. - التَّفسير والتَّأويل. القُرآن أُنزل من أجل الإنسان، وليس للملائكة والجان. - خصائص التَّحليل القُرآنيِّ بـ عُلُوم القُرآن. - لماذا الدَّائرة في هندسة القُرآن؟ وما هي نماذج هذه الدَّائرة؟ - سُورة الشَّمس - سُورة اللَّيل - سُورة الضُّحى. - كيف نُطوِّر الرَّبطَ بين الرَّقْم والكلمة؟ - ما هي العلاقة بين الدَّائرة والرَّقْم؟ - نماذج تطبيقيَّة من التَّحليل القُرآنيِّ. - سُورتا الفاتحة والبقرة - سُورة الإخلاص - سُورة العَلَق. القُرآن والمُستقبل. إذنْ؛ الهندسة هي تفاعل أصيل بين الكلمات والأرقام مكوِّناً صُورة مُعبِّرة ومُنظَّمة، صُورة فيها جماليَّة الكلمات ودقَّة الأرقام، ولكنَّها ليست كلمة ولا رَقْماً، بل هي هندسة بموجب مفهومنا في هذا المجال، فإذا كانت الهندسة كلاماً كانت هندسة كلاميَّة، أو كلاماً مُهندَساً، والقُرآن كلام الله هندسة مُقدَّسة، فيه مُواصفات الجمال والدِّقَّة.

63) كيف صنعَ اليهُود الهُولُوكُوست؟ نُورمان فنكلشتاين، تر: د. ماري شهرستان، 2003

قال الحاخام آرنولد جاكوب فُولف مُدير جامعة دي يال: "يبدو لي أنَّهم يبيعون الهُولُوكُوست عوضاً عن أنْ يُعلِّموه". إنَّ هذا الكتاب هُو في آن واحد - تشريح واتِّهام لصناعة الهُولُوكُوست. إنَّه يُؤكِّد أنَّ الهُولُوكُوست هُو تقدمة إيديُولُوجيَّة للهُولُوكُوست النَّازيِّ. إنَّ إحدى أكبر القُوَّات العسكريَّة وأعظمها في العالم؛ وحيثُ إنَّ فيها انتقاصات حُقُوق الإنسان هائلة قدَّمت نفسها كبلد ضحيَّة. وقد جنت أرباحاً وفوائد هائلة عن هذا الوضع - الضَّحيَّة الذي لا مُبرِّر له. وخُصُوصاً الحصانة في مواجهة النَّقْد حتَّى الأكثر ثُبُوتاً وسناداً. يقول فنلكشتاين: كان أهلي يندهشون - غالباً - عندما يجدون أنَّني مُستنكر - إلى حدٍّ كبير - تزوير واستغلال الإبادة النَّازيَّة - الجواب الوحيد والأبسط هُو التُّهَم التي يستعملونها لتبرير السِّياسة الإجراميَّة لدولة (إسرائيل) ودَعْم الولايات المُتَّحدة لهذه السِّياسة. هُناك - أيضاً - دافع شخصيٌّ؛ إنَّه الحملة الحاليَّة لصناعة الهُولُوكُوست الهادفة إلى ابتزاز المال من أُورُوبة على حساب الضَّحايا المُحتاجين للهُولُوكُوست، وضعت استشهادهم في مُستوى أخلاقي لكازينو مُوناكو. نُورمان ج. فنكلشتاين يهُوديٌّ يفضح كيف صنَعَ اليهُود الهُولُوكُوست، وكيف يستثمرونه، وكيف يخدعون به الدُّنيا وأُورُوبة وأمريكا.

64) التَّمييز ضدَّ غير اليهُود في (إسرائيل) مسيحيِّين كانوا أم مُسلمين. د. سامي الذِّيب، تر: د. ماري شهرستان. 2003

إنَّ هذا الكتاب يُساهم في فَهْم أفضل لألم الشَّعب الفلسطينيِّ، ويُؤكِّد أنَّه لن يكون لدورة العُنف (النِّضال الفلسطينيِّ) نهاية مادامت سياسة (إسرائيل) مُتمثِّلة ومُتجسِّدة بقوانين ومُمارسات قضائيَّة، التي هي باستمرار ضدَّ غير اليهُود لن تُعدَّل. إنَّ هذه الدِّراسة تجعلنا نتلمَّس بالإصبع نَهْج الاعتداء المُستمرِّ على حُقُوق الإنسان، فيُؤكِّد - في البداية - مفهوم الحُرِّيَّة الدِّينيَّة، ثُمَّ يتحدَّث عن التَّرحيل والتَّدمير بعد 1948م و 1967م، ويتحدَّث عن حُقُوق غير اليهُود 1948م و 1967م، وكيف يُحرِّف اليهُود العدالة، ويتَّخذون القمع وسيلة ضدَّ غيرهم، ثُمَّ يتساءل أيَّ مُستقبل منشود لغير اليهُود؟

65) تطوُّر العُلُوم عند العرَب (الشَّيخ والقارورة)، د. إسماعيل الرُّبيعي، 2003

يتحدَّث هذا الكتاب عن نشاط العُلُوم والمُؤثِّرات، وعن نُشُوء الفكر الفلسفيِّ في المجال العربيِّ الإسلاميِّ، كما يتحدَّث عن الطِّبِّ العربيِّ، ويُعدِّد أهمَّ الأطبَّاء العرَب والمُسلمين، وعن الرِّياضيَّات وأهمِّ عُلمائها من العرَب والمُسلمين، وعن الكيمياء وعُلمائها، والفَلَك وعُلمائه.

66) تحوُّلات الذَّات الثَّقافي العربيِّ مُقاربات معرفيَّة، د. إسماعيل الرُّبيعي، 2003

ما من أمَّة شغوفة بلَعْن الظَّلام مثل العرَب. فالجميع حانق وغاضب يُمارس عادة كيل الشَّتائم، وجَلْد الذَّات، والبكاء على الأطلال، وفوات الفُرص، وغياب العدالة الاجتماعيَّة، وانعدام الحُرِّيَّات، والتَّفرقة العُنصُريَّة والطَّائفيَّة. إنَّ استمرار الوعي الذَّاتيِّ لدى العرَب يجعلهم يعيشون خارج السِّياق التَّاريخيِّ. فالتصوُّرات والرُّؤى عالقة في مداها من دُون إحساس بعناصر التَّغيُّر والتَّحوُّل، فالتَّقليد هُو الموئل الذي لا فكاك ولا خلاص منه. إذنْ؛ أين العرَب من أسئلة اللَّحظة الرَّاهنة؟! يبحث المُؤلِّف في نَقْد العقل، وتحوُّلات الذَّات (العالم وفواصل التَّغيير)، ومُحدِّدات التَّغيير (الطُّغاة والطُّغيان). فاتورة الأحقاد. قياس درجة الكراهية. الوعي بالخُصُوصيَّات. ترسُّبات الماضي. ما يُنتجه الواقع. مُوجِّهات التَّغيير (في صُلب الوظيفة المفاهيميَّة). سيمُولُوجيا الوطنيَّة. ما بعد الوطنيَّة. مُعيقات التَّغيير. كيف نستخدم التَّاريخ؟ الوعي مُتَّهماً. من الأحداث إلى التَّأمُّل. معيارا الذَّاتيِّ والموضوعيِّ. بعيداً عن الأحداث؛ قريباً من الخطاب. الحَدَث تمثيل للتَّاريخ ومُحرِّك له. تفكيك

الخطاب الثقافيّ العربيّ (الحَدَث الكبير يُولّد الأسئلة الكُبرى). الحادثات تترى، والملوك لا ينقطع. ما بعد المُثقّف. الجاحظ. ترميم بُرج بابل. الرّجل الذي فَقَدَ أزرار معطفه. تداخلات الوظيفة النّقديّة. محنة المُثقّف. مُحاولة الاقتراب من مكوّنات الخطاب الثقافيّ العراقيّ المُعاصر (المحنة موقعاً). سيل من أسئلة جارفة ومُحاولات جادّة للإجابة عنها؛ هذا هُو الكتاب الّذي بين أيدينا.

67) مائير كاهانا وغُلاة التّطرّف الأُصوليّ اليهوديّ، رفائيل ميرجي وفيليب سيمون، تر: عائدة عم علي، 2003

من أقوال كهانا: الدّيمقراطيّة والصّهيونيّة لا تتعايشان معاً. اليهوديّة مُختلفة ـ كُلّيّاً ـ عن الدّيمقراطيّة. النّاس في هذا البلد (إسرائيل) مَرْضَى، مَرْضَى فكريّاً، وبالنّسبة لي لا يُوجد هُناك إسرائيليّون، يُوجد يهُود، بعضهم يعيش في (إسرائيل) وآخرون يعيشون في... إنّ هُناك شعباً يهُوديّاً، ولأنّ هُناك شعباً يهُوديّاً فإنّ لدينا الحقّ في المجيء إلى هذا البلد وسَلْبه من العَرَب. إنّ شارُون سيّئ جداً جداً، إنّه كاذب، ولا يملك أيّة مبادئ أخلاقيّة، ولا أيّة مُثُل، بإمكانه أنْ يفعل أيّ شيء، وأنا أخافه تماماً كما يخافه اليساريّون. سُؤال إلى كهانا: إذنْ؛ فأنت تتقبّل حقيقة قَتْل المَدَنيّين العَرَب؟ بالطّبع؛ بالتّأكيد، بالطّريقة نفسها التي أُوافق فيها الإسرائيليّين على قَصْف لُبنان.

68) ما بين مُوسى وعزرا كيف نشأت اليهُوديّة؟ عبد المجيد همُّو، ط1 2003، ط2 2004

مُوسى وبنُو إسرائيل ـ القُرآن الكريم لم يُشرْ إلى اليهُوديّة في زمن مُوسى ـ العهد القديم لم يُشرْ إلى اليهُوديّة في زمن مُوسى ـ حقيقة رسالة مُوسى ـ هل العهد القديم كتاب سماويّ؟ متى تمّ نَسْخُ التّوراة وتدوينها؟ توراة مُوسى ـ الألواح وهل هي غير التّوراة؟ الزّبور وداود ـ سُليمان الحكيم ـ إثبات عدم يهُوديّة إبراهيم وأبنائه ـ وإثبات عدم يهُوديّة مُوسى والأسباط وداود وسُليمان ـ متى ظهرت اليهُوديّة في الكتاب المُقدّس؟ كيف نشأت اليهُوديّة؟ ـ عزرا ونحميا أنشأا اليهُوديّة ـ سمات اليهُوديّة.

69) اليهُوديّة بعد عزرا وكيف أُقرّتْ؟ عبد المجيد همُّو، 2003

تاريخ تدوين الأسفار كُلّها ـ التّوراة والأخلاق ـ المُعتقدات ـ هل هُناك إله واحد يعبده اليهُود أم هُم يعبدون آلهة عدّة؟ الطُّقُوس ـ الوصايا ـ الوصايا الأخلاقيّة ـ المُحرّمات من النّساء ـ وصايا حول الزّنى ـ وصايا مُختلفة ـ الإيمان باليوم الآخر.

70) مفاهيم تلمُوديّة نظرة اليهُود إلى العالم، عبد المجيد همُّو، 2003

متى كُتب التّلمُود؟ تعريفه ـ جمعه ـ تأليفه ـ ترجمته ـ أهمّيّته ـ الرُّدُود عليه ـ التّلمُود والأُمم الأُخرى ـ التّلمُود والمسيحيّة ـ مسيح اليهُود المُخلّص ـ التّلمُود والعَرَب ـ موضوعات تلمُوديّة ـ موقف التّلمُود من يَهْوَه ـ موقف التّلمُود من فلسطين ـ التّلمُود والآخرة ـ التّلمُود والقبّالة (تطوُّر التّلمُود)...

71) الله أم يَهْوَه؟ أيُّهما إله اليهُود؟ عبد المجيد همُّو، 2003

تعدُّد الآلهة عند اليهُود ـ إيل ـ يَهْوَه ـ بعل ـ آلهة أُخرى ـ إيل إله إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ـ ما صفاته؟ يَهْوَه إله اليهُود: من أين أتى؟ ما صفات يَهْوَه؟: التّسلُّط ـ الجهل ـ حُبُّ الجنس ـ الحُزن ـ الكذب... إلخ. هل اليهُود مُوحّدُون؟

72) الفرق والمذاهب اليهُوديّة مُنذ البدايات، عبد المجيد همُّو، ط1 2003، ط2 2004

اليهُود وفرَقُهُم قبل الإسلام ـ نُشُوء اليهُوديّة وانقسامها ـ السّامريّة ـ الصّدوقيّة ـ الحسيديُّون ـ الفريسيُّون ـ الأسينيُّون ـ الغنوصيُّون ـ الكَتَبة ـ المُتعصّبون ـ الربّانيُّون ـ التّلمُوديُّون ـ القرّاءون ـ مُوسى بن ميمُون ـ الفاءون ـ القبّالة ـ يهُود الخَزَر ـ الأشكناز ـ اللُّوثريّة ـ المسيحيّة اليهُوديّة ـ شُهُود يَهْوَه ـ الصّهيَوْنيّة ونشأتها ـ وموضوعات أُخرى مُفصّلة تفصيلاً دقيقاً تُبيّن موقف اليهُود من المسيحيّة، وكيف اضطهدوا المسيح وأتباعه..

73) المجازر اليهُوديّة والإرهاب الصّهيَوْنيّ مُنذ ظُهور التّوراة، عبد المجيد همُّو، ط1، 2003 ط2، 2004

هذا الكتاب يشرح ـ بوُضُوح ـ ما أحدثه اليهُود من مجازر وإرهاب قديماً وحديثاً من خلال كتاب العهد القديم ووقائع الحال على مُرُور التّاريخ حتّى العصر الحديث، من هذه المجازر: مجازر ما قبل مُوسى ـ مجازر نُسبت إلى مُوسى ـ مجازر يشوع ـ القُضاة ـ صموئيل ـ مجازر نُسبت إلى داود ـ مجازر يَهْوَه ـ مدين ـ العجل ـ سنحاريب ـ الطُّوفان ـ إيزابيل ـ ياهو ـ مجازر المكابيّين ـ يهُوديت ـ استر ـ الثّورة الفرنسيّة ـ البلاشفة ـ مجازر فلسطين قبل الدّولة المُصطنعة ـ الاغتيالات اليهُوديّة الإسرائيليّة لزُعماء فلسطين ـ تدمير القُرى في فلسطين من قبل 1948 حتّى 2000 ـ عبث الصّهاينة بقرارات الأمم المُتّحدة، وغيرها كثير. كتاب توثيقيّ من التّوراة ومن كُتُب اليهُود التي يُؤمنون بها، يُوثّق القتل والإرهاب اليهُوديّين، وهُو وصمة عار من وُجهة نَظَر الإنسانيّة في جبين اليهُود، وسجلّ مُشرّف من وُجهة نَظَر اليهُود في جبينهم.

74) أضواء على ظلال الخليج، مروان القبلان، 2003

ودارت عجلة الأحداث حتّى ما عاد بإمكان أحد أنْ يُوقفها.... وأصبح الملك أمام خيارَيْن أحلاهما مُرٌّ؛ إذا ساند التّحالف مَنْ يضمن له أنَّ (إسرائيل) لن تُهاجم العراق، أمَّا إذا اختار الوُقُوف إلى جانب صدَّام حُسين، فإنَّ العالم كُلَّه سيغضب عليه، وسيحرمه الخليج من المُساعدات السّخيَّة التي كانت تُقدِّمها له. لكنَّ الأمر غير الصّحيح - البتَّة - هُو أنَّ إيران هي منبع التّطرُّف الدِّيني كما يظنُّ الكثيرون، وإذا أردنا العودة إلى أُصُول التّطرُّف الإسلاميّ في العصر الحديث فإنَّ ذلك سيقودنا إلى أفغانستان والقرن التاسع عشر، وليس إلى إيران والرُّبع الأخير من القرن العشرين. ومن مظاهر التّناقض - أيضاً - في الشّرق الأوسط الصّراع بين أنصار القوميَّة العَرَبيَّة وأنصار القُطريَّة، بين المُحافظين والرّاديكاليّين، بين حُلفاء الغرب وأصدقاء مُوسكُو، وأهمّ من ذلك كُلّه الصّراع بين أغنياء العَرَب وفُقرائهم. ويتحوَّل مُجريات الأُمُور إلى هذا المنحى الخطير، فقد يحدث ما كان صدَّام حُسين يأمل - حقيقة - بحُدُوثه، وهُو قيام انقلاب يُطيح بالعائلة المالكة في السُّعُوديَّة. ففي 17 تمُّوز 1979، خلع صدَّام حُسين الرَّئيسَ البكرَ، وتسلَّم القيادة في بغداد، متّهماً سُوريَّة والرّئيس الأسد - تحديداً - بمُحاولة قَلْب نظام الحُكْم العراقي. بدأ المؤتمر أعماله يوم 30 أيّار 1989، بحُضُور جميع الزّعماء العَرَب، باستثناء لُبنان الذي ظلَّ مقعده شاغراً؛ لأنَّ سُوريَّة رفضت اقتراحاً يدعو إلى حُضُور رئيسَي الحُكُومتَيْن المُتنافستَيْن. ولأنَّ الموقف في الخليج لم يكن قد اتَّضح بَعْدُ، ولأنَّ أيّاً من العَرَب لم يكن قد حدَّد موقفه بَعْدُ، ولأنَّ السّفير اليمني لدى الأُمم المُتَّحدة لم يتلقَّ تعليمات مُحدَّدة من حكُومته، فقد فضَّل عبد الله الأشطل التّغيُّب عن جلسة مجلس الأمن.

75) الخديعة الكُبرى هل اليهُود - حقّاً - شعب الله المُختار؟ د. مُحمَّد جمال طحَّان. 2003

بماذا وَصَفَ مُفكِّرون أُورُوبيُّون وأمريكيُّون اليهُودَ؟ ما مدى العداء الذي يُكنُّه الصّهاينة للسَّيِّد المسيح أو لنبيِّ الإسلام؟ تقول نيستا ويستر: إنَّ المفهوم اليهُودي السّائد عن فكرة شعب الله المُختار هُو مفهوم سياسيٌّ محض ابتكره الحاخامات لحَضِّ اليهُود على السّعي الدّؤوب للسّيطرة على العالم، ويُعتبر هذا الشّعار أساس الدّيانة الحاخاميَّة التّلمُوديَّة، ويأخذ اليهُود بتعاليم التّلمُود كدُستُور لهم في الحياة. مَنْ هُم اليهُود؟ مَنْ هُو إسرائيل؟ وصف اليهُود في التّوراة والأناجيل والقُرآن الكريم - الماسُونيَّة - الدّولة العالميَّة - رسالة الحاخام الأكبر في إستانبول لليهُود في أُورُوبا والعالم - الأسلحة اليهُوديَّة الرّهيبة.... الكتاب مُوجَّه إلى الذين لا يعلمون حقيقة اليهُود، وإلى الذين يعلمون حقيقتهم من أجل أنْ يُقاوموا ويُحاولوا....

76) وحدة الوُجُود من الغزالي إلى ابن عَرَبي، مُحمَّد الرّاشد، 2003

يبدأ المُؤلِّف بتعاريف عديدة تُهيِّئ لقراءة الكتاب، ثُمَّ يتحدَّث عن أبعاد وحدة الوُجُود، ووحدة الأديان، ثُمَّ يُفصِّل ينابيع وحدة الوُجُود في المُعطى الإسلامي (القُرآن والحديث ...)، ثُمَّ يتحدَّث عن الصّياغات الأُولى لوحدة الوُجُود (الغزالي - الجيلاني - السّهروردي - العطّار ...)، ثُمَّ يتحدَّث عن المُراوحة بين الاتّحاد والوحدة (أبو مدين - ابن الفارض - المكزون السّنجاري)، ليصل المُؤلِّف - عبر تسلسُل منطقيٍّ - إلى الصّياغة النّهائيَّة لوحدة الوُجُود (ابن عَرَبي - فُصُوص الحكَم).

77) نظريَة الحبّ و الاتّحاد في التّصوُّف الإسلاميّ من الحبّ الإلهيّ إلى دوامات الاتّحاد المُستحيل، مُحمَّد الرّاشد، 2003

يُقدِّم المُؤلِّف في هذا الكتاب مشروع رُؤية مُعاصرة للتّصوُّف الإسلاميّ، مُنطلقة من هدي الوحي، مُتمثِّلاً بالقُرآن الكريم أوّلاً.. وعلى ضوء المنطق العقليّ ثانياً.. ومُستأنساً بالمُعطى العلميّ ثالثاً.

78) امنحوني فُرصة للكلام، د. مُحمَّد جمال طحَّان، 2003

- اترك السّياسة لأهلها، والثّقافة لأهلها، والحُرّيَّة لأهلها، واكتف بالعيش، ولا تنَمْ إلا بعد عشاء ثقيل، ولا تنسَ. اخلع الوعي قبل النّوم. لا.. لستُ غبيّاً.. كُلُّ ما أرجوه منكم أنْ تُقاوموا فكرة إقامة نَصْب تذكاريٍّ لي بعد أنْ أموت.. لماذا؟ لأنّني لا أريد أنْ أغدو مكاناً أميناً يلجأ إليه مَنْ يريد أنْ يبول.. أنا أكتب.. أنت تقرأ.. هُم يقتلون.. وهُو يشجب بنصف صوت، أنا أكتب نَدَمي لأنّي لم أحترف القتال، وأنت تقرأ وتتألّم؛ لأنَّ الفعل بيد ذلك الذي يهزأ من نَدَمي ويسخر من ألمك.. - ألم يَحن وقت استخدام حقِّ الفيتو على العقل ليتوقَّف بُرهة عن المُساءلة والاستسلام؟! وإذا كان العقل والعقلانيَّة لم يعودا مُجديَيْن، ألا يحقّ لنا أنْ نُمارس الجُنُون؟! - ما الذي جعل الحضارة العَرَبيَّة الإسلاميَّة تذوي؟ - هل بإمكاننا إيقاف تبادُل التّهم والإدانات لنعمل جميعاً على إعادة نهجنا الحضاريّ الذي انبنى على توفير الحُرّيّات الفكريَّة، والتّعدُّديَّة، وتعميق القيَم الإنسانيَّة الخالدة؟! - ما المقدار الذي يحمله الإعلام المُعاصر من مسؤوليَّة التّضليل؟! - ألا فلنبدأ هُنا، والآن، وبكم، ثُمَّ ليكُن ما يكون....

79) الرّحالة ك طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، عبد الرّحمن الكواكبي، تح: د. مُحمَّد جمال طحَّان، ط1 2003، ط2 2004

تأتي أهميَّة الكواكبيّ وأهميَّة كتابه طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد من أجل أنْ نتعلّم من الماضي كي لا نُلدغ من الجحر مرَّتَين، ويأتي نَشْر الطّبائع استكمالاً لدراسة أفكاره التي بدأت في أُمِّ القُرى. ويقول: تمحَّص عندي أنَّ أصل الدّاء هُو الاستبداد السّياسيّ ودواؤه دَفْعُهُ بالشّورى

الدُّستوريَّة. ويقول: (ويُراد بالاستبداد عند إطلاقه استبداد الحُكُومات خاصَّة؛ لأنَّها أعظم مظاهر أضراره). ويقول: إنَّ خوف المُستبدِّ من نقمة رعيَّته أكثر من بأسه؛ لأنَّ خوفه ينشأ عن علمه بما يستحقُّه منهم، وخوفهم ناشئ عن جهل؛ وخوفه عن عجز حقيقيٍّ، وخوفهم عن توهُّم التَّخاذل فقط؛ وخوفه على فَقْد حياته وسُلطانه، وخوفهم على لُقيمات من النَّبات وعلى وطن يألفون غيره في أيَّام، وخوفه على كُلِّ شيء، تحت سماء مُلكه، وخوفهم على حياة تعيسة فقط.

80) أمُّ القُرى مؤتمر النَّهضة الإسلاميَّة الأوَّل، عبد الرَّحمن الكواكبي، تح: د. مُحمَّد جمال طحَّان، 2002

الكواكبيُّ واحد من أجدادنا الأفذاذ؛ رُوَّاد النَّهضة الذين حاولوا النُّهُوض بالواقع إيماناً منهم بمسؤوليَّة العُلماء في توعية النَّاس، ليقدروا على المُطالبة بحقُوقهم بعد أنْ يُدركوا أنَّهم بشر أحرار في صنْع مصائرهم. ممَّا نادى به الكواكبيُّ في كتابه هذا: يجب ألاَّ يُصرَّ أحد على رأيه الذَّاتيِّ، وألاَّ يُمانع في العُدُول عن خطئه ـ سبب الفُتُور هُو تحوُّل السِّياسة الإسلاميَّة من ديمُقراطيَّة إلى مَلَكيَّة مُقيَّدة، ثُمَّ إلى مَلَكيَّة مُطلقة ـ إنَّ البليَّة هي فَقْدُنا الحُرِّيَّة، حُرِّيَّة التَّعليم والخطابة والمطبوعات والمُباحثات ـ كأنَّ مُجرَّد كون الأمير مُسلماً يُغني حتَّى عن العدل، وكأنَّ طاعته واجبة ولو كان يُخرِّب البلاد، ويظلم العباد ـ إنَّ طاعة أُولي الأمر واجبة، ولكنْ؛ مع العدل، فالحاكم العادل الكافر أفضل من المُسلم الجائر وأَوْلى بحكم المسلمين ـ صرنا نتبع الأشخاص بدلاً من التَّمسُّك بديننا الحنيف ـ إنَّ المنشأ لكُلِّ فساد هُو انحلال السُّلطة القانونيَّة وتسلُّط فَرْد عليها، فضلاً عن دُخُول ديننا تحت ولاية العُلماء الرَّسميِّين؛ أي الجُهَّال المُتعمِّمين ـ إنَّ الاقتصار على العُلُوم الدِّينيَّة يُضعفُ المُسلمين، ولابُدَّ من دراسة العُلُوم الرِّياضيَّة والطَّبيعيَّة أيضاً ـ إذْ ترك الخُطباء التَّحدُّث في الأمور العُمُوميَّة، وعدّوا ذلك لَغْواً. وهكذا تأصَّل فينا فَقْدُ الإحساس ـ إنَّ السَّبب الأكبر للفُتُور هُو تكبُّر الأمراء وميلهم إلى العُلماء المُتملِّقين المُنافقين الذين يُزيِّنُون لهم الاستبداد ـ إنَّ أفضل الجهاد هُو الحَطُّ من قَدْر العُلماء المُنافقين عند العامَّة، وتحويلهم لاحترام العُلماء العاملين حتَّى لا يلبث أنْ يحترمهم الأُمراء أيضاً، ويأخذوا بآرائهم. وهكذا؛ نجد أنَّ أمَّ القُرى واحد من الكُتُب المُذهلة، إنْ حذفنا منه تاريخ تأليفه، فلن نشكَّ لحظة واحدة، في أنَّه قد أُنجز تواً، وخُصُوصاً أنَّ صاحبه قد وقَّعه باسم السَّيِّد الفُراتي.

81) المُثقف وديمُقراطيَّة العبيد، د. مُحمَّد جمال طحَّان، 2002

في هذا الكتاب بعض الأحاديث عن المتاهات والمفازات، فيه ما يُؤلم ويُرهق، وفيه ما يدعو إلى المُكابدة، ويحثُّ على المُعاناة. الجوُّ مُكفهر والغُيُوم داكنة وكذلك الهُمُوم، من أجل ماذا؟! من أجل الدِّيمقراطيَّة، ومن أجل الثَّقافة.. ولكنْ، فيه إلى جانب ذلك كُلِّه، وفوق ذلك كُلِّه تجربة قلم حيٍّ، وتجربة إنسان نابض بالبراءة والنَّزاهة، إنَّه الأمل في استمرار الدِّفاع عن الوطن، وعن المُواطن فيه، الآن وفي المُستقبل.

82) الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة من الخيمة إلى الإمبراطُوريَّة. مُرفق خريطة شاملة للولايات المُتَّحدة

إعداد: ديب علي حسن، تدقيق: إسماعيل الكردي، ط1 2002، ط2 2004

قليلون هُم الذين يعرفون أنَّ الولايات المُتَّحدة كان الإستعمار يجثم فوق صدرها، وأنَّ حرباً أهليَّة دامية جرت فيها بين الشَّماليِّين والجنوبيِّين، وقليلون يعرفون ما هُو دُستُورها؟ وما ولاياتها؟ وما مُدُنُها؟ وما ثرواتها؟ وما قوانينها؟ وما تنوُّع سُكَّانها؟ وما....؟ وما....؟! ما الجيش الأمريكي ـ الاستخبارات ـ الدِّين والسِّياسة فيها ـ السِّياسة الأمريكيَّة وأهمّ السِّياسيِّين الحاليِّين ـ الكتاب يسدُّ فجوة في المكتبة العَرَبيَّة، ويُبيِّن كيف تمَّ طَرْد الهُنُود الحُمْر وإبادتهم. وكيف نشأت دولة أمريكا.. ويُعَدِّدُ رُؤساءها مُنْذُ الرَّئيس الأوَّل إلى الآن.. يجب على كُلِّ عَرَبيٍّ أنْ يقرأ ما هي الولايات المُتَّحدة؟ وكيف نشأت؟ وكيف وصلت إلى ما وصلت إليه الآن.

83) الفِرَق والمذاهب المسيحيَّة مُنْذ البدايات حتَّى ظُهُور الإسلام، نهاد خيَّاطة، ط1 2002، ط2 2004

لمحة إلى الأناجيل ـ الأناجيل غير المُعتمدة ـ أناجيل الطُّفُولة ـ اليهُوديَّة المسيحيَّة ـ الأبيونيَّة ـ النَّصارى ـ الدُّوكتيَّة ـ المرقيونيَّة ـ هل تزوَّج يسُوع؟ مجمع نيقية والفِرَق المسيحيَّة الآريوسيَّة ـ إلهيَّة الرُّوح القُدُس ـ السَّابليانيَّة ـ المسيحيَّة بعد نيقية ـ النَّسطوريَّة بمدرسة نصيبين ـ برصوما ـ نرسيس ـ باباي الأكبر ـ خلقيدونية والفِرَق المسيحيَّة بعد خلقيدونية ـ المُونُوفيزيَّة ـ القول بالمشيئة الواحدة في المسيح ـ التَّثليث في المسيحيَّة والإسلام ـ الآب ـ ثالوث أم رابوع ـ التَّوحيد والتَّثليث بين الظَّاهر والباطن ـ التَّثليث في الفكر الإسلامي ـ الابن ـ الرُّوح القُدُس.

84) ابو حيَّان التَّوحيدي إنساناً وأديباً، مُحمَّد رجب السَّامرَّائي، 2002

يتناول المُؤلِّف في كتابه سيرة حياة التَّوحيدي، والظُّلم الذي لحق به من ذوي الجاه والسُّلطان، وتفضيلهم مَن هُو أدنى منه مرتبة أدبيَّة وعلميَّة، كما يتعرَّض إلى التَّوحيدي كأديب فارس لايُشَقُّ له غبار في ميادين عديدة كالأدب والفلسفة.

85) رمضان في الحضارة العربية الإسلامية ، محمد رجب السامرائي ، 2002

يرسم المؤلف صورة عن رمضان في ذاكرة الإنسان العربي في الزمان والمكان ، ويسرد سيرته العطرة في المظانّ العربيَّة القديمة والمعاصرة عن طريق التدوين لهذه المظاهر الاحتفاليَّة به ، وتدوين المظاهر الاحتفاليَّة بعيد الفطر السعيد ومأكولاته وحلوياته في أكثر من 22 بلداً عربياً وإسلامياً .

86) المسيحيَّة وأساطير التجسُّد في الشرق الأدنى القديم اليونان - سوريَّة - مصر ، دانييل إ باسوك ، تر : سعد رستم ، 2002

يؤكِّد المؤلِّف الباحث الأمريكي باسوك في كتابه هذا أنَّ عقيدة التجسُّد في المسيحيَّة عقيدة خرافيَّة ، وفكرة وثنيَّة دخيلة ، نفذت إلى المسيحيَّة من وثنيَّة اليونان والرومان . ويرى أنَّ رسالة المسيح بذاتها كانت رسالة أخلاقيَّة توحيديَّة بسيطة ، لا تعقيد فيها ، فالمسيح نشأ يهودياً ، مؤمناً ، وترعرع في بيئة توراتيَّة متديِّنة ، من ركائزها الأساسيَّة التأكيد على وحدانيَّة الله تعالى الخالصة ، والفصل التامّ بينه وبين مخلوقاته من البشر . إنَّ المسيح هو عبد الله ، وليس ابناً لله ، هو نبيُّ الله ، وليس ابناً لله...

87) التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القدِّيسَين بولس ويوحنا ، سعد رستم ، 2002

يؤكِّد المؤلِّف من الأناجيل الأربعة ومن رسائل بولس ويوحنا أنَّ المسيح عيسى - عليه السلام - أكَّد أنَّ الله هو الإله الواحد الأحد ، وأنَّه - أي المسيح - بشرٌ وإنسانٌ ، ويؤكِّد المؤلِّف أنَّ مَنْ يقرأ الأناجيل قراءة متمعِّنة لن يجد عبارة واحدة صريحة لسيِّدنا المسيح نفسه يدعو فيها أتباعه للإيمان بألوهيَّته ، وبلزوم عبادته ، أو يصرِّح فيها لهم بأنَّه ربُّ العالمين وإله الخلائق أجمعين المتجسِّد الذي انقلب بشراً ، أو يصرِّح لهم فيها بعقيدة التثليث...

88) الذات الإلهيَّة والمجازات القرآنيَّة والنبويَّة وإزالة شبهة التشبيه والتجسيم من أساسها ، سعد رستم ، 2002

إنَّ جماعة من قدماء أصحاب الحديث ، عرفوا - تاريخياً - باسم الحشويَّة ، لكثرة ما حشوا به الدِّين من أحاديث وأخبار آحاديَّة فرديَّة غريبة ، وجعلوها حجَّة في العقيدة والإيمان ! فاغترّوا بظاهر ما ورَدَ في بعض الأحاديث والأخبار وقليل من الآيات القرآنيَّة ، من تعبيرات أضيف فيها اسم عضو من أعضاء الإنسان كالوجه أو الجنب أو اليد أو الساق أو القدَم لله تعالى... إنَّ الغرض من الكتاب هو توضيح المعنى الصحيح للآيات التي اشتبه فهمها على الحشويَّة المجسِّمة ، توضيحاً ينكشف به - بجلاء - التنزيه المطلق لله سبحانه وتعالى ، وليس الغرض - أبداً - اتِّهام أحد في عقيدته أو تكفيره أو تضليله .

89) نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث دراسة تطبيقيَّة على بعض أحاديث الصحيحَين ، إسماعيل الكردي ، 2002

بمرور الزمن ، وكما يحدث في كلِّ تراث ديني مقدَّس ، تكوَّنت هالة مهيبة مبالغ بها حول صحيح مسلم وصحيح بخاري ، فصار أيُّ تحفُّظ على عبارة وردت فيهما ، أو ردٌّ لسند أو حديث فيها ، أو التشكيك بصدوره عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم مهما أقام صاحبه على رأيه هذا من الدلائل العلميَّة والبراهين العقليَّة ، واتَّبع في قوله سلفاً أو أسلافاً من العلماء المتقدِّمين ، وعمل بما وضعوه من قواعد وشروط لقبول المتن ، يُعَدُّ زيغاً وضلالاً وعدواناً على السنَّة ! ! وسنرى - يقيناً - أنَّه وعلى الرغم من الدقَّة التي اتَّبعها الإمامان البخاري ومسلم في انتخاب الحديث واجتهادهما في تحرِّي صحيح السند منه ، لم يخل كتاباهما من عدد من الروايات المنتقدة سنداً ، أو التي لا يمكن القبول بصحَّتها متناً ، طبقاً لقواعد نقد المتون التي قرَّرها علماء الحديث .

90) حلُّ الاختلاف بين الشيعة والسنَّة في مسألة الإمامة ، مصطفى حسيني طباطبائي ، تر : سعد رستم ، 2002 ط2، 2005

هل الإمامة أمر منفصل عن الإمارة والحكومة أم لا ؟ كيف كان سلوك أئمَّة أهل البيت عليهم السلام مع ولاة الأمور وحكَّام المسلمين في عصرهم ؟ كيف كان سلوك أئمَّة الشيعة من أهل البيت تجاه فقهاء وأئمَّة أهل السنَّة وعامَّتهم ؟ وما هي التعليمات التي كان الأئمَّة يقولونها لتلامذتهم ومحبِّيهم في هذا الشأن ؟ هل الخطأ في موضوع الإمامة يوجب حقَّاً الخسران العظيم في الآخرة والمصير إلى النار أم لا ؟

91) حوادث دمشق اليوميَّة غداة الغزو العثماني للشام 926 - 951 هـ صفحات مفقودة تنشر للمرَّة الأولى من مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، ابن طولون الصالحي الدمشقي ، تح : د. أحمد إيبش ، 2002

هذا الكتاب يقدِّم لنا صورة حيَّة وصادقة عن حياة المجتمع وحركته السياسيَّة والاقتصاديَّة وحوادثه وغرائبه وطرائفه ، فضلاً عن وصف واف للعادات والتقاليد ولأنماط الحياة السائدة آنذاك في الفترة التي يغطِّيها الكتاب ، ويمثِّل جزءاً وافياً من القسم الضائع من كتاب (مفاكهة الخلان في حوادث الزمان) للمؤرِّخ الدمشقي الشهير بابن طولون الصالحي ، وهذا القسم يعدُّ - دون شك - المصدر الأوَّل لتأريخ مدينة دمشق في مطلع العهد العثماني بين عامَي 926 - 951 هـ وهي فترة غامضة المعالم لم تصلنا عنها مصادر وثائق كافية . فيأتي هذا الكتاب اليوم ليسدَّ ثغرة هامَّة ، وليضيف جزءاً هاماً إلى مكتبة المصادر المختصَّة بتاريخ دمشق وبلاد الشام ، وليرسم - فوق ذلك - صورة حيَّة وطريفة ودقيقة للحياة السياسيَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة والاقتصاديَّة لدمشق إبان دخولها تحت حكم بني عثمان في عهد السلطان سليمان خان القانوني .

92) نقد الدين اليهودي ، جميل خرطبيل ، 2002

أسطورة العهد القديم - الدِّين - يَهْوَه - الخروج - الأساطير - الخليقة والطوفان - ولادة إبراهيم وموسى - داود - سليمان - اصطفاء اليهود - لا أخلاقيات شخصيات العهد القديم - يَهْوَه وأخطاؤه - صراعه وندمه - إبراهيم - راحيل - ثامار - يشوع...

93) إسرائيل والعَرَب حرب الخمسين عاماً ، أهرون بريغمان و جيهان الطَّهري ،

تر: سالم العيسى ، ط1 2002 ، ط2 2004

من أهمِّ الكُتُب التي صَدَرَتْ عالميّاً ، والتي تتناول الصِّراع العَرَبيَّ الإسرائيليَّ . عبد النَّاصر والاتِّصال الأوَّل بين العَرَب و(إسرائيل) . كيف قُسِّمت فلسطين؟ الاتِّصالات السِّرِّيَّة في باريس . التَّخريب في مصر - المُجابهة - حرب الأيام السِّتَّة - السَّادات يُدهش العالم بالمُصالحة - كامب ديفيد - أيلول الأسود - شارُون والجميل - الحرب في لُبنان . مكرُ صدَّام حُسين - مؤتمر مدريد - الطَّريق الطَّويلة - المُحادثات السِّرِّيَّة في أُوسلُو .... الحلقة المُفرغة؟ النّقاش مع سُوريَّة . وغيرها من الأسرار التي تُكشَف للمرَّة الأُولى .

94) استراتيجيَّة الأمن المائيِّ العَرَبيِّ ، د.إبراهيم أحمد سعيد ، 2002

يُعَدُّ كتاب استراتيجيَّة الأمن المائيِّ العَرَبيِّ من أهمِّ الكُتُب التي تُضاف إلى مكتبتنا العَرَبيَّة ، كونه يعالج بالدِّراسة والبحث مُشكلات استثمار وتنمية الموارد المائيَّة العَرَبيَّة وفق منهج علمي سلس ومُبسَّط .

95) أمريكا - إسرائيل و 11 أيلول 2001 ، ديفيد ديوك ، تر: سعد رُستُم ، ط1 2002 ، ط2 2003

يُؤكِّد مُؤلِّف الكتاب الأمريكي أنَّ إرهاب وتجسُّس (إسرائيل) هُو الأشدُّ خطراً على أمريكا ، ويُعَدِّدُ أهمَّ العمليَّات الإرهابيَّة التي قامت بها (إسرائيل) ضدَّ أمريكا . ويتَّهم الإسرائيليِّين والمُوساد بإخفائهم معلومات هامَّة عن المُخابرات الأمريكيَّة حول التَّخطيط لتفجيرات 11 أيلول 2001 .

96) مُخيَّم جنين من النَّكبة إلى الانتفاضة ، علي بدوان ، 2002

دراسة سياسيَّة وتوثيقيَّة بالتَّواريخ والأرقام والأسماء لما تعرَّضت له مدينة جنين ومُخيَّمها على وجه الخُصُوص من همجيَّة وتدمير من قبل الاحتلال الإسرائيليِّ . كما يعرض إلى قصَّة لجنة التَّحقيق الدَّوليَّة وبالتَّفصيل ، وإلى مُداخلات هذا التَّحقيق ، إلى أنْ تمَّ إلغاء تلك اللَّجنة ، ومُحاولة طَمْس المجزرة الإسرائيليَّة في مُخيَّم جنين .

97) القرآن وتحديات العصر رحلة الشَّكِّ والإيمان ، مُحمَّد الرَّاشد ، 2002

لا يكتفي المُؤلِّف بمُناقشة عدد من المُستشرقين والمُفكِّرين الغربيِّين الذين أساؤوا إلى القرآن عن سُوء فَهْم أو عن سُوء طويَّة فحسب ، وإنَّما يُسارع إلى تأكيد السُّقُوط الأمريكيِّ الموعود على ضوء المُستقبل المنظور ، من خلال رُؤيته لمنطق التَّاريخ واستلهامه لأبجديَّات القرآن...

98) إشكاليَّة وحدة الوُجُود في الفكر العَرَبيِّ الإسلاميِّ (الله والإنسان والعالم في الحضارات الإنسانيَّة) دراسة تحليليَّة رؤيويَّة ، مُحمَّد الرَّاشد ، 2002

ما هُو موقف العقل البشري من تلكم المحاور الكفيلة بتحقيق شرطه الوُجُودي في الحياة وفي الممات ، والمُتمثِّلة برُؤيته إزاء الله والإنسان والعالم؟ هذا ما سعى المُؤلِّف إلى إبرازه على ضوء التَّساؤلات الأزليَّة . لماذا خَلَقَ اللهُ الكونَ وما فيه؟ كيف تمَّ الخَلْق الأوَّل؟ لماذا خُلقنا؟ وإلى أين المصير؟ ما السَّبيل إلى تحقيق خلاص فَرْديٍّ وجَمَاعيٍّ في الحياة ويوم البعث والنُّشُور؟

99) الدِّبلُوماسيَّة القديمة والمُعاصرة ، د. علي عبد القوي الغفاري ، 2002

إنَّ الدِّبلُوماسيَّة الجديدة - بعد أحداث سيتمبر - تُنبيء - بما لا يدع مجالاً للشَّكِّ - أنَّها دبلُوماسيَّة القُوَّة ، التي فاقت توقُّعات العُلماء والخُبراء ، والمعاهد الاستراتيجيَّة المُتخصِّصة في القضايا القانونيَّة والدِّبلُوماسيَّة والعسكريَّة ، والكتاب يتناول الدِّبلُوماسيَّة مُنذُ القديم وإلى الآن ، وقواعد اختيار السُّفراء والقناصل ، وشُرُوط التَّبادُل الدِّبلُوماسي بين الدُّول ، وكُلّ ما يتعلَّق بالبرُوتُوكُولات الدِّبلُوماسيَّة .

100) الدَّليل إلى ألفيَّة ابن مالك في النَّحو والصَّرف والإعراب (تبويب وتوضيح)

مُحمَّد بن عبد الله بن مالك الأندلسي ، إعداد : باسمة درمش ، 2002

هذا الكتاب يحوي قواعد اللُّغة العَرَبيَّة ، نَحْوها وصَرْفها ، في ألف بيت وبيتَيْن من الشِّعر المَوْزون ، كما يحوي تبويباً مُفصَّلاً لكُلِّ قاعدة نَحْويَّة وصرفيَّة لمباحث الألفيَّة التي بلغت الأربعة والسَّبعين مبحثاً . الكتاب : أُسلُوب شعريٌّ يُسهِّلُ حفظ قواعد لُغتنا العَرَبيَّة ، واستحضار سريع ومُكثَّف لقواعد لُغتنا العَرَبيَّة .

101) قَتلُ المُرتدُ الجريمة التي حَرَّمها الإسلام ، مُحمَّد مُنير إدلبي ، 2002

إنَّ بيت الدِّين هُو في أعماق القلب . إنَّه فوق حكْم وسيطرة السَّيف . وكما أنَّ السُّيوف لا تستطيع تحريك الجبال ، كذلك فإنَّ القوَّة لا يُمكنها أنْ تُغيِّر القُلُوب . وفي الوقت الذي كان فيه الاضطهاد باسم الدِّين هُو الموضوع المُتكرِّر في تاريخ العُدوان الإنسانيِّ ، فإنَّ حُرِّيَّة الاعتقاد والضَّمير هُو الموضوع المُتكرِّر في القُرآن الكريم . قال ربُّنا عزَّ وجلَّ : لا إكراه في الدِّين ، قد تبيَّن الرُّشد من الغي . وقال أيضاً : قُل الحقُّ من ربِّكم ، فمَنْ شاء فليُؤمن ، ومَنْ شاء فليكفر . (ومَنْ يرتدد منكم عن دينه ، فيمت وهُو كافر فأُولئك حبطت أعمالهم في الدُّنيا والآخرة وأولئك أصحاب النَّار هُم فيها خالدون) . فهل يصحُّ أنْ نُعارض القُرآن الكريم ونُفتي بقَتْل المُرتدِّ؟!

102) إشارات حمراء ، رزان المُغربي ، 2002

مقطوعات شعريَّة تسمو وترتفع بالنَّفس البشريَّة إلى سماء العاطفة النَّبيلة .

103) الجياد تلتهم البحر ، رزان المُغربي ، 2002

قَصَص تُعبِّر عمَّا يشوب حياة النَّاس من تقلُّبات سريعة على مُختلف الصُّعُد الاجتماعيَّة والفكريَّة .

104) الحلقة المفقودة في سلسلة الحضارات القديمة للجزيرة العَرَبيَّة ، علي سكيف ، 2002

اكتشاف جديد لم يصل إليه أيُّ عالم أو مُستشرق أو مُؤرِّخ غربياً كان أم شرقياً!! الأمر الذي سيُؤدِّي إلى الكَشْف عن حقائق هامَّة جداً ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر : أ ـ مَنْ هُو أوَّل مُكتشف للحرف والكتابة العَرَبيَّة؟ وما هُو المصدر الذي استُقيت منه الحُرُوف؟! ب ـ وثائق إيبلا المُكتَشَفَة في سوريَّة تُبيِّنُ أنَّ إسرائيل ليس هُو يعقوب ، وأنَّ بني إسرائيل ليسوا هُم أولاده أو مَنْ تكاثروا عنه . ج ـ حقائق أو دلائل تُؤكِّد أنَّ طُوفان نُوح كان نتيجة لحرب كونيَّة استُخدمت فيها أسلحة تدمير شاملة تفوق بقُدرتها التَّدميريَّة ما توصَّل إليه العالم اليوم . وأنَّ العالم ربَّما يكون قد عرف الاستنساخ في زمن نُوح عليه السَّلام . د ـ هل كان مُوسى عليه السَّلام ساحراً يستطيع أنْ يجعل العصا تنقلب إلى أفعى ، ويُفجِّر بها الصُّخُور ، فتنبع منها المياه ، ويشق بها البحر ، فتظهر اليابسة ، ليمرَّ عليها هُو وأتباعه؟ أم أنَّ الحقيقة مُخالفة لهذه الخُرافات والأساطير؟

105) المرأة في حياة وشعر الجواهري ، ديب علي حسن ، 2002

مَنْ لا يقرأ الجواهريَّ الشَّاعر المُحبَّ ، فسوف يبقى بعيداً عن تذوُّق روائعه التي نظنُّ أنَّها من أجمل الشِّعر العَرَبيِّ . في هذا الكتاب باقة نضرة من بُستان الجواهريِّ آثرنا أنْ تكون فوَّاحة بعطر مَنْ أحبَّ من بغداد إلى لندن إلى . . إنَّه الشَّاعر الذي لا تغيب الشَّمس عن مملكته الشِّعريَّة نضالاً وحبَّاً وإيماناً وتفاؤلاً بالقادم .

106) ظاهرة النَّصِّ القُرآني تاريخ ومُعاصرة ردٌّ على كتاب النَّصِّ القُرآنيِّ أمام إشكاليَّة البنية والقراءة للدُّكتور طيِّب تيزيني ، سامر إسلامبولي ، 2002

كيف جُمع النَّصُّ القُرآنيُّ؟! توحيد القراءات والرَّسم للنَّصِّ القُرآنيِّ . كيف نشأت القراءات؟ بيان أنَّ اختلاف القراءات لا يُؤثِّر على الأحكام . توثيق النَّصِّ القُرآنيِّ من التَّاريخيَّة إلى الواقعيَّة ، وهميَّة وُجُود النَّاسخ والمنسوخ في القُرآن الكريم ؛ وذلك لأنَّه كتاب أُحكمت آياته . الكتاب دراسة علميَّة تحليليَّة تُثبت أنَّ القُرآن الكريم ثابت مُنذُ نُزوله ، ولم يتعرَّض إلى الاختراق أبداً . والدَّليل الأقوى على هذا هُو أنَّه بين أيدينا وهُو قابل للدِّراسة والتَّأكُّد من صحَّة مضمونه على صعيد الآفاق والأنفس ، وكيفيَّة إثبات أنَّ مضمونه لا يُمكن أنْ يكون خطأ ومُناقضاً لمحلِّ خطابه أبداً ؛ لأنَّ النَّصَّ الرَّبَّانيَّ لا يُمكن أنْ يتناقض مع محلِّ خطابه ، ولا بأيِّ شكل من الأشكال .

107) الآحاد ـ النَّسْخ ـ الإجماع (دراسة نقديَّة لمفاهيم أُصُوليَّة) ، سامر إسلامبولي ، 2002

ما فائدة الخبر الظَّنِّي؟ ما موقف القُرآن من خبر الآحاد الظَّنِّي؟ ما موقف الصَّحابة والعُلماء من الخبر الظَّنِّي؟ نقاش رسالة الألباني في أنَّ حديث الآحاد حُجَّة بنفسه . ما خُطُورة وُجُود فكرة النَّاسخ والمنسوخ في القُرآن؟ هل النَّسْخ مُمكن للنَّصِّ الخاتمي؟ نماذج من الآيات التي قيل إنَّها منسوخة وردُّ ذلك . ما تفسير : (ما ننسخ من آية أو ننسها)؟ (يمحو الله ما يشاء ويثبت)؟ (وإذا بدَّلنا آية مكان آية)؟ (اتَّبعوا أحسن ما أُنزل إليكم من ربِّكم)؟ إثبات أنَّه لا ناسخ ولا منسوخ في القُرآن ؛ ذلك الكتاب الذي أُحكمت آياته... ما هُو الإجماع؟ وما مصدريَّته؟ وما مفهومه كمصدر ربَّاني؟ مُناقشة الإجماع عند الإمام الشَّافعي.... نماذج من إجماع الصَّحابة وآل البيت وعُلماء الأمَّة . نَقْد قاعدة (الأصل في الأفعال التَّقيد) . ماذا ترتَّب على الادِّعاء بأنَّ الإجماع مصدر شرعيٌّ إلهيٌّ؟

108) العبادات في الأديان السماويَّة (اليهوديَّة - المسيحيَّة - الإسلام ، والمصريَّة والعراقيَّة واليُونانيَّة والرُّومانيَّة والهندُوسيَّة والبُوذيَّة و الزَّرادشتيَّة والصَّابئيَّة) ، عبد الرَّزَّاق رحيم صلاَّل المُوحي ، ط1 2001 ، ط2 2003

هذا الكتاب هامٌّ جداًّ جداًّ ، لأنَّه يسدُّ ثغرة كبيرة في مكتبتنا العَرَبيَّة الإسلاميَّة ، بل والعالميَّة . والباحث في دراسته هذه ، والمُوثَّقة توثيقاً دقيقاً ، يتناول مفهوم العبادات في الأديان الثَّلاثة وفي ديانات مُندثرة مثل ديانة المصريِّين القُدماء والعراقيِّين القُدماء واليُونانيِّين القُدماء والرُّومانيِّين القُدماء ، وفي ديانات مازال لها مُعتقون ومُؤيِّدون إلى الآن ؛ مثل الدِّيانة الهندُوسيَّة والبُوذيَّة والصِّينيَّة والزَّرادشتيَّة والصَّابئيَّة . فكم من النَّاس والمُثقَّفين يعرف كيف يُصلِّي اليهُود؟ وكيف يُزكُّون؟ وكيف يتطهَّرون؟ وإلى أين يحجُّون؟ وكيف يصومون؟ وكيف يتوضَّؤون؟ وما هي أعيادهم؟ وكذلك الأمر بالنِّسبة للمسيحيِّين و... هذه الدِّراسة دراسة مُقارنة هامَّة تُبيِّن - وبالنُّصُوص المُوثَّقة من التَّوراة والأناجيل والقُرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة - ما أصاب بعض الدِّيانات السَّماويَّة من تحريف وابتعاد عمَّا نَزل أصلاً في كُتُبها السَّماويَّة ، حتَّى وصل بعضهم إلى تحليل ما حُرِّمَ في كُتُبهم ، وتحريم ما أُحلَّ؟ وتبديل ما ليس يُبدَّل ، رغم وُجُود دلائل قاطعة في كُتُب تلك العبادات حُرِّفَت فيما بعد . ولا شكَّ أنَّه - وبعد قراءة الدِّراسة - سيتَّضح - تماماً - جانب هامٌّ من جوانب تاريخ العبادات المُقارَن في العالم .

109) المرأة اليهُوديَّة بين فضائح التَّوراة وقبضة الحاخامات ، ديب علي حسن ، ط1 2000 ، ط2 2001 ، ط3 2002

المرأة في التَّوراة (إبراهيم وسارة وهاجر ، يعقوب وراحيل والزَّواج من أُختَين ، يهوذا يزني بكنَّته ثامر ، أمنون يغتصب أخته ثامار) سالومي ورأس يُوحنَّا المعمدان ، المرأة اليهُوديَّة في الحياة الدِّينيَّة المُعاصرة . المرأة في الجيش الإسرائيليِّ ، حاخامات يهُود يُديرون شبكات الدَّعارة و المُخدِّرات في العالم . كيف حاولت (إسرائيل) تصدير عبادة الشَّيطان إلى مصر؟ تفاصيل العمليَّة القذرة لاتِّهام سفير مصر في (إسرائيل) بمُحاولة اغتصاب راقصة إسرائيليَّة . الكتاب دراسة موثُوقة تُبيِّن وتفضح وتُعرِّي كيف لعب حاخامات يهُود بالنِّساء اليهُوديَّات وعن طيب خاطرهنَّ مُنذُ وُجد اليهُود إلى الآن .

110) المسؤوليَّة في القانون الجنائيِّ الاقتصاديِّ دراسة مُقارنة بين القوانين العَرَبيَّة والقانون الفرنسيِّ ، محمُود داوود يعقوب . 2001

الكتاب هُو دراسة مُقارنة بين القوانين العَرَبيَّة في سُوريَّة ومصر مع الاستشهاد المُطوَّل - أحياناً - بالقوانين الجنائيَّة في لُبنان والعراق والكُويت واليمن والأُردن والجزائر والسُّودان والمغرب والسُّعُوديَّة والإمارات وقطر والبحرين وليبيا . . وبين القانون الجنائيِّ الفرنسيِّ .

111) تاريخ مدينة دمشق خلال الحُكْم الفاطميِّ ، د. مُحمَّد حُسين محاسنة ، 2001

هُو دراسة لفترة غفل عنها المُؤرِّخون تماماً ، حتَّى بدت ضبابيَّة ، وهي من أهمِّ الفترات في تاريخ مدينة دمشق ؛ لأنَّها كانت - في مُعظمها - صراعاً مذهبيًّا بين السُّنَّة والإسماعيليَّة ، وهي فترة استجلى فيها المُؤلِّف الدُّكتُور مُحمَّد حُسين محاسنة خفايا صراعات كثيرة ؛ من الفاطميِّين إلى القرامطة ، إلى الأتراك والتُّركُمان ، إلى جماعات الأحداث الدِّمشقيَّة ، وقد تناول الباحث - بداية - جغرافيَّة المدينة وخُططها وبداية بنائها ومناخها ومياهها . . ثُمَّ انتقل إلى الفَتْح الفاطمي لها ، وإلى الأحداث الخطيرة التي رافقت هذا الفَتْح ، ثُمَّ تحدَّث عن التَّنظيمات الإداريَّة والماليَّة ، ثُمَّ الحياة الاقتصاديَّة ، ثُمَّ الثَّقافيَّة .

112) الحياة هي في مكان آخر ، ميلان كُونديرا ، تر : معن عاقل ، 2001

لم تستسلم من قَبْلُ لأيِّ جسد آخر بهذه الطَّريقة ، ولم يستسلم أيُّ جسد آخر لها من قَبْلُ بهذه الطَّريقة . كان بوُسع العاشق أنْ يستمتع ببطنها ، إلا أنَّه لم يسكنه قطُّ ، وبوُسعه أنْ يلمس نهدها ، إلا أنَّه لم يشرب منه قطُّ . آه ؛ يا للإرضاع ! راحت تُراقب بشَغَف حركات الفم الخالي من الأسنان الشَّبيهة بحركات السَّمكة ، وتتخيَّل أنَّ ابنها - وهُو يشرب حليبها - يشرب - في الوقت ذاته - أفكارها وتصوُّراتها وأحلامها . إنَّها حال فردوسيَّة . . كانت تسهر - بحرص - على جشاء ابنها وبوله وبرازه ، وليس هذا اعتناء مُمرِّضة مُهتمَّة بصحَّة طفل ، إنَّما كانت تسهر على نشاطات الجسد الصَّغير بشَغَف .

113) القصر المسحور (سيِّد الباب السَّابع) ، إيفلين بريزو بيللين ، تر : فاطمة عابدين ، 2001

هي رواية رائعة للفتيان ، والرِّواية - من جهة - تُحاول : أنْ تكون خياليَّة ، ومن جهة أُخرى ؛ فإنَّ ما فيها من إغناءات فكريَّة تفتح آفاق فكْر الفتيان ، وتُدخل القِيَم التي فيها إلى خيالهم بصُورة سلسة ، لتُصبح مُعتقدات تترسَّخ في وُجدانهم وعقُولهم .

114) بين ابن المُقفَّع ولافونتين (مدخل إلى دراسة مُقارنة) ، فاطمة عابدين ، 2001

الكتاب مُقتطفات من كليلة ودمنة لابن المُقفَّع ، ومُقتطفات من أعمال لافونتين الشِّعريَّة ، شاعر فرنسا العظيم ، والهدف من إبراز هذه المُقتطفات هُو إثبات أنَّ الأفكار واحدة لدى الإنسانيَّة ، وإنْ اختلفت وسائل التَّعبير عنها . والكتاب مُوجَّه لليافعين والتَّلاميذ والمُدرِّسين .

115) المرأة مفاهيم ينبغي أن تُصحَّح ، سامر إسلامبولي ، ط1 1999 ، ط2 2001

تفسير آيات : غضُّ البصر. حفظ الفرُوج. إبداء الزِّينة. ضرب الخمار. هل حقاً أنَّ الرسول الكريم قال : إنِّي رأيتُ أكثر أهل النَّار من النِّساء؟ أنتنَّ ناقصات عقل ودين؟؟ كيف يكون إذْنها سكُوتها وهي لم تنطق بحرْف؟؟ السِّياسة والنِّساء ومنصب الرِّئاسة. ما قصَّة ما أفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة؟؟ ماذا اشترط الله لتعدُّد الزَّوجات؟ وكيف أهمل المُسلمون شرُوط الله تعالى؟؟ ملك اليمين، المُتعة، ....

116) تحرير العقْل من النَّقْل وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البُخاري ومُسلم ، سامر إسلامبولي ، ط1 2000 ، ط2 2001

هل نعتمد العقْل أم النَّقْل؟؟ ما الفرْق بين السنَّة والحديث؟؟ ما هي العصمة؟ وهل هُناك أئمة معصومون؟؟ هل سَحَرَ اليهُود الرَّسولَ الكريمَ؟ هل حقاً أنَّ الرَّسول الكريم نسي آيات ، ثُمَّ تذكَّرها؟؟ هل حقاً أنَّ الرَّسول الكريم قال: إنَّما الشُّؤم في ثلاثة؛ في الفرس والمرأة والدَّار؟؟ هل صحيحا البُخاري ومُسلم مُقدَّسان لايجوز المساس بهما أو نقْدهما؟؟

117) الألُوهيَّة والحاكميَّة دراسة علميَّة من خلال القرْآن الكريم ، سامر إسلامبولي ، 2000

كيف ندرس مفهومَيْ التَّوحيد والإيمان باليوم الآخر؟ما هي الأهمِّيَّة الكُبرى لهذَيْن المفهومَيْن اجتماعياً وتعبُّدياً؟ لمَ دَمَجَ المُسلمون ما هُو بشريٌّ بما هُو ربَّانيٌّ في السِّياسة؟؟ مَنْ أعطى الحقَّ لهم بالحُكْم بتكفير فُلان وتَزَنْدُق فُلان وارتداد فُلان؟؟ ما الألُوهيَّة؟ ما الربَّانيَّة؟ما الحاكميَّة؟ ما حاكميَّة الله؟ما حاكميَّة الإنسان؟ ما معنى (الرَّحمن على العرش استوى)؟

118) الوصايا المغدورة (التَّرجمة الكاملة) ، ميلان كُونديرا ، تر : معن عاقل ، 2000

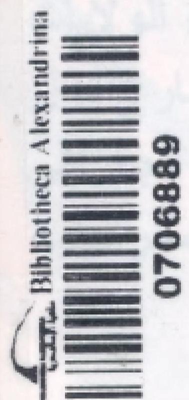
هذه الدِّراسة النَّقْديَّة مكتوبة بشكل رواية على مدى تسعة أجزاء مُستقلَّة ، تتقدَّم الشَّخصيَّات ذاتها وتتلاقى: سترافينسكي وكافكا وأنسير ميه ويرود، همنغواي مع كاتب سيرته. . وفنُّ الرِّواية هُو البطل الرَّئيس للكتاب، والذي يبحث الحالات الهامَّة في عصرنا : الدَّعاوى الأخلاقيَّة التي أُقيمت ضدَّ فنِّ هذا العصر من سيلين إلى ماياكوفسكي. .الحياء بوصفه مفهوماً جوهريّاً لعصر مُؤسَّس على الفَرْد. . القُوَّة الغامضة لإرادة الموت، الوصايا، الوصايا المغدورة. وُلد ميلان كُونديرا في تشيكُوسلُوفاكيا، واستقرَّ في فرنسا عام 1975، ويُعدُّ من أشهر الرِّوائيِّين في هذا القرن، وكَتَبَ هذا الكتاب باللُّغة الفرنسيَّة. وهُو من الرِّوائيِّين المُثيرين للجَدَل في العالم.

119) المُحاورة ، ميلان كُونديرا ، تر : معن عاقل ، 2000

وضعتْ ـ بعد ذلك ـ كفَّيها على وركَيْها، وزلقتْهُمَا على امتداد الجذع. رفعتْهُمَا فوق الرَّأس، ثُمَّ تسلَّقتْ يدُها اليُمنى على امتداد ذراعها اليُسرى المرفوعة، ويدها اليُسرى على امتداد ذراعها اليُمنى، وأنهتْ حركة الذِّراعَيْن. أعادتْ ـ بعد ذلك ـ يدَيْها إلى ورِكَيْها، وزلقتْهُمَا على امتداد السَّاقَيْن، رَفَعَت السَّاق اليُمنى، ثُمَّ السَّاق اليُسرى وهي مُنحنية، ثُمَّ نظرتْ إلى المُدير، وحركتْ الذِّراع اليُمنى مُلقيةً إليه بتنُّورتها الوَهْميَّة. مَدَّ المُدير يده وأحكمَ قبضته، وأرسل بيده الأُخرى قُبلة. كانت مُتفاخرة بعُريها الوَهْميِّ، ولم تَعُدْ تنظر إلى أحد، راحت تنظر إلى جسدها المُتموِّج، وعيناها نصف مُغمضتَيْن، ورأسها مائل جانباً... تحطَّمت ـ بعد ذلك ـ وضعيَّة الزَّهْو. .



إن النصوص الواردة في التوراة والمستخدمة لتبرير الطبيعة العدوانية والرغبة الكامنة لدى الشعب اليهودي بالقتل والعـدوان الانفصال عن الآخرين من منطلق عنصري باعتباره المزعوم بأنه شعب الله المختار قد أيدتها كتابات التلمود، التي تعد كتابات مقدسـة عند معظم الفرق اليهودية. يبدأ الكتاب بتعريف العهد القديم، ثم التوراة، وأسفار موسى الخمـسة، ثم يلقي أضواء على النص التوراتي (من نـاحية المعتقـد والإله)، ثم يتحدث عن تشويه العقيدة(الخلفية الدينية - النص التوراتي الإطار العام للنـص المقدس - الإصرار على تحريف العقيدة - اليهود والإسـلام)، ثم يفصل في الصهيـونية والصراع العربي الإسـرائيلي (حقيقة النصراستغلال الحدث - أبعاد الموقف الإسرائيلي - الادعاءات الباطلة) ثم القرآن الكريم والتوراة - الغرب والصهيونية - اللغة الإلهية المسيح اليهودي الصهيوني - الولايات المتحدة واليهود - اللاسـامية كسلاح يهودي للتشـهير - معاداة السـامية - طموح نحو المزيد من السيطرة - الجموح إلى الهيمنة على صناعة السينما - الولايات المتحدة والعلاقة الخاصة مع (إسرائيل) - طبيعة التحالف الأمريكي مع الصهيونية حدود الصراع (البعد الدينـي للصراع العربي الإسـرائيلي - العـرب والصهيونية - أضواء على طبيعة الصراع) أسماء رؤسـا[illegible] المتحدة، عدد اليهود في دول الاتحاد الأوروبي، وعددهم خـ[illegible] الاتحاد الأوروبي - وعددهم في دول أوروبا الشرقية - التوزيـ[illegible] لليهود في العالم - عدد أبرز الديانات في العالم - الأحزاب ا[illegible] المتمثلة في الكنسيت واتجاهاتها.



AL - AWA'EL